النزعة الانسانية

في

الاغنية الفيروزية

اعـــداد

الطالب جورج حداد

رسالة قدمت لمعهد الآداب الشرقية (الجامعة اليسوعية)

للحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي

باشـــراف

الدكتور اسعد علي

العام الدراسي : ١٩٧٣ - ١٩٧٤

المقـــدمـــة

أحدد في هذه المقدمة أسباب اختياري للاغاني الفيروزية موضوعا لدراسة ادبية — انسانية ، والمصاعب التي واجهتني (ها) وابين المنهج الذي ساعدني على تخطي تلك المصاعب ، وعلى اخراج هذه الدراسة على الشكل الذي هي عليه ، مشيرا الى قيمة دراسة الاغنية الفيروزية انسانيا . واشكر من كانوا لي عونا ونصيرا لدراسة هذه الاغنية ومعرفة اثـرهـا (١) .

اما اسباب اختياري " النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية " موضوعا للدراسة ، فأمور مازجت قلبي وعقلي ، وربيت في ذاتي منذ كنت اتلقى دراستي الابتدائية . آنئذ كان صوت فيروز يزرع في نفسي ابعادا خصبة من التأمل فالعطاء .. ويمنحني قدرة على الاستمرار في العمل ، بشفقة بحبة اثيلة ورضاء ملذوذ ، ومما دعاني يومئذ ، للتفكر والتبصر بالكلمة التي ينقلها ذلك الصوت ، فوجدتها : غنية المواضيع ، ثرة الينابيع ، رفيعة المستوى في التعبير الشعري . وهذا ما زادني شغفا بها وميلا اليها . هذا سبب اول .

ويجيء السبب الثاني من موحيات الاول ، وهو ان الدكتور اسعد علي استاذي المشرف ، لاحظ انشداد ي صوب هذه الاغنية ، فشجعني على دراستها لتكون موضوع الرسالة الماجستير . فكان هذا التشجيع بعثا جديدا لآمال تعيش في ذهني منذ حدود الماضي .

السبب الثالث ، هو ان الكلمة في الاغنية الفيروزية انطلقت بمنهج ابتداعي مستقل ، ارسى الاخوان رحباني قواعده ، وعرفنا ، بفضله ، بمدرسة متميزة في حقل التأليف الغنائي ، هذه المدرسة التي جعلت اللهجة اللبنانية المحلية ، اللغة الاساسية للاغنية التي انتقلت الى معظم اركان العالم حاملة اسم لبنان وتراثه الشعبي . ولم يكن الامر كذلك قبلها .

السبب الرابع ، هو ان الاغنية بوجه عام ، اقرب الوسائل الاعلامية الى قلوب الناس ، واسرعها شيوعا بينهم ، واشدها تحريكا لهم ، بها يرتفع القوم وبها ينخفض كذلك . قال سعيد عقل : " الاغنية ، هذه الاداة الوحيدة التي تدخل جميع البيوت بدون استئذان ، انما هي اقوى عامل للبناء او اقوى عامل للتدمير" (٢) .

---

(١) لقد اقتديت هنا بالفكر المنهجي المفرغ في مقدمة رسالة الاستاذ خليل احمد عن : زكي الارسوزي ودور اللسان في بناء الانسان .

(٢) مجلة الصياد ، ٢٣/٨/١٩٥٦ ، ص ١٥ ، العدد ٦٢٥ .

../..

وسبب اخير يكمل الرابع ، هو أن الاغنية الفيروزية بوجه خاص ، هي من العوامل القوية للبناء ، باتجاهاتها الانسانية المحببة والمتعددة ، من دعوة عالمية للمحبة والسلام ، وايمان بالحق ، وانتصار للخير على الشر ، الى ان الانسان قيمة الوجود في وطنه الارض •

هذه الاسباب الخمسة التي دعتني الى اختيار : الاغنية الفيروزية في نزعاتها الانسانية ، تنزع الى غاية وتواكبها صعوبات •

اما الغاية فالدلالة على قيمة الاغنية الفيروزية ، خاصة ، شكلا ومضمونا ، وقد رتبها الفنالة على معالجة مواضيع دقيقة في مجتمعنا الحديث ، بلغتها اللبنانية • هذا من ناحية • ومن ناحية ثانية ، اردت ان تكون هذه الرسالة عاملا فعالا في تطوير اغنيتنا العربية عامة ، والارتقاء بها لتكون على المستوى الذي يستطيع توضيح الوجه الحضاري والانساني لهذه الامة ، كما تجلى ذلك في الاغنية الفيروزية •

واما الصعوبات التي واجهتني وانا اجد السير لبلوغ الهدف ، فخارجية وداخلية :

من الصعوبات الخارجية عدم توفر المادة التي اردت ان تكون موضوعا لدراستي ، فمعظم نصوص الاغنية الفيروزية لم تكن موجودة عند الاخوين رحباني ، هذا الى جانب تحفظهما بما كنت اطلبه منهما من معلومات وهما المصدر الرئيسي الاوحد لها • اما المرجع الذي اتجهت نحوه فكان الاذاعة اللبنانية ، هذا المرجع لم يسمح لي حتى بتصفح فهارسه لآخذ منها ولو عناوين الاغاني التي اقصد ، فتركته وانصرفت الى جمع الاشرطة والاسطوانات التي تحوي مجموعة من هذه الاغاني ، انصت اليها وادون كلماتها • وقد استنزفت مني هذه الطريقة وقتا طويلا وجهدا مضنيا ، دون التوصل الى نتيجة مُرضية ، مما دفعني للعدول عن هذا الموضوع نهائيا •• الا أنني تراجعت بوحي من استاذي المشرف وتابعت الطريق على هذه الوتيرة صابرا ، رغم معرفتي بتعقيدها • وكثيرا ما كانت الكلمة تذوب في اللحن فاضطر الى اعادة سماعها عشرات المرات حتى تتضح لي تماما ، تمشيا مع روح الأمانة العلمية ، وحرصا على صحة النص كما هو حرفيا •

٢ — عدم وجود ابحاث كاملة تناولت الاغنية الفيروزية بشكل منهجي • الا ان هناك محاولة للشاعر فؤاد بدوي ، وهو صديق قديم للرحبانيين ومحب لصوت فيروز ، وضعها في كتاب يحمل عنوان " جارة القمر " (١) ويحوي بين دفتيه ٢٥٨ صفحة بقياس ٢١/١٧ بينها ١٨٤ صفحة حوت نصوص بعض الاغاني الفيروزية تختلف نصوصها

---

(١) هذا العنوان من وحي اغنية فيروز : نحنا والقمر جيران • تجدها في الملحق الثاني من الرسالة تحت رقم ٢٠٥ •

••/•

عما تغنيه فيروز ، الى جانب كتابة الكثير من كلماتها باللهجة المصرية ، ما يفقد هـــا حلاوتها الموجودة فيها باللغة اللبنانية .

كل ذلك ، فرض علي المسيرة منفرداً ووضعني امام مجابهة النصوص مباشـــرة وكان من تلك المجابهة أن وُلدت منها دراستي هذه ، بشكلها ومضمونها .

من هنا تبدأ الصعوبات الداخلية ، فمعظم نصوص الاغنيات الفيروزية ، مختلطـــة المضمون حيناً ، بحيث يصعب على قارئها ان يدرجها تحت عنوان واضح (١) . ومتشابكة المدلول في أحيان كثيره ، بحيث يجتمع في الاغنية الواحدة ثلاث قضايا ، فتمتزج مواســم الطبيعة بمواقف العشاق المختلفة من خوف واطمئنان ، ووعد وهجران . ثم حب الوطـــن والحنين اليه (٢) .

وان كان العنوان يدل على فحوى النص فان عنوان الاغنية الفيروزية لا يدل علـى مضمونها . لذلك لا ينتظر قارئ " شمس الضحى " وهو عنوان لأغنية ، ان يجد تحت هذا العنوان شيئاً عن الضحى وهو المرتبة الخامسة من بدء النهار بعد البكور والشروق والاشراق والرأد . ولكنه سيجد كلاما عن المغيب والليالي ، وضوء القمر ، والخوف مـــن الناس . هذا الى جانب أن معظم عناوين الاغاني جاءت عامة يصح ان يدرج تحتها اي موضوع (٣) ، ذلك أن هذه العناوين اقتطفت من مطالع الاغنيات ، ولم تقم على اساس المحاور التي تدور عليها الموضوعات ، وسبب ذلك يعود الى أن الاغنية الواحدة تقـــوم على عدة محاور وتعالج اكثر من موضوع .

وقضية التكرار هي من الصعوبات الداخلية في نصوص الاغنية الفيروزية . حيــث يتكرر الموقف الواحد في العديد من الاغنيات ، خاصة الغزلية منها ، ولكن باخراج جديد وكلام جديد . (٤)

هذه الصعوبات جميعها قادتني الى المنهج الذي ساعدني على تذليلهـــا ووضع الامور في نصابها . هذا المنهج يتمثل في كيفية التصرف بالمصادر والمراجـــع لاقامة مخطط الدراسة ، وبنائها ، من ثم ، على اساسه . وهنا كان للإشراف الجامعي

---

(١) على سبيل المثال اذكر اغنيات : علّي علّي ، يا منزال ، هيلا يا واســـع ، طريق النحل .

(٢) اذكر مثلا اغنيات : شتي يا دني ، صيّف يا صيف ، نسّم علينا الهوى ، يا اهـــل الدار .

(٣) كعناوين : عالي عالعالي ، عالالا ولا لا ، يا طير ، يوم ويومين ، يا نهورة كوثر ، جايـــي ... الخ

(٤) كأغنيات : انا وسهرانه ودق الهوى عالباب ، سأل الحلو وما في حـــدى ، ميلو اهل الهوى وغيرو اهل الهوى ، ولا حظ كذلك الاغنيتين رقم : ١٣٠ و ١٣١ في ملحق الاغاني فانهما يحملان عنوانا واحدا ومضمونا واحـــدا .

../.

دور الاعداد لمواجهة الصعوبات ، وتجاوزها بعد ذلك ، بما يزرعه في نفس الباحث من حركية تتجلى في الاثارة المبدعة •

فمصادر الدراسة الجوهرية هي نصوص الاغنيات نفسها ، والتي بلغ مجموع ما استطعت تجميعه منها اربعمائة وخمسة وعشرين نصا ، درستها وصنفتها على حسب مضمونها لاستطيع ، بعد ذلك ، البحث في النزعة الانسانية فيها •

هذه الاغنيات هي المصدر الاوحد الذي منه نهلت ، والمرجع الفرد الذي اليه رجعت ، في كل ما يتعلق بشرح النصوص التي توصلت من خلالها الى ابراز النزعة الانسانية فيها •

أما المراجع التي تناولت منها هذه النصوص فأربعة :

الاول : بعض نصوص المسرحيات الغنائية التي غنت بها فيروز (١)

الثاني : مجموعة أوراق لقيتها عند الأخوين رحباني •

الثالث : مجموعة الاشرطة المسجلة التي امدتني بمعظم هذه النصوص •

الرابع : شعراء غنت لهم فيروز في مقابلات شخصية معهم (٢) •

وهناك من المصادر والمراجع ما أسهم في كتابة الموضوعات التاريخية في هذه الدراسة ، ككتب : الاغاني للاصفهاني • والقيان والغناء في العصر الجاهلي ، للدكتور ناصر الدين الاسد • والشعر والغناء في المدينة ومكة ، للدكتور شوقي ضيف • وقرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم • وتاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان • هذه الكتب كان لها اهمية خاصة عند كتابة الفصل الاول من الباب الاول المتعلق بتاريخ الموسيقى والغناء • أما كتب : الفولكلور ، قضاياه وتاريخه ، ليوري سوكولوف • والفولكلور ما هو لفوزي العنتيل • والزجل ، تاريخه ، ادبه ، أعلامه لمنير وهيبه • ومعنّى رشيد نخله لأمين نخله ، فكانت كبيرة الفائدة عند تناول المباحث الثلاثة الاخيرة في الباب الثاني ، وهي التي بحثت في الاغنية الفولكلورية ، والزجل ، والموشح •

تقوم ، الى جانب ذلك ، المقابلات التي اجريتها لمعرفة شيء عن حياة فيروز (٣) في الفصل الثاني من الباب الاول ، وعن الاخوين رحباني في الفصل الثالث منه •

---

(١) وهي : بياع الخواتم ، جسر القمر ، الشخص ، قصيدة حب ، الليل والقنديل ، لولو ، المحطة ، ناس من ورق ، ناطورة المفاتيح ، وهالة والملك •

(٢) هذه المقابلات مع : بولس سلامه ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٤ • سعيد عقل ٣١ / ١٠ / ٧٢ • شفيق جدايل ، ٢٦ / ٢ / ١٩٧٢ ، نزار قباني في لقاءين بمكتبه •

(٣) اذكر منها على سبيل المثال المقابلة التي اجريتها مع الاستاذ حليم الرومي في مكتبه بالاذاعة اللبنانية بتاريخ ١٤ / ٢ / ١٩٧٢ والتي امدتني بمعلومات قيمة تتعلق بحياة فيروز الفنية •

• • / •

على ضوء هذه الرحلة مع الاغنية الفيروزية ، وانطلاقا من اسباب الاختيار ، مرورا بالصعوبات ، وتوقفا عند المصادر والمراجع ، رأيت ان يكون اخراج هذه الرسالة في : مقدمة وبابين وخاتمة وملحقين •

اما المقدمة ، فلتقديم الرسالة فيها ، وارسال المنهج من خلالها ، وضبط التقديم بالمنهج في مضمونها • ولتحديد اسباب الدراسة وقيمتها والقائمين عليها •

والباب الاول الغناء وفيروز تناول اربعة مواضيع في اربعة فصول جاءت بين مفتاح وقفــــل •

المفتاح ، هو الضابط الذي يمكّن من الدخول في هذا الباب •

والفصل الأول جعلته في مدار حول موضوع " تاريخ الموسيقى والغناء " ، وهذا يتجه في منحيين : الاول عن صلة الموسيقى بالنزعة الالهية عند الانسان بصورة عامــة ، مستعينا ببعض ما ورد في التوراة بهذا الصدد • والثاني عن هذه الصلة نفسها عند العرب بصورة خاصة ، في شعرهم وغنائهم من الجاهلية حتى اليوم ، معتمدا الايجـــاز الشديد ، ومحيلا الى المصادر والمراجع في الحواشي ، متوقفا عند فيروز والاخوين رحباني •

وتحدثت في الفصل الثاني عن حياة فيروز ونشأتها وولادة ظاهرة الغناء فيهـــا منذ طفولتها حتى اشتراكها في تقديم الاناشيد المدرسية في الاذاعة اللبنانية ، ثـــم نجاحها كمطربة مستقلة ، فلقاؤها بعاصي الرحباني وتطور هذا اللقاء •• وانطلاقهـــا ، بعد ذلك ، عربيا وعالميا ، واخيرا كلمة المثقفين فيها •

وتحدثت في الفصل الثالث عن حياة الاخوين رحباني ، ونشأتهما الاسريـــة المختلفة وعن مدرستهما وموهبتهما الفردية ، ثم حركتهما في المجتمع والعالم ، وطريقتهما في التأليف الغنائي • واخيرا تكلمت عن الياس الرحباني ، الاخ الثالث لهما ، بعـــد ان دخل معهما ، وكان قبل ذلك مستقلا بأعماله عنهما •

أما الفصل الرابع فقد حددت فيه مجموع الاغنيات التي غنتها فيروز عاميـــة وفصيحة ، والتي اتخذت من مادتها موضوع بحثي ، وحددت كذلك مجموع ما غنته للاخوين رحباني خاصة ، وما غنته لشعراء بصورة عامة من العامي والفصيح • ثم قسمت هـــذه الاغنيات جميعها حسب موضوعاتها ومضامينها ، ومن هذا المنطلق وزعتها على الفصول والمباحث في الباب الثاني •

واخيرا يأتي القفل الذي ينهي نهاية الجولة داخل الباب الاول ، ولكنـــه يحفز على التفتيش عـــن مفتاح آخر لولوج باب آخر ••

الباب الثاني ، هو قلب الرسالة ، فيه شرعت صوب النصوص التي هي : " النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية " • وقد جعلت لهذا الباب مفتاحا وقفلا تقوم بينهمـــا اربعة فصول : ••/•

أما المفتاح ، فلتفتيح معنى كلمتي : نزعة وانسانية في اللغة التي اصطلحت على ضوئها عنوان الرسالة ، وموضحا سبب نسبة العنوان الى فيروز •

والفصل الاول ، تحدثت فيه عن الكلمة في أغنيات فيروز ومنابعها •

الفصل الثاني ، بدأته بمدخل ربطت فيه بين منابع الكلمة في الاغنية الفيروزية ، والمصب الذي يصبو اليه الصوت الفيروزي حامل هذه الكلمة •• وعلى ضوء ذلك جعلت هذا الفصل في مبحثين : الاول ، عن الكلمة الضوئية ، وهي أغنيات للشمس والصباح ، والقمر والنجوم ، وختمت بالقنديل ، رمز الخير ، في صراعه مع الليل ، رمز الظلمة والشر • والثاني ، عن الوطنيات الفيروزية ، ومفهوم الوطن الفيروزي ، لغويا وطبيعياً وبشريا • وفي هذا المبحث أغنيات للبنان مع صور عامة لطبيعته وانسانه ، وصور خاصة لبعض مدنه ، وطبيعة القرية فيه بمعنييها العام والخاص ، ثم المهجر والاغتراب ، فالحنين الى الوطن لبنان ، واخيرا صورة للجندي اللبناني وقصته في الارادة والغضب •• وفيه ايضا اغنيات الوطن العربي حوت صورا لامجاد سوريا ، ولمأساة الشعب الفلسطيني ، وفيها صور للأردن ، والمغرب والكويت والاسكندرية •

اما الفصل الثالث ، فد خلته بمدخل وصلت فيه بين الانسان موضوع هذا الفصل ، والطبيعة موضوع الفصل السابق • وقسمته الى ستة مباحث :

الأول تناولت فيه حسن التجاور وأعراف الجيرة وقوانينها من خلال الاغنية الفيروزية •

والثاني ، جعلت الام والطفولة فيه أساسا ، عليه يحتمن بناء المستقبل وبه يحل • مبينا اهمية دور الام في التربية الجسدية والتثقيفية للابناء وأثر ذلك في مستقبل الطفل شبابا وكهولة ، يواكب ذلك صور للطفولة في ذهن الام ، وصور للام تزرع في بصائر الاطفال وتعيش في نفوسهم ، يرجعون اليها حين تأخذهم انامل الزمن فترميهم بين احضان الشيخوخة •

والبحث الثالث خصصته للغزل في الاغنية الفيروزية ، فضمنته صورا للحب بوجهيه الحزن والفرح ، وباللغتين العامية والفصحى ، مقارنا بينهما وموازنا •

ولما كانت مضامين المباحث الثلاثة الباقية : الاغنية الفولكلورية ، والزجل والموشح ، تدور كلها حول الغزل ، ولما كانت هذه المضامين مفرقة في المبحث الثالث كنزعة انسانية ، آثرت التحدث عن هذه القضايا من الناحية التاريخية ، كزمان نشوئها ، ومنابعها ، ومدلولاتها ، محالجا على ضوء ذلك ما تغنيه فيروز من هذه الانماط •

اما الفصل الرابع ، فأبنت فيه ناحية اخرى من نزعات الانسان وأشواقه في الاغنية الفيروزية ، الا وهي نزعة الانسان الروحية الى خالقه والتي تتمثل في : التراتيل الدينية التي ترتلها فيروز ، والاغنيات الميلادية ، وأغنيات الابتهال والايمان بالله •••/•

وبجميع انبيائه ورسله ، طالما ان النزعة هي إلى الخير الأسمى ، الى الله ...

وختمت هذا الباب بفصل حددت فيه افكاره كنزعة انسانية .

أما الخاتمة فركزت فيها فكرة الرسالة ، وأهم النتائج التي توصلت اليها من خلالها ، وأتبعتها بملحقين :

الاول ، لشعراء آخرين غنت لهم فيروز ، وفيه عدد الشعراء وقصائدهم التي تغنيها فصيحة وعامية ، وقد وقفت مع الشاعر سعيد عقل وترجمت له وعددت آثاره مشفوعة بتعريف بها كما وضعه مؤلفها ، ثم ابرزت النزعة الانسانية الجديدة في القصائد التي غنتها له فيروز . وقد توقفت مع سعيد عقل دون سواه من الشعراء الآخرين ، لكونه أبرز من غنت لهم فيروز ، ليس فقط من ناحية الكم ، ولكن لكونه مستشارا للكلمة التي تغنيها كذلك (١) .

أما الشعراء الآخرون فقد اكتفيت بذكرهم مع الاشارة الى قصائدهم وموضوع النزعة الانسانية فيها .

اما الملحق الثاني فخصصته لنصوص الأغاني الفيروزية مرتبة حسب التسلسل الهجائي لعناوينها ، مبتدئ بما ألفه الرحبانيان : عاصي ومنصور ، بالعامية والفصحى ثم ما ألفه غيرهما من الشعراء ذاكرا اسم القصيدة مقرونة باسم صاحبها . يتبع ذلك الأغنيات المجهولة المؤلف . وقد ضبطت هذه النصوص كلها ، والعامية منها بصورة خاصة ، بالشكل ، على الطريقة التي تغنيها بها فيروز ، وكتبتها كتابة سماعية أو هي أقرب الى الكتابة العروضية منها الى الكتابة الأصولية ، فالعامية ليس لكتابتها اصول توضحها ، أو قواعد تضبطها . وقد وضعت لها أرقاما أحلت إليها في الحواشي .

وقيمة دراسة هذه النصوص تنبع من كونها تطرق معظم القضايا الحياتية التي عشناها ونعيشها ، اجتماعيا ابتداء من الاسرة فالوطن فالانسان الذي وطنه الارض ، وفلسفياً من الصراع بين الخير والشر وغلبة الخير في النهاية الى عودة السلام الى وطنه الانسان . وروحياً ، إلى حيث تسمو أشواق الانسان المؤمن .. ومن كون هذه الموضوعات جميعها تنقل الى أسماع الناس عن طريق الاغنية التي ينقلها الصوت الذي " تتمثل فيه أربعة آلاف سنة من الحضارة " (٢) وهو صوت فيروز .

---

(١) اخبرني بذلك الاستاذ سعيد عقل في إحدى مقابلاتي معه .

(٢) الاذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ، ص : ٢٣٢ ، ط ١ ، ١٩٦٦ .

../.

وأعتقد أن في دراستي للاغنية الفيروزية ، على هذه الطريقة ، دعوة لتطلع اغنيتنا العربية الى آفاق أبعد وأشمل وأمتن مما هي عليه الآن ، وارتفاعها حتى تكون مادة تدرس في المدارس والجامعات كما يدرس شعر امرئ القيس والمتنبي وأبي تمام ، ولئن كان شعر هؤلاء يعبر عن الجزء الموسع من الناس فان الاغنية ، بالمستوى الذي اشرت ، تعبر عن الكل الشامل منهم .

هذا تصوري للقضية ، واني أشكر من ارتفعوا بي الى آفاق هذا التصور من أساتذتي وأصدقائي ، واني اخص من هؤلاء اثنين :

الدكتور أسعد علي ، الذي سبق اشرافه على دراستي العامة، اشرافه على دراستي الخاصة هذه ، في معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية ، وقد جمع خلال هذه المسيرة كلها ، بين الاخوة الصديقة اللينة ، والمنهجية العلمية القاسية ، وكان في الاثنين محبة ناطقة .

والدكتور الاب ميشال آلار ، رئيس المعهد الذي خصني بأبوته الروحية وارشدني بمعرفته العلمية ، وأفادني بحركته العقلية في محاضراته الناطقة والصامتة ، التي دربتني على ممارسة الصبر اثناء مسيرتي على طريق المعرفة .

واني أشكر الاخوين رحباني على ما قدماه لي ، وعلى ما قدماه في شعرهما ، وأشكر السيدة فيروز التي اوصلت الينا هذا الشعر بصوتها الذي اثار في ذاتي شوق التبصر بنزعات الانسان في أغانيها .

كما أشكر الشعراء الذين قابلتهم فأمدوني بقصائدهم التي تغنيها فيروز ، واخص منهم الاستاذ سعيد عقل ، الذي قطف من وقته ساعات أفادتني خلالها بأشياء كثيرة في هذه الدراسة .

البـــــــــاب الاول

الغنـــاء وفيـــــروز

مفتـــــاح

تناولتُ هذا البابَ في أربعة فصول : نأنأت ملامحَ من تاريخ الموسيقـــى والغناء ، مُظهِرا صلة الموسيقى بالنزعةِ الآلهية عند الانسانِ بصورةٍ عامة ، ومُبيِّنــاً هذه الصّلة بصورة خاصةٍ عند العرب ، في شعرهم وغنائهم ، منذ الجاهلية حتى اليـــوم . أوجزتُ ذلك إيجازاً شديداً ، وأحلتُ إلى مصادره ومراجعه ، مُعتبراً عملي في هذا الفصل تمهيداً واطاراً للفصول الثلاثة التالية : حياة فيـــروز ونشأتها ، وحياة الاخوين رحباني ، والأغنيات التي غنتها فيروز ، واتخذتُ من مادتها موضوعَ بحثي في الباب الثاني الذي سميته : النزعـة الانسانيـــة فـــي الاغنيـــة الفيـــروزيـــة .

الفصـــــــل الاول

تاريـــخ الموسيقـــى والغناء

(١) الموسيقـى والالهة

عاش في الانسان منذ البدء شعوران متجاوران ومتلازمان .

اولهما : شعور عظيم بقدرة عظيمة لا تدرك ، تتحكم بمصيره ويعتبرهـــا آلهته ، تارة يحسبها الشمس، وطورا يظنها الريح . حينا يخالها القمر ، وحينا آخر تتجلى له في صوت الرعد .

اما الشعور الثاني فهو النغم ينطلق من حوله في الطبيعة ، ومن ذاته ، فيملأ ذاته لذة يحسها ولا يدركها ، كأنها متولدة من رفيف روحه بين آفاق جرمـــــه العجيب ..

ترك هذا الشعور بصمات واضحة على مختلف أنماط عاداته ومعتقداته ، فكـان لا بد له من استرضاء هذه الآلهة أوقات المحن ، لأن حلولها ، بعرفه ، نتيجـــــة لغضب آلهته ، لذلك قدم لها القرابين مشفوعة بأنماط حركية مختلفة ، ومصحوبة بأصوات تتنوع ارتفاعاً وانخفاضاً ، ثم طور هذه الادوات ببعض الآلات الموسيقية التي اهتدى إليها من وحي الطبيعة فنوعها وكثّرها . " وإن تنوّع الآلات الموسيقية في العالم البدائـــي وكثرتها ليثيران الدهشة ، إذ أخذ الانسان البدائي كل المـواد الخام الملائمـة التـي قدمتها له الطبيعة ، وحولها الى أدوات مولدة للصوت بصورة أو بأخرى ، فالعظـــام تحولت الى صفافير ونفّارات للنداء على المواشي ، والقصب الى قارعات ومزامير ونـايـات ، والبندق والقرع الى شخاشيخ ، والقواقع والأغصان الخالية الى أبواق ، وجذوع الاشجار وجلود الحيوانات تحولت الى طبول ، وهكذا تعلمت الانسانية في مرحلة مبكرة من مراحل حضارتها كيفيّة توليد الأصوات ، بالطرق، والصّفق ، والدق ، والاهتزاز ، والخدش ، والاحتكاك ، والنفخ ، وقد تم هذا قبل اختراع الأواني الفخارية وصهر المعادن بأحقـاب لا سبيل الى حصرها " (١) وقد استعملت هذه الآلات " على انها تخدم أغراضـــا سحرية عقيديّة أكثـــر منها موسيقية .

---

(١) تراث الموسيقى العالمية ، كورت زاكس ، ترجمة دكتورة سمحة الخولي ، مراجعة وتقديم حسين فوزي ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسســـة فرنكليـــن للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤ ص ، ١١ — ١٢ .

" وجدير بالذكر ان الغناء أقدم وأسبق بكثير من الآلات ، فالقبائل التي تعيش في أحط مراتب الحضارة لها أغانيها دائماً دون أن تعرف بالضرورة موسيقى الآلات " (١) وللتعمق بمعرفة أسرار هذه البدائية الغنائية أجريت بحوث معينة على بعض أغاني الهند ، وعلى بدائية المناغاة عند الاطفال ، لمقارنتها مع طفولة الحضارة عند الانسان البدائي " وقد دلت بحوث الدكتور (هايتس فرنر) على التسجيلات المأخوذة لأغاني الهند والمناغاة عند الاطفال الأوروبيين في سن الثالثة والرابعة على حقيقة مذهلة وهي ان أسلوب غنائهم قريب جداً من غناء الحضارات البدائية المكون من صوتين وثلاثة وأربعة ، ويظهر في غناء الاطفال أيضاً ضمن تيار التطور اتجاه واضح الى الهبوط بعد ان يصل نطاق الأغنية إلى مسافة الرابعة " (٢) .

ومهما بلغ حد التحليل والتركيب ، ومهما تعمقت الاجتهادات في الموازنة والمقارنة بشأن البحث في اصول واعمال الموسيقى ، فإن الكشف عن هذه الأصول بقي في حدود المعتمات التي تلوح فيها من بعيد بوارق خاطفة ، ولمعات لاهثة سرعان ما تختفي وراء ضباب التاريخ . وهذا الذى دفع " شومان " (٣) الى القول بعد ان تحدث عن وجود قواعد تسهل البحث في سائر الفنون والعلوم :" ... اما الموسيقى فهي يتيم لم يعرف والداه ، ولكن ربما كان هذا الابهام هو السر فيما لها من جمال وما فيها من سحر " . ويبدو هذا الابهام في اختلاف المفكرين على تحديد الموسيقى والبحث عن اصولها ومصادرها . فهذا فيثاغورس يقول : " ان الموسيقى هي التعبير عن الانسجام الكوني هذا الانسجام الذى نجده واضحا في الرياضيات وفي علم الفلك " . " اما بلوتونيوس فقد اعتبر الموسيقى سرا ورهبة ، فهي تصوف ودين وهي ما وراء الطبيعة " . وقسم بوثيوس الموسيقى الى ثلاثة اقسام وبقي تقسيمه هذا حجة في عالم الموسيقى لاكثر من الف سنة بعده :

١ — الموسيقى الكونية : وهي ترديد لوصف فيثاغورس عن الانسجام الكوني والرياضي .

٢ — الموسيقى الانسانية : وهي التي تعبر عن الانسجام بين الروحانية والمادية ، هي التعبير عن الشعور الانساني .

---

(١) المرجع السابق ، ص: ١٣

(٢) نفسه ، ص: ١٥

(٣) شومان (١٨١٠ — ١٨٥٦م) مؤلف موسيقي الماني مجدد اسلوب التوقيع على البيانو . له سمفونيات شهيرة .

٣ — الموسيقى الآلية ، وهي علم الموسيقى واستعمال الآلات ، أو الناحية المادية والرياضية من الفن " (١) .

وقد ارتبطت الموسيقى بالشعائر الدينية في نشأتها الأولى وكانت " جزءا لا يتجزأ منها ، إذ أن الكُهان كانوا يكشفون للمتعبدين عن ارادة الآلهة بغناء تصاحبه انغام العود الكبير HARP ، لذلك اعتقد القدماء ان هذه الآلة الموسيقية تقرر المصير وتقسم الحظوظ . فالموسيقى ، على اعتبار ديني، كانت صلة الوصل بين الانسان الفرد وبين إلهه الذي يمثل أمته ومجتمعه وجميع مثله العليا . وهذا التقديس للموسيقى ونسبتها الى مصادر وراء الطبيعة انتقل إلى الآلات الموسيقية نفسها ، فالقيثارة الكبيرة كانت تدعى " تقرير المصير " والناى دعي " قصبة الحياة " وصوت الطبل النحاسي عندما يتردد مجلجلا في جنبات الهيكل كان يدعى " بالصوت الحي " . وهكذا فـأن الهيكل نفسه الذى يضم هذه الاشياء كلها دعي باسم " بيت الحياة " وفيه توجد الشجرة المقدسة رمز الحياة والخصب " (٢) .

واذا عدنا الى التوراة نجد هذه المسحة المقدسة تُضفَى على الموسيقى إجمالاً ونلتقي مع اسماء الآلات الموسيقية المتنوعة من أمثال العود والدف والناي والقيثارة ، تعزف كلها لخدمة بيت الله " كل هؤلاء تحت يد أبيهم لاجل غناء بيت الرب بالصُنوج والعيدان والكنارات لخدمة بيت الله ... " (٣) ونجد كذلك اسم (يوبل) " ابو كل عازف بالكنارة والمزمار " (٤) ونسمع عتاب لاَبان الشديد ليعقوب الذى هرب ولم يخبره حتى يشيعه بالأغاني والافراح " لِمَ هربتَ خفيةً وخاتلتَني ولَمْ تُخبِرني فأُشيِّعَك بفرحٍ واغانٍ ودُفٍ وكنّاره " (٥) ونقف أمام الهاتفين والمغنين لننصتَ إليهم وهم يُسبِّحون الرب " وكان الهاتفون بالأبواقِ والمغنُّون كرجلٍ واحدٍ وهم يُسمِعُونَ صوتاً واحداً في التسبيح والاعتراف للربِّ . وعندما رفعُوا الصوتَ بالأبواق والصُنوج وآلاتِ الألحان ان احمدوا الربَّ لأنه صالحٌ لأن رحمتَه إلى الأبدِ امتلا البيتُ بيتُ الربِّ بالغَمامِ " (٦) وهذه الآلات الموسيقية والألحان والمعزوفات تستعمل عند تقديم الذبائح للآلهة " وأقام اللاويين

---

(١) في الموسيقى السورية ، حسني حداد ، الطبعة الاولى ص١٥ — ١٦ .

(٢) نفسه ص٨١ — ٨٢ .

(٣) سفر اخبار الأيام الاول ، ٢٥ : ٦ وانظر كذلك في نفس السفر والفصل الأعداد ١ ، ٢ ، ٧ .

(٤) سفر التكوين ، ٤ : ٢١ .

(٥) سفر التكوين ، ٣١ : ٢٧ .

(٦) سفر اخبار الايام الثاني ، ٥ : ١٣ وأنظر ١٢ ايضا .

../..

في بيت الربّ بصنوجٍ وعيدانٍ وكنّاراتٍ ٠٠ فوقف اللاويون بآلات داود والكهنة بالأبـــواق ٠ وأمر حزقيا بإصعاد المحرقة على المذبح وعند الشروع في المحرقة ابتدأ نشيد الرب بالأبواق وآلات داود ٠٠ فسجدت الجماعة بأسرها ورنّم المرنّمون وهتف الهاتفون بالأبواق كلّهـــم إلى أن تمت المحرقة ٠ " (١) وهناك ذكر لبعض الآلات الموسيقية الأخرى في التـوراة وردت في نبوءة اشعيا " ويلٌ للقائمين من الغداة في طلب المسكر المستمرّين الى العتمـة والخمر تلهبهم ٠ وفي مآدبهـم الكنّارة والعود والدفّ والمزمار والخمر ولا يلتفتون إلى عمـل الربّ ولا يتأملون في صُنع يديه " (٢) وكذلك في نبوءة عاموس " وتغنّون على صوت العـود ومثل داود تنسُبون الى أنفسكم آلات الطرب " (٣) ٠

هذه الآلات الموسيقية مبثوثة في ثنايا النصوص التوراتية دون أن تكون مقصـودة لذاتها ، ودون أن يكون مقصود بها إعطاء المدلول الحضاري لشعوب ذلك الزمـان ، وإنما وردت عفواً وضمن موضوعات مختلفة ٠ إلا أنها أعطتنا صورة لإحدى جوانب الحيـاة الموسيقية في زمنها ، وألقت أضواء على المفاهيم والمدلولات القدسية والدينية التي كان يضفيها الإنسان القديم على الموسيقى ، وعرّفتنا ، إلى جانب ذلك كله ، على أنواع الآلات الموسيقية المستعملة أثناء حقبة بعيدة من التاريخ ٠

واستمرت هذه الهالة الآلهيّة تهيمن على المفهوم الموسيقي عند سائر الشعـوب " فمجّدها الكلدانيون والمصريون كآله عظيم يُسجد له ويمجد ٠ واعتقد الفرس والهنـــود بكونها روح الله بين البشر ٠ وقال شاعر فارسي ما معناه : " إن الموسيقى كانت حورية في سماء الآلهة تعشقت آدميّاً وهبطت نحوه من العلو فغضبت الآلهة إذ علموا وبعثوا وراءها ريحاً شديدة نثرتها في الجو وبعثرتها في زوايا الدنيا ، ولم تمت نفسها قط بل هي حيـة تقطن آذان البشـــر ٠" وقال حكيم هندي : " إنّ عذوبة الألحان توطد آمالي بوجـــود ابدية جميلة ٠ " والموسيقى عند اليونان والرومان كانت إلهاً مقتدراً ، بنوا له هياكـــل عظيمة ما برحت تحدثنا بعظمتهم ٠ إلهاً دعوه أبولون فمثلوه وجميع الكمالات تجعله منتصبـاً كالغصن على مجارى المياه ، حمل القيثارة (٤) في يسراه ، ويمينه على الأوتار ، رأســـه

---

(١) سفر اخبار الايام الثاني ، ٢٩ : ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ ٠

(٢) نبوءة اشعيا ٥ : ١١ و ١٢ ٠

(٣) نبوءة عاموس : ٦ : ٥ ٠

(٤) استعمل القدماء القيثارة لمرافقة المغني ، قال الشاعر ، في ترنيمة الى عشتـار (٢١٠٠ ق٠م٠) " سأتكلم معك يا الاهتي ، مع صوت القيثارة ، الذي يفيض عذوبة وحلاوة " ولفظة قيثارة في الأصل سامية المنشأ اقتبسها اليونان من سورية (دائرة المعارف البريطانية GITHARA) وانظر : في الموسيقى السوريـــة ، حسني حداد ص ٥٤ وهامشها ٠

٠٠/٠

مرفوع يمثل العظمة ، وعيناه ناظرتان إلى البعيد كأنه يرى أعماق الأشياء • وقالوا قتلت بنات الأحراج أورفيوس (١) ورمين برأسه وقيثارته إلى البحر فطافاعلى الماءحتى بلغا جزيرة دعاها اليونان جزيرة الأغاني وقالوا إن الأمواج التي حملت رأس أورفيوس وقيثارته ما برحت منذ ذلك الحين تصوغ من أصواتها ندبا مؤثرا وأنغاما محزنة ، تملأ الأثير فيسمعها الملاحون" • (٢)

(٢) الغناء والشعر عند العرب

ولكن هل تغيّر هذا المفهوم الما ورائي القدسي للموسيقى عند العرب ؟ أم بقي شائعا عندهم ، فارتفعوا به صوب العلويات أكثر ، وكانت نظرتهم الى انحداره من وراء الغيبيات اعمق ؟ وكيف كان حال الغناء والموسيقى عندهم خلال عصورهم الطويلة ؟

لقد تبنى العرب هذا المفهوم الغيبي للموسيقى ولعب خيالهم دورا عظيما في هذا المجال ، وأوغلوا فيه أي إيغال " فقد تصوروا أن الدين أصل الغناء ، فهو في عرفهم إلهي الأرومة ، قدسي المنبت ، تناهى إلى الإنسان من العالم العلوي ، من سدرة المنتهى ، فإذا كانت الموسيقى عند الإغريق إرث (أبولون) فإنها عندهم هبة السماء إلى الارض ، هبطت إلى عالم الأحياء في شطحة من تلك الشطحات الأسطورية التي طالما رافقت تموجات التصور الغيبي في سالف العصور " (٣) وذهبوا إلى " أن الله علّم الملائكة الغناء ، فكانت الملائكة تسبح بحمده على أنغام رقيقة لطيفة ، فلما هبط هاروت الارض ، تصدى له إبليس وأغراه بتعليم الناس الغناء ، ليضلهم ويغويهم • وان الله تعالى خلق الروح واودعها جسد آدم حباها الصوت والوزن فانطلقت تردد التراتيل السماوية تمجد بها الله وتقدسه " (٣) وهذا زرياب (٤) أكبر موسيقيي الاندلس فقد " ذكروا أنه

---

(١) شاعر وموسيقي سحر بنغماته حتى الوحوش الضارية • لدغت حية زوجته أوريديس يوم زفافها فحاول استرجاعها إلى الحياة بعد أن سلب بغنائه عقول آلهة الجحيم • (انظر المنجد في الأدب والعلوم ، فرديناند توتل) •

(٢) انظر المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران ، قدّم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمه • ص ٣٥ ـ ٣٦ دار صادر ، دار بيروت سنة ١٩٦١ •

(٣) الفولكلور الغنائي عند العرب ، نسيب الاختيار ، ص ٣ ، السلسلة الفنية ٧ الجمهورية العربية السورية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي • وانظر في هذا المضمار شيئا من هذا القبيل في مستطرف الابشيهي ج ٢ ص ١٤٦ ملتزم الطبع والنشر ، عبد الحميد أحمد حنفي •

(٤) كانت ولادته حوالي سنة (١٦٠ هـ ٧٧٧ م) •

٠٠/٠

ادّعى بأن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة ، أي دور ، إلى صوت واحد ، وانه كان يهب من نومه سريعاً فيدعو جاريتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عودهما ، ويتناول عوده فيطارحهما ليلة ثم يكتب الشعر ويعود عجلاً الى مضجعه " (١) وكذلك اعتقدوا ان للشعراء شياطين تلهمهم قول الشعر الذي ربطوا نشأته بالغناء ، فاطلقوا على الشاعر لقب المغني ، وكان الأعشى ممّن يغنّي في شعرهم " وكانت العرب تسميه صناجة العرب " (٢) وكذلك المهلهل الذي عُرف بأنه تغنى بقصيدته القافية :

طَفلةٌ ما ابنة المحلّل بيضا ء لعوبٌ لذيذةٌ في العناقِ (٣)

وعلى أي حال " فإن الشعر ارتبط بالغناء في العصر الجاهلي ، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يعبرون عن نظمه والقائه بالإنشاد ، بل إنّا لنراهم يعبرون عنه بالتغني ، وقد بقيت من هذا بقية في نصوص العصر الاسلامي ، يقول ذو الرمة (٤) :

أحبُّ المكانَ القفرَ من أجل أنني به أتغنّى باسمها غيرَ مُعجمِ

وقال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي : " اسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ، يريد من شعرك " (٥) وليس من شك في ان هذه النصوص تشهد بأن الغناء والشعر كانا مرتبطين عند العرب في العصور القديمة ، فأساس الشعر عندهم كان تعلم الغناء وألحانه وكما ان الموسيقي يبدأ ويستمر كذلك كان الشاعر عندهم يبدأ بألحان وترنيمات ثم يستمر ، يقول حسان بن ثابت : (٦)

تغنَّ بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشّعرِ مضمارُ (٧)

إنّ هذه الصّلة بين الغناء والشّعر عند العرب ، تظهر في عصور الأدب جميعها ، ففي العصر الجاهلي ، تتبعها الباحثون بصورٍ مختلفة ، أشاروا فيها إلى : القيان ، والغناء وآلاته ، وأنواع الموسيقى .

---

(١) قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، ج ٢ ، ص: ٨٩ . وانظر المقري ١٢١ .

(٢) الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ج ٩ ، ص: ١٠٩ .

(٣) اغاني دار الكتب ، ج ٥ ، ص: ٥١ .

(٤) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ص: ٤٣ الطبعة ٧ والعمدة لابن رشيق ج ٢ ، ص: ٢٤١ .

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ، ٤ : ٩١ .

(٦) العمدة لابن رشيق ٢ : ٢٤١ .

(٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ص: ٤٣ — ٤٤ طه ٧ دار المعارف بمصر .

أما القيان فأُطلق عليهن أسماء الآلات التي يعزفن عليها " كالكرينــــــة " و " الصناجة " (١) فعرفت كل قينة باسم الآلة التي تتقن العزف عليها • وانتشرن فـــي أنحاء الجزيرة العربية كلها ، (٢) فعمها الغناء الذي تجاوز في المدينة حدود اللهو والعبث الى فن يثير اليقظة والتنبه الى مواضع الخطأ ، (٣) فعظم شأنهن وعمت شهـــرة الكثيرات منهن (٤) وعمرت بهن المجالس الغنائية وازدانت ، فتحلين وتطيبن (٥) وتعززن حتى بنت الملوك على أضرحتهن الأبنية (٦) •

وكان الغناء عند عرب الجاهلية على أنواع منها : الغناء الديني ، والغناء الحربي الذي يقوم على الارتجاز ، والأغاني الحماسية • وغناء الولائم الخاصة في الاعراس ، والولادة والختان • (٧)

أما من الناحية الفنية فكان غناؤهم على ثلاثة اوجه : النصب ، والسناد ، والهزج • ولكل فن من هذه الفنون قواعد وأصول وطرائق • وكان الغناء " بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير " (٨) •

هذا التنويع في الغناء يشير إلى وجود نظرية غنائية " تقوم على الايقاع ، لا على العروض الشعري • وقد أشار القدماء إلى هذه العلاقة بين العروض والغناء " • (٩)

ويدل علم الاثار على إزدهار (مدنية العرب في بداية الألف سنة الأولى قبـل الميلاد) (١٠) • وعلى ازدهار فن الموسيقى والغناء عندهم كما في أحد نقوش أشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد • كما تدل اللغة ، كذلك ، على وجود قرابـــة بين بعض الكلمات العربية التي تحمل معنى الغناء وبعض الكلمات الأشورية التي تحمل المعنى نفسه • فكلمة شاعر العربية هي شارو SHARRU أي رئيس المغنين في الأشورية • وتسمى

---

(١) انظر في ذلك : القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ناصر الدين الأسد ، ص ٢٩ ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ •

(٢) نفسه ص : ٤٣ — ٤٤ •

(٣) انظر في هذا الصدد ما حدث للنابغة في المرجع السابق ص : ٤٨ — ٤٩ وفي الأغاني ط ، ساسي ٩ : ١٥٧ وتجد تفصيل القصة في الموشح للمرزبانـــي المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ •

(٤) انظر مثلا عن جرادتي عاد في : تاريخ الطبري — بريل ١ ، ٢٣٤ — ٢٣٦ • ومروج الذهب ، ٢ : ٦٢ • ورسالة الغفران تحقيق الدكتوره بنت الشاطئ ، ط ٢ دار المعارف في مصر ص : ٢٧٥ — ٢٣٦ والقيان والغناء في العصر الجاهلي ص ٧١ وما بعدها •

(٥) راجع القيان والغناء في العصر الجاهلي ص : ١٠٣ •

(٦) انظر مثلا خبر الغريين اللذين بناهما النعمان بن المنذر في نهاية الارب ج ١ ص ٣٨٧ من طبعة دار الكتب •

(٧) القيان والغناء في العصر الجاهلي ص : ١٥٥ — ١٥٦ •

•• /•

الترتيلة الآشورية شِيْرُو SHIRU ونلمح فيها الكلمة شِعر ، ومعنى كلمة (أن) في الآشورية " أغنية " وهي : آناه العبرية وغناء العربية ،(١)

وفي عصر صدر الإسلام ، نطالع صورةً أخرى للغناء ، فقد تقلص مفهومه الدنيوي العَبَثي ، وبدأ ينتشر له مدلولاً دينياً علوياً .

هنا تصدت فئتان للغناء . الأولى أنكرته وحرمته مستدلّة على ذلك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة . والثانية قبلته وحلّلته وكانت لها من الإستدلالات والإثباتات ما يوهن حجج الفئة الأولى ويضعف استشهاداتها .(٢)

" وفي أعقاب عصر الفتوحات الأول ، وبعد أن تدفقت الأموال على المسلمين ، أقبل الناس على الترف وسماع الغناء " (٣) واقتنوا في بيوتهم المغنيات والمغنين (٤) " وكان أول من غنى بالعربي بالمدينة طويس وهو أول من ألقى الخنث بها . (٥) وظهر كذلك سائب خاثر وهو أول من عزف على العود من المغنين العرب " وابتكر الإيقاع المسمى الثقيل الاول " (٦) .

اما في العصر الاموي ، فقد نشط فن الغناء واتسع حتى أتقنه بعض الخلفاء من أمثال الوليد بن يزيد الذي يرجع اليه الفضل في ارتقاء هذا الفن وتطوير الموسيقى العربية . " وفي أيامه كان ابن سريج المغني ومعبد والغريض وطويس " (٧) . وكان يقول ان

= (٨) أنظر في ذلك بلوغ الأرب ، محمود شكري الألوسي ، ج ١ ص ٣٦٩ ط ٣ ، عُني بشرحه وتصحيحه وطبعه محمد بهجت الأثري .

(٩) انظر في ذلك : الأغاني (ساسي) ١٠ : ٩٦ .

(١٠) همل HOMMEL مأثورات عبرية قديمة ص: ٧٧ .

(١) انظر : تاريخ الموسيقى العربية ، هنري جورج فارمر ص: ٣ ، ترجمة حسين نصار مراجعة دكتور عبد العزيز الأهواني ، نشر مكتبة مصر ، دار الطباعة الحديثة .

(٢) أنظر في ذلك ما ورد في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ١٣٣ وما بعدها ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، والمستطرف للأبشيهي ج ٢ ص ١٤٦ ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي .

(٣) انظر قرطبه حاظرة الخلافة في الأندلس ، دكتور السيد عبد العزيز سالم ج ٢ ، ص: ٧١ — ٧٢ ، دار النهضة العربية . ومقدمة ابن خلدون ص: ٤٢٧ دار إحياء التراث العربي .

(٤) انظر الشعر والغناء في المدينة ومكه لعصر بن أميه ، شوقي ضيف ، ص: ٦٣ ، ط ٢ سنة ١٩٦٧ دار الثقافة .

(٥) انظر الاغاني ، طبعة دار الكتب ج ٣ ص ٢٧ .

(٦) راجع العقد الفريد ص ٢٨ .

(٧) انظر المسعودي ج ٣ ص ٢١٣ .

../.

الغناء أحب إليه من كل لذة وأشهى إلى نفسه من الماء إلى ذي الغلة (١).

وبدأت تنمو، في هذا العصر، محاولات ذكية لأجل ضبط الفن الغنائي، وجعله ينطلق من أصولية ومنهجية، ومما يدل على ذلك، هذه الشروط التي توخاها ابن سريج (٢) في المغني ليكون مصيبا محسنا عندما سئل عن قول الناس " فلانٌ يُصيب وفلانٌ يخطئ، وفلانٌ يُحسنُ وفلان يُسيء، فقال: المُصيبُ المحسنُ من المغنّين هو الذي يُشبع الألحانَ، ويملأ الانفاسَ، ويُعدّل الأوزان، ويُفخّم الألفاظَ، ويَعرفُ الصوابَ، ويُقيم الإعراب، ويَستوفي النغم الطّوال، ويُحسّن مقاطيعَ النغم القِصار، ويصيبُ أجناسَ الإيقاع، ويَختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكِلها في الضرب من النقرات. فعرض هذا القول على معبد (٣) فقال: لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلاّ هكذا. " (٤)

وقد استمرت هذه المحاولات لأجل إرساء الفنّ الغنائي على أسس علمية واضحة، ومهدت السبيل امام الذين اشتغلوا بهذا الفن ممّن أتوا بعدئذ فدونوا الغناء ومذاهبه، وألّفوا في الموسيقى وأنظمتها ..

وفي العصر العبّاسي، شغف الناس بالغناء شغفا كبيرا، فملأ قصور الخلفاء، ودور الأغنياء، وبيوت الناس البسطاء، " ومن يقرأ كتاب الأغاني يُخيل إليه انه لم يكن في العصر العباسي الا الغناء والمغنون والمغنيات " (٥) فكبرت صورتهم في الاذهان، وأُغدقت عليهم الأعطيات بسخاء (٦) مما دفعهم الى الابداع فيه والتجديد بأنواع آلاته، وقد " دخلت أنواع جديدة من آلات النغم فأدخل زَلْزَلٌ نوعاً من العيدان سُمي بالعُود الكامل والعود الشبُّوط. (٧) واتخذت آلات جديدة كانت معروفة عند الفرس كالكَرْج والجَنْك والقَوْز والنّاي والكُوس. وظهرت التخصّصات في طائفةٍ من المُغنين والموسيقيين " (٨).

وكان من رقي هذا الفن وارتفاع شأنه واعتباره غذاء للأرواح والأجساد، أن يسرع

---

(١) راجع ابن الاثير، الكامل في التاريخ ط: بيروت ١٩٦٥، ج ٥ ص: ٢٩٠.
(٢) انظر ترجمته في الأغاني (دار الكتب). ج ١، ابتداء من ص: ٢٤٨.
(٣) انظر ترجمته في الاغاني (دار الكتب). ج ١، ص: ٣٦.
(٤) راجع الأغاني (دار الكتب) ج ١ ص: ٣١٥.
(٥) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص: ٦١ ط ٧ دار المعارف بمصر.
(٦) الأغاني ج ٥ ص: ١٦٣ — ١٦٤ والجزء ٦ ص: ٢٥ — ٢٦.
(٧) اسحق الموصلي، الحفني، ١٣٥.
(٨) نفسه ٢٠٩ — ٢١٠، والعقد الفريد ص: ٣٢.

../.

فيه الخلفاء وأبناؤهم من بعدهم ، كالواثق (١) والمنتصر والمعتز ، (٢) " وكـــان أبو اسحاق إبراهيم بن المهدي زعيم الحركة الموسيقية الإبداعية الفارسية بخلاف اسحـق الموصلي الذى تزعم المدرسة التقليدية العربية • وكان عالما بفن الموسيقى والنغم ، فألـف كتاباً في الغناء • " (٣)

وقد نشطت في هذا العصر ظاهرة تدوين الموسيقى والغناء فصنـــف الخليل بن احمد كتاباً في الموسيقى قيّد فيه الألحان وأصناف النغم (٤) ، وظهر كذلك كتاب الموسيقى الكبير للفارابي تكلم فيه عن محلى صناعة الموسيقى وعن هيئـــات صناعتها (٥) • ورسالة في الموسيقى ليعقوب الكندى (٦) ، مما يدل على ازدهار هذا الفن وتطوره حتى أضحى مادة خصبة يؤلف فيها ويكتب عنها كبار فلاسفة وعلماء هذا العصر•

وفي العصر الأندلسي ، وَسَمَتْ الطبيعة الأندلسية إنسانها بطابع الغناء ، فشبَّ شاعرا مِغناءً في نحيزته ، وكذلك هم الحكام في الأندلس فقد " كان عبد الرحمن ومن جاء بعده من أمراء تلك الدولة وخلفائها مشغوفين بالشعر على مألوف طبيعتهـم وبالفنون الجميلة بصفة عامة • " (٧) وقد شهدت الأندلس نهضة جديدة وانطلاقة سريعة ، لفن الموسيقى والغناء قامت على يد زرياب الذي أحدث تغييرا كبيرا في المجتمع القرطبي بوجه عام ، وفي فن الموسيقى والغناء بوجه خاص ، فقد حسَّن صناعة العود بأن زاد عليه وترا خامساً متوسطا ، واتخذ مضرابا للعود من قوادم النسر ، واتبع طريقة خاصة عنـد افتتاح المجالس الغنائية واختتامها ،" ثم أسس مدرسة لتعليم الغناء ومعالجة الاصوات تبعا لاختلاف طبائعها واكتشاف الموهوبين • ونشر تلاميذه الوعي الموسيقي عنـد العامة والخاصة ، وهيئوا المجال لظهور الوان جديدة من الشعر الغنائي الأندلسـي وأعني بها الموشحات والأزجال " (٨) التي كانت مظهرا جديدا من مظاهر الأناقة فـي فن الغناء والموسيقى ، فعقـــدت مجالس الانـــس التـي تستخــف

---

(١) نهاية الارب : ٤ : ٢٠٢ •

(٢) راجع أغاني الخلفاء وأولادهم في : الأغاني (دار الكتب) ج ٩ من ص: ٢٥٠ • نهاية الأرب (دار الكتب) ج ٤ من ص: ٢٠٠ • الفن ومذاهبه في الشعـر العربي شوقي ضيف ص ٦١ ط ٧ دار المعارف بمصر •

(٣) قرطبه حاضرة الخلافة في الأندلس ٢، : ٧٥ •

(٤) انظر الفهرست ص : ٤٢ و ص : ١٤١ •

(٥) انظر كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ص : ٤٩ ــ ٥٠ ،تحقيق غطاس خشبة ، مراجعة دكتور محمود الحفني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة •

(٦) راجع تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ج ٢ ص : ٢٤٩ ــ ٢٥٠ •

(٧) زرياب موسيقار الأندلس ، محمود الحفني ص : ٩٩ •

(٨) قرطبه حاضرة الخلافة ٢ : ٨٦ ــ ٢٠٠ والمقري ٥ : ١٢٢ ــ ١٢٤ •

الألباب (١) ، مجدّدة أحيانا ، وسائرة ، في كثير من الأحيان ، على خُطى المدرسة الزّرْيابيّة التي عاشت طويلا في تاريخ الموسيقى العربية في الأندلس •

وفي عصر الانحطاط ، توقف هذا الامتداد المتطور لفن الغناء والموسيقى ، لما اتسم به الغزو المغولي من عنف • فقد سقطت بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ • فأحرق مكتبتها • وكذلك استمر الوضع في سائر فتوحهم على يد تيمورلنك وغيره •(٢)

شعب كهذا جاء مدمراً للحضارات ، مطبوعاً على بداوة مرعبة وعنجهية حربية جاهلة ، لم يكن ليقيم للغناء والموسيقى اعتبارا ، فانحسر هذا الفن ، وقل من تخصص له " من وجهته العلمية ، وألف فيه ، كما فعل صاحب الأغاني وغيرها • " (٣)

ولم يكن العصر العثماني أحسن حالا من العصر المغولي ، في موضوع تشجيع الغناء والموسيقى • واقتصر الأمر على تحبير بعض الكتب والرسائل التي تكلمت عن الغناء والسماع والتوقيعات وبعض تراجم المغنين وغيرها • (٤)

بقي الوضع على هذا الطراز ثلاثة قرون ، شحت خلالها موارد الإبداع وضحلت مُعطيات القرائح ، إلى أن كانت حملة نابوليون على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، ترافقه حملة علمية أخذ افرادها بتأسيس المعاهد العلمية ومسرحاً للتمثيل (٥) فكان ذلك بداية للتحرك المتعطش للمعرفة بعد عصور طويلة من الركود •

وبدأت في العصر الحديث ، مواسم التفتح على حضارات جديدة ، فكان للتمثيل في مصر جمعيات (٦) وكان له بعض ازدهار في سوريا ولبنان لاختلاطهما بأنواع الحضارة الغربية • " ونبغت طائفة من الموسيقيين أو المغنين إمامهم عبده الحمولي صاحب طريقة الغناء الحديثة بمصر • (٧) ثم انشئ في مصر معهد للموسيقى العربية لترقية هذا الفن وتعليمه ونشره •

واتسع فن الغناء والموسيقى بعد ذلك في سوريا ولبنان وانتشرت الأناشيد

---

(١) انظر وصف إحدى هذه المجالس في الذخيرة لابن بسام بالقسم الرابع من المجلد الأول ص : ١٠٤ — ١٠٦ •

(٢) انظر تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ج ٢ ص: ١٢١ ط بدار الهلال •

(٣) المرجع نفسه ج ٢ ص: ٢٨١ •

(٤) انظر بعض هذه الكتب في المرجع السابق ص : ٣٦٥ •

(٥) نفسه ص : ١١

(٦) انظر في جمعيات التمثيل كتاب المسرحية في الأدب العربي الحديث ، لمحمود يوسف نجم ط• بيروت ١٩٥٦ في مواضع متفرقة منه (انظر الفهرس) •

(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٤ ص : ٢٢٧ — ٢٢٨ •

••/•

الوطنية والروحية والغزلية من فصحى وعامية (١) ، وازدهرت الموسيقى وارتقت بعد الانفتاح على حضارات الغرب ، والانتفاع بها ، فداخلت الموسيقى العربية ، بما يتفق مع الذوق العربي من أنماط الموسيقى الغربية ، وقد " كان لبنان مسرحاً من اهم المسارح التي لعب التطور الغنائي عليه دوراً هاماً وخطيرا • فمنذ القرن الثامن عشر تحرك لبنان وانطلق واشرأب بعنقه إلى الغرب ، في الوقت الذي اخذت فيه النهضة في الغرب توقظ القارة الأوروبية وتدفع فنونها وآدابها في مسيرة الحضارة الحديثة ، باعثة الماضي القديم ، ومستوحية منه، ومطورة إياه ، ومزودة القلب والعقل بثروة جديدة ، ثروة من الأفكار والمشاعر حيث الآداب والفنون حياة غنية موفورة • " (٢)

الى ذلك المنهل تطلع الأخوان رحباني فأدخلا الى الفن الغنائي في لبنان نَسْغاً جديدا ، تحرك به تحركا ملذوذاً في اتجاه ينسجم مع الذوق الشرقي ، ولا يخرج عن إطار التراث الغنائي اللبناني ، فكانا زعيمَيّ الحركة التجدّدية في الموسيقى ، وإمامَيّ هذه النزعة في التاريخ المعاصر ، وما زالت جهودهما مستمرة للارتقاء بهذا الفن الى حيثُ هو صوت فيروز ، سرٌّ من أسرار الإبداع الجَمالي • فمن هي فيروز ؟ ومن همـــا الأخوان رحبانـــي ؟

---

(١) انظر في ذلك : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث لأنيس المقدسي ، ص : ٤٢٣ وما بعدها ، ط ٢ ، ١٩٦٠ دار العلم للملايين •

(٢) الفولكلور الغنائي عند العرب ، نسيب الاختيار ، ص : ١١٣ ، المطبعـــة والجريدة الرسمية في الجمهورية العربية السورية •

../.

الفصـــل الثـــانـــي
حيـــــاة فيروز ونشأتها

هي نهاد وديع حداد • ولدت في بيروت (١) سنة ١٩٣٤ • وهي اليـــوم تنتقل من ذروة إبداع فني ، إلى ذروة أخرى في فن الإبداع •

والدها وديع حداد كان يعمل في الطباعة ، طيلة ثماني عشرة ساعة متواصلة فـي اليوم ليؤمن لها عيشاً خصيبا في العلم والمعرفة وأنماط الحياة الأخرى ، سيما وانها الولـد البكر ، والفرحة به تكون عادة كبيرة • اما ابناؤه الآخرون فهم : هدى وقد اضحـت معروفة في حقل الغناء ، وآمال التي تملك موهبة صوتية لكنها لا تغني ، بل تميل لفـن الرسم وتحبه ، وأخيراً جوزيف الأخ الوحيد لثلاث شقيقات •

ما كادت طفولة نهاد حداد تستيقظ من طفوليّتها حتى سمعت في ذاتها أصداء للظاهرة ، ظاهرة الانشداد اللاواعي نحو النغم مطلقا ••• — والنغم هو اللحن الأليف لا النافر (٢) سواء كان هذا النغم من الطبيعة ، في عدلة طير ، أو سقسقة جـدول ، أو صلاة نسيم بين أهداب الشجر • أو من الإنسان في قصيدة تُنشد ، أو أغنية تُذاع مـن (الراديو) ، هذه الآلة كانت شغوفة الإنصات إليها ، تلتقط منها اللحن والكلمــة ، وتذهب إلى والدها مسرعة ، لتغني له ما سمعت ، وفرحة الطفولة تملأ قلبها ، تمنحهـا ذلك موهبة — لذاتها — تغذي فيها ذكاء نفاذا ، وإحساسا مرهفاً ، يعطيها قدرة التخطي فوق المحسوسات لتعود مملوءة بشفافية الصوت ، من عالم الروح ، تفتش على مناسبة لتفـرغ فيها وحيها الغنائية ، وألقها الصوتي ، فكانت المدرسة الابتدائية الرسمية التي التحقت بها منذ صغرها ، المنطلق الأول في بداية رحلتها مع الغناء ، حيث برعت في أداء الاناشيد المدرسية وحازت لقب أجمل صوت في المدرسة •

في إحدى هذه الأناشيد سمعها الأستاذ فليفل الذي وجد في صوتها معدنا نادرا ، فأشار عليها أن تلتحق بالمعهد الموسيقي اللبناني حيث كان مُدرّسا فيه، فعلمهـا أصول الغناء والنوته وهناك تجلّت موهبتها وتميزت بإحساسها الموسيقي المرهف وسرعـة التقاطها للحن وتأديته الصحيحة ، ودخلت بعد ذلك في فرقة الأخوين فليفـــل

(١) هكذا قال لي والدها أثناء لقائي به في منزله بأنطلياس• إلا أن هناك مـن يقول بأنها ولدت في " الدبيّة " قرب الدامور• وهي نفسها لم تعارض حيـن قيل لها بأن صوتها انطلق من " الدبية ". انظر ذلك في الشبكة العدد ٨٤٨ الصادر في ٢٤ نيسان سنة ١٩٧٢ ص ٢٦ — وكذلك العدد ٨٤١ الصادر فـي ٦ آذار سنة ١٩٧٢ ص ٥٠ /وما كنت لأشير إلى ذلك لو لم الحظ بعض التحفظ والسرية في كلام والدها عن مكان ولادتها •

(٢) انظر كتاب مبادئ الموسيقى الكنسية البيزنطية حسب المذهب القسطنطيني ، للأشمند ريت انطوان هبي ص ٧ و ٩ ، ط ٢ بالمطبعة البوليسية ١٩٦٤ /• ••/•

التي تقدم الاناشيد المدرسية والوطنية في الإذاعة اللبنانية •

وفي أوائل شهر شباط سنة ١٩٥٠ بينما كانت تؤدي مقطعاً من إحدى هذه الأناشيد سمعها الأستاذ حليم الرومي، رئيس القسم الموسيقي في الإذاعة آنئذ فأعجبه صوتها وطلب إليها مقابلته في المكتب، وسألها إن كانت تجيد غناء غير الأناشيد، فردت بالإيجاب وغنت له موال " يا ديرتي مالك علينا لوم " الذي تغنيه اسمهان والمقطع الاول من أغنية (يا زهرةً في خيالي) لفريد الأطرش، فازداد إعجابه وتقديره لصوتها ، وعرض عليها أن تشتغل في الإذاعة فكانت تلك امنيتها ، التي تحققت بعد موافقة والديها أولاً وموافقة مدير الاذاعة يومئذ الاستاذ فائز مكارم ، فابتدأت مرددة في كورس الاذاعة ، ثم تعهدها الأستاذ حليم الرومي ،" وأول ما ابتدأ ، أولى عنايته بمخارج الحروف والكلمات حيث اتضح له أن هذه الناحية بحاجة ماسة الى الصقل " (١) فأعد لها أغنية (تركت قلبي) وهي الأغنية الأولى التي حفظتها كمطربة خارج نطاق الأناشيد المدرسية • ولما عين لها موعد الحفلة كي تذاع على الهواء ، اقترح عليها أن يكون اسمها الفني فيروز ، فابتسمت لذلك ظانة ان في الامر دعابة •• إلا أنها وافقت على ذلك بعد أن اقتنعت بصوابيته •

وفي اوائل شهر نيسان سنة ١٩٥٠ كانت الأغنية الأولى التي غنتها في حياتها تحت اسم فيروز هي (تركت قلبي وطاوعت حبك) اتبعت بأغنية (في جو سحر وجمال) ثم بمحاورة (عاش الورد) التي غنتها مع حليم الرومي ثم تلاها اغنيتين : الأولى (يا حمام) والثانية (أحبك مهما أشوف منك) اللتين سجلتا على أسطوانات تجارية (لشركة اسطوانات بيضا الأصلية) في سنة ١٩٥٢ ، وتلا ذلك الكثير من الأغنيات الشعبية والخفيفة والراقصة والقصائد والطرب قام بتلحينها حليم الرومي الذي كلف عددا من ملحني الإذاعة وغيرهم بالتلحين لفيروز ، قاصدا بذلك تنويع الاذواق في أغنياتها ، بُغية عدم تقييدها في مدار الذوق الواحد •

وكان عاصي الرحباني عازف الكمان بفرقة الإذاعة اللبنانية والملحن المبتدئ في ذلك الوقت ، من بين الذين كلفهم حليم الرومي بتلحين بعض الأغنيات الحديثة لفيروز ، فأجاب قائلا " إن صوت فيروز لا يصلح للاغاني الحديثة ولكنه يصلح فقط للأغاني الشعبية" فرد على ذلك حليم الرومي بقوله : "ان فيروز صوت غير

---

(١) من مقابلة شخصية مع الأستاذ حليم الرومي في ١٤ / ١ / ١٩٧٢ وذلك بمكتبه في الاذاعة اللبنانية حيث روى لي قصة اعداده لفيروز فنيا الى ان عرفها على الأستاذ عاصي الرحباني • روى ذلك بعد أن أقسم يمينا على صدق ما سيقول •

••/•

محدّد بمقدرته الفائقة على الأداء لكل الألوان الغنائية ، وانه سيتميز في المستقبل القريب بأنه أقدر صوت على غناء الألحان الحديثة في العالم " (١) فكان ذلك نبوءة تحققت .

وبدأت العلاقة تنمو بين فيروز وعاصي فنيا وقلبيا الى أن تم زواجهما في السادس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٥ (٢) فكان هذا الزواج ولادة جديدة للغناء والموسيقى وعهدا للأوتار انطلق من لبنان .

وكانت اغنية سجلتها فيروز على أسطوانة لعاصي الرحباني هي (بلمح الحب بحيوبو) لكنها لم تظهر للسوق لأن الشركة كانت قد أقفلت قسم التسجيلات العربية (٣) وانطلق صوتها ، عندما استمع العالم العربي من اذاعة دمشق غنية "عتاب" (٤) من تأليف وتلحين الأخوين رحباني ، وقد سافرت معهما الى القاهرة بدعوة من محطتي القاهرة وصوت العرب حيث قدموا العديد من الأغنيات الناجحة .

وفي لبنان كانت فيروز بطلة أول مهرجان شعبي لبناني للغناء والرقص أقيم في بعلبك سنة ١٩٥٧ . واستمرت في إحياء هذه المهرجانات الدولية في السنوات التالية من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦٢ . وكذلك كانت (اول من دشن مهرجانات معرض دمشق الدولي " (٥) فابدعت في ذلك وعمت شهرتها ارجاء العالم العربي كصاحبة صوت انساني مبدع .

وفي حقل السينما اشتركت بتمثيل ثلاثة أفلام هي : سفربرلك — بياع الخواتم، و بنت الحارس وفي المسرحيات والأعمال الغنائية التي ألفها الاخوان رحباني وهي : البعلبكية — جسر القمر — الليل والقنديل — هالة والملك — الشخص — يعيش يعيش — ايام فخر الدين — عودة العسكر — رحيل الآلهة — جسر العودة — حكاية الاسواره — جبال الصوان — ناس من ورق — ناطورة المفاتيح — صح النوم — المحطة — قصيدة حب — لولو .

---

(١) هذا قول الأستاذ حليم الرومي كما سمعته منه .

(٢) انظر مجلة الاذاعة اللبنانية الصادرة في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٥ ص ٥ .

(٣) انظر مجلة الشبكة ٦ آذار ١٩٧٢ عدد ٨٤١ السنة ١٧ ص ٥٠ .

(٤) نفســه ص ٥٠ .

(٥) نفســه ص ٥٠ .

../..

لا أن الطموح الفني لفيروز دفعها للانطلاق خارج حدود اللغة العربية والعالم العربي فكانت لها تجارب غنائية في الفرنسية والانجليزية عدا بعض التراتيل الدينية باللغة اليونانية • وفي عام ١٩٦١ سافرت الى البرازيل والارجنتين فأسر صوتها قلب العالم الآخر ، وأشادت بها الصحف حتى قالت إحداها " إن صوت فيروز تتمثل فيه أربعة آلاف سنة من الحضارة • وقالت صحيفة برازيلية أخرى : إن صوت هذه الفنانة هو ظاهرة طبيعية فمنذ ٢٥ سنة وبعد ماريانا اندرسون لم تر — الريو دى جانيرو — صوتا جميلا كصوت هذه اللبنانية " (١) وتتالت بعد ذلك رحلاتها الفنية الى لندن وامريكا ، حيث نقلت بصوتها إلى انحاء الأرض وجها مشرقا من وجوه لبنان الحضارية • وتجلى ذلك في أقوال النقاد الذين درسوا صوتها ووجدوا فيه ظاهرة فريدة ، فقال النقاد الإنجليز "إن صوتها واحد من العشرين صوتا الأول في العالم في القرن العشرين • وقالت عنها مغنية الأوبرا — أناكورسك — الهنغارية إن صوت فيروز أجمل صوت سمعته في حياتي وهو نسيج وحده في الشرق وفي الغرب " (٢) وقد كان هذا الصوت مصدر اعجاب الموسيقيين على اختلاف جنسياتهم منذ البدايات الأولى لعصر الغناء الفيروزي ، فالموسيقي الأرجنتيني (أدوارد و بيانكو) أعجب به منذ سنة ١٩٥١ حين كان يقوم ببعض التسجيلات في اذاعة الشرق الادنى ، ووافق على أن تسجل فيروز بصوتها بعض الألحان الغربية بعد أن تترجم كلمات الألحان الى العربية • (٣)

وللمثقفين كلمتهم في الصوت الفيروزى ، فهم يرون فيه صوتا واعيا وحساسا يشدهم الى شوق الارتباط به وهم "يرون في اغنيات فيروز فنا ملتزما بالانسان •• بألم الانسان •• بآمال الناس في حياة شريفة كريمة فاضلة حلوة • " (٤)

وفيروز عند الشعراء " اسطورة واقع " يمنح صوتها للمتألمين نعمة نسيان الألم، فيوهب لحظة تسكن خلالها الأنة الجريحة •• فالشاعر اللبناني بولس سلامه سمعها من الإذاعة على أثر عمليته الجراحية السابعة (٥) وكان اذ ذاك لا يعرفها فسأل احدى الممرضات

---

(١) انظر كتاب الاذاعة اللبنانية ، فايق الخورى ص ٢٣٢ • ط أولى ١٩٦٦ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٢ — ٢٣٣ •

(٣) انظر كتاب : جارة القمر فؤاد بدوي ، ص ٢٢ •

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٥ •

(٥) خبرني ذلك اثناء زيارة له في ١٧/٣/١٩٧٤ •

••/•

فقالت له : إنها فيـــروز • سأل لأنها أدخلت الى جراحه راحة أشفح من الدواء ، وقوة أكبر من المخدّر • وكان أن قال فيها قصيدته العينية الرائعة منها هذه الابيات :

فيـــــروزُ يـا أُسطورة الواقعِ   وآية الروعة في الـرائــع
يا غبطة الأرواح في سجعــــةٍ   تنزّلتْ من عالـمٍ شاسـعِ
مجهولة الإيحاء مجهولة الاصداءِ   لم تُنسب إلـى واقــع

وهذا الأخطل الصغير يطلبها ليسمع صوتها وهو في حالة النزع الأخير فتذهب اليه وتسمعه مقطوعة صلاة •• (١) وكأن طلبه ، وروحه في حالة الصعود ، جاء تلميحـــا وايمانا بقول حكيم هندي : " إن عذوبةَ الالحان توطدُ آمالي بوجود أبديةٍ جميلة•• "

وللدكتور اسعد علي رحلة مع الصوت الفيروزي كتب فيها عنه ديوانا من شعـــر سّماه " صـــوت فيـــروز " (٢)

هذا غيض من فيض مما كتبه المثقفون عن صوت فيروز ، ولو جمعت هذه الكتابـــات كلها لكونت مؤلفا مستقـــلا •

هذه هي فيروز ظاهرة إنسانية وثقافية وحضارية ••• فمن هما الأخوان رحباني اللــــذان تعهدا هذه الظاهرة منذ بداية انتشار أثرها في نفوس الناس ؟

---

(١) بهذا اخبرني والد فيروز السيد وديع حداد في مساء يوم ١٧ / ٢ / ١٩٧٤ •
(٢) لا يزال هذا الديوان مخطوطا بمكتبته •

••/•

الفصـــل الثالـــث

حيـاة الأخـــوان رحبانـــي

هما عاصي ومنصور الرحباني •

ولد عاصي في بلدة انطلياس(١) في الرابع من شهر ايار سنة ١٩٢٣ أي في اواسط ربيع " لبنان الاخضر " ، زوجته فيروز وله من الاولاد اربعة : بنتان وابنان •

وولد منصور بالبلدة نفسها في السابع عشر من شهر اذار سنة ١٩٢٥ حيث كانت الطبيعة تتهيأ لولادة الربيع فيها بعد أيام ثلاث • متزوج وله ثلاثة ابناء • فهما وان لم يكونا توأمين في زمن الولادة الجسدية ، فأنهما لكذلك في زمن ولادتهما الفنية •

من هذا المنطلق آثرت التكلم عنهما مجتمعين ، طالما جمعتهما رسالة حياتية واحدة ، وحّدت فيهما الطبع والنزع والهدف ، وكُتبت سطورُها تحت ظلال مناخات طبيعية وبشرية واحدة •

نشأتهما الأسريّـــة :

نشأ الاخوان رحباني في كنف والدين شاعرين يحبان الزجل ويقولانه • كان والدهما حنا عاصي الرحباني (٢) شغوفا بالفولكلوريّات اللبنانية ، يحيشها ويطبقها في حياته اليومية،

---

(١) تقع انطلياس على مسافة تسع كيلومترات من بيروت شمالا — طبيعة ارضها تتراوح بين ساحل وارتفاع ١٥٠ م• يبلغ عدد أهاليها الدائمين ٢٥٠٠ بينهم ٨٠٠ منتخب ، أما عدد السكان فيقارب مع المقيمين من خارج البلدة ١٢٠٠٠ نسمة يشغلون حوالي ٢٢٠٠ شقة سكنية — اهم زراعاتها الليمون — واهم صناعاتها الألبسة ، ونقش الأقمشة ، والعرق • وفيها مجلس بلدي ، وعدة نواد ثقافية ورياضية ، وثماني مدارس منها مدرستان خيريتان للطوائف الأرمنية • اما اسمها فمنهم من يعتقد انه مزيج من أنطون والياس ومنهم من يقرن الاسم بالنبي الياس صاحب الإكرام في هذه البلدة • ويرى بعض المؤرخين والجغرافيين ان أصل الإسم : انطيلـــوس ANTILIOS أي مقابل الشمس• (انظر في ذلك : الموسوعة اللبنانية المصورة لأنطوان مفـــرّج ج ١ ، ص : ١٩ وما بعدها •

(٢) أصل عائلة الرحباني من بلدة عين السنديانة في الشوير / لبنـــان •

../..

وقد ساعده في ذلك كونه صاحبا (لفوار انطلياس) الذي هيأه لاستقبال المستجمين ورواد الكيف يأكلون ويشربون فيه الراح ، الذي تشتهر بصناعته انطلياس وينصتون الى غناء (سيد درويش) والحان القدماء وهي تنطلق من (فونوغراف الفوار) . وفي نهاية كل يوم يجمع الخاصة من أصحابه في مجلس شرب وطرب ويعزف على آلة (البزق) منشدا بعض الألوان الفولكلورية من "الميجنا" و "العتابا" وغيرها من أفانين الزجل اللبناني .

أما والدتهما فكانت هي الأخرى ، إلى جانب كونها تحفظ الكثير من هذا الزجل ، ترتجل أحيانا في "المعنّى" و "القرّادي" ومما تغنيه فيروز من قولها اليوم هذين البيتين من البحر المتناهي الذي يرتكز على دعامتين ويشتمل على ثماني عشرة حركة ، تسعة في كل شطر :

حِلْو الوَرْدْ عالميـن تيملّي   أسْمر كَحيل العَيْنْ مَلاّ وْرَاحْ
شَدّْ العَزيمِه وقال شَرّقْتِـا   قِلْتِلّـو مِتْـرُوح بالأفْـرَاحْ

والى جانب ذلك ، تعرف الكثير عن التقاليد والعادات والعديد من القصص والحكايات ، وقد انتقل هذا كله إليهما عن طريق والدتهما التي كانت تتقن هذه الطرائق .

وسط هذا الجو العائلي الفولكلوري المنغّم ، تبرعمت حياة الأخوين رحباني الفنية ، وتحت هذه الظلال وعيت مداركهما الشعرية . فإنهما نتيجة لتشدد والدهما في مجال تربيتهما ، لم يختلطا بالأولاد الآخرين إذ لم يكن الوالد ليسمح لهما بذلك فتوزعت طفولتهما بين الفوار ، حيث تردد أغاني سيد درويش وأبي العلا ، وبين البيت ، حيث مجالس الوالد الغنائية ، وحكايات الوالدة التي كانت مادة دسمة أسهمت في إخصاب خيالهما ، وعنصرا فعّالا حثّهما على التحرك نحو صياغة الأقاصيص وروايتها ، وقد عُرف ذلك عن عاصي ، وهو البكر ، الذي كان يروي ما تنسجه مخيلته لأخيه منصور .

من الجهة المقابلة كانت المدرسة الابتدائية التي دخلاها في انطلياس ، المنهل الثاني بعد الاجواء العائلية ، التي ساهمت في تغذية عقلهما ، والتبكير في اظهار تباشير موهبتهما الفردية حيث كان استاذهما المرحوم فريد ابو فاضل يصدر مجلة الريحاني الأدبية ، فيدفعهما شوق المطالعة ، ولهفة البحث ومحبة الاكتشاف ، الى قراءتها والاستفادة من موضوعاتها ، ثم ينسجان على غرار ما كان يرد فيها من اشعار واخبار ، حتى انفردا باصدار مجلة شعرية بخط اليد يكتبان منها عدة نسخ ويوزعانها على اصدقائهم

٠٠٧٠

وقد وضعا فيها بواكير إلهاماتهما الشعرية ،(١) وكان ذلك في سن لا تتجاوز الثانية عشرة من عمر عاصي والعاشرة من عمر منصـــور؟

أما مدرستهما الموسيقية فكانت في دير مار الياس/ انطلياس على يد المرحـــوم الأب بولس الأشقر الأنطوني الذي أسس جوقة موسيقية للترتيل والإنشاد كان الأخوان رحباني من بين أفرادها ، فظهرت للأب بولس موهبتهما وقد رتبهما على سرعة الإلتقاط وصياغة الألحان، فأولاهما عناية خاصة ودربهما على العزف على أرغن الكنيسة ، وأعطاهما دروساً في أصول النوتة الموسيقية ، والأنغام الشرقية وأرشدهما إلى المراجع الموسيقية كالرسالة الشهابية، وكتـــاب الموسيقى الشرقية للأستاذ كامل الخلعي ، فاستفادا من ذلك استفادة عظيمة وانحصر نشاطهما ، أثناء هذه الفترة ، ضمن حدود الحفلات الدينية في الكنيسة •

حركتهما في المجتمع والعالم :

إن حركة الموهبة المتوقدة لا تقف عند بلوغ معرفة، ولا تقنع بالوصول الى هدف لأنها تنزع دائما نحو الجديد ، ومتجددة بلذة الاكتشاف ، وان بين العلى والانسان الموهـــوب تواصلا وعطاء متبادلا ، هو يتوق للوصول إليها ، وهي تدعوه لوصول أعظم • وفي هـــــذا الإنسان قال أبو تمام :

•• وذا انتمى في قُلّةٍ من سؤددٍ قالت له الأُخرى :بلغتَ تقدّم(٢)

لذلك شعر الأخوان رحباني بشوق التطلع الى ما بعد التراتيل الدينية الكنسية، في انطلاقة جديدة يسكبان فيها مد نشاطهما الزاخر••• فكان منهما ان اسسا فـــــي بلدتهما ، مع مجموعة من الشباب ، ناديا ثقافيا انطلقت منه اولى اعمالهما المسرحيـــــة والغنائية وكانت أول قطعة لحنها عاصي تحمل عنوان "يا طيور الغاب" والقطعة الأولـــى التي لحنها منصور هي : "أيها العيد السعيد" فلاقت أعمالهما استحسانا كبيرا فـــــي محيطهما ، وبدأت شهرتهما تنمو وتمتد حتى شملت القرى المجاورة لبلدة انطلياس•

---

(١) سعيت جاهدا مع الأخوين رحباني حتى أحصل على نسخة من هذه المجلة لأقدم شيئا من تلك البواكير• ولكنني لم استطع• • فمنصور يقول انها موجودة في (قبـــو) بيتهم في انطلياس وعاصي يقول : لا يوجد اية نسخة منها • فضاعت الجهـــود بين الأمل بالوعد واليأس من وجود الأمل • غير انني ما زلت مقتنعا بوجـــود إحدى هذه النسخ بحوزتهما على الأقـــل •

(٢) انظر انسان التقدم في : الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام للدكتور اسعـــد علي ص ١٥٧ طبعة اولى سنة ١٩٧٠ •

••/•

وتلونت حركتهما في المجتمع فلم تكن أسيرة الحفلات الغنائية في النادي بل عرفهما الناس في الحياة العملية الأخرى ، حيث توظف عاصي شرطياً في بلدية انطلياس ودخل منصور في سلك الشرطة القضائية في بيروت بعد عملية تكبير أعمار من ست عشرة سنة الى واحد وعشرين وهي السن القانونية المطلوبة التي تؤهل اللبناني بأن يتقدم للوظيفة في الدولة عهد ذاك ٠

وقد كان اثر هذه الوظيفة بارزا في معظم المسرحيات الغنائية التي قدمها الرحبانيان بعد ذلك ، إذ قلما تخلو مسرحية من هذه المسرحيات إلا ويكون للشاويش أو بوليس البلدية دورا بارزا فيها مثل مسرحيات : يعيش يعيش ، الشخص ، بياع الخواتم ، ناس من ورق ، المحطة وغيرها ٠ وهكذا سخّرا تجربتهما في الحياة العملية ، لخدمة تطلعاتهما الفنية ٠ وعلى أي حال فأنهما شعرا منذ بداية ايامهما الوظيفة بكابوس الأسر ونزعتهما الانعتاق ، وبنظام الحدودية وبصيرتهما شوق متحرك لرؤيا ما وراء الحدود ٠٠ فلم يرضَ هذا الطموح بنظام الوظيفة ، وهذا ما بدا في سيرة عاصي اثناء الفترة إياها فإنه كان يدوّن نواياه الموسيقية على دفتر البلدية بدلاً من ان يدون عليه محاضر الضبط فكأن الحياة الموسيقية فكرة تعيش فيه لا يستطيع التهرب منها ٠ ولم تكن الموسيقى أقل الحاحاً على نفس أخيه منصور ، فتركا الوظيفة وانتقلا بنشاطهما الفني الى الإذاعة اللبنانية حيث بدأت حركتهما المجتمعيّة تتسع في الأمة بعد أن " قدما حفلات غنائية واناشيد وطقاطيق فكاهية نالت الإعجاب والاستحسان ٠ وكانت حفلاتهما ذات طابع خاص الأمر الذي حمل الموسيقيين المحافظين على انتقاد طريقتهما ، التي تميل الى اللون الغربي ، وبدأت المعركة بينهما وبين هؤلاء المحافظين وانتقلت إلى صفحات الجرائد والمجلات ، وكان هدف الأخوين رحباني إطلاق الأغنية اللبنانية في المحيط العربي والعالمي ، ورغم الحملات الشديدة التي شنت ضدهما أصرّا على مواصلة انتاجهما وطابعهما " (١) ولقيا ، كذلك ، انتقادا شديدا لانهما كانا يعبران باللهجة اللبنانية يوم كانت مسيطرة على الغناء لهجات اخرى ٠ إلاّ انه كان في الاذاعة من يبحث عن الجديد مثل الاستاذ فؤاد قاسم رحمه الله، مدير البرامج يوم ذاك فسمعهما وشجعهما ، وتبنى هذا اللون اللبناني الذي يجعل من مدة الأغنية ثلاث دقائق فقط بعد ان كانت اقصر أغنية ربع ساعة او عشرين دقيقة ٠ ووظف عاصي في الاذاعة كعازف كمنجة ٠

هذه الحركية التي ولدها فن الرحبانيين بين النقاد ، من مستحسن مشجع ، ومستهجن محافظ ، دفعتهما الى دراسة الموسيقى بصورة جدية معمّقة ، فدرسا التأليف الموسيقي مع الاستاذ (برتران روبيار) استاذ الموسيقى في اكاديمية الفنون الجميلة اللبنانية،

---

(١) انظر كتاب الاذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ، ص : ٢٣٤ ، ط ، ١ ، سنة ١٩٦٦ ٠

والهارموني ، والكونترباص ، والفوج مدة ثماني سنوات • وفي محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية ، أتاح لهما الأستاذ صبري الشريف رئيس القسم الموسيقي ، فرص التمرين مع الأوركسترا على التوزيع الموسيقي وسهّل لهما التجارب الفنية ، فانطلقت شهرتهما في مختلف الأوساط العربية ، فعرفتهما إذاعة دمشق وشجعتهما حيث كانت تتبنى التيارات الفنية الحديثة •

وكان زواج عاصي الرحباني من فيروز حدثا فنيا رائعا اكتملت به عناصر الاغنية الثلاث: الشعر ، الموسيقى والصوت •

واستمر الأخوان رحباني بهذا التجديد " فألفا الموشّح والقصيد بنبرات جديدة مع الاحتفاظ بالطابع القديم كما انهما أعادا الى الحاضر الموشحات القديمة بألوان جديدة(1)" الّا أنهما تأثرا ببعض ما جاء في القديم وظهر هذا التأثر على انتاجهما ، دون ان يتدخلا فيه أحيانا ، كما في مطلع أغنية " انا لحبيبي وحبيبي إلي " الذي ورد في سفر نشيد الأناشيد بحرفيته تارةً : " أنا لحبيبي وحبيبي لي " (٢) وحاورا بأشكال أخرى "حبيبي لي وأنا له " (٣) و " انا لحبيبي واشواقه لي " (٤) ويتدخل مدع أحياناً أخرى، كما في الأغنيتين المتشابهتين : " انا وسهرانه " و " دق الهوى عالباب ، " فان فكرتهما مُستوحاة كذلك من السفر نفسه (٥) وقد تثبتُّ من هذا التأثر أثناء مقابلة مع الاستاذ منصور رحباني (٦) حين سألته عن تعدد الموضوعات في الأغنية الواحدة التي يؤلفانها ، فجلب العهد القديم وقرأ لي من سفر نشيد الأناشيد وعلق قائلا " إنه رغم انتقاله السريع من فكرة لأخرى في الحب يُعتبر أعظم الاناشيد العالمية "•

هذا الى جانب تطلعهما الى التراث الزجلي القديم واحياء ما خفت من وهجيّة نصوصه كما في اغنية " يمي ما بعرف كيف حاكاني " المستوحاة من قصيدة رشيد بك نخله التي عنوانها " يمي ما بعرف كيف حبيتو " (٧) وكما في مطلع اغنية " مشمشه اللي عم بتلوح " وهي من نوع القصيد المربوط ألفها زجّال قديم مجهول الاسم (٨) •

---

(١) انظر كتاب الاذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ص: ٢٣٥ ،ط ،١ ، ١٩٦٦

(٢) انظر سفر نشيد الأناشيد ، ٦ : ٣ •

(٣) انظر سفر نشيد الأناشيد ،٢ : ١٦ • — (٤) نفسه ، ٧ : ١٠ •

(٥) نفسه ، ٥ : ٤ و ٥ و ٦ •

(٦) وذلك في ١٩٧٣/٢/٦

(٧) انظر معنى رشيد نخله ص : ٢٠٠ ط ، أولى ١٩٤٥ — المكتبة العصرية •

(٨) نفسه ص : ٥٤

•• / •

وكذن للأخطال الصغير القصائد : ضفاف بردى ، سيوف وجراح ، وهاتان تغنيهما فيروز ، بيروت، وكيف أنسى • وكان لهما ، مما تغنيه فيروز : ضفاف بردى ، سيوف ورماح ، بيروت و إنسى ؟ كيف • وغنّى معبد ليزيد بن عبد الملك صوتاً ، فأسكره الطرب وجعل يدوُر في الدّار مع جواريه وهو يقول :

يا دارُ دوّريـــــــــــــــــي   يــا قرقــرُ امسكيلي (١)

وكلا لهما مما تغنيه فيروز :

يا دَاره دُوري فينــــــــــا   ظَلّــي دُوري فينَــــــــا

إلاّ ان كل ذلك يمكن أن نسميه إبداعا •• والابداع هو " طاقة حركية تحمل واقعا خاصاً امتزج بواقع آخر واتّحد معه وتفاعل فانتج واقعاً جديدا آخرا " (٢) ويمكن القول بأن الأخوين رحباني أخذا من الماضي ومزجاه بواقعهما المتجدد ، فولدا منه انتاجا أضفى عليه صوت فيروز واقعا جديدا • وكذلك قدما الأغاني الفولكلورية بإطار جديد وتوسيع موسيقي ، وكانا مع الأستاذ صبري الشريف أول من فكر بأحياء التراث الشعبي في محطّة الشرق الأدنى ، فانطلقت اغنيات : مشق الزعرورة ، وغزيل ، ومايلـه عالغصون ، وبرامج حكايات من القرية وغيرها • ثم " وزّعا الأنغام الشرقية ذات الأرباع الصوتيـــة (كالسيكاه والبيّات وقبل ذلك كانت الفكرة السائدة أن هذه الأنغام لا توزّع ، فألفـــا قطعا على أصوات جديدة للجوقة وكذلك للأوركسترا " (٣) وفي هذا المجال " قالــت أم كلثوم لعاصي بالحرف الواحد •• رائع •• أنت في التوزيع إعجاز •• هذه هـــي الحقيقة •• لم يحدث في الشرق أن كان هناك توزيع على علم وعلى أصول الا علــــى يديـــك " (٤) •

واستمر الاخوان رحباني بتطوير الغناء والموسيقى اللبنانيّين حتى بلورا الشخصية الفنية اللبنانية ، وصار لهما مقطوعات كثيرة تعزفها الفرق الأجنبية وتُغنى بكلام أجنبي مثـــل أغنيات : بكرا بيجي نيسان ، شتّي يا دِني ، مِشوار ، عالزّيلو الزيلو ، سَنرجعُ يوماً ، ونحنا والقمر جيران وغيرها ••• وفي سنة ١٩٥٧ عادا إلى المسرح الذي كان حلمهما الطفولي

---

(١) انظر الخبر مفصلا في الأغاني (دار الكتب) ١ : ٦٨ •

(٢) من إحدى محاضرات الدكتور اسعد علي في ٢٣/٢/١٩٧٢ وأحالنا إلى صناعة الكتابة مبحث الإستعارة • والى رضوان الشوال في كتابه المذكور بالحاشية •

(٣) كتاب الاذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ، ص : ٢٣٥ •

(٥) جارة القمر ، فؤاد بدوي ، ص : ٢٣١ •

••/•

في نادي انطلياس ، فأقاما أولى الليالي اللبنانية على مدرج جوبيتر في بعلبك •• مع صوت فيروز الذي يحث في المعبد مسحته الإلهية • وفي سنة ١٩٦٢ ومن بعلبك أيضا وفي صوت فيروز ، انطلقت لهما أوبريت جسر القمر التي تُرجمت مقاطعها إلى خمس لغات هي : الفرنسية، الإنجليزية ، الالمانية ، الاسبانية والروسية • وكتب عنها الناقد الفرنسي ادمون روستان فقال : صار للشرق عمل يقدم في باريس وفينا ونيويورك (١) • وهما الى اليوم يعتمدان المسرح كأساس لانتاجهما الفني • ويستمران في تكوين هذا الانتاج وتجويده هادفين الى رفع مستوى الاغنية اللبنانية وتمييز طابعها ونشر هذا الطابع في أرجاء العالم •

أما على المستوى المحلّي فقد أضحى للاخوين رحباني مدرسة ذات طابع مميز بدأ التأثر بها يظهر في مختلف الأعمال الغنائية ، سواء أكانت حوارية مسرحية ، او كأغنية مستقلة ، على غرار المدرسة الزّريابيّة في الأندلس في القرن الثامن للميلاد • وخارج نطاق الأغاني المستقلة ألف الرحبانيان تسع عشرة مسرحية غنائية وثلاثة أفلام سينمائية إلى جانب ثلاث برامج تلفزيونية يتكون كل برنامج من ثلاث عشرة حلقة • كما قدما العديد من (السكيتشات) منذ بداية عهدهما في الاذاعة اللبنانية واذاعة الشرق الادنى •

ومن ناحية اخرى اتسمت اعمالهما الفنية بطابع إنساني محض محوره الحق والخير والجمال والسلام • وقد كانت طبيعة انطلياس الهادئة في بساتين ليمونها واشجار صنوبرها وسنديانها ولوزها منهلاً صافيا استمد منه الأخوان رحباني طابعهما المميز فطبعوا بهذا الطابع انتاجهما الفني الرائق •

والياس الرحباني هو الأخ الثالث لهما (٢) • ولد في انطلياس سنة ١٩٣٨ في اجواء شعرية موسيقية ، وباكرا جدا ، وفي الخامسة من عمره ، كان يلقي بعض (المونولوجات) الغنائية في الحفلات وبرع في العزف على الطبلة ، ثم تعلم الموسيقى وعزف البيانو على يد الاستاذ ميشال بروجو ، والهارموني والكنتربوان مع الاستاذ برتران روبيار • الا انه تطلع الى غير المنحى الذي اتجه فيه اخواه عاصي ومنصور •• راح يؤلف ويلحن في الفرنسية والإنجليزية ، واسطواناته في هاتين اللغتين منتشرة وتباع في مختلف العواصم العربية والاجنبية •

---

(١) كتاب الاذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ، ص : ٢٣٥ •

(٢) رأيت ان اترجم للأستاذ الياس الرحباني بعد ان دخل مع أخويه في الفرقة الشعبية اللبنانية وبدأ يؤلف ويلحن لفيروز كأغنية (شو كانت حلوى الليالي) رقم ١٠٦ في ملحق الاغاني • فصار يطلق عليهم الأخوة رحباني • ولولو هي العمل الاخير الذي دخلت اغنياته ضمن هذه الدراسة • والتي منها الاغنية المذكورة •

•/••

فعّرف بهذا اللون الغربي • وفي مهرجان أثينا العالمي للأغنية سنة ١٩٦٩ فاز بالمرتبة الثانية بين اثنتين وثمانين دولة • وقد استقال من وظيفته في الاذاعة اللبنانية في بداية خريف ١٩٧٢ لينضم الى أخويه عاصي ومنصور في الفرقة الشعبية اللبنانية ، وبانضمامه هذا اخذت الألوان الموسيقية الغربية تبرز بشكل واضح في الأعمال الرحبانية كما في مسرحيات : " المحطة " قصيدة حب " و " لولو " •

الفصـــــل الرابــــع
مجموع الأغنيـــات وتوزيعهـــــا

بلغ مجموع ما استطعت جمعه مما تغنيه فيروز ٤٢٥ أغنية ، توزعت بين مائتين واربع وثمانين أغنية بالعامية ، ومائة واحدى واربعين أغنية بالفصحى • بين هاتين المجموعتيـــن ما هو للأخوين رحباني ، وما هو لشعراء آخرين غنت لهم فيروز ، وبين هؤلاء الاخرين مـــن لم استطع ان أعرف أسماءهم •

أما مجموع ما غنته فيروز للأخوين رحباني خاصة فقد بلغ ٣٣٩ أغنية ، بينها مائتان واربع وستون بالعامية ، وخمس وسبعون بالفصحى • وهذا يعني ان التأليف بالعاميـــة هو أساس في الانتاج الرحباني •

وغنـــــت لثلاثيــن شاعرا (١) ما مجموعه سبع وستون أغنية ، بينها اربع عشـــرة بالعامية ، وهناك ، الى جانب ذلك كله ، ثماني عشرة أغنية مجهولة المؤلف (٢) بينهـــا ست اغنيات بالعاميـــة •

وقد قسمت هذه الأغنيات كلها حسب موضوعاتها على الشكل التالي :

اولاً : الكلمة الضوئيـــــة وفيهـــــا :

القمر بيضوّي عالناس — أنا عصفورة الشمس — حبيبي بدّو القمر — حلو ياسهرنا — شمس الدار — ضوّي يا هالقنديل — طل القمر عالجبال — طلع القمـــــــر — عم بتضوّي الشمس — غبي ولا تخبيي — غيب يا قمر — لشو تطلع يا قمـــر — نحنا والقمر جيران — يا ترى نسينا — يا حلو يا قمر — يا قمر أنا ويــــــاك — الضّحى في بلدتنا — النجمة الزرقاء — قمر السماء — القمر — بين النجوم •

ثانيا : الوطنيات الفيروزية وفيهـــــا :

القدس العتيقه — برجك عيد — بعلبك — بلدي درج اللوز — بيـــروت — بقي راح — تلال الزراعين — حمرا سطيحاتك — خذني — خزّقولي هالثياب —

---

(١) تحدثت عن هؤلاء في ملحق الرسالة •

(٢) راجعت الأخوين رحباني اللذين اختارا هذه الأغنيات لعلي أجد بحوزتهما اسماء مؤلفيها فتولى الرد الاستاذ منصور الرحباني قائلا : هذا شعر قديم لا نعـــرف من ألفـــه • الجمعه في ٢٥ ايـــار سنة ١٩٧٢ •

../..

خطّة قدمكن — دبكة لبنان — ديروا الميّ — راجع بصوات البلابل — سهرتنا عَ دراج الورد — شتّي يا دني — شط اسكندريّه — عا إسمك غنّيت — عالي الشمايل — عالي عالعالي — عودة العسكر — لبنان الأخضر — لبنان يا أخضر حلو — لوين — مراكبنا عالمينا — مذهبيّـة — معافى يا عسكر لبنان — هلّي عالريح — وردة الوردات — وطني — وعدي إلك — وينن — يا دارة الدلالي — يا ريح — يلّا نلم زهور — يا نهورة كوثر — أحترفُ الحزن — العهد يروي — القرى — إلى الراعية — أنا وبلادي — بحدّنا — بلدتي غابةٌ جميلة — تحيّة إلى المغرب — جسر العودة — خذوني إلى بيسان — راجعون — ريح الجنوب — زهرة المدائن — سنرجع يوماً — سيوف ورماح — ضفاف بردى — طالت نوى — يا جسراً خشبيا — يا ربى عمّان — أجراس العودة — أردن — دمشق — ردّني إلى بلادي — سائليني — سيوف وجراح — شام يا ذا السيف — ضفاف بردى — قرأتُ مجدكِ — لبنان — مرّي — ملعب الأحلام — مواكبُ الحق — نسمتْ من صوب سوريّا — هل تستعاد — وطنُ النجوم — في ربانا الآس .

ثالثا : الإنسان وحسن الجوار :

بتشوف بكرا بتشوف — شو صار — عالكرم انزلي — كيف حالك يا جار — يا بنت جارتنا — يا حلو يا جارنا — شبّاكه يطل — لا تعتب عليّ .

رابعا : الأم والطفولة :

دخيلك يا إمّي — شادي — طيري يا طيّاره — عم يلعبو لولاد — عصفوري الأولاني — وطى الدوّار — يلّا تنام ريما — يمّي ما بعرف — أقول لطفلتي — أمّي — شمسُ الأطفال — بكوخنا يابني — أمي يا ملاكي — ربّي سألتك .

خامساً : الغزل :

اطلعي يا عروسه — الله معك — الله معك يا هوانا — إمي نامت عابكّير — أنا لحبيبي — أنا ما حبّيت — أنا وسهرانه — أنا هويت — إنتَ وأنا — الورقه الأخيرة — بتسأل إذا بهواك — بعدك على بالي — بعدت السهريّه — بعدّ لها البيعدّل — بغدو الحبايب — بقطفلك بس — بكرا إنت وجايي — بكرم اللولو — بكتب إسمك — بياع الخواتم — تبقى ميّل — تحت العريشي — تعا ولا تجي — جايبلي سلام — جايي الحب — جايي — جبليّة النسمه — جيتني اليوم — حبيتك بالصيف — حبيتك والشوق انقال — حبيبي قال الطريق —

./..

حيدو الحلوين — دبنا وما تبنا — دَرج الحلوين — دَرج الورد — دَق الهوى عالباب — دُوَّاره عالدّواره — راجعَه — راجعين يا هـــوى — رجعت الشتوية — رجعت ليالي زمان — راحو — ردّي منديلك — زار بسكون الليل — سأل الحلو — سألوني النّاس — شجره على مفرق طريق — سَحيدره — سمّرا يمْ عيون وَساع — سَمعت الجيران بيقولو — سمّحنا — سَهره — سنيي عن سني — شوار — شوي ربينا — شايف البحر — شمس الضحى — صيّف يا صَيـف — ضحك اللّوز — ضوّى الهوى قناديلو — طاير بالشوق — طير الوروار — عالطاحونه — عادت ليالي زَمان — عتاب — عَروستنا الحلوي — على موّلك — على جسر اللّوزيّة — علّموني — عبيّــه القطعه — عالبـــي الذّهب — غمر الندايم — غـــرو — فايق عليّـي — فايق ولّا ناسي — فايق يا هوى — في لنا يا حُب — قالو العدى — قعدت الحلوي — قمره يا قمَره — كانو يا حبيبي — كان ياما كان — كنّا وما كنّا — كرمالك — كفى يا قلب — كيف حالك خبّرنا — لا إنتَ حبيبي — لا تجي الهـــموم — لشتا عليّ بتتصالى — لشو الحكي — ليالي الشمال الحزينه — ليليّــــه بترجع يا ليل — ما أحلى الرّجعه بكّير — ما بنساك — ماريّـــا — مشركل يوم تمر — مشمشي الّلي عم بتلوح — ما في حدى — مع ليلى — مغليـش يا قلبي — مغرور — من عز النوم بتسرقني — مـــوّال — ميلو أهـــل الهوى — ميلو الحبايب — نسم علينا الهَوى — نطّرونا كتير — هب الهوى — وقّف يا أسمر — يا أنا يا أنا — يا أهل الدار — يا حَجل صَنين — يـــا حلو شو بخاف — يا داره دوري فينا — يدور الدّوري — يا رايـــــح عاكفرحالا — يا ريحان الجبال — يا ريت — يا ريتني بقسى — يا شاويش الكركون — يا طير — يا كرم العلالي — يا محلى ليالي الهوى — يـــا مرسال المراسيل — يا مركب الريح — يا مغزال — يا ناطور القمريــــي — ينساني طريقي — يا ولف مهما صار — يوم ويومين — إذا كان ذنبــــي — أمس انتهينا — أنت لي — أنت معي — حيرى — رجعت تسأل عنّي — رجعت في المساء — ردّ يا أسمر — سلمى — سمراء مها — عاتبـــة — عادك الغزل — عُدنا رأيناها — عصفورة الشجن — عند الأنهار — عند حماهــا — في حمى الشّـــدو — لملمت ذكرى لقاء الأمس — ليلنا القمري — لينـــه — ماروشكا — مروج السندس — معاً هنا — ملّى نجمة الكتب — هات — هل تهواها — همّوم الحب — هيّهـــا الدّنانا — وداع — يا بيتاً لنا — يا حبيبي — يرتك زهرة — يا زائري — يا ساهر الهيمن — يا لورحبك — يا نسيم — يـــولا — أهلا وسهلاً — بحبك ما بعـــرف — تخمين — جلنار — دقّت على صدري — دقيت — زوروليـــــــــــي —

٠/٠٠

طلعت يا محلى نورها — فتحهن عليّ — مرجوحه — مشوار — مهن دلّك — يارا — ابنة بلادي — بروحي تلك الأرض — تعال تعال — جبل الريّان — حامل الهوى — شمال — في عوله خبز — لا تسألوني — من صوب بيتكم — وداد — وشايه — ولقد ذكرتك — يا جارة الوادي — يا شادي الألحان — يا عاقد الحاجبين — خايف أقول — كلمات العاشقين — لو كان قلبي — يا جنة من قبل — يا خليلي — يا وحيد النهد •

سادسا : الأغنية الفولكلورية :

البنت الشلبيّة — بيتك يا ستّي الختياره — تك تك تك — دبكة الدلعونا — دبكة الميجنا — دقّو المهابيج — ريح الشّمالي — عالرّوزنا — عالزّهو — عالّلالا ولالا — عالّلالا اللّلا — عالهدى مشية حبيبي — عالبادي البادي — عالبادي — علّي علّي — غنّي يا حلوي — قال القوّال — قالولي كن — ميج يا بو الميج — هلا لالا ليّا — هيك مشق الزّعروره — هيهات يا بو الزّلف — يابا لالا — يا حنيّنه — يا رايحين مشرّق — يا طيره طيري — يا غزيّل — يا مايله عالغصون — يلبقلك شك الالماس — بردى — دلعونا — على الماني — مرمر زماني — يا حنيّنه — يا هويد لك •

سابعا : الزّجـل :

تبقى بلدنا — دار الدوري — محاورة قصقص ورق — باب البوابه بوابين(١)•
ومعظم الأغاني الفيروزيّة العامية تعتبر من الفنون الزجليّة اللبنانية •

ثامنا : الموشحات :

بلّغه يا قمر — زمان الحب — سيّد الهوى — شهرزاد — فاتر الألحاظ — يا جليس الليل — يا من يحنّ — أرجعي يا ألف ليلة — في ليالٍ — لاعب الريشة — من عذب اللما — يا شقيق الروح — يا ليل الصبّ — اذكريني — لمّا بدا يتثنى — يا غصن نقا — يا من حوى •

---

(١) هذه العناوين لم تدخل في الإحصاء النهائي لعدد الأغنيات ، لأنها لم تكن أغاني مستقلة لفيروز ، ولكنها اشتركت فيها على شكل حواري •

••/•

تاسعاً : النزعة الروحية :

أغاني هذا الفصل تتجه في منحيين :

الأول ، يتمثل في نصوص الأخوين رحباني وغيرهما وهي :

أيام العيد — إيماني ساطع — برد برد — تلج تلج — رح خبركن قصة زغيره — شمس المساكين — شو بيبقى من الروايه — صوت العيد — ليلة عيد — نبع اليانبيع — بجمة العيد — يا ساكن العالي — أومن — يا رنين الأجراس — أقول وآنست — غنيت مكة أهلها الصيدا •

الثاني ، يتمثل في نصوص كنسية وتراتيل دينية من وضع الكنيسة وهي : (١)
اليوم علق على خشبة — يا يسوع الحياة — نعظمك — كامل الاجيال — استابري — المسيح قام — انا الأم الحزينة — طرق أورشليم — قامت مريم — واحبيبي •

وهناك من الأغنيات ما لم أدرجها تحت عنوان ، او أضعها ضمن فصل ، إمّا لأنها تدور حول حادثة بسيطة في مسرحية من المسرحيات الرحبانية ، وإما لأنها لا تتضمن موضوعاً واضحا ، وإما لأنها تضمنت مواضيع ولكنها قليلة ومتنوعة • لذلك استحسنت ألا أقيم عليها فصلاً ، تجنباً لاختلاط الأفكار ، وتفاوت قيمتها غثاثة ونفاسة •
وهذه هي :

الأوضة المنسيه — البير المهجور — أنا بنتك — إنسى ؟ كيف — إقبقا — جايي التلج — حراس المدينة — جلال القصر — ساحة سيلينا — شيخ المشايخ — دكريق النحل — في قهوي عالمفرق — قالتلي المرايه — قديش كان في ناس — كان عنا طاحون — كان الزمان وكان — لالا يابا لالا — لمين الهديه — مين ما كان بيتمرجل علينا — ندهتني النسوه — نزلوني على البحر — هيلا يا واسع — وين بكرو الديب — يا زنبق — يا عود — يا قلبي لا تتعب قلبك — يا لالالا — يا ميكمسا — يا مين يدبني — رجوع السنونو — أعطني الناي — المحبة — تناثري — خالقة — سكن الليل — سوف أحيا — غروب — نوار — يا نسيم الدجى •

(١) لم أدخل هذه النصوص في الإحصاء النهائي لعدد الأغنيات •

قفــــــــــل

ضمتْ هذا الباب صوراً من تاريخ الغناء والموسيقى في تعبيرهما عن نزعة الإنسان إلى القوّة الإلهية المحيطة به ، واتخذتُ من حياة فيروز الفنيّة مثالاً عميق الدّلالة على تاريخ الغناء الانساني في نزعاته المختلفة •• كما اعتمدتُ على حياة الأخوين رحباني لإظهار النموذج التطوري لتاريخ الموسيقى في محاولاته الجادّة لتصوير نزعات الإنسان بالكلمة واللحن •• ومن نتاج الأخوين رحباني ، كلمةً ولحناً ، ومن غناء فيروز لكلمات الأخوين رحباني ونقلها لألحانهما سأظهر النزعة الإنسانية المتعدّدة المظاهر في الباب الثاني •

الباب الثاني

النزعة الإنسانية

في

الأغنية الفيروزية

مفتـــــــــاح

أحدّد هنا مدلول النزعة الانسانية وموضوعاتها في الأغنية الفيروزية : لغـــةً واصطلاحاً ، ليتضح المفهوم العام الذي ينطوي عليه موضوع هذه الدراسة .

فالنزعة لغةً : الحنين والاشتياق .(١) يقال مثلا : له نزعة إلى الخيـــر ، أي : ذهابٌ إليه ، وميل مستمرٌ للعمل فيه ، والدّعوة للتمسك به .

فالميل أو النزعة " هو اتجاه النشاط الانساني نحو عالم من العوالم أو ناحيـــة من نواحي الحياة باستمرار " (٢)

والانسانية : " ما اختص به الإنسان .(٣) كثر استعمالها للمحامد . " وقد أُطلقتْ على من به اتجاهات خيّرة تصبو الى المثاليـــة .

من هذا المفهوم اصطلحت " النزعة الانسانية " لتكون عنواناً لدراسة الأغنيـــة الفيروزية ، التي تنطوي على حنين دائم إلى منابع الانسان الأصليّة محبة وسلاماً ، والتي تتجه معانيها باستمرار الى تلك الأصول :

فالاتجاه الى التعبير في الكلمة عن ميول الانسان هذه ، نزعة إنسانية ، والاتجاه الى الطبيعة في ضوئها وأرضها نزعة إنسانية ، والاتجاه إلى معايشة الإنسان وحســـن التجاور نزعة إنسانية ، والاتجاه الى بناء الأسرة وتربية الميل النشوئيّ منذ الطفولة ومـــا يسبق ذلك من تغزل ومظاهر حب نزعة انسانية ، والاتجاه الى الله ، كذلك ، من نزعـات الانسان وأشواقه .

تناولتْ الأغنيات الفيروزية هذه الموضوعات ، ولئن كانت الكلمات للأخوين رحباني ولشعراء آخرين ، فان صوت فيروز هو الذي حملها إلى أسماع الناس في كل مكان .

لذلك اصطلحتُ العنوان منحويًا الى فيروز لا إلى الشعراء أصحاب الأغنيـــات ، كما نقول في حديثنا عن خصائص حماسة أبي تمام مثلاً ، فهي مختارات لشعراء مختلفين لكنها نُسبتْ إلى جامعها ومختارها أبي تمـــام .

---

(١) انظر لسان العـــــرب .
(٢) انظر معجم مصطلحات علم النفس ، منير وهيبه الخازن ، قدم له كمال يوسف الحاج . دار النشـــر للجامعيين .
(٣) المنجد في اللغة ، الأب لويس معلوف اليسوعي .

../.

ولئن كان أبو تمام اعتبر الحماسة أساساً في الشعر فإنّ الحماسة نزعة إنسانية تتجلّى في صوت فيروز لاقناع الناس بمعاني أغنياتها المُختارة كما يتضح من تحليلها في الفصول الاربعة التالية :

١ ـ فصل الكلمة
٢ ـ فصل الطبيعة
٣ ـ فصل الإنسان
٤ ـ فصل الروح .

الفصـــــــل الأول

الكلمـــــة في أغنيـات فيـروز

ما هي الكلمة الفيروزيّة وما هي كلمتها ؟

تلك نقطة لا بد أن ينطلق منها كل انطلاق ، هدفه آيات النور المرسومة علـــى جبهة الآفاق ... تلك هي السر العظيم الذي كان بوحُه ولادة وجود جديد تحت سماء الوجود الأعظم ... ذلك السر الذي كان في البدء ، والذي لم يكن البدء إلا منه " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . " (١) تلك هي الكلمـــــة النور التي بشر بها الله العذراء مريم : " يا مريم إنَّ اللَّه يُبشّرك بكلمة منهُ " (٢) .

كذا أرادها الله كلمة بُشرى للعالمين لتزرع النور في الجوانب المظلمة من الإنسان ووجوده ، ولتحرق الظلمة باشعاعات حروفها المقدسة ... وأردتُ بها كلمة أُغنية لـــذات هذا الانسان لتوقظ فيه ، من وقت لآخر ، الإنسان المثالي مُذكّرةً إياه بمنابعه الأصليّـــة التي تحدر منها ..

أردت بها كلمةً أُغنية للإنسان الذي غطس في جحيم المادة ، فحرقت فيه الروحيّة القادرة ، أو كادت ، رحمة الله ولطمتـــــــه .

أردت بها كلمةً أغنية ، لتُشارك في تسبيح الله ، وترتيل المحبة ، وتمجيـــــــد الأوطان ، والدعوة الى السّلام ، وتعظيم الام ، والسير في طرق النور ، والإعتراف من ينابيع الطبيعة بساطةً وصفاء . وما الكلمة في هذه الأغنية إلا مجموعة عناصر قطفت من تلـــــك الينابيع التي هي ضوء قمر وحياة زهرة ، وتغريدة عصفور ، وبسمة صباح ، ودمعة يسكبهـــا الفجر ليحيي بها وجدانات الطبيعة ، وما هذه كلها سوى مواضيع الكلمة الأغنية التـــــي تنشدها فيروز للإنسان اليوم .

الطبيعة هي النبع الذي ترد اليه الاغنية الفيروزية فتستقي منه لأيّ نوع مـــن أنواع الظمأ الذي تعانيه :

فالوطن " جبل غيم أزرق وقمر ندى وزنبق " (٣) وسهول تنبت سنابل وغابات زهور وبلابل " (٤) .

---

(١) انجيل يوحنا : ١ : ١ .

(٢) قرآن كريم ، سورة آل عمران ، عدد ٤٤ .

(٣) وطنـــي ، رقم ٢١٧ .

(٤) ما اسمك غنيت ، رقم ١٤٠ .

../.

وان كانت الأم موضوعًا لها فلا بد للطبيعة من أن تشترك في نداء الام " فالغاب والسهول ، والطير والحقول ، جميعها تقول : أمـــي " (١) •

أما الحب فهو صحراء بدون واحات ، ووجود بلا حياة إذا لم يترعرع في الغابة وسط غناء حبيبين من زمن الطفولة ، فتشارك طيور الوادي بترديد هذا الغناء (٢) وموعد الأحبة لا يحلو إن لم يكن بين أحضان الطبيعة في فصل المواسم ، عند بداية صيف وعلى البيادر ، وبين الحقول ، أو في زهوة ربيع عند مجيء الطيور ، وعندما تبدأ هذه الطيور تبني أعشاشها على " شجرة حزينة "(٣) فتغني لها مع الربيع اناشيد البراعم ، وتحكي لها حكايات الزهور ، فتسعد بها وتفرح •

اما رسول الحب فغالباً ما يكون طيراً ينقل السلامات بين الأحبة فيقف "عصفور الجنائن"(٤) على " شباك الدار " ويروي للمعشوق اسرار العاشق ، (٤) اما " حجل صنين " فانه يروي للحبيب قصة العاشق وأحواله وان تأخر الطير الرسول بنقل الاخبار فهناك النسيم الذي يطلب اليه أن يجلب الطيبات من حمى الحبيب ، ومن رباه شذى الياسمين وسحر الجمال • (٥)

وللأشجار دور كبير في نقل دقائق قلوب المحبين واذاعتها ، فالانسان المحب يشعر ، بقدرة حبه العظيم ، أن تلك الشجرة تسامره وتفهم عليه لغة مشاعره ، فهــو لذلك يطمئن إليها ، ويشكو لها ، ويبوح بين أغصانها بأسرار قلبه مكلفا إياها بنقل تلـك الأسرار الى " الحبيب القاسي الذي نسي الليالي المقمرة التي جمعت بين قلوبنا " (٦) فالمشمشة التي تعالت أفنانها فوق مياه الينبوع وتواضعت جذورها حتى كادت تعانـق صدر مياهه ، تكلف هذه المرة ، بكذبة صادقة تنقلها للحبيب :

يا مِشمْشِه اللِّي عَم بِتْلَوِّح   اكذِبيلي عَـا مَحْبُوبــــي
انْ كَان عليكي بْها ليومين   بِتْقُوليلُـــو مَخْطُوبــــي (٧)

---

(١) امي ، رقم : ٢٨٠ •
(٢) مع ليلى ، رقم : ١٩٤ •
(٣) حبيبي قال الطريقي ، رقم : ٥٤
(٤) جايبلي ســلام ، رقم : ٤٥ •
(٥) يا نسيم ، رقم : ٣٤٠ •
(٦) فايق ولا ناسي رقم : ١٥١ •
(٧) مشمشه اللي عم بتلــوح رقم : ١٩٠ •

••/•

وأحيانا يكون العمر شجرة خريفية مجسّدة لذات الإنسان في طور من أطوار مسيرته الدنيوية ، فكما تكون الشجرة عروساً في الربيع مرتدية ثوب زفافها ، مقدّمة أطفالها ثمارا لمجد الإنسان ، ثم يجيء الخريف ليتنزع من جذعها بقية أشلاء ذلك الثوب ... كذا يكون الإنسان الذي يقطف الدهر سنين حياته ، فيلتف بحزنه واقفا على مفترق طرق ، منتظرا فناء الزمان الذي يصله بيوم الديمومة ... تلك هي شجرة الأيام التي تناديها فيـــروز :

يا شَجرة الإيّام غَمَرنا الهَوى   تَرفَرَفنا الورقات وعَرينا سَوى

يا ناطره وَحدك على موج الهَوى   مَتلك أنا شَجَرة على مَفرق طَريق (١)

وللطبيعة نفسها قسط وافر في الكلمة الفيروزية ، فكم من أغنية أطلقتها فيروز نحو القمر مناجية إياه ، معاتبةً طلوعه طوراً ، وداعية لهذا الطلوع طورا آخر .. قريبا منها حينا ، بعيدا عنها في الحين الآخر .

وكما للقمر كذلك للنجوم ، فهي تلعب دورها ايضا في هذا المجال ... وللنجوم الوان مختلفة ، فهناك " النجمة الخضراء " التي تنير بطريقة عجيبة تختلف عن زميلاتها الأخريات " فهي غريبة الاضواء " لا يستطيع رؤيتها إلا أولئك الذين يتمتعون بقدرة خاصة على الرؤية رغم انها تنير السماء ، كل السماء . وهناك النجمة الزرقاء أليفـــة الشاعر في خلوته ، داعية هذا الانسان للارتفاع صوب الأعالي ، للسمو من الأرضيات الى السماويات ، ليحلق بعيدا ، ويكتشف آفاقا جديدة ... إنها في مشارق السّماء تعمل مع القمر لإفناء الظلام من كون الوجود ...

وهناك على الارض ، الزنابق المتشابكة ، الشاهد الثاني ، بعد القمر ، علـــى أحاديث العشاق وسهراتهم وسمرهم ، حيث يجلسون في ظلال أوراقها ، ويأخـذون من أريج عطائها ، فيقطفون من الزمن أحلى ساعات الحياة .. ويداول الكلام ...

وهناك الكروم التي تنزل للانسان صحبة وعناقيد ، والعنب يعصر خمراً وعافيــة ، ويقطر سكّرا لساحة الأفراح (٢) .

اما الارض فهي الام الكبرى للإنسان ، علينا أن نحبّها ونكرمها ونتعلق بها تعلــق الطفل بأمه ، ومن واجبنا نحوها الا نتركها " للذئب ولا للريح " بل يقضي علينـــا الواجب ان نبقى فيها ، وتبقى لنا اليد المعطــاءة التي تبعث فيها كل يوم حياة جديدة

---

(١) سجره على مفرق طريق رقم : ٨٧ .

(٢) راجع اغنية صيّف يا صيــف رقم : ١٠٩ .

../.

تملو بها " على النهم " فتصبح جنة لعصافير الارض :

بيذبل فيها النهـــــــــن ... هون حلو وابـــــــــد
يتمو من جديد في تحتي الخذرا عـــــا مـــد الغصن (١)

وكأن هذه الأغنية بعث جديد لدعوة حبيب بن أوس الطائي حين قال :

اذا نزلوا بمحل روضــــوه ... بآثـــار كآثـــار الغيـــوم (٢)

ومهما كان نوع هذه الأرض الأم التي يهمنا على خيراتها ، وما فتئت تمطينا من قلبها نوراً وحياة ، فلابد من بقائها لنا ، وبقائنا لها ، لا ننساها ، فبين تراباتها ربيـــت طفولتنا (٣) .

وهناك إلى جانب هذا كله ، الكلمة الإيمانية التي تنطلق صوب الأعالي ، إلـــى الله تعالى ، صاعدة من قلب مفعم بالإيمان ، ضارعة إليه ، طالبة منه ألا يتركنا :

ياساكن العالي طل من العالي ... هيك علينا علـى أراضيهـــا
رجّـــع إخوتنـا وأهالينا (٤)

وساكن العالي " هو نبع الينابيع وسيد العطايا " (٥) الذي تنظر إليه "الحورة الوحيدة" وتشرب من نبعه اليمامة التي ترفع رأسها شاكرة عظيم عطائه .. وأخيـرا الكلمة الروحية التي أرادت أن يكون قلب المؤمن مطلقا لها ، أطلقتها فيروز مطلقـــة قناعة لا محدودة ورضاء عن كل ما تملك ، وما تملكه حبيب وضوء قمر . اما الصنـــف الاخر من الناس فالقتال بينهم على أبسط الاشياء وأصغرها على " حجار الارض " وما دروا أنهم سيصبحون تراباً تحت هذه الحجارة .

هذه هي الكلمة الفيروزية وهذه ينابيعها التي منها كانت كلمتها ، فهلم معـي حتى نرد تلك الينابيـــع ...

---

(١) لوين رايحين رقم : ١٨٠ .
(٢) لاحظ الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام، الدكتور اسعد علي ، ص: ١٢٨
(٣) خدني على تلالتهـــا رقم : ٦٠
(٤) يا ساكن العالي رقم : ٢٤٣
(٥) نبع الينابيع رقم ٢٠٣ .

../..

الفصـــــل الثانــــــي

الطبيعـــــة فـــي أُغنيات فيـــروز

مدخـــــــــــل

لاحظنا في الفصل السابق أنّ الطبيعة هي النبع الذي ترد إليه الأغنية الفيروزية بكلماتها، كما نلاحظ هنا أنّ الطبيعة هي المصب الذي يصبو إليه الصوت الفيـــــروزيّ حامل الكلمة وفيه يصب.

و الطبيعة التي تحاورها الأغنية الفيروزيّة، كلمة وصوتا، طبيعةٌ شاملة تأخذ منهـــــا وتعطيها . فهي طبيعة تحضنّ السماءَ والأرض، وتُعاشق من السّماء ضوءَها المتجلي فـــي الليل قمرا ونجوما وفي النهار صباحاً وشمساً، وتعاشق من الأرض كفاح الإنسان بقنديله ضد الليل، وبوطنه ضد الغربة والحاجة . أرض الوطن سماءٌ أُخرى لها أُضواؤ هـــــا المتجلّية في لبنان والوطن العربي .

لذلك جعلتُ هذا الفصل في مبحثين، الأول : للكلمة الضوئيّة . والثانـــي : للوطنيّات الفيروزيّة في لبنان والوطن العربي .

المبحث الأول

الكلمة الضوئية في الأغنية الفيروزية

الكلمة الضوئية نزعة كبرى من النزعات الإنسانية التي نشرتها فيروز ، فاخترقت محاريبها مخابئ النفوس المظلمة • انطلقت كلمة أغنية ، صعدت على الأرض مع القناديل التي تمسح الظلمة عن صفحة النفوس النائحة ، ومتهوية في السماء مع الشمس والقمر والنجوم ، ثم مع إطلالة الصباح معيد الأمل لقلوب اليائسين •

وقد قسمت هذا المبحث الى أربعة اجزاء :

١ ـ الشمس والصباح
٢ ـ القمــــــر
٣ ـ النجـــــوم
٤ ـ القنديــــل •

١ ـ أغنيـــات للشمـــس (١)

أحببت البدء بالشمس لأنها الأشمل ، فماذا قالت الأغنية الفيروزية لها وكيف ناجتها ؟ وما هي الدعوة المثالية التي تكمن خلف تلك الأغنية ، وهذه المناجاة ؟

كل شيء في الطبيعة ناطق في النزعة الفيروزية : فكما ان الشجرة رسول سلام بين الأحبة والنسيم همسة وصل بينهم ، كذلك هي الشمس التي لا تمل من زيارة الدور والسطوح في كل صباح كأنها تتجدد بهذا الاقتراب ، فتلاعب الأطفال بضوئها النافذ خلال الطوق والنوافـــذ :

يا شَمس العَلى سَطح الدّار صبحيّة بتَميل مِشْوار
نحنا وضوّك ياما لِعبنا يَوم الكِتا ولا دِزْغار (٢)

لان الأطفال يحبون اللعب مع النور لأنهم نور • وهذا الشعاع الصباحيّ الدائم

(١) قال العرب : انها لما أن كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية، سميت بذلك لأن الواسطة التي في المخنقة تسمى شمسة• وقد جعلوا لها أسماء منها : ذكاء ، والجارية ، والجونة ، والغزالة ، وحناذ ، والمُوحّية • انظر ذلك في نهاية الأرب للنويري ج ١٠ ص: ٣٦ و ٤٨ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب •

(٢) شمس الدار رقم : ١٠١ •

تبشير للانسان بولادة يوم جديد ، ودعوة له للعمل من أجل الحياة ... من أجل هذا الطفل كي لا يموت فارغاً دون ان تملأه إرادة العزم ، وقدرة البصيرة . هو تنبيه لأولئك البشر الذين عكبت على قدراتهم حشرات الظلام ، لتحجب عنهم نور الحياة ، فألفوا الذل واعتادوه ، وأصبح نور الشمس بلاء لأبصارهم ، فصاروا أشلاء تراقصُ عليها أشباح الخمول ، وتلاعبُ بها زفرات الشرور .. أولئك هم النيّام ، وأعراس الحياة تنطلق من حولهم ، وتمر عليهم كأنها تدور على اللاشيء .. فيبقون هكذا رموساً متحركة يسكنها الفناء ، رغم تنبيه الشموس لهم ، والعصافير الواقفة على نوافذهم منشدة لقد بدأ النهار فاستيقظوا :

قُوْما جاري يا أغلى جَـــــار | يا نايـــم والفَـرح دار
عا شُبّاكك فـي عَصْفـــــور | وشمس تقلّك صار نهار (١)

لقد عاتب زارا نفسه حين نام لحظة اعتبرها زمانا طويلا " لقد نمت مدة تبلغ نصف الأبد يا هذا فانهض ايها القلب الشيخ فلقد تحتاج إلى زمن طويل لتعود إلى انتباهك بعد هذه الرقدة " (٢) فماذا نقول ، بعد ذلك ، للذين يقضون عمرهم نياما ؟

ومن الناس من هم تقين لهذا الصنف ، فيسبقون الشمس بشروقهم ، ليفتحوا لها أبوابهم وقلوبهم ، فتنير سرائرهم ، وتجلس في نفوسهم ، لأنهم أصدقاء النور يستقبلونه بفرح وغبطة ، كل واحد من هؤلاء يقول للشمس :

كِلْ يوم بشرّع هــا البَـــاب | تاتفوتـي تْزوريتَـــــــا
و بقلّك مِتـل الأصحَــــاب | ارْتاحي عــاكْراسيهــــــا (٣)

كذا إن لِصَمتِ الشُّموس معاني تنطق بألف لغة ، والذين يدركون معاني هذا الصمت ، هم وحدهم يستطيعون غرس خُلودهم في جوهر الحياة ...

إن الشمس ليست داعية لنهوض لذات هذا الانسان فحسب ، بل انها عنصر فعّال في نهضة هذه الأرض ، وداعية لاستفاقة خيراتها من الباطن أيضا .. شُعاعها يخترق التراب ويغرس نقطة من نوره ، الى جنب كل حبة مزروعة ، فتشرق الأرض على الإنسان خيراً ومعرفة ، وتتحرك الدنيا بإرادة العارف ، دائسةً على فُلول النعاس ، متحررة من قيود الظلام ، ناثرة عطاياتها على جبهة النُّـــور :

عَمْ بتنــوّي الشّمـــــس | هالأرض المـــزروعـــه
عـم بتنـوي الشّمــــس | والدِّنيــي عَمْ توعــا (٤)

---

(١) شمس الدار رقم : ١٠١ .

(٢) هكذا تكلم زرادشت ، فريدريك نيتشه ، ص : ٣٠٧ ، ترجمة فيلكس فارس ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت .

(٣) شمس الدار ، رقم : ١٠١ — (٤) عَمْ بتنوّي الشّمس ، رقم : ١٣٩ .

../..

ولا تنسى الشمس الحبوب التي تعهدتها وأينعتها ، أن تنضجها فتأتي أيام الحصاد و " غمار القمح الذّرِيّة " أغنية تنمو على ألحانها حياة الإنسان الذي يعلن عشقه لهذه الأرض السخيّة مزروعة بأيد نمت في النور فقوي ساعدها واستطاعت أن تقاوم الريح وتملأ الأرض حيـــاة نقيّـــــة :

وشو بحبّك يا أرض السّخيّــه　　يا زرع الأيديّن القويّـــه

يا مْلاح دَوالــــــــي　　يــا رمّـــان العالي (١)

وكأن فيروز أدركت حكمة الشّجرة بانحناءتها أمام العاصفة فأوصت أصحاب الأيـــدي القوية بملاقات الريح برقصة حُلوة ، وغنوة رائعة بعد أن يحركوا معاولهم ، أداة الزرع عندهم بوجه الريــــح :

شيلو مْعاولكُم هزّوها بْوجّه الرّيح　　لاقُو الرّيح بْرقْصة حلوي وغنّو مليح (١)

تلك هي الحياة نورٌ وعطاء وبناء فهل لأبناء الظلمة قدرةٌ على ممارسة الحياة ؟

القوة المحولة في شعاع الشمس ، والقدرة الحركيّة في أبناء النور ومحبتهم المتنامي للتغيير البنّاء جعلت من الأرض جنة خير وبركة ... يرفلون بنعيمها ، وينعمون بمواسمها .. ولكن المسيرة لم تتوقف هنا .. فإنسان النور ليس لطموحه حدود ولا لبصيرته قرار يتطلع دائماً نحو الأبعاد السحيقة محطماً القيود متجهاً نحو الابداع .. " سرحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ، ثم مدوا بها الى آفاق البحر البعيد ، فليس أجمل ممّن فاض رزقه من أن يتطلع إلى الأبعاد " (٢) لكم كان يفرح نيتشه وزرادشته لو سمع اليوم فيروز تُعلن هذا المبدأ في كلمتها " عم بتْضوي الشمس " وما تكاد هذه الأرض تنشى بخيراتها ، فتسعد بها الأبصار ، حتى تسرح أبصارها الى ما وراء الشمس منشدة ذلـــك فتقـــول :

أنا عصفورة الشمــــس　　أنا زهـرة الحريّـــــة

أنا وردة المسافـــه　　مْرَبّـــى الحفافـــي (٣)

هذا هو الإنسان النور لا شيء يرضي طموحه .. يريد أن يكون طيرا للشمس حتى يكون باستطاعته التحليق فوق الشمس ليكتنز النور من شعاعات اسمى واقدر على التغيير والإبـــــداع ...

تلك هي حرية الشعاع ينتقل ما بين السماوات والأرض مفنيا أشباح العتمة من زوايا الوجود .. هذه الحرية يطمح إلى امتلاكها إنسان النور ليكون فعله في كل مكـــان : على الدارقات المتعالية ، وفوق المياه وعلى سدودها ليأسر الحياة ويوزعها على الأرض

(١) عم بتْضوي الشمس ، رقم : ١٣٩ .
(٢) هكذا تكلم زرادشت ، ص : ١١١ .
(٣) أنا عصفورة الشمس ، رقم : ١١ .

../.

الهباب ... ولا عجب في ذلك طالما انه ربي على حدود النهايات الخالدة والمشرفة على كل النهايات ... فكأن ولادته في تلك الأمكنة خولته الأمساك بعنق الزمن فصار الأنسان المنقذ الذي أخذ على عاتقه مسؤولية الأرتفاع الى ما فوق الذرى :

أنا عصفورة الشمس	أنا زهرة الحريّة
مكتوبي عَ سد راج	ومكتوبي عَجَسُورة العَتِّق (١)

ولكن هل يرتفع الأنسان قبل ان يغتسل بماء المحبة كيانه وينير بشعلته ذاته ؟

إن محرك السمو للأبداع هو " المحبّة " ، بنورها يسود الخير ، ويعم الصلاح .. و " للحب وحده أن يتولى القضاء ، فالحب يبدع ويجحد نفسه في ما يبدع " (٢) كما يقول نيتشه . وعلى المتطلعين للأعالي أن ينيروا قنديل هذا الحب قبل ضياع النور ، واختلاط الأمور ، قبل فناء الخير في اللجج العميقة ، وانجماد النسغ في العروق الناضرة .. فيتسع اليباس وتسودّ الرؤيا :

ضوّو قنديل المحبّه	على بيوت الناس
قبل ما يتهدد السور	ويوسع اليباس (٢)

فلينهض أولئك الذين خطفوم النعاس متحررين من قيوده ، مكسرين ابوابه ، محطمين جدرانه عاملين على تهديمه حتى يشع النور ويغمر الدنيا ، فتفرح السماء ويحلق الأنسان مستبشرا هاتفا بانتصاره :

واللّي عالبواب يطلعو من النوم	يكسرو البواب ويتهدل النوم
يطلع الضو عالسهول الكبير	وطارت السما عجناح العصافير
اتركوني كلّيني طير (٣)

ذلك هو قنديل المحبة الثائر على العداء ومرشد الأمم الى طريق الخلاص .. فهل له متسع في قلوبنا ؟

أما الصباح في البلدة الفيروزيّة ، فغني ، والضوء فوق أرضها حرير ... وهو عند أهل ضيعتها ، هذا العالم الأنساني الفريد ، أهزوجة كنار ، وترتيلة بلبل ، وصلاةحسون ، وترنيمة أبي الحن تدغدغ أحضان الدوالي وعناقيد الجمال .. فيغرق في كوكبة الألحان ، ويكبر بين انفلاتات الأنغام :

الصُبح في بلدتنا وثير	والضوء فوق أرضنا حرير
وعند نا الصباح	يغرق بالصداح (٤)

---

(١) انا عصفورة الشمس ، رقم : ١١
(٢) هكذا تكلم زرادشت ، ص : ٢٧٨
(٣) انا عصفورة الشمس . — (٤) الصبح في بلدتنا ، رقم : ٢٧٢

../.

كل شيء نقي في صباح النصيحة الفيروزية حتى اناسها الذين غمر الرجاء قلوبهم وعلوا بموحياته فصفا بوهم وغرّد ، وصفت منه الشطآن التي اعترفت لها لوهة الشراع بكل خطاياها ، فحفظت لها السر لأنه مقدس ...

الصُّبحُ في بلدتِنا رجاء وشاطئٌ يغسلُه الصَّفاء
ولوهةُ الشِّراعِ أسرارُه تُذاع في ساعةٍ يكتبُها الرحيل والوداعْ

مع هذه الأجواء الصباحية المتفرّدة تنطلق فيروز لتغني لحنها نشيداً من نور مع الضوء المترافق على أفنان الخلود ، والضوع الذي يدثر بجناته حوريات النسيم ، ويغمر بجنانه قلوب المحبين ، وتعلي من صوتها أملاً بصحوة حب تلف الوجود " فيطرب لها الفجر " حاملا صلاتها ، على أجنحة نوره ، مرتفعاً بها نحو السماء ..

أُغني مع الضَّـوء لحني وضوع الشذى والتَّمنِّي
على أملٍ في القلوبِ على لفتةٍ من حبيبي
يطيرُ لَها الفجرُ

٢ ــ القمر (١)

القمر في الأغنية الفيروزية مجموعة أحاسيس تخلق الكلمة ، وليس مجموعة كلمات تحاول خلق الأحاسيس .

وقصة الأغنية الفيروزية مع القمر يعود تاريخها إلى عهد الطفولة ، فزرع هذا القمر في النفس البريئة ضياء ظل ينمو حتى تولدت منه كلمة ، راقصتها الأوتار ، وباحت بها الحناجر طويلا :

يا قمر أنا ويّاك صحبه مِنْ زغرنا حَبّينا قمرنا وعِشْنا أنا ويّاك (٢)

ليس أحلى من أن يناجي الانسان صغره فيذكر تلك الطهارة التي كانت تغزل من النور ثوبا ، ومن النجوم لمعاً ، وتلوّن مع القمر ، كل بقعة من السماء بلون ، ثم يمدد يوما ليحمل من هذه الذكريات أغنية تحصد من الناس هموم الحياة .. فهل عرف هذا القمر من روابينا التي ولدت مع الزمان بأنها من عمره مع مجموعة أخرى من الجمالات ؟ لقد فاجأته مع الأزهار يلاعبها مجرداً من كل شيء سوى نوره ... وقد ألبسته الطفولة من " غزلها " براءة وشفافية ، والعذارى حكن له الأناشيد من طفرة البسمات ، والسماء صورة جمال أخرى له وهو يستيقظ على عدلة ناي يلمسها الضوء وقبلتها النسم ، والروابي

---

(١) قالت العرب في القمر انه مأخوذ من القمرة ، وهي البياض ، والأقمر الأبيض . وله اسماء تعلقت بها العرب منها : الباهر ، والبدر ، والدلوس ، والغاسق ، والوباص . انظر ما جاء عن القمر في نهاية الأرب ج ١ ص : ٥٠ وما بعدها .

(٢) يا قمر أنا ويّاك ، رقم : ٢٤٩ .

../.

انتشت وترامت خلف حدود إمكانات البصر . يا ترى العمر قمر ؟ (١) فيا ليت النـــاس يدركون بأن العمر هكذا فيتجردون من كل شيء إلا من المحبة والطّهارة ، لأنه حلـــم يجوب أسرار الخيال ، ويملأ الوجود الشعوري المرهف بعظمة الحب وقدرته الخلّاقة ، انه جليس الليالي ، وأنيس الظلمات يعزف لها أغنية من نور فترقد حالمة فوق قمم الـــولادة ، إنه الكوكب الذي عشق الجمال الانساني فعصر وجوده نورا يسكبه على طرقاته حتى لا يشوه الظلام روعتـــه :

يا قمري الهاوي جمالي   يا قمري إلفَ اللّيالـي   يا حلماً ملءُ خيالي (٢)

إنه حلم لا تمسه الأيدي ولا الإرادة ، بل يمسُّ هو بها فيدغدغها ، كبسمـة طفلٍ نائم أشاعتها له وجدانات الأمومة على جَنبات السرير ، فتغيب الإرادة في عالـــم الجمال وتغرق في ألوان النور ، إنها صورةٌ للقمر قُطفت من الواقع ، ولكنها ارتقت من قمر جامد لا يشعر الى كيان من نور يحدث الليالي ويعشق الجمال . والقمر بسحر نوره وروعته هيبته يثير في الانسان الفيروزي قدرات صافية كضوئه ، إنه يملأ الناس حبًّا ورجاء ، يصفي النفس ويلفها بتأملات كلها امل وتفاؤل :

قمـــر السماء   يملؤني بالحُب والرجاء   يُغرقني بالنّور والضياء
يلفّني بالرغد والصفـــاء (٢)

إنه خيمة نور بُسطت فوق أشجار الأرض وامتدَّ ضوؤها ، بروحيّة الطفولة ، يُلاعب الأزهار ، فتطرب بلحن اللمسات يراقص ثغورها ، فيشترك القلب الانساني بهذا المعنى من معاني الوجود فاذا انه يستحم بمرجٍ رُصدت فيه الأنوار :

يا قمر السماء وأنتَ بين الزّهور   كم تملأ فؤادي بمرجٍ مَسْحور (٣)

فإن كانت هذه دنيا القمر ، طهارة روح ، ونور يخترق النفوس ليزرعها بالمحبـــة ، وصفاء يشيع الاطمئنان في كل البقاع ، فلا عجب ان كان نداؤنا له مستمراً ليملأ وجودنـــا بكنوزه ، ودعوتنا لكل ما في الطبيعة ان يشاركنا النداء ، فتومىء له الأشجار بقاماتهـــا المتمايلة ، وتشترك الأرض بهذه الدعوة ، فيطل القمر باسطاً في سمائه ، لتضحك لـــه الدنيا وتطـــرب :

يا قَمر يا قَمر ضوّي عالشَّجر   يا شَجر بالسّهر لَوّح لوح لِلقَمر (٤)

ولكن ما الذي يُحيّر الإنسان فجأةً فيتحول من داعٍ للنعمة إلى داعٍ عليها ؟ يطالب بالنور ، وعند شيوعه يديله ويحاكمه ؟

---

(١) القمر رقم : ٣٦٢
(٢) قمر السماء ، رقم : ٣١٥
(٣) قمر السماء . — (٤) الشو تطلع يا قمر ، رقم ١٧٨ .

من هنا ينشأ صراع بين القمر وفيروز في أغانيها له .. يبدو متناقضا في ظاهره فما هو هذا الصراع ؟

إن للقمر تأثيراً عظيما في النفوس الشفافة الشاعرة ، تعشقه هذه النفوس وتعيش معه عيشة الوالد الذي يحنق تارةً على ولده وتاوراً يأخذه بين ذراعيه معانقا مقبلا ، يعاتبه ويحبسه قماصا له على بعض أفعاله حينا ، ثم يطلقه ويبتسم له لأجل هذه الأفعال حينا آخر .. وتلك هي قصة فيروز مع القمر ، تغني له رفضها للسهر معه (١) ثم تعود لتغني نشيد حبها ورغبتها في هذا السهر اثناء الليل لينير لها وللحبيب طرق الظلام (٢) . وهناك ما هو أبعد من هذا حين تعتبر فيروز ان القمر جار لها يقيم في بيت لبناني خلف التلال (٣) ثم تعلنُ بعد ذلك انه بعيد في السماء العالية لا يدرك إلّا بعد عناء ومشقة (٤) .

فهل تَعتبر هذا تناقضاً جوهريا تُدان عليه الأُغنية الفيروزية ؟ أم نعتبره تناقضا شكليا جوهره التوافق ومنطلقه التواؤم والانسجام وفقا لمقتضى موقف كل اغنية والظروف المحيطة بها ؟ فلنلجأ الى الأغنية ذاتها ، ولننصت لكلماتها فهي الحكم الوحيد لدينا بهذه القضية .

إن العشاق في الأغنية الفيروزية هم عشاق الحب الذين نذروا حياتهم لغرس نور التسامح في قلوب الحاقدين ، لأجل هذا تسأل الكلمة الفيروزية القمر عن سبب اشراقه طالما ان كل الناس يتسابقون نحو منازل المحبة،فعمَّ نور المعرفة عقولهم ، واشرقت شمس الإيمان في قلوبهم ، وصار أي إنسان قمراً لأي إنسان آخر ، يزرع لياليه ضياء ويملأ اياه محبة وأملاً ، وهذه هي رسالتك أيها القمر وقد أدّيتها فلماذا تُشرق ؟

يا قَمر يا قَمر لَشو تِطْلع يا قَمر ... لَولا بتِقعُد تِتسمَّع مِنْ خَلفِ الوَراق
مِن أحسنْ ما تقُوم تِطلع ... وتِفضَح العُشّاق
وتِضوّي وتكشُف صُوَرْ ... وتبكي وتشيح النَّهر
أحلَى تِنزلك قَمَر زْغير ... لَشو تِطلع يا قَمَر (٥)

ونجد أن هذا الخط الحُبّي الخلّاق يتجلى بأكثر من أُغنية ، ففي " طلع القَمر "

---

(١) غيب يا قمر ، رقم : ١٤٨ .
(٢) القمر بيضوي عالناس ، رقم : ٧ .
(٣) نحنا والقمر جيران ، رقم : ٢٠٥ .
(٤) حبيبي بدّو القمر ، رقم : ٥٢
(٥) لَشو تطلع يا قَمر ، رقم : ١٧٨ .

../.

تلمعُ تناوباً بينه وبين المحبّة ، حين يشرقُ تكون هي نائمة في أضرحة الفناء ، وحين تشرق يكون هو مستريحاً في ضمير النور يرقب غيبوبتها من القلوب حتى يخلو ، لأنه لا يجوز ان يكون هناك وجودٌ بدون محبّة :

طِلِع القمرغِــــي حَبيبنـي	غـابِ القَمـــرِ وِعِــي حَبيبــي
وِحلِيتْ لَيالـــي السَّهــر	يالّلا يِنِهــــب القَمـــــــر (١)

يا ربّ دع هذا القمر يَنهب ، لقد وُلد حبٌّ جديد في نفوس البشر ، وكم هو رائع ان تسير الانسانية في طريق المحبة دون ضغوطٍ منْ دوافعَ خارجةٍ عن ذات الانسان بل يكون هذا الدافع نابعا من هذه الذات نفسها فيحلو الإنسان بالحياة لأنها محبّة :

يِحْنـــا قَصدْنـــا الهَوى	والْكَهَنْتـــا عَدْ مَسْوعَـــو
شِقِيها وِشْوِرَتـا سَــوى	وِراح وِتذكرنـــا رِجَّـوعو(١)

تلك هي قصة إنسان اليوم ، إذا استيقظ جوهره في عقله ، يقرع باب الحب قاصدا تطهير ذاته بقدسيته فيفتح له باكيا منتحبا ••• لقد تركه الناس وألفوا الكراهية واكلوا على موائدها ، فربيت في قلوبهم ، وبقي الحب وحده يبكي مصير الانسانية ••• ويكسى قاصدَه معَه متألما منتظرا عودة الحياة لذلك الحب الذي كان متجسدا بالذات الإنسانية، شريكًا لها في حياتها ، وقد ضاع اليوم ولم يبقَ سوى بعض القصص يتلوها الشيوخ والعجائز لأحفادهم وكأنها قُطعت من عالمٍ موهــــوم :

كِنّا ســـوى بْلتقــــي	وما عَــــاد ســوى بْلتقــي
وضاع الهوى وما بِقيـــي	إلّا القِصَــص والصُّــور (١)

وأخيرا سوفَ ينتصر الحُب مهما صارعه البغض وصرعه ، ويشرق الخير على الدنيـا وتصبح السماء كلها قمراً واحدا ويتحلى غصن المحبة تواضعا لعظمة الانتصار ، ويلبس الاخضرار وجنة الأرض :

غِصن المحبّـــه انحنـــى	واخْضَـــرّ لـون الشَّجَـــرْ (١)

ويتجلى هذا الخلط ايضا في أغنية " غيب يا قمر " (٢) لأن الحب ملأ الارض ، فليدخر القمر ضوءه ليوم تسود فيه الكراهية وتتحكم الشرور :

غيب يا قَمر رُوح نام بالشَّجر	بِحْنا ما بِنْحِبّ السَّهر مَعَك ياقَمر(٢)

لقد ازدانت جوانب الدنيا بعظمة الحب فانصرف الناس عن القمر الى هذه العظمة،

(١) طلع القمـر ، رقم : ١١٦ .
(٢) غيب يا قمـر ، رقم ١٤٨ .

•• / •

ولكن انطلاقاً من مبدأ الحب نفسه ، واستكمالا للمسيرة الانسانية في الأغنية الفيروزيــــة ، تأبى هذه الأغنية أن يسير الانسانُ في ضوء نوع واحد من الحُب ، هو حب الناس لبعضهم، دون أن يكون هناك حب سماوي يرعى هذا الحب الأرضي فينير سبله حتى لا يعثر ، لذلك تعتزل الكلمة الفيروزية مبدأ مثالياً ، لتلتزم ببعد أمثل ، وتنفرد بحب كبير برعاية حب أكبر، ناقضة قول عدم الرضى عن سهرة قمرية ، بالقول الراضي عن هذه السهرة :

بحلا مَتعب السّهــــــر　　وعدّوب الليل السَّفـــــر
إنت وأنا يا حبيبــــي　　ويرافقنـــا ضو القمر(١)

وهكذا يتبين لنا أن لا تناقض جوهري في هذه الأغنية ، لان المنطلق والهدف هو الحب وحده دون سواه ، وان التناقض الظاهري مثله مثل شريطين أحدهما سالب والآخر موجب ، يتعانقان حتى تحدث الشرارة الضوئية ، وهذه هي قصة نُحِبُّ السهر معك يــا قمر ولا نُحبّه ، فتتّحدُ "اللا" في ذاتِ "النعم" ليُشرق نور حب جديد وضوء حياة مستديم ... وان هذا الضوء المحب سوف يبقى للناس يرمي لهم من قلبه نورا ومـــن وجدانه شروقا ، حتى ولو اختلف هؤلاء الناس وتنازعوا فيما بينهم ، واقتتلوا ونفثوا شرورهم، وزرعوا الأرض نفاقا ، عوضا من ان يزرعوها وفاقا ، غير ملتفتين لقمر السماء يسكب عليهم نوره بسلام ومحبة ، منصرفين عنه إلى تسيير حروبهم على الأرض ، التي ما اختلفوا إلاّ علـــى اقتسامها ، وقد جعلها الله لهم جميعا :

القمر بيضوي عا النّـــاس　　والنّاس بيتقاتلـــوا
عَ مزارع الأرض النّـــاس　　عَ حجار بيتقاتلـوا (١)

ولكن .. حينما تتجوهر القناعة في الذات الانسانية ، وينظر الانسان نحو ربـــه بعين الايمان والرضى تتمركز في ذاته ، ساعتئذ ، القدرة على رؤية النور من منابع السماء فيكتفي به ويختزنه كقدرة خلاّقة فاعلة قادرة على الابداع في كل شيء :

بنعســا ما عنّـا حجـر　　لا مزارع ولا شجـــــر
إنت وأنا يا حبيبـــي　　بيكفينا ضو القمــر (١)

هذا القمر الذي يملأ الدنيا ضياء أكبر من شرائع الانسان ودساتيره التي استنها لإرضاء عبيد المال ، الذين استمدوا منه قوتهم ، والـدّوس على كرامة الفقراء الذين ليس لهم مكانة في مجتمع إنسان اليــوم ، ولو عقل هذا الانسان لاستوحى من القمر شرائعه ، وكان مثالا من المثل يسبح الله في وجوداته الرحبة ، كأن يكون للفقير مكانا لائقـــاً

---

(١) القمر بيضوي عالنــاس ، رقم : ٧

../..

بالإنسان في حياتنا ، له ما لغيره من حقوق ، وعليه ما على غيره من واجبات ... فيسيروا سبله كما أنارها له القمر بنفس النوع والكمية التي انار بها سبل الأغنياء :

القمر بيزور الدّكرّقات ويشعشع كل الدّني
بيضوّي بالشّريكات عالفقير وعالغني (١)

فأين لنا القلب الذي يشع بمحبة كهذه ؟ وان وجد فلسوف تخنقه صرعات أولئك الفلاسفة الذين " حاربوا المحبة بفلسفتهم (٢) وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني فريد ريك نيتشه الذي أصبحت فلسفته " لا تدين بسوى القوة ومذهب تحسين النسل " (٣) .

" ويرى القائلون بمذهب التطور والارتقاء ان عامل التقدم الأوحد هو سنة تنازع البقاء وبقاء الأنسب ، أي الحياة للأقوياء والموت للضعفاء ، فقد زعم أشهر هؤلاء وهو هربرت سبنسر ان الذي لا يستطيع ان يعيش لا حق له بالعيش . وترى ان انصار هذا المذهب بدلا من المناداة بتخفيف آلام البشر واقالتهم من عثراتهم واصلاح حالتهم بمداواة أجسامهم ونفوسهم ، يطبقون عليهم النظريات التي تطبق على الحيوان لا على الانسان العاقل " (٤) .

وسيبقى القمر الفيروزي ، رغم هذا كله ، جرما يتخطى فلسفاتهم فيعطي للقوي والغني ما يعطيه للضعيف والفقير فيكون ، على هذا المعنى ، انسانا آنس من الإنسان وأعظم . فالأغنية الفيروزية رسمت كونا من المحبة تعيش في نوره وتنهل من روافده ، كونا لم يجد فيه للعداوة مكان ، يشبه الكون الذي وعدنا به الرب ، فيه يفرش الذئب خدّه وسادة للشاة ، فتركن اليه وتطمئن ، وتلاعب الأفعى طفلاً فيسكن إليها ، وتشربه ، وتعصر له من ذاتها لعاباً فيه إكسير الحياة ... كونا تنطلق منه مبادئ المحبة والسلام الى سائر الأكوان ، فتنهض البلابل مع الصباح تتلو نشيد القناعة والرضى قائلة : نشكرك يا رب لقد منحتنا أرضا شاسعة تتسع لكل ألوان الحياة ، فلماذا ضيقها الانسان عليه ؟ انها الكراهية تنفخ سمومها بين البشر فيضيق الانسان بأخيه الانسان جاعلا نفسه تحت خيمة من العداوة محكمة على منافذها الأغلاق ، فلا يتسرب اليها صوت التسامح المنادي في البرية ، حتى صارت أمنية الأماني ان يلتقي الانسان في طريق عودته عند المساء ، بمجموعة اصحاب محبين يتبادلون البسمات ، هذين بطيبتها اشباح الخوف والملل ، فهنيئا لأولئك الناس ان وجدوا ، لأن بهم تحلو الحياة ...

---

(١) القمر بيضوي عالناس ، رقم : ٧

(٢) حديث العشية بولس سلامه ص: ٨٨ ، الطبعة الثانية ، دار الحضارة .

(٣) المرجع نفسه ، ص : ٨٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص : ٨٩ .

./..

قَالوا البَلابِـــل جَنحيتّـــه هالحقول وَسَاع والذّي يِتّسَاع
يَاَل اللّي تيرجَع عَشيّـــي وَعا كِلّ البْواب بِتلاقى بِصْحَاب
تَعا يا حَبيبـــــي مــع طير القَيــــاب
يِقْعُد هـ هالبَـــاب غَريـب وغَريبـــي (١)

نحن غرباء لأنهم مُحبّون في عالم مُبغض، أو كما قال امرؤ القيس :

أجارتنا إنّا غَريبـان ههنـا وكلّ غريب للغريب نسيـب

أما قصة القمر بصفته (الجار البَعيد) كيف عالجته الأغنية الفيروزية ؟

نِحنا والقَمر جيـــران بيتُـو خَلـف تْلالنـا
بيطْلـع مْـن قْبالنـا بِسْمَـع الألحـان (٢)

هذه هي بداية للجيرة القَمَرية من تلال لبنان التي ولد القَمر بين أحضانها فصار يسمو، وصارت ترتفع حتى تعانق طفل النور الذي أراد أن يكون من لبنان، فصنعت له بيتاً يشرق منه، ويغيب فيه، باسطاً ذاته من فوق حدود الزمان والمكان، مترنماً على ألحان أبناء النور الذين ينشدون امامه " نِحنا والقَمر جيران " هؤلاء الأبناء صاروا من القمر وصار هو منهم يعلم آراءهم وميولهم، ويتبع أفكارهم وتنقلاتهم " نحنا والقمر جيران عارف مواعيدنا " يملأ ذواتهم بالخير والمعرفة، فيتحدثون عن الحب قاصين حكاياته على الناس تحت رعايته وتوجيهه فلا يعثرون :

وَياما سْهِرنا مَعو بْليل الهوى من التَّنهدات وياما على مْطلعو شَرَحْنا الحُب وحكايات (٢)

هذه العيشة الهانئة، السائرة في دروب النور، وهذا التغني بالقمر والغناء له، كل هذا لفت انظار الفئة المقابلة من الناس، اولئك الذين يملكون عوامل الرؤيا، لكنهم لا يستطيعونها، فدب الحسد في قلوبهم، وسعوا للوقيعة، فتزلفوا للحب وطلبوا هذا النور من المبصرين الذين غنت لهم الحياة ...

ولكن هل من السهل إحداث التغيير ؟ خاصة تغيير إنسان من مبغض إلى محب ؟ من عاشق ظلام الى متيم نور ؟ إن هذا لا يحدث إلا بالكد والنَّصَب لتقريب المسافة اولاً بين هذا وذاك فالحب الذي يطلب النور لا بدّ أن يعطى له، ولكن تقديمه ليس كتقديم التفاحة لحواء هيناء

---

(١) القمر بيضوي عالناس، رقم : ٧ .
(٢) نحنا والقمر جيران، رقم : ٢٠٥ .

../.

لأنه مقرون بالإرادة وكل عمل إرادي يستوجب تجربة قاسية ، ومعاناة صعبة :

حبيبي بدّو القمر والقمر بعيد | والسّما عالي ما بقّالا الإيد (١)

هذه مشكلة ضخمة ، ناشئة عن طلب ضخم ، قد يكون خارجا عن طاقة إنسان لا يعمر الحب قلبه •• ولكن لا مفر من البذل ، فالذي يحمل لواء التجديد والتغيير قاصدا الأفضل والأمثل ، لا بدّ له من المقاساة يدفع بسببها من عمره وقتا ، ومن روحه محبة ، خاصة وان الأمر يتعلق بإثارة نفوس متحجرة ، أرادت ان تحب فطلبت فدية ثمينة ، وهانا في سبيل تقديم هذه الفدية ، بدأت بالسهر والعمل من أجل بلوغ الغاية :

وِلي عشر ليالـــي | عالسّطح سهـــراني
وحاسّه بحالـــي | تعّبانه ونعسانه (١)

لقد بدأ الخوف يتسرب إلى نفسي ، الخوف من الغفلة في الوقت الذي تحين فيه الساعة التي يتحقق فيها حلم العطاء ، فينتهزها أعداء الحياة المعتدون فرصة ، لحظة صحوتهم الضيقة ، بعد أيام من النوم ، لتحقيق أهدافهم :

خايفه تنام وينزل القمـــر | ويلاقيني غافيه ويسرقو جارتنا
يلّي مزاعلتنا وتغطّي لحبيبي | ويحبّا حبيبي وانا صير غريبي (١)

أفلا يوجد اليوم اناسا يسعدون على حساب شقاء غيرهم ، يتمتعون بالأطايب النابعة من أيدي المجاهدين على مسرح الحياة ؟

أفلا يعيد التاريخ نفسه فيصبح المحب غريبا في أرض الشرور ؟ كما صلب المسيح لأنه داعية محبة أو كما اضطهد محمد لانه ثورة على المتعنّتين ؟

وتبقى المشكلة قائمة ، ويبقى القمر بعيدا عن أزلام الظلام ، قريبا لأبناء النـــور المتصدين للموت من على شرفة الحياة •• ويبقى جارا لفيروز يسكن وراء تلال من لبنان يطل فوق جباله ، ومحبيه يمضون معه لياليهم الطوال مالئيها بناء ومحبة وعطــاء ••

ونسمع الى جانب هذا ، في اغنية فيروز القمرية صوتا خوفها يتردد بخفة ورضاء حين يعلن هذا الصوت ، انه لا يملك من الدنيا سوى الحب والقمر :

لا وَرد في عنّا ولا ياسمين | لا جنَاين كبيرة وَلا بساتين
عنّا سطيحه والقمر والليل | وسهراتنا الحلوين مع الحلوين (٢)

تماماً كما ارتفع في اغنية " القمر بيضوّي عالناس " حيث اكتفى مع الحبيب بضوء القمر، انه صوت خلقه الجمال ، وبذره في حناجر المؤمنين ليهتف في وعي العالم حين يصبح

---

(١) حبيبي بدو القمر ، رقم : ٥٣ •
(٢) حلوَيا سهرنا ، رقم : ٥٧ •

الجمال عنده قنبلة دمار، يخرب فيها جمال الوجود، أو ذرة للفناء، يصبغ بواسطتها نواميس الطبيعة بالدماء، وما هذه النواميس إلا مناهل جمال علمت أولئك الذين وردوها لغة الأوتار والمسوح التي تسبح فيها الملائكة عظمة الله، فوجدوا معنى للحياة. وفي هذه المناهل يجد الشاعر روحه، والعالم عقله، فيفسر الأول سقوط التفاحة بأنه غضبة أم على ابنة لها انحرفت فطردتها من حضنها، أو أنه عراك بين رياح شريرة أرادت ان تنقض على الأمومة عيشها، فصرعت لها أمامها ولداً عزيزاً. ويفسره الثاني على انه قانون من قوانين الطبيعة التي تكفلت على أساسها مسيرة الكون. ومن هذه المناهل استقت الأغنية الفيروزية كيانها، فكانت الصوت الهاتف الذي يذكر العالم بوجودها، ويدعو الى اعتناقها كمبدأ تنطلق منه مقومات النجاح.

وبعد، فهل نعتبر ان من يملك هذه القدرات فقيرا؟ لا، بل الفقير من يملك "الجنائن الكبيرة" والقصور المتعالية ولا يوجد في نفسه بصيص من نور، والغني الحقيقي الأبدي هو من يملك القدرة على الحب والعيش في النور، لان هؤلاء وحدهم لهم الحياة الخالدة.

هذا من قمر النور السماوي، فماذا عن قمر الحب الأرضي؟

في الأغنية القمرية كون من جمال، تتدفق منه العطاءات لتخلق في الوجود حياة كلها محبة، فيمنح القمر من ذاته نورا لمريديه، ويخلق في ذواتهم جمالا يموج كأحلام الطفولة في ضمير البراءة، فيصبح الواحد منهم قمرا تحبه الناس وتنعقد على جبينه احلام العذارى وأغنياتهم، معاهديه فيها على بقائهم في ذكراه، كلما باحت حنجرة الطبيعة بآية من ابداع، انه "قمر الحلوين" الذي قيل انه السهر في ليالي تشرين حيث يطول الحديث فتغرد الطيور:

يا سهر بتشرين يا ذهب التالي (١) | بتذكر على بالي يا قمر الحلوين

ولكن هذا لا يمنع من ان يكون مغرورا رغم كونه رائعا فيه ضوع الورود يملأ النفس ارتياحا بذكره، والتياعا بفقده، لقد قطفت عناقيد الحب، وجنيت دواهد الصيف، وتقلصت مواسم العشاق، وما رأيناك فيها ايها القمر، ولا من يخبرنا عن المكان الذي قد تكون فيه لتنير قلوب سوانا:

مرق الصيف بمواعيدو | والهوا لملم عناقيدو
ولا عرفنا خبر عنك يا قمر | ولا حدا لوحلنا بإيدو (١)

وعلى الرغم من هذا سوف نبقى أوفياء لمن يحب العطاء حتى ولو كان هذا العطاء

---

(١) بتذكر على بالي، رقم: ٢٥

لشَّهرنا • فالأنداء تجوب ثغور الرياحين ، وتبيت بين أذرع الأشجار ، واهبة لها الحياة ، وأنت ايها الحبيب راشعاً كتلك الأنداء :

يا دي على غُصْنِ شَجر ... يا حِلُو يا حِلُو يا قَمَر

ونحن باقون على عهدنا ولا نريد سواك حتى وان ذهبت دون كلمة وداع ••• ان هذا الحبيب الذي شبه بالقمر ، غالبا ما يزرع الحسرة في قلب " النجمة " التي تهواه فيسافر بعيدا ويطول سفره ، والحبيبة تلاعبها امواج الشك : ماذا جرى له : هل نسي يوما انه انار لنا بوجوده ليالي تشرين الطويلة ؟ نسي يوم كنا نغازل العناقيد سويـــا فتسكر الدوالي من احاديث حبنا ؟

يا ترى نِسي مَخابيه بدَوالينا ... يا ترى نِسِينا قمر ليالينا ؟(١)

لقد رحل وتركني أقطف من سواد الليل عبرات تنطلق ، من شدة الأسى ، دموعاً على هذا الحب كيف يضيع ، حتى خلت أن كل شيء حولي قد تغير معي ابتداء من وردة النافذة التي كانت بالأمس تنمو على بسماتنا وموسيقى حبنا ، وصارت اليوم تغفو على تنهدات ولَّدها الفراق في نفسي ، وصارت " النجمة " المتألقة التي تاهت في احضان الليـل تشكو للتلال غير القمر القاسي :

وردة شُبّاك مَزروعه ... بْتنام عَا تَنهّدات
نِجْمِه عَدَرب الليل مَوجوعه ... بْتقول للتلالات
قَمَر ليالينا يا تَرى نِسينا ؟ (١)

هكذا تتجلى إنسانية الكلمة في الأغنية الفيروزية بحيث تتولى محبة البعيد قبـل القريب ، والصفح قبل الحب ، وأي فضل للإنسان ان أحب الذين يحبونه ؟ انه يقوم حينئذ باقل ما يجب أن يقوم به ، ألا وهو الوفاء ، ولكن طوبى للذين يحبون مبغضيهم ، ويباركون لاعنيهم فأن لهم يكون الفضل ، وبذلك يحققون وصية السيد المسيح الذي اراد أن يكون بنو البشر كذلـــك •••

٢ ــ النجـــــوم (٢)

للنجوم أربع أغنيات فقط في كلمة الضوء الفيروزية ، اثنتان منها الثلاثة تعبير روحي مقدس ، واثنتان تعبير حقيقي عن نجمة في السماء ، يحاورها الإنسان فتدعوه للسمو عبر

---

(١) يا ترى نِسينا ، رقم ٢٢٧ •

(٢) راجع ما قيل عن الكواكب السبعة المتحيرة وأسباب تسميتها في نهاية الأرب ، ج ١ ، ص : ٣٨ وما بعدها وعن الكواكب الثابتة ص: ٦٢ وما بعدها •

••/•

أجواز الفضاء • وسوف أترك الحديث عن النجمة المقدسة لفصل آخر خصصته للتطهير الروحي في هذا البحث ، فأتناول هنا " النجمة الزرقاء " و " غيبي ولا تغيبي " استكمالاً للمسيرة الضوئية وتلاحمهما بمختلف ألوان النور •

من هناك من خيمتي المتلبة رؤوس القمم ، لتكون شاهقة كالنجوم ، تناثرت في حدود السماء نجمةٌ سكرانة في ضمير اللون ، هيمانة عبر هينمات الصفاء ، تحثني على الرحيل من دنياي الى الأعالي حيث تنشد النجوم أناشيد السمو :

ألمحُ في مشارق السماء ... نجمة ليل حلوة زرقاء
تومئُ لي أن أعبر الفضاء (١)

إنها دعوة للإنسان أن ينعتق من أرضيته ومادّيته ، فيسمو في تفكيره وروحه ، ليكوّن لنفسه عالما سعيدا ، يكون السلام اساسا له ومنطلقا •• لكن هل يقبل الانسان بهذه الدعوة ؟ انه يدعو النجوم بدوره ان تزوره في أرضه ، لا بل ان تجعل من هذه الارض سكنا لها وموطنا :

لو مرة عندي تنزلين ... وهنا عندي تسهرين
وبعد لا انسال تهجرين (١)

انها دعوة شاعر لم يلقَ في الأرض سميرا فسامر النجوم ودعاها لخيمته لتمتلئ الارض نورا ، وغدا يسجل التاريخ حكايته عن خلوة شاعر ونجمة •

وفي غدٍ ينسج للخاطر ... أولى حكاية الهوى الساحر
عن خلوة النجمة والشاعر (١)

هي قصة حوار وايناس ، ربطت مشاعر انسان ، بلغت رهافة حسه بعدا قديرا على تقريب الأبعاد ، بنجمة سماء لفّتها الزرقة ، وحوتها الأحاسيس ، قصة إنسان أحب الليل ليستكشف به الأنوار المتألقة بين أحضان السماء ، قصة إنسان خلقت بينه وبين المجرات رابطة قلب ، وأواصر عقل ، نشأت عن إرادة حب ، وعمق تأمل ، فلم يعد ذلك الإنسان المتبرم من الليل ونجومه التي يخالها مسمّرة بأهداب السماء ، كما حدث مع امرئ القيس الذي قال :

فيا لك من ليل كأن نجومه ... بكلِّ مغار الفتل شُدّت بيذبلِ
كأنَّ الثريا عُلّقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صُمِّ جندلِ (٢)•

---

(١) النجمة الزرقاء ، رقم ٢٦٩ •

(٢) المغار الشديد الفتل ، مصام الثريا: مكانها الذي لا تبرح منه كمصام الفرس ، وهو مربطه ، جندل ، صخر • من تاريخ الأدب الجاهلي ، د • علي الجندي ، ج ٢ ص: ١٤٦ ، طبعة أولى ١٩٦٦ ، دار مكتبة الجامعة العربية بيروت •

••/•

ولكنها ليست هكذا في الأغنية الفيروزية ، إنها كالإنسان يحاورها الإنسان ويدعوها للمغيب تارة وللبقاء طوراً ، لأنه يريد حيازة المجد الأعظم ليحلق بجناحين من نور ينضم بينهما ائتلاف المشارق :

غيبي ولا تغيبي يا نجمة كفرغار   يا قمر حبيبي يا زهرة عابات الدار (١)

ففي غياب النجوم اشراقة شمس لنور أعظم ، وما الدعوة لذاك الغياب الا لحيازة هذا الشروق ، ولكن لماذا لا يضحي الغروب من الوجود فتتجاور المشارق من أجل مجد الانسان ؟ إذاً ففي أيتها النجمة فالغياب يجب أن يزول ، اللهم إلا إذا كان غيابا موقتا بقصد التجدد والامتلاء الخير كما أراد الطائي حبيب بن أوس :

وطول مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة   إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد (٢)

انه ليضم الاغتراب في سبيل ولادة جديدة ، وهذا منطوق إنسان الأغنية النوثية في مختلف مراحلها ، وهكذا يتردد هذا السلب والإيجاب في هذا المعنى في حوار الانسان مع النجوم :

غيبي ولا تغيبي   يا جارتنا الغريبي
يا نجمة كفرغار   يا نجمدي يا قريبي (٣)

إنها جارة في جوهرها للملأ كله ، لكنها غريبة عن أولئك الذين لم يتمرسوا على التطلع صوب الأعالي ليمتلئوا نغماً واشراقا ، فتنأى المسافة بينهم وبينها ، وتصبح قريبة لمن يقضون لياليهم معها ليجتلوا الأسرار والمعارف ، متجاوزين الأفراح والأتراح بسلامة واعية ، مكثفين الزمان لمشيئة قادرة :

للتسي واندهيلي   باللّيلة الطويلة
ولمرق عالحسا والدنيا   والساعات الجميلة (٣)

الإنسان في الأغنية الفيروزية هو إنسان الفرح الذي يقطف من ظنون الليالي بسمات يعلقها على شفاه الوجود ، إنه الانسان المحول الذي يصنع من الماحات أفراحا ، ومن الظلمات أسباحا ، فتنقلب الدمعة في محاجر العزالى الى راهبة طفلة ، تغرد على أفنان الذات ، وتبتسم أمام عظمة الله ومحبته •

---

(١) غيبي ولا تغيبي، رقم : ١٤٧ •
(٢) ديوان ابي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده ، المجلد الثاني ، دار المعارف بمصر ص : ٢٣ •
(٣) غيبي ولا تغيبي ، رقم : ١٤٧ •

٤ — القنديـــــل (١)

في ختام هذا البحث يجتمع النور على اختلاف مصادره وألوانه بشكل قنديل ليقيم صراعاً مع الليل ، القنديل يساعده الخير والحق والعدالة ، والليل يسانده الشر والباطل والمظالم ، في مسرحيّة غنائية تحت عنوان الليل والقنديل (٢)، وقد انتقيتها من المسرحيات الأخر لكونها تتحدّث عن الضوء مباشرة ، ولأنها أتت على شكل أغنية صوتية غنّتها فيروز

فما هو الليل والقنديل في هذه المسرحية الموسومة باسمها والتي تحمل فيه فيروز لواء النور لتحارب بواسطته أشباح الظّلام ؟

الناظر الى أبعاد هذه المسرحية ، والمتمعن في فحوى كل نص من نصوصها ، يرى أن الليل رمز للشر والضياع ، تقمص شكل إنسان اتخذ من الهول اسمه ، يحمل التداليل وبث سموم الخطيئة في النفوس الطيبة ، والقنديل رمزٌ للخير والصلاح تقمص شكل إنسانة نُتقي اسمها من جنة الزهور فكان المنثور ، وسُمّيت منثوره ، وقد اختير هذا الاسم بدقة ملحوظة ، وعناية ذكيّة مدروسة ، كما هي الحال في اسم هولو ، رمز الظلام والشر ، وتفسيره بادلق فيه • اما " منثوره " ففيه شيء آخر ولاجل هذا الشيء أحببت الوقوف عنده قليلاً • فالمنثور اسم مفعول ، والواحدة منثورة واسمه الخيري " وقال ابو اسحق ابراهيم بن خَفاجه يذكر كونه لا تظهر رائحتُه إلا ليلاً : (٣)

وخيريَّةٍ بين النَّسيم وبينها ... حديثٌ إذا جَنّ الظّلامُ يطيبُ
يَدِبُّ مع الأمساءِ حتّى كأنّما ... له خلفَ أستارِ الظّلامِ حبيبُ

تبرز هنا نقطتان مهمتان : أولهما أن للمنثور اسمٌ آخر هو الخيري ، وفيه معنى الخير الذي يقفُ بوجه الشر ، وثانيتهما ، ان هذا الزهر الخيّر لا يفوح عَبَقه الا في الليل ، فكأنه يريد أن يجعل في ثنايا الليل قبساً من جَمال ، فيعصر فيه من جماله وجدانا ، ومن أريجه طيبا ، وكأنه يسهر حين يغمض جفن نور الربى ، فهو حارس له ، حريص على هذا الضوء الذي ينبغي ان يتألق ، حتى ولو في عروق الظلام ، كما قال احد الشعـــــراء :

ما أكرمَ الخيريَّ في فعلـــهِ ... يسهَرُ إذا نورُ الرُّبـــا ناعسٌ
كأنما خافَ عليـــه العِـدا ... فهو له في ليلـــه حـــارسٌ

---

(١) انظر ما جاء عن الليل واقسامه في نهاية الأرب ج ١ ص: ١٣٠ وما بعدها وعن القنديل والشمعدان ص: ١٢٤ ، وراجع عن القنديل خاصّة : الشموع والقناديل في الشعر العربي للدكتور عبد الكريم اليافي ص: ٦٦ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ •

(٢) قُدّمت في معرض دمشق الدولي سنة ١٩٦٣ •

(٣) نهاية الأرب ج ١١ ص: ٢٧٢ •

•• / •

ومكذا يكون هذا المتنور في طبعه محباً عاملاً في سبيل نشر لواء الخير والفضيلة في أي مكان وزمان ، ولهذا كانت متنوره ممثلةً للنور ، جاهدة في سبيل زرع المحبة في نفس هولو المظلمة •

وقام صراع بين الاثنين : هولو المتمدلق بآفات الظلام ، والمُتسربل بأشباحه الشريرة ، ومتنورة المُتّزرة بإزار النور ، والمتّشحة بوشاحه الخيّر ، انه صراع بين الخير والشر ، فمن سيكون المنتصر ؟ هذي قضية كانت ، وهي قائمة ومستمرة ، على اختلاف اتجاهاتها في كل عصر ، إلى أن تحين الساعة ، وتنبلج من ضمير السماء حياة جديدة ليس فيها ظلم ولا ظلام ، ولا إثم ولا آلام •

ومن الذين قالوا بوجود هذا النّزاع ، منذ العصور القديمة زرادشت الذي يرى " ان للعالم قوانين ثابتة طبيعيّة يسير عليها وان هناك تضاداً ونزاعاً مستمراً بين الخير والشر أو بين النّور والظلمة ، ومجهوده ، في هذا الاتجاه هو توحيده لمجموعة الأرواح الخيّرة وقد سماها " أرمزد " ، أما مجموعة الأرواح الشريرة فقد سماها " أهريمان " ورتّب لإله الخير القدرة على الخلق ، فهو مصدر الموجودات الخيرة وكذلك إله الشر فان له القدرة على خلق الموجودات الشريرة • والحياة في مظاهرها المختلفة تتمثل في نزاع دائم بين المخلوقات ، فالشر يحاول دائماً مهاجمة الخير ، ولكن الخير يدفعه ويتحداه حتى يصرعه • والإنسان مسرح لهذا الصراع ففيه قوة الى الخير واخرى تنزع الى الشر • وهو حر الإرادة وعلى هذا فانه يتمكن على الإرادة ان تختار واحداً من بين هذين الاتجاهين رغم أن الانسان من مخلوقات " أورمزد " إله الخير " • (١)

صحيح ان الانسان من مخلوقات إله الخير ، ولكنه خلقه من روح ومادة التي هي التراب ، وطبيعي أن ينشأ هذا الصراع في جوهر الأنسان وكينونته حيث ان الروح تعمل جاهدة لإقناع هذا التراب أو هذه المادة بالسموّ معها إلى عالمها المثالي ، كما أن المادة تعمل أيضا لجرّ هذه الروح إلى الدرك الذي هو عالمها ، فان انغمس الإنسان بالخطيئة ربحت المادّة ، وان سما انتصرت الروح وحكم على الشر بالفناء •

ثم " يذهب وست وبولتون الى ان الزرادشتيه لا تقوم على ثنائية متميّزة قاطعة بل ان الأصل مبدأ واحد • ولكن هناك صراعا بين هذا المبدأ وبين قوة الشر تريد أن تنقلب عليه • وفي النهاية ستتحطم هذه القوة ويصبح مبدأ الخير أو النّور مبدأ أوحداً • واذن فوجود الشر مؤقت وخلاص الخير منه محتوم • " (٢)

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور محمد علي أبو ريان ، الجزء الأول ، ص : ٧٠ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ •

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، للدكتور محمد علي ابو ريّان ج ١ ص : ٧١ — ٧٢ •
•• / •

" وفي أوائل القرن الثالث الميلادي ولد " ماني " الذي كانت تعاليمه مزيجا من الأفكار الزرادشتية والمسيحية ، وقد تابع رأي زرادشت فيما يختص بالثنائية الفارسية وتكلم عن امتزاج النور بالظلمة ولكنه يختلف عن زرادشت في انه يرى ان هذا العالم عالم شر لامتزاج الخير والشر فيه " • (١) وبعده جاء " مزدك " (٤٨٧م) الذي اعتنق الثنائية وبنى تعاليمه على الأساس التالي : رأى إن الناس يصطرعون من اجل خمسة اشياء : الغيرة ، والغضب ، والثأر ، والفقر ، والشهوة ، وهو يرى أن هذه مصدر الشرور في العالم ، فأذا أردنا تحقيق السعادة لبني البشر فأنه يتعين القضاء على كل ما من شأنه استحضار هذه الأشياء الخمس التي هي مصدر الشرور جميعا ولن يكون ذلك إلاّ بإقرار شيوعيّة المال والنساء " • (٢)

ولكن الصراع في الليل والقنديل بين النور والظلمة ، او الخير والشر ، له طابع آخر ينطلق من شمول في المثالية أعم ، متولدة من نزعة إنسانية مُتْطلة ، هدفها استمرارية السمو ، وايطانها عظمة التسامح وايناع المحبة • فأن كان الخير في المعتقد الزاردشتي " يدفع الشر ويتحدّاه حتى يصرعه " فأنه في العمل الفيروزي لا يدفعه بل يحتويه ، ولا يصرعه بل يبقيه ، ليحوّله خيراً ، وليصيّره نورا • وان كان هذا العالم في رأي المانوية " عالم شرّ لامتزاج الخير والشر فيه " فأنه في العمل الفيروزي عالم خير في أصله وجوهره ، وما مَثَلُ الشرّ فيه الا كمثل غمامة كالحة في سماء الربيع ، جاءت ، لا لتمطر بل لتحجب عن الأبصار روعة الرؤيا في السماء وعلى الأرض ، ولكن لا بد ان تمخرها شعاعات الشمس وتحجبها إرادة الطبيعة • وان كانت الشريعة المزدكيّة ترى ان تحقيق السعادة لبني البشر لا يتم الا " باقرار شيوعيّة المال والنساء " فأن المنهج الفيروزي هو سعادة بذاته ، سعادة قائمة على المحبة المثالية المنطلقة من روحيّة مؤمنة • وهذا دليل على كل جزء من هذه الاجزاء الثلاثة :

١ — إن هولو ، الرابض على مفترق الطرق ، الفارس قصّة الرعب في المنحنيات والأودية ، يهرب أمام أضواء القناديل التي تلاحقه ، ويحيق به الخطر من كل جانب ، وهو يفتش عن مكان يختبىء فيه ، وتشاء إرادة القدر ألاّ يكون هذا المكان الا خيمة منتورة " بائعة القناديل فيسرع نحوها بغير وعي ويهم بالدخول فتعترضه منتوره : "

منتـــــوره : لَوَيْـــــن لَوَيْـــن

هولو : خَبّيني بدّي إتْخَبّى

(١) المرجع السابق ، ص : ٧٢ •

(٢) المرجع نفسه ، ص : ٧٤ •

../.

متوره : ومَيْلك إتسمت
هولو : واحِد بدّو يتخبّى ، صارو خلفي سكاكين وايدين وشر
متوره : خلّيه فوق تخبّى (١)

ويحتضن معبد النور رائداً من روّاد الظلام الذي اعتبر قتله شراً وجريمة ، ثم يذهب بعد أن يعد متوره بأنه سوف يحفظ اسمها بقلبه ، ويجعل صوتها أنيسا لوحشة عمره .

وقد يعترض قائل إنما خبأته لأنها ما علمت انه هولو المظلم ، كما هو واضح من النص ، ولو عرفته لاختلف الأمر ، ولكن الواقع غير هذا تماماً ، كما يعرف من متوره التي روت للحارس حقيقة الوضع : " بالأوّل ما عرفتو والخوف نسيني ، ومن بعد ما عرفتو شفقت كتير عليه " (٢) .

هكذا قلب الخير أبداً يأوي الشر ليمسحه بمسحته مستقطرا عليه من قلبه حنانا ورأفة . هذا الحمل حرك في أعماق هولو شيئاً طالت رقدته زمنا ، مما جعله يعيش في حيرة وتساؤل مستمرين دفعاه للعودة إلى متوره ليسألها السؤال الذي شغله :

ليش وقتا هيك   مِتّهن خبيتيني

متوره : بِخفت يوما عليك
هولو : وما بتعرفيني

ويقول بيمكن بس عرفتيني   ندمت كتير بحيث خبيتيني

متوره : ندمت لأ فرحت   وزعلت لما رحت
وقلت بيتغيّر طريقو بعيد   ويبرد صوب السعد (٣)

في هذا النص تتجلى النزعة الإنسانية وتبدو كأنها بأحلى معانيها ، وانبل جوهر فيها ، لم تندم متوره لأنها أوت الشرير ولكنها فرحت به وكان ندمها على ذهابه وهو على حاله دون أن تحدث في كيانه تغييرا جذريا ، ولا بأس على ذلك ، فإنها بذرت فيه بذور الخير وجعلته يشعر بلذتها ، ولا بد أن تينع هذه البذور فتدفعه الى الطريق المعاكس الى طريق السعد .

وبذلك يتضح أن الحمل الفيروزي يحتوي الشر ولا يدفعه ، يبقيه ولا يصرعه ، ليصلحه محبة وخيراً .

---

(١) مسرحية الليل والقنديل للاخوين رحباني ص : ٢٠ .
(٢) المرجع نفسه ص : ٢٦ .
(٣) المرجع نفسه ص : ٤٨ — ٤٩ .

../.

٢ — إن العالم الفيروزي خير في أصله وجوهره وما الشر إلّا دخيلٌ عليـــه ولسوف يستيقظ هذا الأصل في يوم من الأيام، وينتفض انتفاضة عظيمة ليوزع السلام علـى كل فروعه ، رغم الشرور المكثفة فوقه ، ورغم الظلمات السحيقة التي تكتنفه • وهذا تفاؤل كبير، متولد من عمق تفكير ، وبعد نظر، يناقضه "المذهب التشاؤمي الفلسفي القائل بأن العالم شرٌّ في طبعه وجوهره ، وانه لا يتقدم بل يسير كراً الى الوراء ، وينحط من سيء الى أسوأ • وعلى رأس هذه الطريقة فيلسوفان ألمانيان هما : شوبنهور وهرتمن • اما الأول فيزعم أن الشر يغمر العالم ، فليس في هذه الدنيا من الخير إلّا قبس ضئيـل لا يكاد يكفي الإنسان عونا على تحمل الآلم • أما الثاني فيقول بوجود الخير نسبيا ، ولكن نسبته الى الشر جدُّ ضئيلة فكان من الأفضل للعالم ألّا يوجد " (١)•

وكما ان الحل الفيروزي لا يلتقي مع المتشائمين فانه لا يلتقي مع المتفائليـــن المغالين أيضا من أمثال الفيلسوف الألماني ليبنتـــز (Leibnitz) القائل " إن هذا الكون هو أجمل ما خلق الله من الأكوان المستطاعة ، لانه تعالى منبع كل خير • وكذلك يقول الحلوليون وعلى رأسهم الفيلسوف سبينوزا (Spinoza) وقد زعم الوثنيـــــون القدامى ان : ليس شيء قبيحا في بيت جوبيتر) (٢) فهو اذن وسط بين تطرف المتشائمين ومغالات المتفائلين • وغالبا ما تكون الحقيقة في الوسط وهو المبدأ الذي قال به ارسطو يوم قال :

(La vertu se trouve dans un juste milieu.)

فكيف كان هذا الوسط ؟

لقد اتضح أن المنهج الفيروزي أبعد ما يكون عن التشاؤم ، فهو منهج تفاؤلي غير متطرف لأنه لا يحط هذا القبس الضئيل من الخير الذي حدثنا عنه شوبنهور بـل يضعه اساسا لينطلق منه فيزيل أمامه العثرات ويصقله حتى يعم الكون بأسره ••• وعندما يحاور هولو متنوره يحاول اقناعها بأنه لا يمكن أن يغير طريقه ليعود نحـــو الخير فيقول :

قاعـــد أنـــا قاعِـــدْ ، محبوس بقنيـــه
ما بحب نور الشَّمْـــس ، يوكّل عَلَيّـــي
وْبيني وْبينِك وَيْـــل ، وْحَيْطَـدْ مْعَوْليلْ (٤)

فكيف يمكن والحالة هذه ، ان يلتقي الظلام مع النور في نقطة واحدة دون ان يفنى

---

(١) حديث العشية لبولس سلامه ص: ١٢١ ط،٢ سنة ١٩٦٢ ، دار الحضارة •

(٢) المرجع نفسه ص: ١٣٢ •

(٣) المرجع نفسه ص: ٩٩ •

(٤) مسرحية الليل والقنديل للأخوين رحباني ص: ٤٩ •

•• / •

الواحد منهما في الآخر ؟ " فالحياة كانت نورُ الناس والنّور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه " (١) وهذا تكمُلّ الأصالة والحداثة ولسوف ينتصر النور في النهاية • فتجيب ملتوره منحرفة قولها من حكمقموتُرة وايمان كبير بسلسلة النور ووجوده حتى في أرهب الأشباح المُحْلولكة :

وْبَبنى تِبهَك خَيْـــط بِهَضَــل يِجْمَعْنَــا
يِقلّك تَما مَعْدَنــا وِحِدْ هَــاك الخَيــطْ (٢)

هذا الخيط الذي يجمع بين الانسانيّة بأسرها ، بل بين الأكوان بأصلها ، هو القبس النابل من الخير الذي ظن شوبنهور أنه يكاد لا يكفي الانسان عوناً على تحمل الألم ، ولكنه بالعُرف الفيروزي ،هو الجوهر ، والحق ، والمعرفة ، عليه تبنى الآمال ، وبمقدار توهّجه يرتفع الانسان ، وهو الذي سيكون عونا ، كل العون ، على تحمل الألم ، وسيبرق يوما من أعماق الشر فيهدم به جدار الآلام والدموع وتموت الخطيئة لترتفع بموتها الحيـــاة •

ويبقى الانسان هو القضيّة القائمة ، وله طرء الارادة في أن ينظر او لا ينظر لهذا الخيط الذي يلمع في ذاته من حين لآخـــر •

٣ ــ العالم الفيروزي عالم سعيد بذاته ، فهو يغني عن رسم مختلف الخطط لجلب هذه السعادة كما فعلت المزدكيّة مثلاً ، وسعادته ناشئة عن معرفة حقيقية للخط النوراني الذي يوجد بين أنامة الاجرام كلها •

فهو لا يعرف سوى النفع العميم لكل الناس يريد أن يشرق النور على ظلمات كل البشر ، وحتى على الأمكنة التي لا يُعرف وجودها ، وهذا ما تطلبه الأغنية الفيروزيـــة من القنديل أن يفعله :

وْضَوّي يـا هالقَنديـــل عَبْيُوت كِـلّ النّـاس
عالَيل كِـل النّـاس عَشْطُوح حَلْيَاته دَواليهـا
عَشْيَاع ما بَعْرِف أسامِيهَـا

انها نزعة الانسان الذي اكتشف ذاته فحلّق بها مُستبشرا •••

وتمضي المسرحية في أن يأتي أهالي " الجرد " الملآن بالخيرات وجنائن التفاح المنتشرة على السفوح والقمم والينابيع المنبردة وسط هاتيك العرائس ، وأهالي السهـل

---

(١) انجيل يوحنا ، الفصل الاول ، رقم : ٤ و ٥ •
(٢) الليل والقنديل ، ص: ٤٩ •
(٣) مسرحية الليل والقنديل للأخوين رحباني ، ص: ١ •

•• / •

الطالع بخطار القمح ، والبيادر الشقية القائمة الى جانب المواسم المخضرة الأخرى ، يأتي هؤلاء الناس ليشتروا القناديل من متوره فتبيعها لهم كل على حسب طبيعة تبيعته ، ثم يسألونها عن قصة القنديل الكبير الذي سوف يثير " مَرق ظهر الشهر " احلنك الأماكن وأصعبها مسلكاً ، فتؤكد لهم بأنه سوف يكون قنديلا قادرا على انارة " الجبال الصخرية حتى الشواطئ البحرية " وهنا يذكرونها بهولو الذي لا يرضى بـ " قنديل يضوّي عالمَرق " فتجيبهم بأن الضوء سوف يملأ الدنيا ويتغلب على اعدائه :

بكرا الضَو بيغلب هولـــو وبيخيشـــرات اللّون بيفرَق (١)

ثم تتطور الأحداث ويضطر هولو أن يختبئ في خيمة النور فتتزرع في ذاته خيوطه ، ليعود إليها مرة ثانية راضياً بملء إرادته ويهم بتكسير القنديل بكل قدرته فتصرخ بـه متتـــوره

وَقّف يا هَولو عندك لَفْتِه مكسوره بين القنديل وبينك رقّة منتوره

فيتراجع أمام نغمة الصوت الذي يأسره ويأخذه إلى دنيا لا يعرفها • ويذهب بعدها ليقنع رفيقه في الشر بألا ينزل في القنديل أي ضرر لأنه رسم في خاطره صورة ، صار يطيب له التطلع فيها :

صار هالقنديل لو صوره انخلطت بقلبي هيّ ومنتـــوره
بتريد لي إمحي وجّه منتـــوره ؟ (٢)

و تعمل المحبة عملها في النفوس الشريرة وتحولها الى نفوس خيرة فيأخذ هولو القنديل الذي كان يعمل على محوه ليعلقه على المرتفع الشاهق حيث لا تستطيع طيور الأرض أن تطله ، فيعم النور ، وتعيد الدنيا ، ويفرح اللـــــه •

---

(١) المرجع السابق ، ص: ٨ •
(٢) المرجع نفسه ، ص: ٥٠ •
(٣) المرجع نفسه ، ص: ٥٦ •

•• / •

المبحث الثاني

الوطنيات الفيروزية

١ — مفهوم الوطن

الوطن لغة " المنزل تقيم به ، وهو موطن الانسان ومحله ، وكل مقام قام به الانسان لأمر فهو موطن له . " (١)

هذا عن مفهوم الوطن في اللغة ، فهل كان مفهومه كذلك في الأغنية الفيروزية ، أم انه اتسع اكثر حتى صارت الأرض ، أي أرض ، وطنا لكل إنسان ؟ أم انه انكمش فلم يتجاوز الحدود الضيقة التي رسمها الانسان للتضييق على أخيه الانسان ؟

ان انسانيّة الكلمة في الأغنية الفيروزية ابت أن تكون روسما من الرواسم المصنوعة ، أو قالبا من القوالب المنحوتة ، تدور ضمنه ولا تجرؤ على تجاوزه ، فانعتقت من هذه الرواسم جاعلة المفهوم اللغوي منطلقاً تخطت به كل الحدود والمقاييس ، ألم تقل اللغة ان " كل مقام قام به الانسان لأمر فهو موطن له " ؟ ومن هذا المعنى تولد المفهوم الإنساني الشامل للوطن في الأغنية الفيروزية فصارت اي نقطة على هذه الارض وطنا لأي إنسان عليها أحب ان يكون فيها ، طالما ان الوطن هو تراب الذين أتوا قبلنا كما تقول الأغنية الفيروزية نفسها " يا تراب اللّي سَبَقُونا " (٢) وكما قال لي مؤلف هذه الكلمة منصور الرحباني قبل ان تكون أغنية فيروزية ، " أنا لا أؤمن بالحدود الضيقة للوطن ولكني أؤمن بالأرض وطنا لي ، كما هي وطن لأي انسان "(٣) انها نظرة انسانية محبة لو اخذ بها لكان على الأرض جمهورية واحدة اسمها جمهورية الإنسان ، يحمل كل فرد فيها الإسعاد الفرد الآخر ، فينشأ مجتمع مثالي قائم على المحبة والتسامح والسلام .

ومفهوم الوطن الواسع نلمح له صورة في شعر أبي تمام المؤمن " بالأوطان الفسيحة التي ابتناها لنفسه تغييرا لواقعه وتحقيقا لإنسانه المتجدّد "(٤) فيقول :

خليفة الخضر من يَربع على وطنٍ	في بلدةٍ ، فظهور العيس أوطاني
بالشام أهلي ، وبغداد الهوى ،	وأنا بالرّقمتين ، وبالفسطاط إخواني
وما أظنّ النوى ترضى بما صنعت	حتى تشافه بي أقصى خراسان(٥) .

---

(١) انظر لسان العرب ، واساس البلاغة
(٢) وطني ، رقم : ٢١٧ .
(٣) السبت في ٦ كانون الثاني ١٩٧٣ .
(٤) الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام ، اسعد علي ، ط ، ١ ، ١٩٧٠ ، ص : ٧٧ منشورات دار النعمان ، لبنان . (٥) نفسه : ٧٨ .

../..

" فأبو تمام ولع بالإنسان يتجدّد في وطن يمتد ويتسع ، ولذلك يتقدم من ناحية الى الى أخرى وينتقل من وطن الى آخر .. "(١) ولكن ابا تمام ، رغم تطلعه الكبير نحو الوطن الفسيح ، يعوده الحنين من وقت لآخر ، إلى وطنه الأول ، مع الاحتفاظ بفكرة الوطـــن الواسع كحق إنساني ، تتحقق بعد تطهير النفس الإنسانية من بعض النوازع الدخيلة ، وتعويد ها على ممارسة التطلع نحو المثال الشامل ، والرؤى البعيدة ، فيقول فـــي الحنين للمنزل الاول :

كم من منزلٍ في الأرض يألفه الفتى … وحنينه أبداً لأول منـــزلِ (٢)

هذه العودة للمنزل الأول تتجلى في عدد من الأغنيات الفيروزية بصورة واضحة ، فبعد أن تقول للشام :

لـــي ربيـــعٌ فيـــكِ خبّأته … ملء دنيا قلبـــيَ التعـــبِ (٣)

تعود إلى جبل لبنان فـــي رجعة ختامية لتقول :

وحّد الدنيا غداً جبـــلٌ … لاعبٌ بالريح والحِقَـــبِ (٤)

وفي قصيدة أخرى تقول بعد أن تعدد بعضاً من مآثر الشـــام :

انا حسبي انني من جبـــلٍ … هُو بين الله والأرض كـــلام (٥)

ولا بد من عودة أيضا إلى لبنان في قصيدة للكويت لتنقل لها تحيات الجبـــل الأبيض وأشواقـــه :

من أرض لبنانَ الصديق تحيةً … بيضاءُ كالحسناء خلفَ المئزرِ (٦)

وكذلك هي الحال في قصيدة الأردن حيث تختتم بأرز لبنان عائدة الى ربـــاه عودة فرحة بعد ان طافت في ربوع الأوطان الأخـــرى :

شَيمٌ أقـولُ تَسيـمُ أرزِ هِزّني … وأشـدُّ كالدُّنيا إلى تلك الرُّبـى (٧)

وهكذا التقت الأغنية الفيروزية بالقصيدة الحبيبة (٨) في هذا الموضوع رغم الفارق الزمني الذي يتجاوز الألف سنة وغالباً ما تلتقي الأفكار التي تحمل في طياتها الخيـــر العميم للإنسانية كلها .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٧٦ .
(٢) نفسه صفحة : ٨٣ .
(٣) شام يا ذا السيف رقم : ٢٨٠١
(٤) القصيدة نفسها .
(٥) سائليني رقم : ٣٧٦ .
(٦) ريح الجنوب رقم : ٢٩٤ .
(٧) اردن رقم : ٣٥٦ .
(٨) نسبة الى حبيب بن اوس الطائي .

٢ — اغنيات الوطن لبنان والوطن العربـــــي

انطلقت هذه الأغنيات من الطرف الشرقي من القارة الآسيوية ، حتى بلغت الجزء الشمالي الغربي من قـــارة افريقيا ، وبلغ صداها معظم أجزاء القارتين الأميركيـــة والأوروبية • وقد قسمتها حسب موضوعاتها الى خمسة اقسام • قسم اختص بلبنان بصورة عامة كوطن يحبه شعبه ويتغنى به ، وثان اختص ببعض مدن لبنان ، وثالث انفرد للقرية بمصيفيها العام والخاص ، وآخر تناول موضوع الهجرة والحنين الى الوطن لبنان ، والقسم الاخير جاء حماسيا يدور حول " عسكر لبنان " و " رايته العليه • " اولا بدا من لبنان والانطلاق منه نحو الأوطان الاخرى ؟

أ — اغنيات لبنـــان :

أرضك يا لبنان في عرس ، وعرسك يا أرض ، في أرض لبنان • ترحل اللحظة من أقاصي الزمان وفي بالها أن ترتاح إلى جانبك ، فتستيقظ على حنين البذار الـــى الزرقة الصافية ، مدركة لذة العطاء ، موزعة ذاتها عليك لتبقي بعد الفناء ، أغنية لعظمة الخلود •••

عرسك يا لبنان في أرضك ، جوفها في سباق على العطاء ، يغلي باللهفة ، ليحضن أجزاءك ، وتشتاق فيه المياه لعناق سطحك ، لأنها تدرك لذة الصعود فتصعد ••• باسطة ذاتها على صفحتك ، مستلبثة فيها الخيرات من شدة الحب وكبرياء العناق •••

لبنانك يا أرض ، إنسان يحط لخلق السلام واشاعة الاطمئنان في ذهن التاريخ ، ليتمرد على حدود السنين ، بعد ان اثقله الدمار ، واطبقت عليه أجفان الحروب • إنسان يشرق من ذهن السلام ليشيع في ذهن البشر معرفة السلام •••

هكذا صورت الأغنية الفيروزية لبنان فنقلت الى العالم حبّه له ، وحبه السلام فيه ، وبعثت اليه بصورة من ديمومة خضرته ، وباحت ضياعه المزروعة وارزه وأرضه بلغة المواسم في الكروم المعطاءة ، فكانت ولادة اغنيتين : " لبنان يا أخضر حلو " و " لبنـــان الاخضر " وفي كلتا الأغنيتين صورة من صور لبنان ، كونتها يد الطبيعة وصانتها يـــد الانسان العاملة ، ففي "لبنان يا اخضر حلو " تفوح رائحة التراب ممزوجة بالا ريـــج ، وتستيقظ الكروم على تراتيل العصافير وهي تسبح الله في اطلالة صباح جديد وتترنـــح السهول طربا تحت عناق السنابل ، وسكرة العناقيد بين أحضان الدوالي •• لبنـــان هو " حكاية قلب " لا يتوقف نبضه ، نسمعها من كل سنديانة شمخت في قلب صخرة ، من كل فوح باحه قلب زهرة ، ومن كل سهل روّضه ساعد مزارع ، إنه اللهفة التي يزرعها الفلاح مع كل حبة يدثرها حنين التراب الى الثمر ، فتينع المواسم ، وتجنـــى الثمـــار :

••/•

لبنان يا أخضر حلو   عا تلال
يا حكاية القلب وحنين البال
يا نجوم سهراني وكروم جلياني
يا شموس ملياني وذنية جنا وهلال (١)

إنها دنيا القلاف المتشوقة دائما نحو الأنضر ، أو الشباب الدائمي التجدد الذي يتطلع نحو الاكتمال ، فالهلال رمز الولادة الجديدة الممتلئة قدرة أكبر ، والمختزنة طاقة أقدر .

أما الضيعتي لبنان فهي مشاتل ورد غرستها أيادي السوريات وانتشت على اغانيهن مع قدوم كل فجر من سفرة بعيدة .. هي حكايات الحب والعز " والزراعين " الذين وهبوا العالم حكاية الأرض ، هي أغنية تبوح بسر الجمال ، وعالم سكن التلال وجعل من سهراته مقامات تعالج قضايا الحراث ، وتروي حكايا النغمات ، وتتلو قصص الحب وعظم الأرز مقتنعة بأن هذه هي الدنيا وهذا هو لبنان .

دنيتنا الوعر الأخضر   الزهر الوردات   حكايتنا الأرز   الحب حكاية نغمات (١)

هذه صورة لبنان ، صورة الحب والأرزة ، صورة الأغنية والنغمة ، لبنان الذي دعا سليمان عروسه منه " هلمي معي من لبنان أيتها العروس معي من لبنان " (٢) وجعل اخته العروس أنهاراً من لبنان (٣) وانفها " كبرج لبنان الناظر إلى دمشق " (٤) وقالت هي عنه بانه " طلعته كلبنان وهو مختار كالأرز " (٥) . والحب الذي ولدت بفعله الحياة على الأرض ، والأغنية والنغمة التي تسمع موسيقاها في كل اختلاجة في طبيعة لبنان " إن لكل شيء في لبنان موسيقاه الهائمة في منعطفاته ، التائهة في التوائاته ، المتدسة في الآبار والهوى . الجماد ، والنبات ، والحيوان والإنسان ، يتعاونون في لبنان تعاوناً لا تشوبه السياسة ، فيؤلفون جميعا موسيقى لا صوتية ، توقظ الناسوت الكامن وراء اللاشعور . اما الفجر الرمادي فيصب في نفسك ذوب ترانيمه وطيوبه فتسكر ولا تفيق ، حتى يقبل القرص الذهبي ، فتخاله في متناول يديك ، لو تطاولت قليلاً . " (٦) هذا الوصف للبنان يلتقي مع وصف الاغنية الفيروزية له من حيث اللون الرمادي لخلوة الفجر واستفاقته الموسيقية عند بداية كل يوم .

---

(١) لبنان يا اخضر حلو ، رقم : ١٧٥
(٢) سفر نشيد الاناشيد لسليمان الحكيم ، فصل : ٤ رقم : ٨ .
(٣) نفسه رقم : ١٥ .
(٤) نفسه فصل : ٧ رقم ٦ .
(٥) نفسه فصل : ٥ رقم : ١٥
(٦) الشعر السامي ، مارون عبود ، ص : ٥٥ ـ ٥٦ طبعة اولى ١٩٦٨ دار مارون عبود ، دار الثقافة .

../.

والنَّسمة مزروعة   بيلوي زنابقه
في القمر بيمشي   كِلّ يوم بيرشّه (١)

كل متأمل بطبيعة لبنان لا بد وأن ينقل هذه الصّورة الواقعية عندما تبدأ التراتيم، وينبثق على الفجر لوناً وباديـاً بعد أن يدثره الضباب وتلفه الأنداء، فيتلو الجمال إنجيله على منابر الأخاضير، لتظهر الصبحة عروساً متبرجة، ويتلاشى ظلام الليل لتتكشف أسراره على ضوء القمر الذي يروي أنواره للأرض حكايات الفناء.

والليل الماشي بأسرارو   بيضوي دارو
نزلوا بضحكتنا قمارو   يحكوا حكايات (١)

وفي "لبنان الأخضر" نغمة صورة للجمال المتجسد "بحلوة" تعلو فوق جمال الورود، متوجة بين موحيات الجنان، وكأن الربيع قد اختصر ذاته فيها، وأرسلها إلى لبنان، فرحلت إليه، وكونت من جماله قيثارة استودعت فيها، وبدأت تترنم لها أغنيات تغيب في لجتها، فتستيقظ على أثره دهشة الابتهال في كنه الكلمة التي تبعث رسولاً إلى الأرض ناقلة إليها صورة جمال من "لبنان الأخضر":

يا زين الحلوي الحلوانه   عالورد وأكثر
بيتمختر بين البساتين   بجمال المنبر
يا الصحو تنثر غناني   وتقول وتسكر:
يا ليالي الدني حلياني   بلبنان الأخضر (٢)

هذا الاخضرار لم يحترق، لو لم تكن تربته غالية قد شربت من أمواه كونت من ذوب الجمال بتأثير القمرة المسافرة من كون إلى كون عبر الله من الخلاق الذي يربط بين الجمالات، فتشرق على الدنيا صورة يعكسها الإبداع من مياه "نهر الكوثر" (٢)

"بالت صوره عيد قصورا   وقمار تسافر عا جسورا جسورا
وبدو السكر   بنهر الكوثر (٢)

ومن مستلزمات هذه الخضرة أن تدر السماء على الأرض ماء فتدور بين السهول والحقول مذللة نفسها لكل جهة ولكل جذر، لذلك ترى الأغنية الفيروزية، استكمالاً منها لتلك الصورة، قد استعطفت السماء شتاء لتغسل المواسم وتحلو، وتهلل الزروع وتعلو، بعد ان ينهمر من قلب

---

(١) لبنان يا أخضر حلو، رقم: ١٧٥.
(٢) لبنان الأخضر، رقم: ١٧٤.

../.

الأرض حناناً سكيته فيه رحمة السماء :

شتّي يا دنيي تيزيد موسمنا ويحلا
تدفق مي وجديد بحقلتنا يغلا (١) .

ولا بد للإنسان من أن يتحرك أمام هذا العطاء ويبذل من ناحية طاقة لاستقبال تلك الطاقة ، فيحول مي الماء حتى تشرب كل الأرض ، وتزهو الخضرة بين كل الأحياء دون استثناء ، وتثمر الجذوع ، وتورق الأشجار ، باعثة ظلالها مثلاً لأبناء الضلال الذين تاهوا عن طريق الحياة الكادحة :

ديروا المي ديروا المي خلي يشرب كل الحي
خلي تشرب كل الدنيي ويملا الزرع ويحلا الفي (٢) .

ليس الوطن في الأغنية الفيروزية ، أنظمة سياسية أو صراعات عقائدية ، وليس هو بنود بيع وشراء ، ولا معادلات ربح وخسارة ، ولكنه تطام أبدي من كيان الطبيعة ، وجمال ولد من استراحة الفجر على صدر القمم ، من ارتعاشة الزنابق أمام الفراشات العاشقة ، وهي ترشف وجه الماء الظامئ من تراتيل الغدران الخاشعة أمام عظمة الجبال في الأودية والمنحدرات ، من القمر الذي تيمه وجه الأرض فلم يتوان في سكب نوره عليه ، إنه البيوت الصغيرة التي قطعت حجارتها من صخوره ، إنه تراب أجساد الأجداد الذين رحلوا ، فعلمتهم كبرياء الزمان وصاروا شعلة بيضاء تؤكد على نورها التاريخ ، إنه الانطلاقة الصغرى التي تحتوي الدنيا كلها :

وطني يا جبل الغيم الأزرق يا قمر الندي والزنبق
يا بيوت البيحبونا يا تراب اللي سبقونا
يا زغير ووسع الدني يا وطني (٣)

---

(١) شتي يا دنيي ، رقم : ٩٩ .

(٢) ديروا المي ، رقم : ٧٣ .

(٣) وطني ، رقم : ٧٦ . لقد تكلم الشعراء قديماً عن الأرض ، تراب الذين اتوا عليها في معرض التمثيل والحكمة فقال أحدهم :

والارض لا تطعم من فوقها الا لكي تطعم من تطعمه

وقال آخر :

ولا تمش فوق الارض الا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك ارفع

وقريب منه قول الشافعي :

ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً فعمّا قليل يحتويك ترابها

أنظر ديوان الشافعي ص ٣٣ ، دار الثقافة ١٩٦١ .

٠٠٠ / ٠

أما الإنسان في وطن كهذا فآية شعريّة استلهمت من تلك الجمالات ، وحدتها الرياح بمدافع صادمة الصخرة القاسية ، وإلى جانب السّوسنة اللّينة كلاهما ركن من أركان الوطن .

أنا على بابك قصيـــــدي   كتبتها الريح المنيدي
أنا حجر أنا سوسنــــــي   أنا سوسنتي يا وطني (١)

والانسان هو محتوى الوطن أيضا ترابا وحياة ، وجمالا . راسخا كجباله ، شاعرا بطبيعته ، صافيا كورده ، ولذلك يحسن التلاقي بين طاقات الطبيعة المعطاء ، وطاقات الإنسان الفعالة ، ففي هذا التلاقي اكتمالٌ لصورة الوطن ، وإلاّ فما نفع تلك الطاقات المعطاءة إن لم يكن هناك من سواعد تستغلها وتفجر منها حياة جديدة ، تمنح الوطن قدرة جديدة على ممارسة الحياة ؟ إن السواعد رسالة دينية ، إنسانية ، وطنية يسلمها السلف للخلف حفاظاً على الجذور من اليباس ، وصيانة للنفوس من مخاطر الإفلاس ، فتبقى الشجرة التي غرستها يد الأجداد باسقة في السماء بعزم الأحفاد وتصميمهم على التطلّع نحو العُلى ، وتبقى الجلالي قائمة ، بحملهم على اكتافهم الرسالة الملقاة على عاتقهم ، فيستمر العمران ، ويشمخ البنيان ويزدهر الوطن .

شجر أراضيـــــك   سواعد أهلي السمـــر
وحجـار خوابيـــك   وجوه جدودي الشمـــر (١)

هؤلاء الأجداد الذين عاشوا بهذا الوطن منذ بداية الأجيال الإنسانية على أحفادهم أن يحافظوا على ما أبدعوه قصد تطويره ، ويكبوا على دراسة ما استنبطوه ، بغية تكميله ، بعزيمة صابرة وعقل منفتح فتكبر بهم محبة وطنهم الذي يصبح عندهم شيئا مقدسا يقسمون به ، وتختبئ في مستقبله الأنوار لتشرق على الدنيا قوة وعملاً ويصبح دنيا تلك المقدّرات كلها .

وأسوار الجبال جوانبـــي   فيها الشمس مغانيـــي
إنت القوي إنت الغنـــي   وإنت الدني يا وطنـــي (١)

فالعزم الذي يحرك الساعد ، واليد الفاعلة ، والبناء الشاهق ، والمواسم الخيّرة كلها تجتمع لتكوّن الوطن وتكوّنه ، ولبنان في الأغنية الفيروزية . وهذه المقدرات ، تقوم الى جانب "لبنان الاخضر" موهبة الطبيعة وتجلياتها ، هو مجد مرسوم في البصيرة ومتجسد للبصر ، بنيانه الشاهق عيد الأرز وعرسها يتماوج بالنفس بين حدود التصور وآفاق الحنين ، فترتسم سماه وشواطئه المعانقة قمم جباله في الخاطر ، وتلوح بالبال جناتها وعناقيد دواليها .

---

(١) وطني ، رقم ، ٢١٧ .

عالي عا العالي — دارك يتلون قبالي
ضيعتنا ببالي — وأرضك ببالي
وغناني التريشيد ببالي — يلياني ببالي
وجبلنا ببالي — وسمانا وجبلنا ببالي (١)

أما مواسم هذا الجبل العالي نحيرات متدلية من الكروم والغابات والسنابل وكأن ناطوره (الخضر) (٢) يجول على حصانه عبر آفاقه وبين جباله حيث يطمئن الدنو لمناعتها فينام بين صخورها لتجدد بتحركه في الزمان، وشلالاته مصدر البشرى يوزعها على الأرض جداول خصب وبركة:

يا خيال يلعب عالعفافي — بين جبال فيها الدهر غافي
صوت رجال بقلك عوافي — والشلال يهدر بالبشاير (٣)

والسؤال الآن، أي نوع من الوعد يلتزمه الإنسان لوطن كلبنان هو منحة الجمال للطبيعة المبدعة؟

تختلف الوعود باختلاف الأشخاص وأعمالهم فالتاجر يحده سلعياً، والصانع آلياً، والمهندس قياسياً، والحسابي رقمياً، والمغني صوتياً ... ولكن أي وعد أبقى في ذهن الخلود، وأي وعد يبقى ديمومة حية تعيش فوق حدود الموت، بعد إمكانياته واستطاعاته؟ كل تلك الوعود تفنى، لأنها تعيش في كنف الزوال، إلا الصوت فانه يبقى لأنه مستوطن في قلب الحياة ... لذلك باحت به الأغنية الفيروزية، وغنته فيروز وعداً يبقى حياً في دهر الداهرين، وتنذرها الناس، من أجل ذلك للبنان لتبقى صورة حية الى جانب الصوت لا تفنى:

وعدي الك وعد الصوت — غنيلك وخلي الدني تغنيلك
ونذروني إلك (٤)

---

(١) عالي عا العالي، رقم: ١٢٦.

(٢) الخضر شخصية خارقة القدرة، تتمتع بالحياة الدائمة، وتستطيع الانتقال الى كل الأمكنة وتعيش في كل الأزمنة، ويجد البعض ملامحها بالقول "ان الخضر هو أحد أولياء المسلمين رفعه القرآن فوق الانبياء باعتباره الدليل المعهود إليه بارشاد موسى، يكرمه الشعب وقد حظي عند الصوفيين بمركز ممتاز وادعوا الاتصال المباشر به. وقد جاء وصفه جامعاً لأوصاف إيليا النبي والقديس جرجس، وهذا الأخير يعيّد له النصارى في الثالث والعشرين من نيسان .." من الانسان والتاريخ في عشواته، تمام، ص: ٨٠.

(٣) برجك عيد، رقم: ٢٤.

(٤) وعدي، رقم: ٢١٩.

٠٠/٠

وقد أثبت العلم الحديث أن كلاً من الصوت والصورة لا يموت بل يبقى حيًا في الفضاء السحيق مهما اوغل به الزمن بعدا ، وابرز المجلّين في هذا المضمار الأب بيلّلي غريلسو أ رليتي الذي " قادته أبحاثه إلى حقيقة وهي ان الصوت يظل موجودا ومحافظا على قدرته وحيويته ، مهما غرق في التاريخ ، او ابتعد في بطن الزمن • فكل الأصوات التي انبثقت في العالم ما زالت في طبقات الجو • ولا بد من إيجاد طريقة ما لاستخراجها و فصلها عن بعضها البعض • وتبين للأب أرليتي ان الصورة ايضا ، وهي شكل ضوئي ، لا تختفي من الوجود ، بل تبقى تماما ، كالصوت ضائعة في الفضاء الخارجي •• ويفسر الأب العالم نظريته على النحو التالي : ان كل صوت وكل صورة يمثل ينبوعا من الطاقة لا يموت ، ولا بد من ايجاد آلات خاصة لالتقاط هذه الطاقة وفرزها مما يكون علق بها من طاقات أخرى بحكم اندماجها في الفضاء الخارجي بفعل مرور الزمن • وبكلمة اخرى ، ان كل انسان عندما يخلق تخلق معه طاقتان / صوتية وضوئية ، وتظلان حتى بعد وفاته • واذا استطعنا حصر هذه الطاقة فأننا نستطيع عندئذ ان نعيد صوت او صورة إنسان ما الى الوجود ، ولو كان قد مضى على وفاته آلاف السنين والواقع ان محاولة الأب أرليتي لدراسة الصور المتشابكة والمتواجدة في الفضاء ليست جديدة كل الجدة ، فهي تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد ، عندما لمح عالم الرياضيات المشهور فيثاغورس اليوناني إلى استطاعة الإنسان ان يعيد الصورة التي يريدها من الماضي ، اذا ما استطاع التحكم بعدد من الموجات الضوئية والصوتية • وفيثاغورس ليس الوحيد بين علماء العالم القديم الذي اهتم بمثل هذه الامور ، فهنالك العديد من كبار المفكرين الفينيقيين وعلى رأسهم ماريتوس الصوري ، الذي كتب الأبحاث المطولة في بقاء الأجسام والاشكال في الزمن بعد اختفاء اصحابها "(١) •

ومن روعة حكمة القدر ، انه ظهر في لبنان من تحدث عن بقاء الصورة حية ثم انطلقت الأغنية الفيروزية من لبنان بعد ذلك بآلاف السنين لتعد لبنان وعد الصوت الذي لا يفنى ، نذرة له الصورة التي لا تموت • " وفي هذا المجال يروي التاريخ ان فرقة من جيش الإسكندر المقدوني كانت تستطيع ان تهدم القلاع الضخمة والجسور القوية بلحظات يسيرة ، بعد ان تسلط عليها موجات صوتية قوية من النفير العسكري •• وتبين عند دراسة هذه الظاهرة ، ان الصوت اذا وجه بطريقة معينة يستطيع ان يخترق اقسى الاجسام وأصلبها •• وبالفعل استعمل الصوت الموسيقي في اكثر من حرب ، وما زالت اساليب التدمير ، بواسطة الموسيقى تدرس الآن في الكليات العسكرية في كافة انحاء العالم •• (١)

ولكن الصوت الذي تحمله الأغنية الفيروزية ليس للتدمير ولكنه للتعمير، إنه الصوت

---

(١) الشبكة تاريخ ٢١ تموز ١٩٧٢ ، العدد : ٨٦٢ ، السنة ١٧ ، ص : ٢٧ ، من مقال تحت عنوان عجائب الصوت والموسقى ، بقلم رياض شراره •

••/•

الاغنية الذي يشيع في حنايا النفس طاقات تدفع صوب الإبداع ، وتولد فيها آمالا كبيرة لبلوغ عروش المجد والحياة ٠٠٠ ولا عجب بعد ذلك كله من ان يعد الإنسان وطنه وعد الصوت وينذر نفسه له بعد أن يترك كل شيء يصرفه عن هذا النذر وهذا الوعد ٠ ولا يختلف لبنان في الأغنية الفيروزية عن الصوت الذي يعيش من الزمان ، ومع الزمان ، انه مثله واقف في الزمان ، فجاوره الوعد ، ونذرت الحياة والموت ، الذي هو حياة جديدة ، لمجده الخالد :

أنا إلو للواقف بالزمـــــان   بنذر صوتي حياتي وموتـــي
لمجـــد لبنـــان (١)

وارتفع هذا الصوت بارًا بالوعد ، متجها به نحو الزمان ٠٠٠ فكان السجود على قمم لبنان وآكامه تعبيراً روحيا يرافق الكلمة المغناة على اسمه فتتحول لأجله صلاة ، تطير على اجنحـــة الإيمان إلى اذن السماء القريبة لتلك القمم :

عا إسمك غنّيت عا اسمك رح غنّي   ركعت وصلّيت والسّما تسمع منّـــي
عا تلالك عا جبالك ركعت وصلّيت   هون السّما قريبي بتسمعنا يا حبيبي (٢)

عندما يدخل الإنسان أي معبد إلهي ، يواتيه إحساس داخلي صامت بخشوع مهيب يلف كيانه ، فيجد نفسه مشدودا ، أمام هذا الشعور إلى السجود والصلاة فيتجه نحو الله بكل جوارحه مسبحا إياه ، ممجدا اسمه ، مشدوهاً أمام عظمة إبداعه ٠٠٠ وكذلك الواقف بين جبال لبنان ، يشعر كأنه في معبد فسيح لنساك ولدوا من الإيمان ، وعاشوا فيه ، وما زالت أرواحهـم ترفرف فوق تلك المناسك ، فيركع على عتبات التلال ويصلي ٠٠٠ وانسان الوطن في الأغنيـــة الفيروزية ، توقف به الرحيل عند هذي الجبال وطفق يصلي لأجل كل المعطيات الإنسانيـــة في لبنان ، لأجل سهوله الممتدة تحت أعناق السنابل ، وغاباته المترنمة على زقزقات العصافير ، المتدثرة جمال الأزاهير ، الناهضة على أصوات المعاول التي تغيب أصداؤها بين أحضـــان هياكل المحبة المستمرة أهداب الأرز المنصت لصوت السماء ٠٠٠ لأجل ضياعه المنثورة مـــن قننه (٣) الى نباكه (٤) ، لاجل البراءة المهيمنة فوق جمال طبيعته ، ولاجل تاريخه الحافل ابتداء من اليوم الذي صُدّر فيه الحرف عن شاطئه إلى الدنيا ، وابتداء من اللحظة التي شرب ثراه النقطة الأولى من الدماء المراقة لأجله :

---

(١) وعدي إلك رقم : ٢١٩ ٠

(٢) عا اسمك غنّيت ، رقم : ١٢٠ ٠

(٣) القنن جمع قنة وهي أعلى الجبل ٠

(٤) النباك جمع نبكه وهي أصغر ما ارتفع من الارض ٠

٠٠/٠

لَشُولَك اللّي بْتَنْبُتْ سَنابِلْ | وْبِجْـال وْهَيـاكِلْ
لَغاباتَكْ المزروعة بَـالاهِـل | وْزهُـور وْمَنـاوِلْ
لَفَيافِيـا الفَجُـولِه | رْكَعْـت وْصَلَّيـت
لِلحَـلا لِلطُّفولِـه | رْكَعْـت وْصَلّيـت
لَشيـوفَـك البُطولِه | وْعُيُونك بْتِدْ هَـولـي (١)

لأجل كل هذه الأمجاد صلّى إنسان الوطن وبعظمتها تغنّى ، وحمل بيمناه كأس لبنان الذي أملاه التاريخ حضارات وامجادا ، واخذ يحمل على ضوئه ، جادا في اكمال المسيرة الحضارية التي أرادها له التاريخ عاملا ، ليس على الحفاظ عليها فحسب ، ولكن على رفع قيمها ايضا ، والتجديد في هذه القيم ، والأبداع في هذا التجديد حتى الوصول الى مشارف اللانهاية ، أو حيث يقف الزمان وتتلاشى قدرة الاستمرار عند تلك الحدود :

وْرِحِل بِأيدي كاسك الطّيّان | وْارفعو لفوق لَفوق لفـوق ،
لَمَطرح اللّي بْيُوقف الزَّمـان | وْإشكر بِإسْمَك مَجد يا لِبْنان (٤)

واستمرارية التقدم نحو العلى ، هذه ، تأتي كأنها نتيجة لتقدمية أبي تمام في ممدوحه المرحلي على سلم المجد :

خَدَم العُلى فخدمنه وهي التي | لا تخدم الأقوام لم تُخدَمِ
وإذا انتمى في قلة من سُؤدُدٍ | قالت له الأخرى : تَلَقَّتَ تقدَّمِ (٢)

وهكذا يلتقي إنسان التقدم عند أبي تمام في المكان الذي حدّدته الأغنية الفيروزية مع إنسان التقدم فيها ، وهو المكان الذي يقف عنده الزمان وتتلاشى امامه كل القدرات ... والذي يحمل كأس وطنه ليرفعه عاليا ، هو الذي يتحمل اعباء هذا الكأس في السراء والضراء ويتحمل مسؤولية التقدم به يوم السلام مثله في يوم الحرب ليكون جديراً بوطنه ، وليكون وطنه عزيزا باحتوائه :

بِيِتْلِج الدّني بْتِشْمِس الدّني | يا لِبْنان بْحِبَّك تا تِخْلَص الدّني (٣)

هذا هو منطق الانسان الوطني في الأغنية الفيروزية لا تتبدل محبته لوطنه مهما عصفت الرياح واسودت الظروف ، فهو يغنيه ويتغنّى به دائما لأن ثلجه محبّة السماء له ، وشمسه حرية الانسان فيه ، وهو حكاية كونها العز يرويها التاريخ على مدى الاجيال .

(١) يا إسمك غنّيت ، رقم ١٢٠ .
(٢) الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام ، ص : ١٥٧ .
(٣) عودة العسكر ، رقم : ١٤٢ .

../. .

وطني يا حكاية بالبرد شتوية | لبنى ما لقدّ بحبّك يا غاية الغايه
بحبّك يا عيني لأنك غنيتي | تلبك المحبّة وشمسك الحريّه

هذا الوطن الأغنية الذي غنّت له فيروز ووعدته وعد الصوت فنذرت له صوتها بأن تغني له ، هو أيضا " وردة الوردات " الذي تعهدت بأن تنقش أغنياتها على ترابه أيضاً الى جانب نقشها لها في مضمون الزمان ، وتعمل من أجل أن يبقى محروساً من كل الآفات الدخيلة التي تلج الكيانات العاملة في الخفاء جاهدة في تقويضها ، عاملة على تفكيكها ، فتتحول فيها جنائن الزهور الى كمائن للشرور ويفرح الحساد وتقر بذلك عيونهم :

ويتحدك بقلبي وردة الوردات | ومفتحه ورقه على ورقه
لانقش على ترابك الغنيات ، | علّق عا بابك خرزتي الزرقا (١)

ان " للخرزة الزرقاء " قوة عجيبة في المعتقدات الشعبية ، تستطيع دفع ضرر العين الحاسدة مهما بلغت قدرتها على تحويل الأشياء وتخريبها ، وغالباً ما نراها في الأوساط الشعبية معلقة على صدور الأطفال ، وفي أعناق الكبار الذين يوحي منظرهم بقوة او جمال ، ونرى الى جانب ذلك ، الفلاحين الذين يعتزون بماشيتهم يعلقون لها مجموعة منها ، حتى ترتد العين الحاسدة عنها حسيرة . " أما أحسن وقاية من العين فالأحجبة والتعاويذ والتمائم والأهلة ، يكتب هذه الأحجبة شيخ يدّعي التقوى والمعرفة وعلم الأقدمين ، أو دجّال مغربي وهم كُثر يتجولون في القرى منادين مغربي " دوا للحبي وللربي " وفي حوزتهم من الأدوية ما يشفي جميع الأمراض قاطبة ، ويسألون عمن اخذوا ذلك العلم الجليل ؟ فيقولون انهم يجاورون جبلاً سامقاً ينشق مرتين في كل قرن وينكشف عن مغارة هائلة يدخلها طلاب العلم بعد ان يتزودوا بطعام سنة كاملة ويلتحم الباب من بعد دخولهم حتى لا ترى له أثرا ، ثم يعود فينفتح من تلقاء نفسه في نهاية السنة . اما المغارة فاسمها مغارة دانيال النبي ، وقد نقشت على جدرانها علوم الأولين والآخرين ، فينسخ الطلاب ، المزودون بكميات من الورق ما يتجاوز حمل بعير ، كل ما ينشدون من معرفة بالطب ، ورجم بالغيب ، ويخرجون في نهاية العام وقد عمرت رؤوسهم بأسمى ما بلغه الفكر البشري "(٢)

وشاع معتقد الخرزة الزرقاء حتى أضحى تعبيرا له مفهومه ومغزاه ، وتطور حتى لم يعد مجرد تعليق فحسب ، بل صار رمزا يرمي الى العمل الفعلي من أجل حماية الملك من كل الأخطار الطارئة التي تخلقها المطامع ، ويحركها الجشع ويديرها الاستغلال ، وكذلك هو مقصدها ومغزاها اللذان يكمنان وراء ذكرها هنا معلقة على باب وطن ما ازهروا لعمره

(١) وردة الوردات ، رقم : ٢١٦ .
(٢) تحت السنديانه ، بولس سلامه ، ص : ١٩٦ — ١٩٧ .

../..

وهو الشعر والحب ، انه الوطن المثال الذي يجاوز الخلافات ، كيانه بني بحصن بالمحبة لا تنال منه الكراهية ، وان ولجت بابه الشرور تتحول الى فناء لأن عرشه بني فوق الساحقة :

قصرك يا بـرج المتكـي — عالساقيـه والزيـن
وقبابك اللي مشكـي — عالغيم رشوش زيـع (١)

ان السيف في الوطن الفيروزي يحيى بجوار الوردة ، واللين فيه يقترن بجانب القسوة كل يحمل بدوره متحركا بكل طاقاته ، او انه " القوي في غير عنف ، اللين من غير ضعف " فإلى جانب كونه وطن الورود والزنابق ودالية الجسار ونبوعه الصابق ، وأرض المواسم وهبيبات النسائم ، ومجموعة تلال مشرقة من الأشعار ، وهو ايضا موطن الفرسان الذين ولدوا من الخصب ، وربوا على الشوك ، وترعرعوا في النار ، ليقفوا بوجه الآفات التي تريـد إلباس الجمال ثيابا سوداء ، فيردونها مهزومة بسواعد مصممة ، وعزائم قادرة :

والأرض غبــــار (٢) — سودا الريح وتتمـدى
تعصف بالــــدار — والدار العالسي تـرد
صار اللـي صــــار — شيلت ما بقسا بــد
دايـر مشـــــدار — بالسواعــد مثبيـه

صورة لبنان بوجه خاص : ١ — في المدينة :

هذه صورة من صور " لبنان الأخضر " كما بدت في الأغنية الفيروزية والتي كانت للبنان بوجه عام . ولنتعرف الآن إلى صورة لبنان بوجه خاص وهي الصورة التي تناولت بعض المدن كبيروت وبعلبك ، والضيعة اللبنانية عامة . فماذا حوت أغنية العاصمة اللبنانية من صور ؟

ان قارئ كلمات هذه الأغنية يشعر بالفرح المكبود في قلبه ، ويحن للقمر المفقود من دربه ، بيروت التي يهرب النوم من نواحي ليلها فلا يجد مستقرا إلا بعد عياء ونصب ، نهارها ليل الساهرين وليلها نهار المكدودين ، أصباحها ضجيج شوارع وأماسيهـا اسفافات نوازع .

---

(١) وردة الوردات ، رقم : ٢١٦ .

(٢) فيما يلي أسماء الغبار واوصافه كما وردت في نهاية الأرب ، (١٠ : ٢٠٢) نقلوها لتحديد نوع الغبار المقصود هنا : النقع والكوب ، الغبار الذي يثور من حوافر الخيل وأخفاف الأبل وهو المقصود هنا لأن البيت الذي يسبق هذه الأبيات هو : (طل الخيال كالوا شيوف المعية) فوجود الخيال دليل على ان المقصود هو هذا النوع من الغبار ، اما الأسماء الباقية للغبار فهي : العجاج ، الغبار الذي تثيره الريح . والرهج والقسطل غبار الحرب ، الكيتمة ، غبار المعركة . النقير ، غبار الأقدام ، العثين ما تقطع منه .

../..

دُورها واجهات حضارة ، وقصورها دور شرائح ، هي ميناء العودة وشاطئ الرحيل ، يزرع المهاجر دموعه الحزينة أمانة بين حبات رماله على امل ان يحصدها دموع فرح بعد انتهاء سني سفره عند لقائه بوطنه وأحبابه ، هي نجمة مرشدة واقفة على عباب ظلمات البحر ، غارقة بالعز والغنى ، تستقبل العائدين والوافدين ملهمة لقصصهم ، مسترجعة أعمالهم ، ملونة آمالهم فرحا وذهبا :

يا مينا الحبايب يا بيروت　　يا شط اللي دايب يا بيروت
يا نجمة بحرية عتتمرجح عالمية　　يا زهرة الياقوت يا بيروت (١)

إنها زهرة ياقوت عزيزة بكل ما تحتويه ، أعيادها بهارج زينة كونها الانسان وصنعها من وجع الليرة وآهة القرش ، وأعراسها قلائد ماس وجزع مرصع ، وخواتم زمرجد وفيروزج ، وأساور ذهب ولا زورد ، إنها شرائح تمدن وشراء ، تقوم على المقاييس والمعايير ، انها أبنية مدارس مشيدة وجامعات تليدة ، وحكايتها حجر الرصيف المنهك بثقل الإنسان وحضارته ، "بأمله العنيد " في الحصول على المزيد ،، بوطأة فرحه بأقدام الناعسين والأيدي الممدودة ، بالنفوس الهاربة من كل مكان بعد ان ذلتها الجريمة ، بالزمان المتحكم بالحركة الحياتية ، المسرع في نهب الأعمار :

وحكاية بيروت　　حكاية الرصيف التعبان　　بالناس وبالجيران
بالأمل العنيد　　بسكك الحديد　　بأصوات الفرح والهرب والزمان

هكذا كونت الأغنية الفيروزية صورة لبيروت ، فكانت صورة صراع الانسان مع الحياة من اجل الحياة ، من اجل الحضارة والتجديد ، من اجل الهرب من رتابة العيش ، والانشغال عن حتمية المصير، من أجل المادة التي عزلت الإنسان المتحضر ، عن الروحية الصافية ، فرحة السكينة ، وقدرة الإيمان ، وابداعات المعرفة • فتجمد الشعور كقطعة في آلة مصنع وصارت قيمة الانسان يملكه من مال وعقار " ومن المؤلم أن تكون المدنية الحاضرة قد صرفت عنايتها الى المادة اولا ، والى تنمية العقل وحده ، واطرحت الشعور ، وهو الروح نفسها • قلت العقل تجوزا ، وكان يجدر بي ان اقول الذاكرة التي تحشى بمختلف العلوم ، اذ العقل لا يتنكر للشعور الذي هو بعض مظاهره • ومن الشعور انطلق المتصوفون ،

---

(١) بيروت رقم : ٣٧ • وجاء في معجم البلدان لياقوت ان بيروت ذكرها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فقال :

إذا شئت تصابرت　　ولا أصبر إن شئت
ولا والله لا يصبر　　في البرية الحوت
ألا يا حبذا شخص　　حمت لقياه بيروت •

••/•

من يوحنا الصليبي (١) الى ابن الفارض (٢)، والحلاج (٣) ، والسهروردي (٤)، والهم حين بلغوا اليقين استعصى عليهم التعبير عن شعورهم ، فليس المقام هناك مقام بيان بل

---

(١) يوحنا الصليبي (Jean de la CROIX .) (١٥٤٢ — ١٥٩١ م) قديس اسباني مصلح رهبانية الكرمل • من اعلام علماء التصوف المسيحي • من مؤلفاته " انشودة الروح " و " الليل المعتم " • وقد تؤدي اقواله مادة للمقابلة بينها وبين اقوال العرب المتصوفين في الأندلس •

(٢) هو عمر بن الفارض (١١٨٠ — ١٢٣٤ م•) ولد في القاهرة وتوفي فيها • من مفكري الاسلام والمتصوفين • عاش متنسكا في وادي المستضعفين في المقطم ثم في الحجاز • من آثاره ديوان شعره من اشهر ما فيه قصيدته الخمرية و تائيته الكبرى وفيها تحت رموز الألفاظ الغرامية الوله بالحق سبحانه وتعالى :

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل أن يُخلَق الكرمُ
وقالوا شربتَ الإثم كلّا وإنما شربتُ التي في تركها عنديَ الإثمُ•

(٣) الحلّاج (ابو المغيث الحسين البيضاوي) : (نحو ٨٥٨ — ٩٢٢ م•) ولد في الطاور قرب البيضاء (فارس) وتوفي في بغداد • عالم وصوفي • قضى السنوات في خلوات الصوفية لا سيما مع التستري وجُنيد • ثم طاف البلدان داعيا الى الزهد • اتهمه المعتزلة بالشعوذة فحكم عليه وسجن في بغداد ثم عذب وصُلب • انشأ الحلاج مذهبا في الفقه وعلم الكلام والتصوف وأثار حوله الجدل فقدسه البعض وكفره غيرهم • مؤلفاته في اللغة العربية لم يبق منها الا كتاب " الطواسين " طبعة ماسينيون (باريس ١٩١٣) •

(٤) السهروردي (شهاب الدين ابو حفص الصوفي الشافعي) : (١١٤٥ — ١٢٣٤م•) شيخ الصوفية في بغداد • حج الى مكة وتعرف فيها الى ابن الفارض • اشتهر بالوعظ والحديث • من مؤلفاته " عوارف المعارف " في التصوف • وهناك ايضا السهروردي (شهاب الدين يحيى) : ولد في سهرورد وتوفي في حلب قرأ الحكمة واقام في مراغة وبغداد وحلب حيث قتل بأمر السلطان صلاح الدين ، وقد نسبوا اليه فساد المعتقد (١١٦٠ م•) يسمى مذهبه " حكمة الاشراق " وكان مزيجا من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة وآراء الفرس وتعاليم الإسلام • ومن شعره متغزلا بالعزة الإلهية :

أبداً تحنُّ إليكم الأرواحُ ووصالكم ريحانها والراحُ
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضّاحُ
بالسر إنْ باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماءُ العاشقين تُباحُ •

••/•

هو أفق يحس ولا يوصف ، فيند عن الحرف والمعجم " (١) وكانت غلّة هولاء وامثالهم مزدورا روحيا صلبوها على جبهة الخلود ... وقد تنكروا للمادة واعتبروها عرضا زائلا وسفرا ملويا ، وهي التي قدستها الحضارة الحديثة فغرق بها الانسان حتى حجبت عنه صفاء الرؤى .. وأغنية بيروت الفيروزيّة ، صُورة مطلقة عن ذلك الوضع ، حيث بدت فيها بيروت " الشرائع " ميناء تصدير واستيراد ، " وقمر ضائع " و " ليالي لهو وعبث " و " سكك حديد " يروي ضجيجها حكاية الرعيف المتعب " . ولكن الميناء يبقى ، رغم ما يحتويه ، ينطوي على فكرة إنسانية ، ركنها القلب وجناحاها العاطفة ، فكرة يدركها الشاعر بحسه ويجدها في شوق الانتظار للعودة ، وفي فرحة اللقاء بين الأحبة وفي حرارة الصلاة والأفئدة الضارعة الى الله حتى يعود المسافر ، وتنطلق الحناجر بفرحة الزغاريد بأوبة المراكب محملة بالبسمات المشرقة بأطايب اللقاءات ، وتعود الاشراقة الى تلك الليالي التي ادكنتها مواكب الدموع ، وشحتها اسباب الرحيل :

يا ما صلّيت وطلّيت	عالبحر قِدامي
حتّى شوفك صوب البيت	راجع بالسّلامي
شرعا بالسّي مُديّه	من جَزيرة منسيّي
ردّيلي لياليّ	يا مَراكبنا الحلّيها (٢)

هذا فيما يتعلق بالمدينة العاصمة فماذا عن المدينة البعلبكية ؟

اذا كانت بيروت اليوم عاصمة الحضارة الحديثة ، فبعلبك هي عاصمة الحضارة القديمة فما هي الكلمة التي غنتها ؟

قبل معرفة هذه الكلمة تحسن معرفة شيء عن بعلبك نفسها التي اطلقت على اسمها الشّتيات ، وسُمّيت السهرات ، " في بعلبك أربعة حجارة ضخمة واحد لا يزال في المقلع وتعرفه العامة باسم " حجر الحبلى " والأرجح " حجر القبلة " لأن المقلع انما يقع جنوبي المعابد . وبسبب هذا التحريف نشأت اسطورة جميلة عن ذلك الشعب العملاق الذي بنى هياكل بعلبك . تقول : " كانت امرأة حبلى تنقل هذا الحجر الى حيث يبني البناؤون ، ففاجأها المخاض وهي بعد في المقلع فتوقفت من تعب ، وبقي الحجر هناك (الأسطورة رائعة على انها تتحدى الدنيا : " من يقدر ، تقول ، على تحريك حجر من الف طن ؟ ؛ **اخوات هذا الحجر الثلاثة تجدها في القاعدة التي بني فوقها الهيكل** الذي على اسم جوبيتر ، كل منها اصغر من حجر الحبلى ، على انه مع هذا جبّار الحجم هذه ابعاده ، ٢١٫٣٦ مترا طولا ، ٤٫٣٣ امتار عرضا ، ٤٫٦٠ علوا ، وهذا يعني حجما من ٣٩٠ مترا مكعبا وثقلا من مليون كيلوغرام " . " هذا الحجر بقي في المقلع ،

---

(١) انظر كتاب : من شرفتي ، بولس سلامه ، ص : ٧٤ — ٧٥ ، طبعة اولى ، ١٩٦٨ ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٢) مراكبنا عالمينا ، رقم : ١٨٧ .

../.

أما اخواته الثلاثة فقد نقلت الى التحتيّة التي سيقام عليها هيكل جوبيتير ، إذن الى مسافة نحو كيلو متر واحد ورفعت الى مستوى ستة أمتار من الأرض ، فوق مدماك من الحجارة ليست بالحجم نفسه ولكنها مع ذلك كبيرة جداً " هنا الشيء الذي لا يمكن تفسيره يقول الخبير د . سولسي " .

ولكن ما أبعاد " التريليتون " (وهذا اسمها اليوناني الشهير في العالم كله اي " الحجارة الثلاثة ") ؟ طول الأول ٥٠ر١٠ امتار والثاني ٤٥ر١٩ مترا والثالث ١٢ر١٩ مترا . اما كل من عرضها وعلوها ف ٤ امتار ، حجم كل منها نحو ٣١٢ مترامكعبا ، ثقل كل منها حمولة ٦٠ شاحنة قطار " . اغرست باحث معاصر لا يزال على قيد الحياة . وهو الذي زوّج اربع وقائع ، مستخلصا منها الفرضية التي اذهلت العلماء وتحدثت عنها حتى البرقيات : عجز العقل عن القول بإمكان تحريك الحجارة الأربع . وراء خيال السوفياتي يحمل . ينبغي ان يكون زوّار من خارج الارض قد حلوا على كوكبنا . وقبل عودتهم ، تركوا ، كذكرى وهدية ، لأهل كوكبنا بناء عجيبا هو القاعدة التي شيّد عليها فيما بعد هيكل جوبيتر ، وفيما هم منتقلون بمركبتهم مروا من فوق مكان ما من فلسطين فجّروا فيه ما كان يلزمهم التخلص منه . وفوق ليبيا رموا بآخر ما وجب ان يرموه " (١) . ويخلص سعيد عقل إلى الاستنتاج بأن قال تحت عنوان:الألهية التي ستبقى لغزا .

" فرضية السوفياتي اغرست ، منهم من يقف لها باحترام في هذا العصر الذي لم يبق فيه التنقل بين الكواكب أمرا يثير السُّخرية ، ومنهم من يرفضها جملة وتفصيلا . لكن امثولة الفرضية تبقى عظيمة كالفرضية نفسها . انها هنا لتقول : البناء العجيب الذي هو تحت هيكل جوبيتر هو من الحجم اللغز بحيث يشكل أحد اثنين : اما معبدا بناه حقا زوار من خارج الارض انتقوا لبنان مكانا مفضلا لهديتهم الى أهل الارض ، واما معجزة عمران بناها عمالقة بنيان لبنانيون بحيث لا يفسر العالم قدرتهم الا بأن يلجأ الى افتراض تدخل من خارج الارض . أمام كلا الامرين احني رأسك واخشع " ، (٢) .

---

(١) من مقال كتبه سعيد عقل في مجلة الصياد بتاريخ ٨ حزيران ١٩٧٢ ، ص : ٦٢ . وهناك مقال آخر عن بعلبك ايضا للكاتب نفسه وفي المجلة نفسها بتاريخ ٢٥ ايار سنة ١٩٧٢ ، ص : ٥٢ .

(٢) المرجع نفسه .

../.

ان " الأغنية " في الاغنية الفيروزية تكوّن سفرا تكوينيا في الذات الانسانية، لها قدرة على الخلق وسلطة على النفوس الذاوية، توقظ فيها طموحا وتولد حركة، وتخلق احتياقا للمعرفة، انها طاقة دائمية التوليد .. لذلك كثر استخدامها فيها عند التحدث عن الأمجاد والأوطان في حكايات الخلود . فنسمع فيروز تعد لبنان بأن " تغنّيه وتجعل الدنيا تغنّيه " في " وعدي إلك " (١) وان " تلتقي على ترابه الأغنيات " في " وردة الوردات " وان " تغنّي على اسمه كما غنّت " في " عا اسمك غنّيت " ولنستمع وصيتها لأصحاب " الارض السمنية " في " عم بتضوي الشمس " فتقول لهم (لاقوا الربيع برقصة حلوي وغنّوا مليح) وكأن الكلمة هنا تحدّد نوعية الغناء القادر على التوليد والعطاء، انه الغناء الرائع وحده هو الذي يخلق في الشاعر نزعة الصعود على سلّم المجد فتنفتح له اسرارا وآمالا أخرى، وفي هذا المعنى قال حكيم هندي " إن عذوبة الألحان تُوَلّد آمالي بوجود أبدية جميلة " (٢) وهذا النوع من الغناء هو الذي جاور القلوب التي بنت بعلبك فأبدع البناء وأعجز .

هذه الصفحة من صفحات حضارة لبنان الغابرة، الى جانب غيرها من الآيات الأخرى غرست في الانسان اللبناني ميلا عنيدا للالتصاق بتربة وطنه الغنيّة، بتراثه الحضاري، بأمجاده القائمة على هذه التربة، تلقّن الإنسان دروسا في الصمود والعظمة فأبى اللبناني ان ينسلخ عن تراثه ، وأنّى له أن ينسلخ وقد ارتبط قلبه بتراثه كما ارتبط تراثه به كما يربط الحب بين قلبين محبين يبقيان كذلك حتى يفرّق الدهر بينهما ؟

هون نحنا هون أوين بدنا نروح
يا قلب يا مْشبَّك بحجارة بعلبك
عنا الدهر عا شبين الروح (٣)

إنها دعوة من دعوات النزعة الوطنيّة في الأغنية الفيروزية للبقاء في لبنان والى جانب لبنان في السرّاء والضرّاء يحث أبناءه على إعلاء شأنه في متابعة المسيرة الحضارية، ان أرادوا شيئا فبالحسنى حققوه ، وان اضمروا خيرا فبالسلام أوجدوه ، وان غرسوا شجرة، غرسوا الى جانبها اغنية تنمو على لحنها وتعلو، فللّحن قدرة على الإنبات أيضا . وهذا الربط

---

(١) وعدي إلك، رقم ١١ ٢

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، قدم لها واشرف على تنسيقها، ميخائيل نعيمة، دار صادر ودار بيروت ١٩٦١، ص ٣٥ .

(٣) بعلبك ، ص ٣٦ .

هذه البَعلبك التي عجز العقل الحديث عن تفسير كيفية بنائها فقلّد العقل القديم بالتحليل الأسطوري لكل ظاهرة ما استطاع ضبطها او معرفة اسبابها ، هي التي وقفت فيروز بين اعمدتها وفي معبدها لتغني لها .. ولكن هل كانت كلمات هذه الأغنية بمستوى عظمة تلك المعجزة ؟

ان الكلمة في الأغنية الفيروزية غالبا ما تصور الإنسان المنتصب وراء عمل من الاعمال او فن من الفنون اكثر مما تصور الإنجاز نفسه او الفن نفسه وكذلك هي الحال في اغنية بعلبك حيث نلمح صورة انسان قدير قابض على مفتاح النور بكلتا يديه ، راسخ في التصميم ، ثابت في العزيمة ، يلمس بأنامله الجلمود الأصم فيحوله آية فن ، وتحفة جمال ، يتحدى بقاؤها العناصر ، ويبيت عند سفحها الزمان صاغرا . الإنسان هو شعلة الحياة تتفتق منها شرارات الإبداع لتبعث في البلقع حياة ، وتحيي في اليباب مواتا ، هو محرّك الحضارة تتهاون بانحلاله ، وتزدهر باتقاد عزيمته واستمرارها فينهزم امامها الجهل ، وتنكشف بفعلها الظلمات عن جمال الفن المبدع من فن الجمال على طريقة إبداع بعلبك التي تردد ارجاؤها صوت الانسان الذي كان وراء عظمتها :

بْعلبك أنا شَمعه على دْراجك وَرْده على سْياجِك
أنا نِقْطِة زيت بْسْراجِك (١)

بعلبك هي " قصة عز " تروي للمستقبل مجد حضارة الزمان الغابر ، الحضارة القدسية فرضت نفسها على التاريخ فحضن التاريخ بها آية كانت ومازالت عبرة للحضارات ، يقف اليوم امامها انسان القمر ، مأخوذا بالفن مأسورا بالعظمة ، فيستحضر جمالها في ذهنه قدرة الإنسان الذي أبدع ، وهول الساعد الذي أشاد ، فيولد بنفسه شوق المغامرة ، ويشرق في قلبه طموحٌ للتقليد .. تقليد تلك القلوب الصابرة ، التي كونتها عزيمة التصميم والمثابرة ، واطلقتها نحو الابداع سحر الاغنيات التي تزيد في قوة الطاقة وتفتح في سماء النفس آفاقا جديدة ، يتوق اليها التطلع ، وتشد صوبها الأبصار :

بْعَلْبك يا قِصّة عز صليانِي وبالبَال خِلْيَانِي
يا مْعمّره بْقْلوب وْغْنانِي (١)

---

(١) بعلبك رقم ٢٦ ، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ان " بعلبك اسم مركب من بعل اسم من صنم وبك اصله من بك عنقه اي دقها ، وتباك القوم اي ازدحموا ، فاما ان يكون نسب الصنم الى بك وهو اسم رجل ، او جعلوه يبك الأعناق ، هذا ان كان عربيا ، وان كان عجمياً فلا اشتقاق وقد ذكرها امرؤ القيس فقال : / ولقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص أنكرا / ."

../.

بين النبات واللحن نجد له اثرا في أساطير اليونان التي روت " ان رنات اوتــار أورفيوس الموسيقي حركت قلب الحيوان، فأتبعته الضواري، والنبات، فمدّت نحــوه الأزاهر أعناقها، ومالت إليه الأغصان، والجماد، فتحرّك وتفتّت " (١)• بهذه النزعة اللحنية الإنسانية نقل اللبنانيون للدنيا اخبار حضاراتهم، فعرفت بعلبك " بالحكاية الإلهيّة" التي انبثقت من عظمة معابدها فحكى بها الناس تليدا وطارفا :

مَـين راح يِنْسى يِسْعد وِشْقـي ... بِزْرع الشَّجرة وحدّا الشَّبي
واللّي بِحكي حكاية إلهيــــي ... وِتْعلَّم بْها الدَّهر ونْبي
وعَمـا إسمنا السّمــوات شمّـــه (٢)

هذا هو الإنسان الذي ترك في بعلبك احدى بصماته دليلا على ما كانت تحتويه عبقريته الخلاّقة في الزمن القديم•• وذلك هو الإنسان في بيروت إنســان " السفر والذهب والهرب " في الزمن الحاضر وهذه هي بعلبك " آية سور على جبين الدهــر"، وتلك هي بيروت " حكاية الرصيف التعبان بالنـاس وبالحيطـان " ولكن ما هي القرية اللبنانية في الأغنية الفيروزية ؟ ومن هو الانسان في تلـك القرية ؟ وما عدد الأغنيات التي تخصصت فيهــا ؟

<u>صورة لبنـان بوجهه خمـاسي :</u>

٢ — <u>فـي القريـــة</u>

بلغ مجموع الأغنيات التي تخصّصت في الضيعة ثمانية، ثلاثة منها بالفصحى، أقول تخصّصت لانها تدور كلّها حول القرية وسهراتها ومواسمها وطبيعتها، وتمييزا لها عن الأغنيات التي ورد خلالها ذكر لها، أو رسمت منها صورة مــن صورهــا، ولأ بـدأ بتلك التي تكلمت عن القرى بصورة عامة فوصفتها وعن إنسانها فحدّد تبــه، منها قصيدة باللغة الفصحى تحت عنوان القـرى :
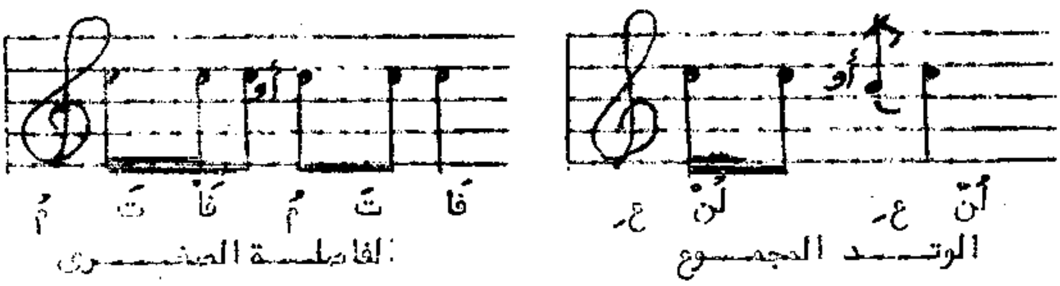
---

(١) المجموعة الكاملة: جبران خليل جبران، ص، ٣٥ — ٣٦
(٢) بعلبــك، ص ٢٦•

•• / •

تلكَ الثُّرَيّا سِحرُها ... نَغَمٌ على شَفَةِ الجمالِ
وقلائدٌ عُقِدَتْ معلَّـ ... ـقةً بأعناقِ الجبالِ
يغفو شُعاعُ الشمسِ في ... واحاتِها الخُضْرِ الظِّلالِ
وتموجُ في الأرجاءِ لا ... معةَ النوافذِ كاللآلي (١)

توحدت هذه القصيدة في وزنها وإن لم تكن كذلك في قافيتها حيث أنها تتكون من خمسة مقاطع موحَّدة الأُسطر، كل مقطع منها على قافية مستقلة، أمّا وزنها فمجزوء الكامل "وهو ما حذف ثلثه وبقي على أربع تفعيلات وله عروض واحدة وأربعة أضرب (٢) "والضرب المستعمل فيها "المُرَفَّل"، "وهو ما زيد عليه سبب خفيف فتصير متفاعلن، متفاعلاتن" (٣) وتفعيلة هذا البحر تتكوَّن من فاصلة صُغرى، ووتد مجموع ويأتي وزنها الموسيقي على النحو التالي : (٤).



---

(١) القرى رقم ٢٧٦ . والنغم لغة : الكلام الخفي ، التطريب في الغناء . وموسيقيا معناه : الصوت المُدرج تحت ضوابط الموسيقى بحسب ثقله او حدته أو عدد اهتزازاته أي رنته . انظر في هذا مبادئ الموسيقى الكنسية البيزنطية حسب المذهب القسطنطيني للأرشمندريت انطوان هبّي ، طبعة ثانية، مزيدة، كاملة، المطبعة البوليسية ١٩٦٤ حريصا لبنان، ص ٩ .

(٢) علم العروض والقافية . د . عبد العزيز عتيق، الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ص ٦٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٦١ .

(٤) رسم الوزن الموسيقي من كتاب : الغناء الكلاسيكي العربي لسلمى فضل الله الأسعد، الطبعة الأولى ١٩٦٢، لبنان، ص ٦٦ .

والإضمار هو زحاف هذا البحر الشائع وقد استعمل هنا كثيرا . اما روي الأبيات في هذا المقطع فحرف اللام وهو " يدل على الالتصاق بالشيء بعد تكلفه .. " (١) كما يقول الشيخ عبد الله العلايلي " اما صاحب دراسات فنية عبد الكريم اليافي فيذهب الى ان الجر يدل على الانقياد والإلحاق والإضافة " (٢).

والمعنى الإجمالي لهذه الأبيات يركز على إعطاء صورة واضحة عن التكوين الطبيعي للقرى سواء أكان هذا التكوين من طابع الانسان وتحيزته التي ربيت في كنف الطبيعة كما في البيتين الاولين ام من الطبيعة نفسها التي تمثلت في البيتين الآخرين . ولنأخذ كلًا من هذين التصنيفين على حدة : ففي التصنيف الأول نلمح بيوتا منتشرة على رأس رابية منحرجة الى حضن منحدر ، منبسطة على صفحة مستوى ، جاثية عند سفح " شيمر " (٣) او ممتدة الى جانب شعب (٤) ... يحيط بكل بيت احواض السورد من كل جنس ولوع وتدلّ سطح كل بيت عريشة تخبّأ فيها العناقيد ليوم يعز فيها العنقود ، فتزداد لذة قطافه حين يُزاح عنه الثلج ، وبوكل إلى جانب الموقد ، حيث أنين الدوالي يتلاشى في نشوة الاحتراق .. ووراء كل هذا نلمح صورة الانسان الكادح يبني تلك البيوت ويعلي جنائنها . ولكن هل هذا يفسر " نغَمٌ على شَفة الجمال " في البيت الاول ؟ إن النغم في معنييه اللغوي والموسيقي يوضح أمامي الرؤيا ، ويبرح في مخيلتي ان شفة الجمال ما هي الا تلك التلّال والهضاب والمنحدرات المرصعة بالبيوت ، وهذه البيوت بمختلف المطالها وأماكنها تشكّل القرى القائمة نغما على تلك الشفة تماما كما ترصّع " النوطات " السلم الموسيقي بجملة موسيقية يتولد منها الطرب وقوامها المتصل والمنحدرة والوتر .. وشفة الجمال كما صورها لي النغم هي السلم الموسيقي ، والبيوت الموزعة على هذا السلم هي " النوطات " والجمل الموسيقية هي القرى التي تضيع في النفس ألحان الجمال بمجرد الرؤيا . وبهذا يكون الرد على التساؤل . ولا عجب بعد ذلك في ان تكون هذه القرى قلائد منثورة للجبال معلقة في اعناقها متألقة فوق عراعرها (٥) . ونلمح في التصنيف الثاني رسل الطبيعة تحضن بعضها في بهجة السلام

---

(١) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص ٦٤ .

(٢) الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام، ص ٢٣ .

(٣) الشير عند العامة الصخر العظيم المشرف على هبوط ويسمّونه ايضا رِجّاراً (واللفظتان سريانيتان).

(٤) الشعب : الطريق .

(٥) العراعر : غلاظ الجبل كما وردت في نهاية الأرب الاول ، ص ٢٢٢ .

../.

ومنالك لا يخفى الهوى أن ضج في قلب الدروب
فالزهر ينقل ما يوشوشه المحب على الدروب
وطوائف الأطيار تسترق الحنين من القلوب
وتذيعه نشأ يهيم على مسرات الحبيب (١)

حرف الروي هنا الباء وهو "يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، ويدل على التوام الحل بالتفصل .. " (٢)

والمعنى الإجمالي يدور حول عدم امكانية بقاء سر العاشق سرا في مكان تعيش فيه الأزاهير مادّة أعناقها مستطلعة كل الخفايا، مستميلة نحوها كل القلوب فتأخذ منه ما يختلج فيها من وجدانات حرّى، وأشواق تغلي باللهفة العاشقة، لتذيعها في الهواء محبة وغبطة وتقبل أسراب العصافير على لغة القلوب لتأخذ منها أنغاما عذابا تزقها طوافة على الدروب وبين الأفياء وخلال الورود حيث مجالس المحبين ومنتجعات العاشقين، فيختلط ضوع الزهور ببوح الصدور، وتحمل النسائم الأسرار فتردد ها حناجر الأطيار. تلك هي القرى بطبيعتها، فهل يعتز ابنها بها وهل يفخر بأنه منها ؟

أنا من هناك من القرى أقبلتُ مرتفع الجبين
أروي لمن ألقاه عن أرضي أناشيد الفنون
بي كبرياء جبالها وتواضع السهل الأمين
بي من يناسمها أهازيج تموج بالحنين

النون حرف الروي وهو "يدل على البطون في الشيء، أو على تمكن المعنى تمكنا تظهر أعراضه .." (٣)

و المعنى الاجمالي يكاد حرف الروي أن يبوحه .. وإني أخال قرويا قوي البنية حاد النظرات، تبدو عليه ملامح الأنفة، وترود ه هزة الاعتزاز جريئا، بديهي الجواب، لا يتكلف الحركة أو يلوك الحرف، وليس معنى هذا انه صلف أو متغطرس لكنه صادق حاضر النكتة يعتذر إن اساء، غرد محبا .. لقد انطبعت في داخله طبيعة قريته فظهرت

(١) القرية، رقم ٢٧٦ ومعاني الكلمات: الهوى، مصدر جمعه أهواء، العشق يكون في الخير والشر، ارادة النفس وميلانها الى ما تستلذ. وهوى، يهوى، احب واشتهى. وضج تعني صاح وجلب لنزعه من شيء أغاظه. وطروب كثير الطرب وطرب اريا اهتز واضطرب فرحا او حزنا. وطروب على وزن فعول و" خصوصيته الدلالة على التفضيل في الطبيعة تقول (طيور) لا عظم الطاير سرعة و (فصيلة طيورية) وأيضا (سبوح) لا عظام السمك سرعة. وهو يفيد معنى (الاكثر) الذي يقال له في الاجنبية The superlative او تفضيل المبالغة" انظر تهذيب المقدمة اللغوية ص: ٢١١.

(٢) تهذيب المقدمة اللغوية، ص: ٦٣. (٣) نفسه، ص: ٦٤.

../..

ومسرّة العيد .. فهذا شعاع الشمس يستريح بين الأدواح، وكأنه منهك من مشقة السفر وطول الطريق، فتضمه الأدواح راضية مرضية .. ثم يفيء الى زجاج النوافذ متراقصا بعد غيلة القيلولة، فتداخل الأضواء، وتضطرب الأنوار ملوّنة بألوان الزجاج منعكسة على الساحات وأحواض الورود، فيسبح الخيال في سحر من جمال .. ذلك في المقطع الاول، فماذا يحوي المقطع الثاني من صور وماذا يثير في النفس ؟ :

تلكَ القرى حيثُ الضباب يحفُّ مطلوق الجناحِ
وترتّل الأمواج والغابات ألحان الرياحِ
ويطل وجه الذكريات الحلو من كل النواحي
العيد والأجداد والزمن المنقضي على السماحِ

يتغير حرف الروي هنا بتغيُّر الانطباع، وينتقل بانتقال الرؤيا، فحرف الحاء "يدل على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيّات، ويدل على المائيـة" .. (١) وهذا منطلق أبدأ منه، ونتيجة انتهي إليها .

إن مدلول حرف الروي يبوح بمدلول الصورة، والصورة هنا تبدأ مائيـة متماسكة وتنتهي مسموعة خفيّة إلا من التصور . فالضباب يرود تلك القرى خاشعا منسرحا في الانبساطات والهُوى، مستقطرا وجدانه فوق شفاه الأقحوانات، وأكف الزنابـق، ووجوه الشقائق، فيتحرك فيها النوح ويتمشى العبير ... مغنيا نفسه فوق البراعـم فتتفتق صاعدةً بلذة الابتلال، متبتّلة في عبق الشميم .. وعاصرا ذاته فوق أماليـد الطّول والسنديان في الغابات فتستفيق الأوراق على وقع القطرات المتلاحقة، ويمر عليها النسيم فترتعش من لذيذ السكب ولطيف المداعبة، وينشأ من هذا كله عزفا فريدا تبوح به الأوراق والأغصان من شدة الوجد بلقيا النسم . وان وعى الانسان هذه الالحونة الرائعة، لا يسعه إلا ان يسجد أمام هذا الابداع الذي كونه الله، فيكون شكورا .. فيتحد مع نفسه أولا ومع أخيه الإنسان ثانيا من اجل السلام والتعاون، كما تتماسك الطبيعة بكل عناصرها لتخلق له الحياة ظاهرة كانت، يدركها بعقله ويبصره ام خفية يحس بها ولكنه لا يدركها .. وينتقل المعنى في المقطع الثالث من "الخفيـات" الى ما لا يخفى ومن "المائيّة" الى الهوائية والبلوغ الوجدانـي :

---

(١) تهذيب المقدمة اللغوية، ص ٦٢ .

../.

أعراضها على حياته ومسلكه ، فاكتسب من صخورها مناعة ومن جبالها عظمة وثقة ، ومن سهولها بساطة العيش وسهولة الحيزة ، ومن زهورها ونسيمها فرحا وطربا ، فالغناء اليف عشرته في حقله وفي سهراته ، وان هو يفتن بالتحدث عن ارضه وخيراتها وطيب هواءها فلأنه يعتز بها اعتزازا كبيرا .. وتأتي النتيجة في المقطع الأخير اعلانا صريحا عن محبته تلك القرى ودروبها وعشق ترابها :

أهوى الدروبَ السُّمـر حيثُ تمر أطيـاف الصبـايـا
أهـوى القُـرى المتربِّعـات الناعمات على الحنايا
وأحب ذيّـاك التـراب وصمتـه عنـد العشايـا
أنا منـه ما طـال البعـاد ومـا نأت عنـه حكايـا

روي الختام حرف الياء وهو " يدل على الانفعال المؤثر في البواطن .. " (١)

المعنى الإجمالي هو إعلان ما بطن في الشعور من انفعالات مؤثرة بمُدركيهما ، متأثرة بالطبيعة القروية ، وكأن الاعلان بوحا لعشق تولـد ، ليس باطن النظر لجمالها الطبيعة فحسب ، ولكن بإهراق حبات العمر على أرضها ، وبافناء السواعد على صخورها ، وبعرق الملوقة بين ترابها ، وكانت هي كريمة أعطت فأجزلت .. لذلك أعلن انسانها حبه لتلك الدروب حيث مواكب الصبايا تمر كالأطياف باسمات خفرات ، لتلك القرى المرتمية بين احضان الأودية والشعاب ، لذلك التراب الذي يبدو " صامتا عند العشايا " بعد ان اوجعته المعاول وخددته المحاريث في النهار ، وكأنه صمت الموت الذي يذكر الانسان بمصيره ، أو صمت المعرفة التي تدرك ان الشرارة منها انطلقت فأضاءت واليها ستؤوب .

تلك هي قصيدة " القرى " جاءت ملونة القوافي كتلون مروجها وأزاهيرها ، ومختلفة باختلاف الانطباعات التي ولدتها أفياؤها وطيورها وسماؤها في ذات الشاعر ، وهي وان اختلفت قوافيها فقد تماسكت معانيها وتلاحمت مغانيها ، وتمكنت صورها في المخيلة فأثرت في النفس كثيرا . والسؤال الآن هل خصصت الأغنية الفيروزية ضيعة بعينها ؟

لإن كانت قصيدة القرى عامة دونما تخصيص ، فأن هذا العام ينطبق على الخاص ، لأن البعض هو جزء من الكل ، لذلك ان غنت فيروز للكل فتكون قد شملت بعض هذا الكل بالطبع ، وان غنت للبعض ايضا وقد حدث ذلك ، فكأنها ادركت الكل ، تماما كما تحتوي قطرة من ماء البحر على خصائص امواجه كلها ...

ولكن كيف كان التخصيص في الأغنية الفيروزية ؟

لقد كان مجهولا رغم مميزاته ، كأن تجيء الكلمة نكرة دون ذكر اسم للضيعة المقصودة او ما يدل عليها بالذات كما وردت في اغنية " حمرا سَطيحاتِك " (٢) او تجيء بصيغة

---

(١) المرجع السابق ص : ٦٤ . (٢) رقم : ٥٨ .

../..

الجمع كما في أغنيات : " سَهَرِنا عَدْراج الورد (١) و "تلال الزراعين " (٢) و" يا نهورية كوثر " (٣) ونادرا ما تأتي بصيغة المتكلم كما في " بلدتي غابةٌ جميلة "(٤) وحتى ياء الملكية هذه فهي نزعة كلية لا تدعنا نقف عند بلدة بعينها وان كان يظن انها بلدة الشاعر حيث يقيم ، وهنا تكمن انسانية النظرة للجمال اينما وجد ، وفي اي بلـدة استراح وهو موطن النفوس الشاعرة على أي حال . ولأبدأ بتفصيل العام الذي اجمل في " القـــرى " :

بَلدتي غابــةٌ جميلــة | حُلـــوةُ التـــلال
خَيْمُهـــا نَسمةٌ طويلة | أرضهـــا جَمـــال (٥)

تولد هنا صورة بلدة تظللها بواسق الاشجار ، فكل بيت تنبسط امامه جنينة مغروسة وتحرس مدخله قامات الصنوبر ، كما تمتد على تلالها بساتين الليمون او اللوز ، ويســرح النظر في سهولها على خضرة وينابيع ، وفي بيادرها على غمار وخيرات تجوب فوقها اسراب السنونو ، وتحط عليها جماعات الدوري تلتقط الحبوب وتلفظ النسمات .. انه جمــال يبتدئ في اعماق الأودية فيبلغ هامات الذرى ولكنه لا ينتهي ... يزرع الحب فــي النفس عظيماً . فيبقى كذلك لا يدركه الوهن ولا يناله التلاشي .. والطيور على اختلاف أجناسها تهتدي من وكناتها الى تلك المروج الآمنة مالئة الفضاء عزفا وتغريدا مطمئنة لا تخاف انسان الضيعة فقد ألفته فهو لا ينصب لها الشراك ولا يصوب نحوها البنادق :

تورق الأراك (٦) وتغنّي الطيــور في رباها الآمنــة

هذا هو السلام يشيع في كل دقائق البلدة وقضاياها .. فالصيد محرم . هكـذا أراد الناطور فاطمأنت بإرادته العصافير وسمنت ، وكذلك هو الامر بالنسبة للانســان في القرية فلا خصام ولا تقاتل بل وفاق واطمئنان .. وان خرج احد عن هذا الخــط قاطعته الضيعة فلا من يُحييه ، ولا من يُحاكيه حتى يعود عن غيه راضيا معتذرا ، فصفت بذلك النوايا ، وعمت المحبة ، واخصب الخيال ، ولهذ تلك الوهاد ، ووسعت القلوب ايمة تلك الارض وبهية تلك الظلال :

هذه الوهــاد منبت الخيال موطن الفؤاد مَذه الظّلال

---

(١) رقم : ٩٥ .
(٢) رقم : ٤٤ .
(٣) رقم : ٢٦٤ .
(٤) رقم : ٢٨٣ .
(٥) : بلدتي غابة جميلة ، رقم : ٢٨٣ .
(٦) الأراك : نبات واحدته أراكة ، شجر ذو شوك ، طويل الساق ، كثير الورق والأغصان . خوار العود . تتخذ منه المساويك .

../.

وهناك صورة مشتركة بين " القرى " و " بلدتي " ألا وهي صورة الطيور شريكة شاعر الإنسان في ارتياحه وسط الغياض • فتجيء طوائفها في القرى ، تسترق الحنين لتذيعه بغبط " على الأفنان حين يمر الحبيب ، وترتمي رفوفها في " بلدتي " على المروج والتلال والحقول حيث اطوف عند البُكَر والأصائل :

كلّما أُطوف بين تلك التلُول والجنان الأليفة

ترتمي رفوف من طيور الحقول في المروج الوريقة (١)

والفرق بين الصورتين انها في الأولى جاءت لتلتقط اخبار الساهرين المحبين لتذيعها ، ولكنها في الثانية جاءت مرتمية كأنها تستغفر ، مُرّقة كأنها تصلّي •

وقد تجاوزت الأغنية الفيروزية حدود وصف القرية وتصوير منابتها ومنابعها ومواسمها وسهراتها بشكل عام إلى تناول بعض الخاص فيها كقيام الفتاة ، الى جانب الفتيان برعي المواشي في الجبال وفي " خُضر البقاع " وهي حالة ما زالت قائمة الى يومنا هذا في بعض القرى اللبنانية التي يشكل الحلب والصر ، أساس معيشتها ، وبما ينظر المتحضر ، إلى ذلك ، شافناً (٢) لأنه يعرفه من الحضارة التي يعيشها ، ان الفتاة او المرأة بصورة عامة ، هي سيدة " مالونات " لا يجب ان يتجاوز عملها طبيعتها الغنوجة الرقيقة ، اما ان تقوم برعي قطعان الغنم والماعز في البراري ، فذلك انغماس في البدائية والتخلف • اما الأغنية الفيروزية ، فقد صورت الراعية صورة يتمنى أن يعيشها المتحضر ساعة ، صورتها انسانة تتوقد بالحياة والعمل ، عشيقة الصباح في القمم وفوق المرتفعات ، وليس في البيت فوق مقاعد الاسترخاء والتبرج ، صورتها انسانة تعودت على التطلع صوب العلى فاستوطنت القلب حيث اشرق فيها نور الايمان فغنت واطمأنت . ويلمح ذلك في قصيدة رفعت " الى راعية " فشكلت منحى آخر من مناحي النزعة الانسانية في الأغنية الفيروزية • وهذه القصيدة منوعة المقاطع والأبيات ، ملونة القوافي والمدلولات ، ألبست بحراً واحداً من بحور الشعر العربي :

سوقي القطيع الى المراعي وامضي الى خُضر البقاع

ملأ الضحى عينيك بالأطياف (٣) من رقص الشعاع

وتناثرت خصلات شعرك للنسيمات السراع

سمراء يا انشودة الغابات يا حلم الراعي (٤)

---

(١) بلدتي غابة جميلة ، رقم ٢٨٣ •

(٢) شافناً : كارها مبغضاً بوشفنه وشفن اليه شفوناً وشفناً ، إذا نظر اليه نظرة المتعجب او الكاره المبغض •

(٣) الاطياف جمع مفرده طيف وهو الخيال الطائف في النوم • وفيزيائياً ، وهو المقصود هنا : صورة تحدث عن مرور الضوء الأبيض في موشور فينحل الى انوار بسيطة ملونة هي حسب ترتيبها في الطيف : الأحمر ، البرتقالي ، الاصفر ، الاخضر ، الازرق ، النيلي والبنفسجي • (٤) الى راعية ، رقم ٢٧٨ •

••/•

وزن هذه الأبيات هو مجزوء الكامل " المرفّل " الضرب وقد مر التحدث عنه في قصيدة " القرى " وروي الابيات حرف العين و " يدل على الخلو الباطن ، او على العلو مطلقا .. (١)

والمعنى الإجمالي يدور حول فتاة تستبق الشمس مع قطيعها ، في ارتياد الربى والمراعي الخضر ، ترنو لا طلالة الصباح من أعذار السحر وترمق استفاقة النهار على عدالة البلابل وزقو المكّاء (٢) ، متلذلة مع يعار (٣) معزها وثؤاج (٤) ضأنها ، فتجلس فوق صخرة مشرفة محدقة في آفاق الشروق القصيّة ، فتمتليء بالنور عيناها وتَمتّع مقلتها رقصات الضوء المنعكسة فوق الكلأ الممتد ، وقد غسله الطل على ضوء القمر في الليل المنفصل ، وحرّكه النسيم أمام وجه الشمس فطرب بريقه كما حرك للراعية جُفال (٥) شعرها فانتثر أمامه وتطاير على أجنحته ، كضباب الصيف يحوم حول الشعاع .. يبرقع وجهها تارة ، وطوراً يُسفر . فيبدو وقد لوحت الشمس بشرته ، عنّقبرة في حضن دالية .. وتبدو هي سمراء عروسة الغابات تنشد ها الغابات عزف النسم على افنانها واوراقها ، وأمنية المراعي المخضلة تقدم لقطيعها حياتها من لدائة كلأ ووفرة ماء ، وأيناس أفياء ، فتنشد هذي " البقاع الخضر " كل يوم وتنتظرها المراعي عند كل ضحى .

لإن صور هذا المقطع صورة من صور الراعية ووضعها في المراعي صامتة سادرة تبعث فيها الطبيعة الوانا وتثير نوازعا ، فأن المقطع الثاني يحوي صورة أخرى لهما ، فتولّد هي في الطبيعة حركة وتبعث الحانا وتثير شجونا :

من فتنة الوديــان لونــتِ مراعيــك الخضابـــــا
وملأت هــذا المــرج الحانــاً وانشـــاطا عذابـــا
بيــن المرابع تشرديــن كظبيـــة تهفو اقتــرابـا
تتعشقين الشـاب اشجاراً وتهويــن الرحابا (٦)

حرف الروي هنا يتبدل بتبدل الصورة ، وهو الباء مشفوعا بحركة النصب . وقد مرت دلالة حرف الباء عند الحديث عن " القرى " اما " حركة النصب فتفيد التأثر او التنبيه على أمر من الأمور " (٧) .

---

(١) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص : ٦٤ .
(٢) المكّاء جمعه مكاكي ، طائر من القنابر له تصعيد في الجو وهبوط ، ابيض اللون وله صفير حسن ، والزقو هو صوته .
(٣) اليعار : صوت المعز .
(٤) الثؤاج : صوت الضأن .
(٥) جفال : كثير .
(٦) الى راعية ، رقم ٢٧٨ .
(٧) الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ص: ٧٢ .

../.

المعنى الأجمالي يشير إلى الراعية نفسها وقد بلغت فيها النضرة كل مبلغ ، فهي تعيشها صباح مساء وما بيدها وتحلم بها اثناء نومها ، فجاءت ميولها مطبوعة بهذه النضرة ، واكتسبت مقاصدها من اخضلال الأودية واخضرار الغابات وارتدى طبعها من صمت الأبعاد .. وتعوّد على الإصغاء العميق للأصداء تنثم في بطون الأودية ومتاهات الجبال .. فتتوق للمشاركة في دربها الممتد ويغزو ترجيع صوتها مواطن الاصداء، وتجيش نايها بين أناملها على عذوبة اللحن وايقاع النغم ، فيسكن القطايع منصتا طروبا .. ثم يحدث الحزن ويعود القطايع للرعي ، وتعود هي مسرعة به لمرج أخصب ، وموقع أكلأ فتصعد في الغابات ، موضع تسلقها الأخضر ، وتهبط في الوديان والسهول المباتة موقع عبقها الأخضر ، كأنها عروس الزرقة ساعية لا تتناهى للصدى ..

وفي المقطع الثالث تبرز عملية المبادلة بالمثل حيث تعشقها الغدران ، وتفرح بمقدمها الشحارير مع نايها السكرى :

يحكي الغدير صدى هواه إذا دررت على الغدير
و يصفّق الشحرور حين ترفرفين على الصخور
وبين قمّات الجبال الشم وكمار النسور
وتسامرين معاطف الوديان في السفح النضير

الراء حرف الروي " يدل على الملكة ، ويدل على شيوع الوصف .. " (١) والمعنى هنا يتجه في منحيين : ينطلق الأول من الطبيعة متجها نحو الراعية حيث يبوح الغدير بمكنون قلبه وصدى حبه اذا اقتربت منه او جلست على احدى ضفتيه مبردة بمياهه اناملها الحرى المشتعلة بحرارة العزف على الناى الجريح .. وحيث يطرب الطير حين تعتلي سطوح الصخور مراقبة قطيعها من عل ، طلحة على نايها نشيد النضرة التي اكتسبتها من الطبيعة ، أو نشيد الغربة عن الناس في مأوى عن كل الأعين سوى عين الله سبحانه ، فتشاركها الطيور صفقة طروبة ، وتواكبها النسمات بليلة عذوبة .. وينطلق المنحى الثاني من الراعية متجها نحو الطبيعة ، حيث تذهب الى اعالي جبالها قاصدة وكنات نسورها ، تضج في حناياها اللوعة المثلى على تلك المراقد ، ترود هنا أنى شاءت وكيفما شاءت .. وتبرز في هذا المنحى نقلة جديدة الا وهي يقظة الراعية في الليل التي تدل عليها كلمة " تسامرين " والمسامرة هي التحدث ليلا .. وكثيرا ما يحدث ان الراعي لا يحضر الى القرية مساء كل يوم ، فيبيت مع قطيعه في الجبال بين الصخور ، ولم يقتصر الأمر في ذلك هنا على الراعي فحسب بل تشارك الراعية في هذه المهمة الصعبة ، فتسهر على القطايع تحميه من ذئب متربص او غدار محدق .. فتسامر حينئذ ، المنحنيات والمنعطفات بلغة الصمت والتصور ، لان اية حركة مهما كانت هامسة،

(١) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص : ٦٤ .

../.

تثير في عمق ذلك الصمت جلبة ترشد الأسماع وتحفز الترقب ..

ويكشف المقطع الأخير عن شخصية جديدة تبرز فجأة في وطن تلك الراعية عند منبع إحدى الينابيع تشدو لتلك الراعية السمراء تنهيدة أوحت بها سيرتها في حقبة من الزمن :

وعلى مصب النبع في المنحدرات لاح خيال راعي
كوفية(١) بيضاء تسبح في المرابع كالشراع
يشدو ويقول وصوته المتداوي يهيم بملا انقطاع
سمراء يا أنشودة الغابات يا حلم المراعي

لقد مرت دلالة حرف العين في المقطع الاول وهو روي هذه الأبيات .

والمعنى الإجمالي يدل على شخصية مراقبة تحتمر تلك المروج باستمرار ، بيا ان كوفيتها ليست غريبة عن تلك المرابع ، ولا عن النسائم التي ألفتها وداعبتها .. هذه الشخصية هي شخصية راع فتنته صورة تلك الراعية رائدة الهضاب والجبال عشيقة الغابات والمراعي فانطلق يغني على عزف نايها ، من موحيات انطلاقاتها (سمراء يا انشودة الغابات يا حلم المراعي).

يشرق في هذه القصيدة معنى المشاركة . مشاركة الطبيعة من جهة للانسان في مشاعره ، تزيده حبا وعطاء كلما زاد ها اهتماما واعتناء ، تحرك فيه الشوق للمعرفة كلما تعمق بالتأمل فيها ، تلهمه كلما اصغى لصمتها .. ومشاركة الطير ، من جهة ثانية ، له في طربه وغنائه ان هو انطلق في البراري ينشد الأمن ويرتل السلام والمحبة . وتصور الى جانب هذا مشاركة المرأة للرجل في القرية ، تشاركه اعماله ، في الرعي فحسب ، وانما في الحصاد والقطاف وحراثة الأرض ايضا فيكتمل التعاون مع الانسان ومع الطبيعة بشتى ضروبه ومختلف اتجاهاته فتأتلف العناصر كلها وتتحد عاملة لاجل الخير والسلام ، مما يؤلف نموذجاً آخر من نماذج النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية .

تلك صورة للقرية بالكلمة الفصحى بالمعنى العام والخاص ، ولم يكن ذلك العام الا غما انفلت من شدة الأسر وروعة الاخذ في قرية ما وعمم على " القرى " فكيف هي صورة القرية بالكلمة العامية ؟ واي الصورتين كانت أوضح وأي الكلمتين كانت افصح في نقل القرية من حدود الواقع الى آفاق التصوّر ؟

---

(١) كوفية : منديل يلف به الرأس ، وقيل ان اللفظة عربية منسوبة الى الكوفة ، وقيل انها محرفة عن " كوفا " الايطالية ، ومعناها غطاء الرأس .

./..

ولننتقل من عين الضيعة ومقاماتها إلى خضرتها ومواسمها متوقفين جبالها وشعفات رباها وحناياها ، منحدرين نحو امتداد بساتينها المزدانة بمسلي تيدها ، مسرحين النظر بانبساطات سهولها ، متوضحين أيائكها ، منصتين لجندلة عنادلها ، وإيقاع بلابلها • كل ذلك من خلال الأغنية الفيروزية وتصويرها تلك المفاتن •

ليست آكام الضيعة ورباها عارية جرداء ، لكنها ترتدي خضرة الصنوبر الدائمة ، وليست أوديتها خاوية يصفر فيها الفراغ وتميد في منعرجاتها الوحشة ، لكنها تفجرت ماءً قراحاً ، فبسقت فيها الأشجار ، وبسمت الثمار ، وبقعت في أحنائها عمد الزنابق وقامات الأقحوان ، وأشرفت عليها قناطر البيوت من عل كأن بيتها عشق ومساجاة •• فاحلولت الطلاع فوق عرش هذا " المجد الأخضر " :

يا تلال صنوبر ضيعتنا	يا نهورة كوثر ضيعتنا
يا قناطر مرمر تتعمّر	عالمجد الأخضر ضيعتنا

" وانهار الكوثر " (١) هي حياة الضيعة ومجدها ، وهي ثمينة معروفتها عزيزة مع غزارتها ، تصب فيها الجداول منبجسة من أحضان الصخور مبشرة بالحياة والخصب العميم ، فافتتن بها الأهالي افتتانا واعتزوا بها وغنوا لها كثيرا ، ولا ضير في أن يهتم القرويون بالماء اهتماما عظيما ، وقد ذكر التاريخ من عهدها قديما (٢) • ولتقر عيون القرى فقد قرّى الله عيونها ماءً عذبا •

تعتزّ الضيعة بمواسمها اعتزازا شكوراً فيتفاخر أبناؤها بكمية الغلال ونوعيته ، فعدل القمح السمين الحبة ، النظيف التربة ، خير من عدلين مما ضعفت حبته ، وتقبضت قشرته ، واختلط بمر الزؤان وأصناف الشيلم ، وتنتشي تلالها بغابات اللوز تسمر تربتها ، وتزدان روابيها بأشجار التفاح تعتمر جلاليها ، وتملأ سهولها السدوالي فتخضرها وتصبح عناقيدها محجة الصادي والغادي •

بهذه الحطاءات الخيرة والخضرة النضرة وبالأدواح المشاءة المنتشرة على جنبات الغدران ، وكنات الطيور ومغانيها يسحق على الضيعة عز ورخاء ، وسواعد أبنائها تشاد الجدران وعلى اكتافهم تعلو العتبات وتقوم العمد ، فيزهر البناء ، وتبتهج الحناجر :

يحلا يخضّر عزّك يا ضيعه يتعمّر تلالك لوز وتفاح وكرومك هالمرج الأخضر(٣)

---

(١) الكوثر : الملتف من كل شيء ، وهنا معناه غزارة وكثافة الينابيع / والكوثر نهر يقال انه في الجنة ، وهو كناية عن الشراب العذب •
(٢) انظر في ذلك نهاية الأرب ، ج ١ ، ص : ٢٩١ •
(٣) يا نهورة كوثر ، رقم : ٢٦٤ •

الطبيعة في القرية عرس دائم التجدد ، وأصباحها طيب الشميم وتطريب العنادل ، وأماسيها وعد الرواح مع ضوء القمر ومواكب الصبايا يجتمعن حول مزراب العين يملأن جرارهن ماء نميرا ، يتحدثن بأخبار الضيعة وزياراتها وسهراتها ، ويدور فيها من أسرار وأسطار وشائعات فتمتلىء الأذهان بالأخبار قبل امتلاء الجرة ، فماء العين شحيح وكل يملأ بدوره . وغالبا ما يكون هذا المورد موعدا غير معلن يلتقي فيه شباب الضيعة مع صباياها " من كل وضيئة بلجاء (١) وكاعب جيداء (٢) ولميس لعساء (٣) رشيقة لبقة وظريفة عبقة أسيلة (٤) الخدين ، ضامرة الكشحين ، على أنهن خفرات لا خابيات ولا مستهجنات ، وما كانت المرآة تستغرق من أوقاتهن الا بمقدار ما يقتضي الاكتحال ، فلا يتبرجن ولا يتبرقشن ، ولا يتمايلن متهالكات في مشيتهن ، فكل ذلك لم يكن في آداب الجبل " (٥) فيدور الحديث عن الحب هذه المرة ، ويستبد الخفر بوجناتهن وتحرج العيون النُّجل في توزيع النظرات فتطرق وتنحسر الشفاه بداية عن ضحكة تبسم وزهلاس (٦) لا استغراب ولا إهزاق (٧) ويرد الشباب العين مع أباريقهم لا ليملؤوها ولكن لتكون حجة ورودهم ذلك المنهل ، فتنهل نظراتهم أكثر مما تنهل أباريقهم ، لكنهم مزودون بطيب السجايا ، وصفاء النوايا فلا اسفاف ولا تبذل ، فقد انطبعوا بصفاء طبيعتهم ونصاعة جبالهم ، وشهامة تربيتهم ، فإن دعا واحدهم إحدى هاتيك الخفرات فبحشمة الدعوة وأدب اللفظ ، يتبعه الحاح محبب لقلب المدعو اذا كان جوابه الرفض الذي تختبىء وراءه نزعة القبول ، موشحة بذوق مرهف وأدب رصين كأن يكون الجواب مثلا " بالأفراح إن شاء الله " مع انصراف عن الداعي مشوب ببعض الاضطراب ، فيبتعد عنه ولسان حالها يقول :

حِلْو الوَرد عا لَعَين تْيِمْلَّي أسمر كحيل العَين مَلّا وراح
شَدّ الحَزيمه وقال شَرّفْنا رِفْقْتُلُو مِشْ رُوح بِالأفراح (٨)

فكم شهد مزراب العين من مطارف جمال ، وكم سمع من أحاديث الغزل فاشتد صفاؤه واعذوذبت ماؤه .

---

(١) وضيئة : نظيفة حسنة . وبلجاء : طلقة الوجه حسنته .
(٢) الكاعب : ناهدة الصدر . والجيداء طويلة الجيد حسنته .
(٣) اللميسة : اللينة اللمس . واللعساء من كان في شفتها لعس وهو سواد مستحسن .
(٤) الخد الأسيل : الأملس اللين .
(٥) تحت السنديانة . بولس سلامه ، ص : ٢٢٢ — ٢٢٣ .
(٦) الإزهلاس : هو اخفاء الضحك .
(٧) الإهزاق : هو أن يذهب الضحك بالشخص كل مذهب .
(٨) يا نهورة كوثر ، رقم ٢٦٤ .

../.

ولكن ماذا عن سهراتها ؟

تختلف السهرات في القرية باختلاف الفصول • فاطولها سهرات كانون حيث تبدء في السادسة وتمتد على حسب الموضوعات المطروقة ، وغالبا ما تكون روايات طوال تدور حول العفة والشهامة والنخوة ، فيلتف الساهرون حول المدفأة يجلسون على إهاب الغنم ويصطكون بكل جوارحهم بعد أن يدب الدفء في أوصالهم ، وبين الفينة والأخرى كان يقف الراوي مستطردا مشبها أحد أبطال روايته بشباب بلدته فيقدح حينا ويطري أحيانا ، وما كان يقطع عليهم الإنصات سوى صوت رعدة قوية في الخارج فيقول كل واحد منهم "باسم الله وخير إن شاء الله ، سوف تتفجر الينابيع هذه الليلة " ثم يعود الراوي فيصل من الحديث ما انقطع • اما سهرات الربيع فكانت اقصر تدور أحاديثها حول مستقبل الموسم ، فهذا يتنبأ خيرا وذاك يتركها على الله ، وآخر يتشاءم فيكثر من الحقبات والعقد • وفي الصيف تكثر الأعراس ويبقى الساهرون في حديث مستمر عن الأفراح • وتحلو الليالي بضروب الرقص البلدي والدبكة الجبلية على إيقاع " مجيرة " الراعي " الذي توكل إليه مهمة العزف ، وتنطلق الحناجر مغنية من اصناف " الدلعونا " بما تجود بها قرائحهم ، فتطرب النفوس طربا عظيما ويشعر صاحبها بأنه يطير من شدة الفرح على اجنحة الريح او أنه آتٍ من " جبال الريح " يحلق فوق كل البقاع ، فلا يسع الناظر لتلك الضيعة من بعيد الا أن ينطلق معها قائلا لها :

يشتاتك عالعالي لاح	ويا ليليك ليالي ملاح
سهرنا مليح رقصنا مليح	وجايين من جبال الريح (١)

وليالي الصيف هي أرحب ليالي السنة وأصفاها ، فيها يجتمع الساهرون على المصطبات تحت ضوء القمر ولألاء النجوم مع نسمات الليل العليل وما احسنها ان كانت تلك النسمات شمالية المصدر فتبترد في مداعباتها القلوب الحرّى وتنفتح لملامساتها الجوانح وتتوّرد الجباه ••• ولاجل ذلك خص ريح الشمالي بعناية شعراء " الميجانا " فجعلوه لها مطلعا وقالوا : " ريح الشمالي يا نسيم بلادنا " • وان تأخر قمر السماء على الساهرين فعندهم قمرهم الخاص الا وهو القنديل " رقم اربعة أي أعلى مصابيح القرويين عهدئذ واسطعها نورا فما يقتنيه الا الوجهاء " (٢) ويحاط هذا القنديل بعناية خاصة من بدء شرائه فيحرص على أن يكون أزرق اللون نظيفا من كل شائبة ، ولما يدخل البيت تلعب بعدامه أنامل الصبايا فتصنع لبلورته رداءً من الخرز الملوّن ، وعند إنارته ليلة غياب القدر ، تزيّن قاعدته بمختلف أنواع التطريز والرسوم الزاهية ويعلق " بسياج الزنبق " فيتجاور النّور والنّور مولداً هذا الجوار في النفوس بهاجاً ولا أروع •••

---

(١) يا نهورة كوثبر ، رقم : ٢٦٤ •

(٢) تحت السنديانه ، بولس سلامه ، ص : ٣١ •

نجمه ليليّــه ضويـــه بدليّة ونسمه شماليّــه
وقنديــل الأزرق يتّزرّق ومسلّــق بشياج الزّنبــق (١)

وتختلف أمكنة " السهرات " من ليلة الى أخرى، فأن كانت ليلة أمس علـى المصطبات أمام البيوت فهي في الليلة التالية بين مساكب الورود واحواض الشقائـق، ودرابزين الخزامى، وهي وان تغيّرت امكنتها فلا يتغير جوهرها من حيث التسليـة، والتحدث عن المواسم، وادخال البهجة الى القلوب عن طريق المزيـد من الطـرب والغناء حتى انطبعت هاتيك السهرات بتلك الأغنيات وانطبعت هي بدورها بضـوء القمر الساهر، وضوع الزهر السامر، " وحكايات الدوالي " معتقة في الدنـان، تسكبها الأيادي في الكؤوس صافية " كأنما اخذها بالعين اغفاء " (٢) فتدار علـى الشاربين وقد امتزجت بالنّور فتولّدت منها انوارا •

سهرتنا عدراج الورد انزرعت بليالينـا بدنا بعد تنتّي بعد نضوّيها ليالينا
سهرتنا عحدود البال حكايات الدّوالي وضايع مجروح الموّال وحبّك على بالي
يــا قمــر لا قينـا ولــوّن ليالينـا (٣)•

تلك هي الليالي تتحول بالانسان إلى دنيا من المحبة والاتحاد والوئـــام، فتندحر الشرور، وتغلى الضغائن، ويتألق السلام •• وتبقى صورة النجوم والأضواء هـي الطابع المميز في الأغنية الفيروزية كما وردت صورتها في أغنيـة " يا نهـور الكوثـر " وردت هنا ايضا في أغنية " سهرتنا عدراج الورد " وكان بكل صورة لـون ومدلول •• فهي في الأولى نجمة تتلألأ في كل ليل ولكنها في الثانية تطورت الى نجمـة عاشقـة تفقه تلك السهرات وتفرح بالمحبة في الانسـان :

عــد عشطــوح ضيعتنــا ليـل ونجــوم عشقتنــا

وتنتهي تلك السهرات وينطوي معها جو الأهازيج ليشرق فجر يوم جديد على نزعة جديدة كبرى في إنسان الضيعة، فيتحول الساهرون ليل امس الى جدّيين غداة اليوم يزخر النشاط في عروقهم ويهدر شوق العمل في قلوبهم، فيتوزعون على ما ارتفـع من ارض الضيعة وما انخفض : فهذه تلة تنوء تحت ضربات المعاول، تفتح قلبها لتنثر فيه الحبات وتحضن الغرسات، وتلك أخرى تمهد على سطحها السنابل، مجتمعة غمارا

---

(١) يا نهورة كوثـر، رقم ٢٦٤ م
(٢) إشارة الى قول ابي نواس :
فأرسلت من فم الابريق صافيـــة كأنما أخذها بالعين اغفــاء •
(٣) سهرتنا عدراج الورد، رقم ٩٥ •

بقوة السواعد وطيب المناجل، فتودّع الحقل راحلة الى البيادر على اروع ما يكون الرحيل • وهناك مرتفعات الصخور التي تتعذر على كل ذي حافر وخف وظلف، لتسننها وقوة انحدارها، تكأنها تنازل الريح او تداعبه بخفة ونشاط وإلى جانبها ينبت الشيح ونعم المنبت الحصين • وفي المقابل تتعالى عساليج الشربين مزهوة في قامة فسيحة :

ّتلال الزّراعين ّتلال الوَعر ّعلالي الشّيح ضَيعتنا
تلال الحصّادين صُخور بْتمرَح (١) راس الرّيح ضَيعتنا
يامُطارح شَربين ّبيادر حصّادين شّبابيك الحِلوين ضَيْعتنا (٢)

وتحيط القرية الى جانب ذلك جنائن الرياحين والورود لتبقى ضاحكة منواعة، وتبقى ارضها مزروعة بقوة الساعد وعزيمة الفلاح وتصميمه على المضي في عطاء ارضه من عمره، حتى تعطيه من قلبها غمارا من الحياة :

مَزروعة مزروعه ُجنايِنْ دايِر مِنْ دار
ويْتضَبّ الا مزروعه لَتعطي الأرض غمار (٢)

وللقرية صورة أخرى من الداخل من حيث سطوحها وطرقاتها، ونوافذها وما يدور عليها ويجري خلالها، فما هي ألوان تلك الصورة ؟

صورة القرية من الداخل •

ليست سطوح القرية في الأغنية الفيروزية، ترابا ولكنها صنعت من القرميد الأحمر متخذة أشكالاً هندسية مختلفة فارتفعت تلك السطوح وصارت مأوى للعصافير تلجأ اليها يوم يشتد القر وتعصف الرياح، ويوم الربيع حيث تبني اعشاشها، ويوم القيظ تستظل فيه الطوق والنتوء ثم تحط على حشائش مسالكها الضيقة المسَرية بين الزهور والبقول فتغني وكأنها في عيد :

حَمْرا سْطيحاتك حَمْرا كِلاّ رفوف عصافير
وخَضْرا طِرقاتك خَضْرا راح يْتلفك وْتطير (٣)

---

(١) المرح والمراح النشيط والتمراحة الكثير النشاط والخفة، يقال " هو تلعابة تمراحة " اى كثير اللعب والمزاح والنشاط•
(٢) تلال الزّراعين، رقم ٤٤
(٣) حمرا سطيحاتك، رقم ٥٨ •

•• / •

أما نوافذها فمستقل النور وضوع الحبق، ومهتف القلوب يرين عليه الضوء في الديجور حيث يسكب عليه القمر من ذوبه وبهجته ، وعند البزوغ والحدور (١) حيث يستقبل شعاع الشمس ولألاءها ، مع ايادي حلوة تباهي بنضارتها أترابها ، وترمو بحنان أمام ضيوفها ، وتناغيها في وحدتها كطفلة غنوجة :

وشبابيكك يا ضيعة مضوية ليل ونهار ونكل شباك فيه حلوه وورده طليانه زرار (٢)

وكم تبودلت من خلاله كلمات الغزل بين صاحبة الوردات وشباب الضيعة ايام الآحاد والأعياد وكل يمني نفسه ان يسمع كلمة " تفضل " وما اسرعها كلمة على شفاه اهل القرى :

تعبان لا تسأل يا قلب وتمهل ... رح ينزل من الشباك الورده وتقول تفضل (٢)

تماماً كما جرت الأمور على العين في اغنية " يا دورة كوثر يوم شد العزيمة وقال شرفنا " وقد أضحت النافذة صورة معبّرة عن تلك العين وأضحت القرية مجموعة من الأضواء متدفقة على الهدف في جعل الانسان محبّاً ، مسالماً ، ومؤمناً ، مختلفة في مصادرها ، حيث تكون من الشمس والقمر والنجوم والقناديل تارة ، وطوراً من الله ، " شمس المساكين " و " ساكن العالي " و " نبع الينابيع " ومن الورود " والعز والاشعار " التي تواكب ابن القرية في حله في بيته وترحاله ضمن حدود أرضه :

مضويه منوّيه ... بالعز وبالأشعار
يتمشّى ومتكيّه ... عالزنبق ليل ونهار (٢)

هكذا باتت القرية في الأغنية الفيروزية ، بيوت منتشرة فوق التلال ، مستلقية على مناكب السفوح ، تستحم بين مساكبها الغيمات وتبسّق في مناينها ومسالكها الأشجار ، والدوالي تنضر سطوحها وتظلل سهولها ، أما خوابيها فسكرى بخير العناقيد :

كرمك الله يزيده ... المشقّح ممون ومصون
الخير العناقيده ... عم يفضّي عالكون (٢)

---

(١) الحدور قبل غروب الشمس وقبله الصبوب وقبله الأصيل ، من نهاية الأربع الاول ، ص ١٤٧ .
(٢) حصرا سطيحاتك ، رقم : ٥٨
(٢) مضويه ، رقم : ١٩٢

٠٠/٠

ن للكروم والعناقيد والدوالي مكانة كبرى في الأغنية الفيروزية وقد وضع ذكرهما تسع أغنيات (١) تناولت الوصال بكل اقسامه وورد ايضا في مختلف الموضوعات الاخرى، ذلك اما في الكرمة (٢) من اشتقاقات كثيرة تكوّن الدعامة الكبرى من الدّعامات الاقتصادية في القرية الى جانب كونها تراثا من التراث الزراعي اللبناني •

ويهتم القرويون الى جانب اهتمامهم بالكرمة واهتماماتهم الأخرى بالورود وأصنافها والوانها فتنفرد القرية بالضوع الصاعد من مشاتل السوسن والشقيق والياسمين، ومدارج الأقحوان والنرجس والنسرين •• وتسبح في خضرة سهلها والجبل • انها قرية " أغنتها الطبيعة بما خلعت عليها من مطارف جمال، فشمسها ابداً مشرقة، ورياضها مورقة، وأشجارها كاسية، وظلالها وارفة، وتلالها مختلفة الألوان، فمنها الرطبي لون الذهب، والأحمر، واللازوردي، والرمادي • وهذه أوداؤها مفاوز للفكر، وآفاقها مسابح للخيال، سفوحها ثرّة (٣) الينابيع وغاباتها جمّة الصهاريج، خضر كرومها، نضر قيعانها، ورباها، تتقلب العيون في مباهجها ولا ترتوي، حتى لتجد البهاء في صخورها الزرق • وانها على حد قول ابي نواس لتزيدك حسنا كلما زدتها نظرا " (٤)•

هذه صورة القرية من الناحية الطبيعية كما بدت من الأغنية الفيروزية، فهل ضارعتها صورتها من الناحية البشريّة ؟

---

(١) هي اغنيات : لبنان يا اخضر حلو، رقم ١٧٥ • شتّي يا دنيي، رقم ٩٩ • عالي عالعالي، رقم ١٢٦ • مضويه، رقم ١١٢ • يا نهورة كوثر، رقم ٤٦٤ • سهرتنا عدراج الورد، رقم ٩٥ • بيّي راح، رقم ٣٨ • بعدنا، رقم ٢٨٢ • خذني، رقم ٦٠ •

(٢) الكرمة : شجرة العنب، والجمع كرم وكروم • والجفنة : الكرمة • ويقال للقضيب منها : الحَبَلَةُ وقيل : الحبلة، أصل الكرمة : والقضيب : الشّرغ بغين معجمة، والجمع سروغ، رواه أبو عمرو عن ثعلب، وقال أبو بكر : الشّرع بعين غير معجمة : قضيب من قضبان الكرم • وفي القضيب الأُبَنَةُ، والجمع أُبَن، وهي العُقَد التي تكون فيه • فإذا أخرجَ القضيب ورقه قيل : قد أطلع• فإذا ظهر حمله قيل : قد أحْثَر وحَثِر • فإذا صار حصرماً قيل : حَصْرَمَ، ويقال للحصرم : الكَحْب، الواحدة كَحْبة، وإمّا تساقط من العنب : الهَرور • فإذا اسود نصف حبّه قيل : شطّر تشطيرا • فإذا اسودّت الحبّة الا دون نصفها قيل : قد حَلْقَمَ يُحلقِمُ• فإذا اسودّ بعض حبه قيل : قد أوشَمَ إيشاماً، ولا يقال للعنب الأبيض :أوشم • فإذا فشا فيه الإيشام قيل : قد ألمع• فإذا أدرك غاية الإدراك قيل : يَنَعَ وأينع وطاب • والعنقود معروف ما دام عليه حبه • فإذا أكل فهو شمراخ • ويقال لِمُعلَّق الحبّ من الشمراخ : القِمَع ويقال إذا جُني : قد قُطِف قِطافا • فإذا يبس، فهو الزّبيب والعُنجد • والقِطف : العنقود وفي التنزيل : (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) " •

(٣) ثرّة الينابيع : غزيرتها •

(٤) تحت السنديانه، بولس سلامة، ص ٢١١ •

•• / •

الصورة البشرية للقرية :

إذا كان الانسان ابن بيئته ، فانسان القرية هو ابن الطبيعة بيئته الأولى ، به من صخورها وجبالها اباء وأنفة، ومن سهولها تواضع وكرم، ومن طيرها الذي يواكبه من بدء الضحى حتى انتهاء الغروب، غردا وطربا ، ومن ورد ها وخضرتها ، طيب عرف وتوقد أمل .. رأى بين الشمس والا مواه والتراب اتحادا من اجل الأنبات ، وبين الهواء والنحل والزهر تعاونا لأجل الإعقاد ، فاتخذ من ذلك عبرة، واتحد متعاونا مع أخيه الإنسان، مبالدا في سبيل الإلفة والخير ومجادلا ، جاعلا المحبة مقصدا ومحجة، فأزهرت ايالي القرية منه ، واشرقت اياموا فيه ، وايعنت ثمارها له ، وتدبجت مفاينها به ، ولكن هل هو كذلك في الواقع وهل هي الحياة في القرية كما باتت من الأغنية الفيروزية ؟

إن في القرية اليوم من التحاسد والتباغض والأحقاد ما يحرق اليباب لو صبّ عليه ، فالقلقلة تبيت في الألسن ، والكراهية ترصد باب القلوب، فلا تلجها محبة او قناعة، والتنافر قائم بين ابناء القرية كلّها ، يقتتلون لأصغر الصغائر فتثخن الجراح ، " وقد تكون ثمّة جراح من غير سفح دماء، وهي تلك التي تنطوي عليها جوانح المتباغضين فتدوم بضع سنين ، أو جيلا كاملا ولا تندمل ، فكلما اتقدت فيها الاضغان تلهبت فعادت نثّارة (١) لا ينقطع دمها . فيتقاطع الناس في المعايدات والأعراس ، فاذا لم يتنابذوا في الساحات رأيتهم في الكنيسة متدابرين ، ينتحي كل فريق زاوية ، ويتناظرون شزرا لئلا تصدم العيون العيون . وبدهي أنه كلما صغرت القرية ازدادت فيها اسباب التنافر، فيختلفون من اجل تقويم طريق، او تنظيف حوش مشترك، او ترميم قناة صدعها الطمي ، او ترويق ماء الشرب. وربما تذابحوا لمثل هذه العلل او لأتفه منها . ذلك ان القرية اليوم تختلف عنها بالأمس ، إذ كانت القلوب أدنى إلى القلوب ، وكان للنجدة مقامها .(٢)

لذلك جاءت الأغنية الفيروزية في هذا المقام، باعثة للتراث القروي القديم، مضفية عليه ألوانا شتّى من المباهج ، مضيفة إليه نزعات محبّة جديدة، مستلهمة من موحيات ريادتها للنزعة الإنسانية التي ارتضتها طريقاً ومنهجا ..

---

(١) نثّارة : متقدة بالغضب. يقال نثر نثرانا الرجل على فلان غلا جوفه عليه غضبا .
(٢) تحت السنديانة، بولس سلامة، ص ١٨٢ — ١٨٣ .

../.

وان لم تكن القرية كما صوّرتها ، فإنما تريد ان تكونها او انها تدعو لان تكونها ، فينبعث منها نبع المحبة والسلام موزعا جداوله على الأرض قاطبة •• فهل نسمع دعوة أخرى من الأغنية الفيروزية تتناول موضوعا آخر من الموضوعات التي تعيشها القرية اليوم تعاني منها ، وتهدد حياتها وأرضها ؟ كأن تكون هذه الدعوة موجهة لشباب الوطن أو شباب القرية حتى يبقوا فيها ولا يهاجروا أرضها الخصبة ؟ وهل الذين هاجروا عاودهم الحنين لتربة بلد تهم ، ولجبالها التي تنادي سواعدهم ؟

أغنيات الهجرة والاغتـــراب :

بلغ عدد الأغنيات التي تناولت موضوع الهجرة والحنين ثماني أغنيات ، بينهـا أغنية واحدة بالفصحى تحت عنوان " بعدنا " • وتوزع هذا الموضوع بين هجرة القرية بصورة خاصة والحنين إلى العمل في أرضها ، وبين هجرة الوطن عامة وحنين العودة إليه ، وقد تضمنت كل من الأغنيتين " بعدنا " و " أويـــن " في هجرة الضيعة ، وكل من الأغنيات : " راحوا ، وينن ، نسّم علينا الهوا ، وغربه " في الوطــن عامـــة • وأغنية " خذني " عالجت الاتجاهين معا • اما أغنية " خزّقولي هالتياب " فهي دعوة للقضاء على اشباح الخوف المهيمنة على النفوس ولبعث الحياة الفرحة ، والأعيـــــاد المتداولة التي أضحت تراثا من التراث القروي اللبناني •

اما أغنية " بعدنا " فتدور حول الفراغ السحيق الذي يلفّ الكروم والحقول بعد هجرة اليد الفاعلة منها ، فتتيتّم الدالية وييبس العنقود على سُروعه (١) لأن القطاف في حداد ، ولقد أذبل الرحيل شبابه ••• وتستريح العناكب في السـلال الفارغة ، تنسج خيوطها ، بين قضبانها المجدولة ، منتظرة ، بصبر عظيم ، مقدم طريدة •• وهكذا تصبح السلة وطنا تسرح فيه آفات الفراغ بعد ان كانت متجها تؤوب اليــــه الثمار سكرى بالحلا ، مبتهجة بأصوات القاطفين والقاطفات ترجعها الأوديـة اصـــداء تشدّ الأسماع •• والنجمة التي كانت بالأمس في " خلوة مع الشاعر " (٢) مع من تختلـي بعد ان هجر الشاعر خيمته على الربى مكان موعده معها ؟ و " النجوم التي عشقتنا (٣) وأحبت فينا سهراتنا الطروبة ونزعاتنا المُحبّة ، مع من تسهر على السطوح بعد ان تركها أصحابها فصارت مقبرة يعيش الصمت في كنفها ويرعى الحرمان في زواياها الخاوية ؟ :

---

(١) السروع جمع سرّع وهو القضيب من قضبان الكرم •
(٢) من النجمة الزرقاء ، رقم ٢٦٦
(٣) سهرتنا عدراج الورد ، رقم ٩٥ •

•• / •

بَعْدَنــــا من يقصـــد الكُــروم من يمـــلأ السِّلال من يقذف الدوالــي
بعْدَنـــا هل تَـنـزِلُ النجـوم تلهو علــى التِّلال في هدأةِ الليالــي (١)

كيف تنزل وقد اغتربتْ عنها المشاعر، وتحوَّلت العيون، وابتعدت القلوب ؟ •• إن الانسان في الأغنية الفيروزية هو المحور الذي يدور في فلك الحياة، وهو المصدر الذي يلوّن له هذه الحياة، فإن تولّدت فيه مشاعر الكراهية والكسل، رأى الحياة وما فيها كريهـــا من غير معنى، وان أينعت فيه مشاعر المحبة رأى الحياة ناموسا رائعا وأبدية جوهرية، كل من فيها وما عليها جميلاً، فيرى المحبة في الحجر والشجر، في الليل والقمر، فــي الأرض وفي السماء، ويجد له علاقة مع الصخرة الثابتة يتفيّؤها والنجمة الساهرة يشعــر انها تناديه فيدعوها اليه •• وعندما يضمحل الإنسان فأيّ قيمة تكون لهذا الوجـــود ؟ وعندما يهجر أرض بلدته المشتاقة لعزيمته، اي قيمة تكون لهذه الأرض ؟ ولمن يبقـــى المـزرال وعلى من تحنو التلال ؟ تلك ارض يجب ان يبقى فيها أصحابها حيث انتشت احلامهم، وكبرت مطامحهم، وبكت سواعدهم، فيها تعرّفوا على الجمال، ومنها أدركـوا معنى العطاء، فأين تذهب تلك المكرمات بعدهم ؟

أرضنـــا هُنـــا وربعنـــا وحيث جمعنــا والتقينـــا
سحرهــا لنـــا وحلمُنــا فإن رحلنـــا ومَنْ بقينـــا
مَــــن يَقصِـــــــدُ الكُـروم (١)

إنه صوت اللوعة الكبرى على حبّات التراب يصور لتاركيها حالة اليتم الذي تؤول اليــه الضيعة بكاملها من بعدهم •• ويستحلف العزائم ان تبقى على تلك الجبلات مثلمــا يبعث فيها الحياة من جديد كلما اشرقت مواردها على الدروب• ويرتفع هذا الصوت مرة أخرى بوجه أولئك الذين عقدوا العزيمة على السفر من أرضهم بعد أن أمحلت أرضهـم في إحدى مواسمها •• ولكنه في هذه المرة يفيض بنبرات العزيمة المتوقدة المصممــة على البناء من جديد، بناء القلوب المصدّعة أولاً، ثم بناء الأرض الغرقى بغريب الشـوك، والعشب الدّخيل، صوت تنبع فيه نبرات التحدي مُشربةً بألوان العتاب واللوم فيرتفــع سائلاً، "والأرضُ لمين مْتِتْركوها ؟" فيجيب الراحلون، وقد فقدوا عاطفتهم نحو أرضهـم، بانهم سوف يتركونها مسرحاً للذئاب تردد الأودية اصداء عوائهم بعد أن كانت تردّد أصداء الغناء وعزف النايات• ولا أسف على تلك الصخور العاريـــة :

---

(١) بعدنا، رقم ٢٨٢ •

••/•

وصْخُور بْتشْدا صْخُور   تَـــلا تْنَـــلّا عِزْيَايِـــه
مِثْل التّيلِة الحِيْاشَايِــــه   وما فِـي إلها نَاطُـور (١)

ويرتفع الصوت من جديد مبشرا بوجود الساعد الذي لا يفل عزْمُ الصخور عزيمتـــه ، وبوجود العين الحارسة التي لن تتخلى عن الضيعة فتنبعث فيها خضرة جديـــدة تعلن ولادة حياة جديدة :

بيْضَـــل فيهـا اثنيــــن   يْمُـرون حِلْوي ويِبْـد
يْعَمّروا مْـــن جْديــــد   ضَيعِتِـي الخضْرا عَ مدّ العين (١)

ولسوف تبقى الضيعة اللبنانية منتدى الضيعات وتبقى أشجارها وكنات للطيـــور ، وسوف لا يبيد العنقود فيها بل سيبقى منضلاً على أيدي البقية الباقية من السواعد ، فإرادة القرويين لا تشيخ ، وصبرهم لا يخور، وعشقهم للأرض والدالية والزيتونة لا يذبل ، وإن تركها شبابها ففي عزيمة شيبها ما يحوّل الصخور العارية الى ارض ترتدي ثيابها وربيعها ، ومهما نكبت في عطاياتها الأرزاء يبقى فيها من يذود عن خضرتها ويصـــون مباهج تراثها :

وزْغيره وصْغَيّـــره (٢) ع الغَيــم   بِتْزوّغ (٣) وبْتِحْكي عْصافيـــرا
شو بيمْرق عْليها زْمان وضَيـــم   ويتضلها تلاقـي نواطيـــرا (٤)

تلك هي بشرى اليائسين الذين فقدوا أمل العيش في القرية، ظانين ان عطاياتهـــا نضبت بكثير مما يطمحون اليه فتركوها متجهين نحو " حكاية الرصيف المنهمك " (٥) ليجدوا في عاصمة الحضارة الحديثة أقصى أمانيهم . إنها بشرى مقرونة بالثقة المطلقة

---

(١) لويس، رقم ١٨٠ . والناطور من الكلمات التي تركتها اللغة السريانية الآرامية في العربية وهي من (نِطْ تُورو) اي حافظ الرزق من زرع وكرم وأحراج ، كما وردت في كتاب الزجل ، تاريخه أدبه اعلامه ، منير وهيبه ، المطبعة البوليسية ١٩٥٢ حريصا — لبنان ، ص ٢٠ .

(٢) الشير عند العامة الصخر العظيم المشرف على هبوط، ويسمّونه ايضا شـّارا (واللفظتان سريانيتان)، وشيّره ع الغيم اي مبنية في مكان عال جـــدا بحيث اذا نظر اليها الناظر يخال انها ستهوي.

(٣) بتزوغ : هي من زاغ زوغا وزوغانا أي مال وزاغ البصر انحرف واضطرب.

(٤) لويـــس، رقـم ١٨٠

(٥) اشارة الى اغنية بيروت ، رقم ٢٧ .

../.

والتعلق الكلّي بأرض الضيعة التي لن تبخل على الذين يعطونها من سواعدهم وعرقهم .. وبالتالي هي دعوة لشباب القرى حتى لا يهجروا أرض قراهم " حيث عاموا وانتشروا " (١) لأن أرضهم لا تعمر إلا بهم، وهم القادرون على أن يجعلوا فيها حضارة أكبر من حضارات المدن تراثا ومثالية . فهل سمع ذلك الصوت وهل نجحت هذه الدعوة في بلوغ أهدافها الإنسانية ؟

أن الصوت المنبعث من الاغنيات الأخر يشير إلى أن الدعوة بقيت في حدود ما لم تتجاوزها وأن الشباب رحل وما زال يرحل عن أرضه ووطنه ، يرحل كالحلم المستلاب تدركه أنامل اليقظة، واشتد أمر هذا الرحيل حتى عصف بوسط لخبة كبيرة من أبناء الوطن :

رَاحـوا مِثل الحِلْـم رَاحـوا   سَهل حور وُبقِيت رباحوا .. رَاحُوا (٢)

لقد ذهب الشباب الذي يكتنز في عروقه طاقات كبرى من النشاط، ودفق عارم من المقدرة الخالية اشتاقت لها أرضه ، وبكت على طول غيابها ثلج جبله وتوجعت على هجرتها طيور أدواحه التي كانت بالامس " تسترق الحنين لتذيعه نغما على ممرات الأحبة " (٣) " وتصفق لمقدم الرعاة فوق الصخور "(٤) والزهور التي كانت " تتنقل وشوشات المحبين على الدروب " (٥) تناثرت وريقاتها الذابلة ورحلت مع النسيم الباكي الى زاوية مهجورة او بقعة موحلة وتقصفت قاماتها من وقع الإهمال فموت وقد طالقهـا صبوها ثلاثا :

حِـنّ وبكـي يا ثلج صنّيـن   وتوجعوا عالشّوك يا حساسيـن
الزّهر عم بيقصف خلاصوا راحـوا (٦)

وكأن الازهار أمّات لأولئك الشباب أخذت تتلظى من صعوبة فراق فلذات أكبادها ، وذلك مظهر آخر من مظاهر الإنسانية الكبرى التي تتحرر مع النبات والاشياء كلها فسامرت القمر وذاقت الزهر، وجعلت للطير مشاعر الانسان " فتوجع " على هجرة من ألفهم واطمأن لأصواتهم في الحقول وبين الصخور.

---

(١) من اغنية بحدنا ، رقم ٢٨٢
(٢) راحـوا ، رقم ٧٦
(٣) من قصيدة القرى، ص ٢٧٦
(٤) من قصيدة الى راعية، رقم ٢٧٨
(٥) من القـرى ، ص ٢٧٦
(٦) راحـوا ، رقم ٧٦

../..

وليست هذه الصورة الوحيدة التي ولّدتها الهجرة، بل هناك الصورة الكبرى للأرض التي أشوكت منابتها وخفتت خضرتها، للبيدر الذي تهدّمت حفافه، وعشّشت في صفحته للغبار والسنابل، للأودية والمغاور التي خلت من أصداء غناء الحصّادين، فتيتّمت المناجل واقفرت الدروب، وكسر "القنديل الأزرق" (١) فضجر الليل وغابت بظلمته السهرات المسعدة، وانطفأت أنغام الحناجر المنشدة، وانحسرت المواسم لان الكل قد "راحوا":

"ومتل شي بيدر فنيّي — وصوات ما إلها عَدَدْ
فَلّت وسكّتت للأبد — بليل غم بيزيّب مصباحو
راحوا كلّهن راحوا (٢)

لقد رحلوا في الزمان كما ترحل الغيمات غير ملتفتين لعتب الدالية ولوعة العنقود، ولا آبهين لرجاء الطير وأحزان الحَور يلوّن لهم بقاماته من بعيد .. لقد رحلوا تاركين بسمات أولادهم للصنوبر يدثرها حسب مشيئته، يخفيها على سطوة الحرمان، ويوقظها على نداء مستقبل ضائع . رحلوا وقد نسج خوفهم بالعادة نسيجا كثيفا على آذانهم فما سمعوا كل هذه النداءات، وعلى أبصارهم فما التفتوا الى الدموع المنسكبة، وعلى بصائرهم فما ادركوا الخريف الدائم الذي سيلف أرضهم من بعدهم، وعلى قلوبهم وقد تصبت من الحنان، فما شعروا بالحنين وقد أخرس تغريد الحناجر، ولا بالأسى وقد باتت سمائه في المحاجر .. رحلوا بالزمن وقد قطع النسيان صلتهم بماضيهم فما أبهوا إلاّ بالرحيل :

ركبوا عربيّات الوقت — وهربوا بالنّسيان
وتركوا ضحكات ولادن — منسيّه عالحيطان (٣)

ولكن هل بقوا كذلك في غربتهم ؟ أم حمل الزمان ماضيهم لهم فاستفاق الحنين في جوارحهم، واهتز شوق العودة في جوانحهم ؟ هل توغلوا في سفرهم فحجب التوغل عن ذهنهم ذكريات الماضي ؟ أم حنت روحهم لذلك الماضي فحلموا بالدالية والبعة والتراب الذي لعبوا به صغارا وأعطاهم كبارا، فأنصتوا للنداءات في سرحة روحية كبرى ؟

---

(١) من أغنية يا ثورة كوشر، رقم ٢٦٤

(٢) راحوا، رقم ٧٦

(٣) ويلن، رقم ٢٢٢

ان الانسان الذي غرست في طفولته فكرة الصلاة والصوم "(١) ووعيت مداركه في أرض قريبة للسماء ، تلبث سهولها الهياكل "(٢) واخصبت الغدران والصخور والمواسم مشاعره ، لا بد وان تتموج فيه الذكريات مهما طالت رقدتها ، تتموج بعد ان يصرخ الصوت الراقد فيه الذي زرعه هناك " نداء الحنان " (٣) فتخشع لرقته المشاعر وتستجيب لعذامته الإرادات ، فيحن الى المرابع التي ترعرع فيها بعد ان يحس نفسه شوق الارتماء فوق ترابات هاتيك المناحي ، وشوق النظر للتلال التي كانت مسرح أحلامه وأحلاده ، والكروم التي كانت محط رحاله في الأصباح والأماسي ، فيتدلى بعد هجرته الطويلة لها ، أن يعود اليها وينساه الوجود فيها فيتمسك بين احضان الدوالي ويتجدد مع نشوة البراعم :

خِذْني عَلى تلالتها الحِلْوين   خِذْني على الأرض اللّي ربّتنا
ونسِّني عَلَى ضفافي العِنَبْ والتّين   شَلْحِني على تْرابات خَيْمِتْنَا (٤)

هذه النزعة الحنينية المتوقدة ، خلقتها معاناة الرحيل الكبرى ، فاذا القت بقسوة تشد إلى منابعها كما تشد كل حياة الى مصدرها ، بعد أن ذاقت من صنوف الحرمان ، وضروب العذاب في غربتها مذاقاً مريراً ، فالمهاجر كان يشعر في وطنه بقرابة بينه وبين التراب ، كان يشعر بأن الشجرة تحنو عليه فتبسط أما ليديها أمام وجه الشمس ، لتقيه لفح الهاجرة ، وان الدالية تعشقه ، فتعصر مهجتها في الشروع لتحولها له عناقيد يقطفها باسماً ، فتتحد غبطة الدالية في هذه البسمة ، وتولد اللذة في العطاء والحياة .. كان يدرك في أعماقه انه يفهم لغة طيور بلاده وزهورها ونسيمها وأحوال طبيعتها ، فصار في غربته غريباً عن كل ذلك ، فتحولت مشاعره بفعل النسيان وطول الاغتراب ، من مشاعر ترتعش في صمت المنسك ، وتنزع صوب سلكية روحية خاصة ، الى مشاعر لا تختلج الا لذكر الماس والذهب ، ولا تنزع إلا نحو منابع المادة لأنه في موضع لا يقدر الا بقدرها ، ولا يقاس الا بمقاسها ، فكده السعي وراءها ، واضناه السير في سبيلها فوقع صريعاً . الى أن فطرته انتفضت بعد طول رقدة ، راجعة به الى ضيعته التي تناديه بكل ما فيها من صرير أبوابها المصنوعة من خشب السنديان الى أمواهها الدائحة في الأودية ، من " الجنان الأليفة " (٥) الى الطيور الغريدة ، من الجباه التي حرثتها السنين ، الى العيون الشاخصة خلال النوافذ كأنها تردد في ضمير الاغتراب معاني تلك الأيام

---

(١) اشارة الى اغنية يلّا تنام ريما ، رقم ٢٥٢ .
(٢) اشارة الى اغنية : ما إسمك غنيت : رقم : ١٢٠ .
(٣) اشارة الى اغنية : امي ، رقم ٢٨٠ .
(٤) خذني : رقم : ٦٠ .
(٥) بلدتي غابة جميلة : رقم : ٢٨٣ .

../.

التي كانت تلفها الصداقة وتسيّرها روحية الناس •• كل هذه التصورات غرست فيه الحنان للعودة حتى يعيشها بالحقيقة فزرعها غناء على طرقات غربته في كل حين :

بْوابِ الكِنيسة عَم تْلَوِّحلي   وصوتِ النّورا يندهِ الغيّاب
وعيون ع شبابيك تندهلي   صحاب عم بتقول يا هلا صحاب (١)

لقد ضجر المهاجر ضجيج الشوارع وصخب العيش، لأنه فطر على هدوء مسالك الضيعة وسكينة طبيعتها ، فاشتاق للعودة الى طرقاتها ، والسير عند أماسيها بمسح صحبة المناقير وقد أضنتها مسيرة الشدو طوال النهار ، اشتاق للوقفة بين الانسان ، والرقدة فوق التراب ، اليد المصافحة اشارة للسلام واتحاد القلوب ، للصوت الذي ألفت اصداؤه تلك المنتديات الخصبة فألِفَ نشاطه كل عرق فيه نبضة حياة ، البيت الوحيد على التلة النائية يرصدها ، للبنان كله ذلك " الواقف بالزمان ، "كأنه يرصد الزمان، فلقد اشتاق لأن يكون فيه غرسة مزروعة ، او ناسك يلج باب الايمان ، وما ان يصل حتى يُقبِّلَ التراب من شدة الفرحة بالوصول ، خاشعاً مصليا تحت أبدع سماء :

خِدْني زْرَعْني بأرض لِبنان   بالبيت يلّي ناطر التلّة
إفْتَح البَاب وْبوّس الحيطان   وْاركع تحت أحلى سما وْصَلّي (١)

إن الصلاة في الأغنية الفيروزية هي أعظم ما تشعر به النفس حين تدرك انها في ارض لبنان وتحت سمائه ، فتلاله معابد تشد النفوس للصلاة ، واجواؤه صفاء تسرح فيها أطياف الملائكة تتلو التراتيل وتنشد مزامير الإيمان ، وكأن هذه الأجواء هي الممر الذي تنقل منه التسابيح لله سبحانه •

لقد حن ابن الأرض الى أمه فلم يجد لها في ذهنه اروع من صورة الصلاة يصورها بها ، لانها الصورة التي غرست في اعماق مداركه منذ أيامه الاولى ، فسحقت في خياله جبال ارضه حتى اضحى الريح نافذة لها تفتحها للمحبة والسلام ، وتوصدها بوجه الكراهية والحروب ، وانسكبت في خاطره مع من عليها زمانا استحضره من باطن الماضي ، وعي الحاضر المستيقظ في حنينه ، ليعيده إلى ذلك الماضي من اجل شروق مستقبل زاهر في ضيعته ووديانه ، فسطع بباله ازدهار تلك الأيام ، ونورت ذهنيته التائهة في دروب غربته فامتدت متذكرة بأن المحبة ما ولدت وربيت وعُرفت إلّا بتلك المناحي ، ولا بد لهذا الاغتراب ان يفنى ، ولا يكون فناؤه إلا بالعودة الى البيوت التي ولدت بالمحبة فحضنت بعضها بذاتها ولذاتها في المكان وعبر حدود الزمان ••

---

(١) خدني ، رقم : ٦٠ •

يا جبال يللي الهوى شبابك العالي إنت وأهلك سوى إيام عا بالـــي
ويا ما تربّى الهوى عترابـــك الغالي وها القلب بعد النوى ببيوتك تفيًا (١)

ولكن هل حل إدراك المغترب لهذه الأمور، مشكلة اغترابه عن وطنه، ام بقي هذا الادراك في حدوده، وبقيت صورة الوطن لازمة تردد عند كل نبضة حنين، وخلال كل رعشة شوق ؟

لم ينس اللبناني في غربته الأسباب القاسية التي دفعته بعيدا عن احبابـــه وأرضه، فجعل نصب عينيه العمل الدائب المستمر ليس للقضاء على تلك الأسباب فحسب وانما للحؤول دون عودتها مرة اخرى. لذلك كانت آماله واسعة، لا تتحقق بقليـــل الزمن، وطموحه عظيما لا يدرك بيسير البذل، فبقي خارج وطنه يعمل من اجل وطنه، وهو، رغم السنين التي سرقها الاغتراب من عمره، ما فتئ يختزن في مخابئ شعـــوره صدى هبيبات النسام الخاشعة، تسافر مترفقة بين غابات بلاده وشذور رياحينها حتـــى لا توقظها من غيبوبة الصلاة ... وكلما لفحته الرياح الحارة تذكر نسام لبنان التـــي يحملت من كل ضيعة فيه صومعة لها ومنسكا، فيقبع في خلوة يسيرة، موازنا مقارنـــا متضرعا للنسمة المترهبة محلفا اياها بالمحبة ان تحمله الى منسكها في لبنان :

نسّم علينا الهوا من مفرق الوادي يا هوا دخل الهوا خدني على بلادي (٢)

إنه يريد قدرة تواكب خياله وتسمو الى موازاة مدارك طموحه لتعيده الـــى الأرض التي اشتاقت لعناق المعول وعزم الساعد، ولا يزال الطريق طويلا امامه حـــتى يقبض على هذه القدرة، فعمد الى الزمان يروضه بالعمل، وقبض على اليأس يذلـــه بالصبر، وامتشق من ظروف الغربة ضروب العذاب والهوان ليميتها بتوهج ارادتـــه العنيدة، وشرف الرسالة الملقاة على عاتقه كمغترب من لبنان. وبقي كذلك في صراع مع الأيام الدكناء، والليالي الباردة الا من حرارة شوقه لبلوغ آماله الواسعة "حتى تبدل المناخ فرسخت اقدام اولئك النازحين في اوطانهم الجديدة. وتملكوا المزارع، وبات الأجراء الذين كانوا يطرد ونهم بالأمس اجراء لهم فعمروا الدور، وصح فيهم قول القائل : اللبنانيون يولدون في الاكواخ ويموتون في القصـــور. وانبثوا رسلا بيـــن من كندا الى الارجنتين، فكانت لهم المتاجر والمعامل، وكان منهم اساتذة الجامعات، واعلام الطب، وغدا حفداء الرعاة يرعون الحضارة بالصولجان لا بعصا السنديان، وبات أنسال المكارين يقودون الطائرات، وحفلت بهم مجالس النواب واندية الفن والادب، ومهروا باسمهم الاقاليم فاعادوا الى الأذهان فتوح الفينيقيين، وكان الرعيل الاول مقدمة

---

(١) ضيعات يا بو الزلف، رقم : ٢١٤.
(٢) نسم علينا الهوى، رقم ٢٠٨.

لمن تلاه من المهاجرين ، فاصبحوا عزة بعد إذ كانوا أذلة ، وانتفى عنهم لقب (التوركو)، ولم يكن في معجم التعبير والهوان أوجع منه بعد ما صارت تركيا السلاطين أسفل سافلين • وآمن سكان العالم الجديد بأصالة اللبنانيين ، وعلموا العلم اليقين بأنهم ذرية جدود فتحوا بالقلم فتحا يصغر حياله الفتح بالسيف ، واناروا بمشاعل المعرفة ما قد تعذر على الجرمان واللاتين والانكلو سكسون ، وانهم ليسوا من المغول ولا من منابت التركستان ، فهم بعداء عن تيمورلنك وجنكيزخان ، وانهم هبطوا تلك القارة وتغلبوا على العباب قبل ان يخوضه كولمبوس، وان اول شراع صارع الآذي من سواحلهم انتشر "(١) فسعد الزمان بهم ، وادرك ذاته فيهم ، بعد طول شقاء وسخرية وضياع، وبلغوا من الثـراء مبلغا قصيا ، بعد ان ادركوا اعلى مراتب الفقر والحرمان •

ولكن هل حول هذا الثراء والجاه انظار اللبنانيين عن وطنهم الأم ؟ وهل بدل الطابع المادي ملامحهم الروحية التي ابدعت اشراقاتها في بلادهم ؟

ان اللبناني الذي ترك اهله وبلاده " يحمل بين جنبيه طموحا اعرض من الفضاء، وآمالا أطول من أشعة الشمس، وخلف وراءه دنيا تهدهدها السذاجة والقناعة والروحانية، اصطدم في المهجر بالمادية الصارخة ، والحياة الآلية المزعجة التي لم يألفها في الشرق، ولا ألسنة صنعها وقريب منها ، والتي أحسن ميخائيل نعيمه التعبير عنها بكلمة موجزة اذ قال : " كنت واحدا من الملايين التي كتب لها ان تفتش عن " ابرة " السعادة في " جبال " القير والإسفلت والحجر والحديد المعروفة باسم نيويورك، فلم يلبث أن شعر بفراغ عظيم في قلبه وفي حياته ، فجعل يتذكر قريته الهانئة الوادعة ، الغارقة في احلام اليقظة الحلوة ، تغازلها عيون " الشيخ حرمون " ، وتداعب شعورها أنامل أيار ، وتعانق أرزها الخالد نفحات النسيم الرطاب ، فجعل يحن متلهفا الى مرابع صباه ومغاني أنسه وهواه ، حيث الشمس المشرقة ، والحياة الهادئة البسيطة والطبيعة الممراح الباسمة ، حيث كان سعيدا في قناعته الصوفية ، وسذاجته الروحية ، وحيث كان يجد من وقته ما يذكر به ربه ، ويعيش معه لحظات من نهاره ، فأصبح في مهجره القصي بعيدا عن الله ، بعيدا عن سعادة القلب ، وطمأنينة الضمير ، وبساطة الروح ، — والشرقي يظل يعيش بالروح وللروح ، مهما حاولت مدنية المادة ان تجرفه في تيارها — فلا المال الكثير يخفف من فقره الروحي ولا الشهرة العريضة تدخل الرضى الى ضميره"•(٢)

" وهذا جبران الذي نال من الشهرة في الغرب وفي الشرق ما لم ينله أديب عربي آخر ، ودرت عليه شهرته من مؤلفاته ورسومه الأموال الكثيرة ، ولكنه ظل طوال

---

(١) تحت السنديانه ، بولس سلامه ، ص : ١١٤ •

(٢) أدب المهجر ، عيسى الناعوري ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، ص : ٨١ — ٨٢

مدة هجرته يحلم بالعودة الى لبنان ليقضي أيامه في صومعة هادئة في دير مار سركيس هربا من المدنية والضجيج "•(١)

هكذا كان شأن الأدباء والشعراء في دنيا الاغتراب ، وكذلك هو شأن التاجر والصانع والسياسي في تلك الدنيا ، ماضيا وحاضرا يملأ قلبه الشوق لبلده فيزوره زيارة مؤمن لمعبد آلهي وكأنه في مهرجان غبطة أبدية •

ولشدة عشق اللبناني للبنانه لم يرض إلاّ أن يكون في وطنه الجديد مدن وقرى تحمل اسم وطنه الأم ، ويكفي ان نعلم " ان في الولايات المتحدة وحدها سبعا وعشرين مدينة وقرية تحمل اسم لبنان "(٢)وبعد هذا كله خاف ألا تعرفه بلاده إن عاد اليها بعد ان تدثره سنين الغربة بالشيخوخة وتغير ملامحه وتمسحه بمسحتها :

فِزْعاني يا قَلبي إكْبَر بهَا الغُرْبِه وما تْعَرْفني بْلادي خِدْني عَلى بْلادي

ولكن الأغنية الفيروزية لا تريد لهذا الخوف كيانا ، فتدعو لتمزيقه بفرحة لبنان الكبرى يوم يعود اليه مغتربوه ، قاطفين من الزمان أيام الفرح ، مثبتيها فوق جبالهم السمراء عشيقة الشمس • وتخلع الأرض في لبنان ثوب الحداد الذي ارتدته يوم تركها بنوها ليزرعوا معطيات سواعدهم وقلوبهم والهاماتهم في ارض أخرى ، فيغلب ثوب السواد بعودة " راية العز القديم " راقصة من عظمة البهجة منشدة في عمق الغروب اناشيد شروق جديد ، وتتوهج البيوت سكرى بأكسير المجد ، وتستيقظ منتشية بعرس الخلود القائم بالانسان الذي قفز من حاضره كاشراقة الوحي ، ليلغي الزمن ويجسده عيدا تمتد جذوره في أزل تراث وطنه لبنان :

خَزقولي هالثّياب السّودْ خَزقولي هالخَسوفْ
خَلّي الفَرَحْ يِرْجَعْ وْراية العِزّ القَديمه تْلوحْ (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٨٤ •

(٢) وذلك في مقر المقاطعات الآتية : في بنسلفانيا وولسون وفي ولاية يلسي وبرن في انديانا ، وغرافتون برلاية نيو هامشاير ولكلميد في ميسوري وورن في أوهايو ولين في اوريغون ، وماريون في كنتكي وسانت كلير في ايلينوي ونيو لندن في كونكتكات وأسلل في فرجينيا ويورك في مين ، وهانتردون في نيو جرزي ، وسميت في كانساس وودج في ويسكونسين وسيتروكي في جورجيا وألا مياني دي كاسب وبوتر في داكوتا ومارشال في أوكلاهوما وجيهوكو في نبراسكا • ومونتيزوما في كولورودو • ومحافظة لبطان الجبل في أليفيلي في ولاية بنسلفانيا ، ولبنان الكنيسة في شباندوا بفرجينيا وبولت في كاونسكي • وقرية لبنان الينابيع في مقاطعة كولومبيا بولاية نيويورك • انظر : تحت السنديانه ، بولس سلامه ، ص : ١١٤ ، هامش رقم : ١٠ •

(٣) خزقولي هالتياب ، رقم : ٦١ •

حينئذ تهل الراية حاملة " الارزة اللبنانية " (١) وتسمق مع الريح متألقة بعطاء التجدد ، وهي التي احتضنت التاريخ ، فسبقت اماليدها باعتزاز ، رافلة بديمومة الخضرة ، ملوحة بصناعة الامجاد ، ان حافظ بنوها على نقاء صورتها في اذهانهم ، يعملون لأجلها ليظل حلوا ، اذ انه لا قيمة لارض بدون قلوب تحبها ، بل اي قيمة للوجود بدون انسان ؟ .

صورة للجندي اللبناني :

ولم تنسَ الأغنية الفيروزية أبناء لبنان الذين نذروا حياتهم حراسا لأرضهم ، فارتفعت منشدة لهم البطولة ، والأرزة التي شمخت اعزازا بتراثها ، وما تراثها سوى الحرية الناصعة متوثلة فوق منابتها الشم (٢) ويعودها واقفون ابدا بثبات وعزيمة لصيانتها والحفاظ عليها باذلين حياتهم لأجل إعزازها ، هؤلاء هم الأحبة ولهم القلوب ، وبهم يتصعد الفخر :

خَطّة قدْمكُن عالأرض هدّاره   إنتو الأحِبّه وإلكُن الصّداره (٣)

إن الجندي اللبناني في الأغنية الفيروزية ليس انسانا عاديا ولكنه بشر بمستوى المعجزة ، هو " البرج المسور " (٤) الذي تحج اليه الأنظار لتتعرف به على مسالك المذلة ، على يديه يشاد المجد الوطني ، ينتصر دائما فيرجع اكبر من الانتصار .. وعودته المنتصرة ، أضحت القصة التي تعيش في القلوب ، وتشرق معانيها سارلحة لتنير الاذهان .. هي في كل حياة وفي كل إرادة خصبة ، تعيش للبناء والعمل إلى أن تصبح الحياة غنوة لمجد الإنسان ! هي في عندلة البلابل ، وحناجر الحصادين .. وهو النزيمة في الحقول ، والمضاء في الفأس ، طلته على كل باب ، مجيؤه مع الهامات الشعر ، وسكناه خلف المعنى يوحي به للكلمة ! يعيش في صداقة النسمة مع الحياة ، وفي كل شجرة وكل سنبلة ... كذلك حياته في قرابة السيف لحده ، والقوس لنبله ،

---

(١) هلّي عالريح ، رقم : ٢١١ .
(٢) معافى يا عسكر لبنان ، رقم : ١٦٣ .
(٣) خطة قدمكن ، رقم : ٦٢ .
(٤) راجع بصوات البلابل ، رقم ٤٧ ، والبرج معرب Burga (برجا) في السريانية . والأصل لاتيني : Burgus انظر Fränkel في كتابه :
Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen.
(الكلمات الأرامية الدخيلة في العربية) (ليدن ١٨٨٦) ص : ٢٣٥ ، انظر نصوص في فقه اللغة العربية ، د . سيد يعقوب بكر ، ج ١ ، سنة ١٩٧٠ ، هامش : ٣ ، ص : ٨٠ ، دار النهضة العربية .

عودته عيد ، ووجوده ساعة تاريخ تتعلمه الأجيال ، وتكبر فرحته بمجيء الأيام ، فتمطر السماء ، وتبلى الدنيا من جديد ، وتموت المفاسد ، وتتحول الطيبة الى أطاييب ، وتزداد أزمنـة الفرح :

وتجي إيام فرحك يكبـر دربي تتقام وسما تتشتر
قصب السكر يقلب سكر والأيام الحلوي تتكتر (١)

وكأني به الإنسان المنقذ التي يحتاجه إنسان النصف الثاني من القرن العشرين ، ليرتاح بمجيئه الوجود .

هكذا صورت الأغنية الفيروزية لبنان : ضيعة ومدينة ، سماء وارضا ، انسانا عاديا في الريف كان أو في العاصمة ، وانسانا غير عادي ، هو الجندي ، في " عسكر لبنان " ، وكانت الصور على اختلافها ، تنزع بمعناها نحو الخير والمحبة والسلام ، ثلاثة في هدف مثالي واحد ، تدعو الإنسان ليدنو اليه ، فهل نجد صورة من هذه الصور ، في الأغنية الفيروزية لغير لبنان ؟ .

ب — اغنيات للوطن العربي :

إن انسانية النزعة في هذه الأغنية أتت شاملة غير مقيدة ، فكانت الصورة الوطنية عظيمة المجد في أغاني سوريا ، ساطعة الأنسانية في اغاني فلسطين ، سكرانة بالحلى في أغاني الاردن ، عابقة بالوطنية في أغاني الكويت والخليج ، محصنة بالبطولة في اغنية المغرب ، مبتلة بالمحبة والرضا في اغنية " شط الاسكندرية " . فما هو مجموع هذه الأغنيات كلها ، فصيحة وعامية ، وما هو نصيب الاخوين رحباني منها ؟

بلغ مجموع هذه الاغنيات سبعة وعشرون اغنية ، اثنتان فقط بالعامية : " القدس العتيقة " (٢) و " شط اسكندرية " (٣) . وكانت ست عشرة اغنيـة للأخوين رحباني ، وسبعة لسعيد عقل ، ثم واحدة لنزار قباني ، واخرى للأخطل الصغير ، وثالثة لابي بكر بن زهير ، واخيرة لابي سلمى . فكيف كان توزيعها بين الاقطـار المذكورة ؟

١ — سوريـا :

بلغ مجموع الفيروزيات السورية عشر اغنيات ، اثنتان منها فقط من كلمات الاخويـن رحباني : اغنية " خذني بردى " (٤) و " طالت نوى " (٥) وهي قصيدة جديرة بالتوقف عندها .

---

(١) واجع مجموعات البلابل ، رقم ٧٤ .
(٢) رقم : ٦ .
(٣) رقم : ١٠٠ .
(٤) رقم : ٢٠٥ وبردى نهر في سوريا طوله (٧٠ كلم) ينبع من ناحية الزبداني ويروي دمشق وغوطتها ، ويصب في بحيرة العتيبه . (٥) رقم : ٢٠٦

../..

" طالت نوى " رائية تتكون من أحد عشر بيتا من أول البسيط قافية المتراكب ، وحرف الراء " يدل على الملكة ، ويدل على شيوع الوصف .. " (١) وقد قسمتها الى اربعة أقسام :

الاول مطلع وصفي من بيتين :

طالتْ نوىً وبكى من شوقِهِ الوترُ | خُذْني بعينيكَ واهْرُبْ أيها القمرُ
لم يبقَ في الليلِ إلا الصوتُ مرتعشاً | إلّا الحمائمُ الا الضائعُ(٢) الزَّهِرُ

المعنى الإجمالي يصف وضعا فرضه طول البعاد عن أرض حبيبة ، فاصطبغت الشاعر بصبغة الشوق لتلك الأرض وأبنائها ، وأصبح كل ما تحس به متلونا بهـذا الشوق ، وكل ما تدركه يهتف بمدلالته . فالوتر حزين لأنه من زمن بعيد ، لم يرتعش تحت تلك السماء ، والليل فارغ الا من اضطراب الأصداء ، لأن طول البعاد اف غاء الحناجر ببرقع الزمن ، فتكسر نظام الأوزان .. ومن صمت الشُّرُف (٣) فقد هُـدَّ النزيف .. ومن لهفة التعبير لعودة النغم الى بردى ، فيرتد اللحن ويطرب.

القسم الثاني حنين الى تلك المناحي . فإن لفيروز في الشام تاريخا مزهـرا من العمر ، وللشام في فيروز عمر مطرب من التاريخ .. كلاهما أحب الآخر ، فسكرت بهذه الصحبة الأوتار ، وضج الحنين بعد طول ابتعاد .. إلى بردى وتراباته المدركة للإيقاع ، وحجارته المفعمة بالطرب :

لي فيكِ يا بَرَدى عهدٌ أعيشُ به | عمري ويسرقُني من حُبهِ العمرُ
هذا التراباتُ من طيبٍ ومن طَربٍ | وأين في غيرِ شامٍ يُطربُ الحَجَرُ ؟

القسم الثالث فيه اعتراف بالمحبة ، واقرار موعد في الآتي بين الأحباب حين تُدفن العناقيد لتتحول إبداعا جديدا ، فيجدد النغم المعتّق " باللقاء الجديد ، وترشفه الحواس سكرانة بمعنى السلام والطهارة فيه ، من غير خمر ولا انتهاك .

شآمُ أهلوكِ أحبابي وموعدُنا | أواخرُ الصيفِ آنَ الكرمُ يُعتَصَرُ
نعتّقُ النغماتِ البيضَ نرشفُها | عندَ الأماسيِّ لا خمرٌ ولا سهرُ

ثم يحدث شعور بالندم على مضي ايام لم تحظ بلقاء المحب بأحبابه .. ولكن هذا الغياب يحدثه القدر بغير ارادة المحب الذي هو كالطائر يعبث به الرحيل .. الا ان صورة الهم والفرح لأحبابه يحملها فوق جناحيه دائما مهما شرده السفر :

---

(١) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص : ٦٢ .
(٢) الضائع الناشر رائحته ، وهو من الضوع .
(٣) الشُّرُف : الحمام البري .

../.

قد غبت عنهم ومالي في الغياب يدٌ — أنا الجناح الذي يلهو به السفرُ
يا دائب القلب يا قلبي تحمّلني — همّ الأحبّة إن غابوا وإن حضروا

أما القسم الأخير فهو خلاصة القول في الشام حاضرة الأمجاد ، في الماضي والحاضر المستمر ... وتسجيلاً لهذا التاريخ الذي صنعته عاصمة الحضارة فأضحت هدف الأبصار ، ومحط الرحال ، ومعقل الازدهار :

شآم يا ابنة ماضٍ حاضرٍ أبداً — كأنك السيف مجدَ القول يختصرُ
حملتِ دنيا على كفيك فالتفتت — إليك دنيا وأغضى دونك القدرُ

اما القصائد الثمانية الباقية فهي لغير الأخوين رحباني ، لذلك سأتكلم عنها في موضعها من الملحق بهذه الدراسة .

٢ — فلسطين :

بلغ مجموع الأغنيات الفيروزية لفلسطين تسع اغنيات كلها فصيحة ما عدا اغنية " القدس العتيقة " (١) وكلها للأخوين رحباني سوى : " اجراس العودة " (٢) وكلها تناولت مأساة الشعب الفلسطيني التي تخدّر تجاهها الضمير الانساني ، فانطلقت الكلمة من وحي النزعة الانسانية في الأغنية الفيروزية ، هادرة في الأسماع ، منبهة ذلك الضمير داعية إياه للاستفاقة والنهوض ، ثم النظر الى هول رقدته السوداء التي تحاول الاختباء بين ظلال عتمة التاريخ .. فكانت مشكاة " راجعون " جذوة يتقد بريقها كلما امتد الزمان في سلخ عاطفة مواطن عن وطنه ، او مزارع عن مزرعته ، وكانت رهافة الكلمة فيها تدرك ان الطبيعة وما فيها يتألم من الانسان الذي غلف انسانيته بالنسيان حتى ترعرعت في حواشي ضميره المأساة .. فحمل النسيم هموم تلك الأرض التي اشتاقت لسواعد ابنائها المشردة ، وقدمها اغنية حزينة للسماء ... وستبقى همومها في يقظة كل ضمير ، وسيعيش ترابها وتحيا دروبها في كل بال ، ويشرق " الحب والقدس " مع خلجة كل قلب رغم محاولة خنق الحق في سجن المستحيل .

ان في غناء كل مشرد ، وفي أنة كل جريح ، ومع موت كل شهيد ، تنطلق من لبنان حنجرة لترحل بالغناء صوب العالم ، وتهب منه لهفة لتبلسم الجروح ، وتمتد منه زنود الأيمان لتحضن روح الشهيد مرتفعة بها الى مكانها المختار .. ففي جبهته لون من الوان لبنان :

---

(١) رقم : ٦ .
(٢) رقم : ٣٥٧ .

../.

مِنْ هُناكَ أَنتم سمعتُ رياحَ بلادي ونَوْحَ الشّوادي في غِنائكم
من هناك أنتم لمحتُ ظِلال سَمائي ولونَ هنائي في جِباهِكم(١)

هذه هي الحقيقة القائمة في الانسان ، ان يشارك شعب من الشعوب في مأساة شعب آخر ، ويحمل معه لأجل إسناده ، ان يتألم انسان في مغرب الارض لآلام انسان آخر في شرقها ، هذه انسانية بذرها الله في جوهر الإنسان وترك له الخيار في أن يتعهد او يهمل البذار .. ولكن المحبة ما زالت على حالها تتذلر بشوق الى العناية التي تمتد لها ، لتتناوى بأفنانها وتترسخ بجذورها ، فجاءت الأغنية الفيروزية بنزعتها الإنسانية ، داعية هذا الانسان للتبصر في ذاته وادراك محتواها .. وهذا لا ينال الا بالعمل المتيقظ الدائم ، حيث لا غفلة والخير مهيض الجناح ، ولا هجعة ، ومسالك الحق اضحت بيوتا للعناكب ، وبيوت الحق استوطن فيها الغرباء ، وأصحابها لاجئون ، وخيامهم حزينة ، ولا رقاد حتى يشرق السلام على الكون :

لــن نَنــام والكون أَسىً وظَــلام لــن نَنـام سيمٌ الأَرضَ سَلام
هيا إِلى الصفوف مع الدجى نطــوف على الخِيام نُوقظُ النُّيــام (١)

تلك هي دعوة الوعي لبناء السلام ، وعيٌ يشمل كل الحواس والجوارح ، يهيب بالعقل فيحرك أعماقه ، ويعصف بالسواعد ليستقطب الهمم ويثور بالقلوب ليقوى النبض ويزداد الدفق حرارة ، ويقف بين الرمش والهدب ، ليكون التحديق بالأعمال مستمراً ، ويحرض بالأسماع نشيد الهبوب ، لإرهاف الانتباه في ديمومة الاصغاء ، فالسلام لا يدرك في غفلة النوم ، وليس هناك منتجعه .. وربوعنا لا تعود الا بالعودة الى انفسنا اولا نستنهض فيها معطياتها ونسخرها لاجل العودة ، لان ترابنا يرقص لهفة لحلول تلك الساعة ، ولا من يفتديه سوانا ابدا .. والبلاد التي " اذلها الغاصبون " تسمع هتاف ابنائها من وراء الحجب ، تسمعه في كل شيء ، في وقع الامطار على ثراها ، في هزيج الإعصار بين جنباتها ، في حنين الشحرور على حناياها ، وهم راجعون اليها في كل هذه العناصر ، راجعون سيان عندهم اكانت العودة تحت سماء الغضب وفي مسالك الآلام ، أم في ضمائر الأصباح وبين أنامل الفرح ، وتحت هيمنات الإيمان(٢) .

ومن قصائد العودة ايضا قصيدة " سنرجع " (٣) وهي من اثني عشر بيتا على ثاني المتقارب ، وهي في مجملها ايمان مطلق بعودة الابناء الى ارضهم التي شردوا عنها مهما اسدل الزمان من حجب السنين بينهما ، ومهما تناءت انسانية القضية عن الضمائر :

(١) راجعــون ، رقــم : ٢٨٩ .
(٢) راجع منشاة راجعون ، رقــم : ٢٨٦ .
(٣) رقــم : ٢٩٦ .

../..

سنرجعُ يوماً إلى حيِّنا ونغرق في دافئات المنى
سنرجع مهما يمر الزمان وتنأى المسافات ما بيننا

هذه العزيمة لن تخفت رغم الموهنات ، وهذا التصميم لن يتقهقر رغم المعوّقات ، ما دام بين الأرض وموجة ابنائها جسر سيعبرون عليه ، وإن كانت الأحزان موده التي كرتته فاضحى وجوده رمزا للمآسي المتعاظمة ، ومأبا للاوصاب المتعالية • فسوف لا ء المشردون لن تكل سواعدهم ، ولن تستقر أقدامهم ، حتى تفرح بعودتهم الارض التي تناديهم ، سوف يقاتلون حتى يغتسل ترابهم بدمائهم فيتقى ، ويصح إليه السلام ، وقتئذ ، مصليا في معبده ، راجعا الى بيته ، مستوطنا في قدسه ، داره أزلا وابدا •• ويرجع الاطفال الى بلدهم ليعيشوا فيه ولادتهم الجديدة لانهم ولدوا " في الخارج " ولهم النور والميلاد ، ويوم المجد والاعياد • (١)

وترتقي الأغنية في انسانية كلمتها حتى تبلغ شأوا عاليا ، وذروة مجيدة في حقل رسالتها الانسانية ، فتحيي بالسلام " اهل الارض المحتلة " وتتذر لهم النبض مشاركة اياهم في مأساتهم ، فتنطلق الكلمة قوية كعزم الايمان ، وتبيت في الاسماع محدثة رعشة كالتي يحس بها المؤمن في منسكه ساعة خشوع :

وسلامي لكم وسلامي لكم يا أهل الارض المحتلة
يا منزرعين بمنازلكم قلبي معكم وسلامي لكم(١)

ان ذلك يمثل ذروة عليا من ذرى اتحاد مشاعر الانسان مع مأساة الإنسان الآخر ، فتتفجر من هذا الاتحاد نزعة انسانية راقية • وتستمر في نزوعها رقيا حتى تبلغ مرحلة الصلاة •• حيث تنسحق القلوب بخشعة الايمان ، " لاجل مدينة الصلاة " التي رحلت عنها سمحتها الحقيقية ، فرحلت اليها الابصار والقلوب المؤمنة ساجدة في الكنائس والمساجد ، خاشعة في بلد الإسراء ، رائية الطفل يسوع حزينا لاجل الاطفال المشردين ، لاجل الاطفال الذين وهبهم ملكوته ، وهم يغتسلون بدموعهم وتشردهم •• يلوذون بآلامهم يسوع ، فيحل بهم عاملا من قلبه منزلا لهم ، لاجل الشهداء جميعهم والسلام في طليعتهم وهو الشهيد الاول •• الذي قضى يوم " سقط العدل " من يد الانسان و " تراجع الحب " عن قلبه ، فاطمأن الحرب في عاصمة السلام ، وتنقل الحقد بين بيوتها المعمرة بالمهج ، وامتدت الى ابوابها " الأيدي السوداء " محطمة بغير رحمة ، فشردت البيوت وشردت اصحابها وبنى الظلم بين الأحبة حاجزا من " شوك ونار "(٢)

(١) جسر العودة ، رقم : ٢٨٦ •
(٢) القدس العتيقه ، رقم ٦ •

••/•

سيهدم يوما على بانيه فيحترق الضمير الأسود بالنار التي أشعلها ، فالارض لا تتحمل العدوان .. وسيهلع عدوها الحرب بثورة غضب مجللة بالعزم ، فالطفل الذي كان بالأمس دمعة تهيم على الطرقات سيدوس على احزانه متجلببا بالقوة عائدا الى بيت مشرعا ابواب مدينته ليركن اليها السلام ، فتمحى منها الهمجية ويبقى " وجه القوة " (١) وتعود شمس المحبة ساطعة في سماء القدس مبنية بقلوب ابنائها وسواعدهم .. ويعلو صوت الاغنية فيكون مضاؤه أقوى من مضاء السيف :

يا صوتي ضَلّك طايـــر	زوبـــعْ بهـــا الضمايـــر
خَبّرهُنْ عَلّي صايـــر	بلكي بيوعـــى الضّميـــر (٢)

وستبقى أصداء الفيروزيات الفلسطينية تتردد في الأرض متحولة الى عواصف تهدر في الضمائر النائمة لتحركها وتعيدها الى حقيقتها الإنسانية ، وقد نذرت فيروز ، صوتها ليس " لمجد لبنان " فحسب ولكن لاجل الكرامة الأنسانية ، ولا بل العدالة التي يجب ان تكون في الضمير الأنساني .

٣ ـ الأردن :

الأغنيات الفيروزية للأردن ثلاثة . اثنتان منها للأخوين رحباني : " ياجسرا خشبيا " و " يا ربى عمان " . وهذه الاخيرة لامية من اثني عشر بيتا على ثالث الديد ، تصور بطولة الأردن ، اغنية السيف الأسمرة يوم لعبة السيف ، ودوره في صناعة التاريخ ، وربوعه المخضلة بالرجاء والأمل حيث طاب مجد وأشرقت صحبة :

يا رُبى عمـــان يا قُبـــلُ	فيك طاب المجدُ والغَـــزلُ
وازد هى بالسيف حاملـــه	بطل لاعبه بطـــــــــل
أمل الـــــت ومعتـــــزم	يا ربوعاً زهرها الأمــــلُ
أنـــت يـــوم السيـــف أغنيـــة	تأخذ الدنيـــا وترتحلُ (٣)

٤ ـ الكـــويـــت :

أغنيتان للكويت من كلمات الاخوين رحباني . الأولى في " يومها الوطنـي " . ومطلعها :

العيد يروى ويروى سناهـــا	يلثمُ منها المحيّـــــا
غنّ الكُويت وغنّ عُـــلاهـــا	ويومَـــها الوطنيّـــا (٤)

---

(١) زهرة المدائن ، رقم : ٢٦٦ .
(٢) القدس العتيقه ، رقم : ٢٠٦ .
(٣) يا ربى عمان ، رقم : ٣٣٣ . (٤) رقم : ٢٧٥ .

../.

أما الثانية فهي رائية بعنوان " ريح الجنوب " تتكون من عشر ابيات على البحر الكامل • فيها صور مشرقة ومُشْرِقة بمآثر الكويت وعزم أبنائها اللاهب كحرارة الصحــــراء، وإصرارهم على الاستمرار في سبيل إعلاء شأن حضارة قوية وخالدة ، على شطآنهــــم ، وفوق رمال صحرائهم ، لتبقى مخطوطة مزدهرة يرصعها جبين " الزمان المزهر " ويصبو ذكرها في الأذهان عبور السلام في السّلام الموحى ، فتمثل اليمامة التي تحمـل فوق جنحيها بذور السلام :

أرض الكويت وما مررت بخاطري   إلّا مرور يمامــة بالكوثـــر
أهلوك يَعلــون الحضارة مثلما   تَعلى القِلاع على جباه الأعصر
يبنون في الشطآن في الصحراء في   وَهَجِ الشُّموسِ وفي الزّمان المزهرِ (١)

وتنتهي القصيدة بتبليغ الكويت تحية السلام من " ارض لبنان الصديق " وتآخي العزائم في البلدين من أجل صيرورة تنزع نحو أخوة الإنسان الصادقة لبناء انسانية فعّالة •

<u>٥ — المغـــــرب :</u>

أغنية مغربية واحدة من ثمانية ابيات متنوعة في قوافيها ، تغني بطولة الشعــب المغربي وتنشد المحبة القائمة بين لبنان والمغرب :

شعب أبي يدور فــي الأوطـان   يهفـو الــى شعــب ابي
يقــول صـــوب المغـــرب   بحــــر مـــــن لبنـــان (٢)

<u>٦ — مصـــــر :</u>

اغنية واحدة بالعامية المصرية لـ " شط اسكندرية " وهي تصور محبة الشاعـر والمغني " لشط الهوى " وعهد بالوفاء له ، والشاهد ، اغنية وقمر :

وِنْ أنــــا نسيتـــك   ينسَــاني المَنَـــام
والشّاهـــد عَليـــه   غِنْـــوه قَمَريَّـــه
والنَّسْمَـــه البَحْرِيّـــه   وشَـــطّ اسْكندريّـــه (٣)

<u>تلك هي انسانية المنزع في الأغنية الفيروزية</u> ، محبة شاملة للأرض والإنسان ، ووقفة مثالية مع الإنسان المشرد أينما وجد ، وصوت هادر يحرك ضمير التاريخ إن حاول تزييف حقيقة التاريخ •

---

(١) ريح الجنوب ، رقم : ٢٦٤
(٢) تحية الى المغرب ، رقم ٢٨٥
(٣) شط اسكندريه ، رقم : ١٠٠

الفصـــــل الثالـــث

الانسان في الأغنيـات الفيروزيـة

مدخـــــــل

الطبيعة بلا إنسان مجهول غائب • والإنسان بلا طبيعة وهم لا يُـــدرك • لذلك كانت أغنيات فيروز للكلمة صوتُ انسان ينزع لحضارة الأرض ويتوق لعروج السماء ، ويغني نزعته وتوقه • وهنا في هذا الفصل يستحين الإنسان بجاره لينشئا الاجتماع البشري الذي يحقق صبوات النفس الانسانية للإعمار والارتقاء • وتستحين الأمومة بالطفولة لتُفَرِّعَ استمراراً يُكمِلُ شوط البقاء • وينشر الإنسان أناشيد نزعته ، غزلاً وزجلاً ، وتوشيحاً وفولكلورا ، لتكون أناشيده حوافزَ لتحقيق نشدانه •

لذلك التقطت من أغنيات فيروز ومن وحي صوتها هذه الحوافز ورتّبتها في ستة مباحث •

المبحث الاول : الإنسان وحسن الجوار •
المبحث الثاني : الأم والطفولـــة •
المبحث الثالث : الغَـــزل •
المبحث الرابع : الأغنية الفولكلوريّة •
المبحث الخامس : الزَّجَـــل •
المبحث السادس : المُوَشَّـح •

المبحـــث الاول

الإنســان وحســن الجـوار

الإنسان في طبعه ، ميّال الى المعيشة الجَماعيَّة ، وما كانت تسميته كذلك ، الا تعبيرا على مقتضى نزعته • ففي كلمة إنسان تلمح نوعا من المشاركة المنشأة ، لان اصله كما يقول بعض المفسرين ، " الأنس الذي هو نقيض الوحشة " ، وحجة هذا المذهب وقوع الانس على الناس ، لان بعضهم يأنس الى بعض • وبه أخذ بعض الشعراء في قوله :

وما سُمّي الإنسان إلّا لأنسهِ ولا القلبُ إلّا أنّه يتقلّبُ" (١)

وحمل الانسان هذا الميل الجواري في طبعه على طريق هجرته إلى حياته الأخرى ، فجاور حواء وما استطاع ان يجاوزها ، وأنست به وما استطاعت الا أن تؤازره ، وكان الوجود يجود المؤازرة ، وحسن المُجاورة ، وكان المجتمع الإنساني وليد هذه النزعة ، فازدهر الإنسان بها وأنس ، مُشيحا في صمت وحدته ، معزوفة الصداقة التي تربط بين القلوب وبين بقية البشر •

وعلى هذا الأساس جاور الإنسان أخاه الانسان ، واصبح للجيرة عنده قوانين وأعراف ، من ناقضها اتهم ، ومن لم يراعها ، أثيرت حول مسلكيّته الشكوك ، وتناولت أخلاقيته الألسنة بغمز ولمز • فما هي أعراف الجيرة هذه ، وما هو فحوى قوانينها في الأغنية الفيروزية ؟

ترفل كل قضية تطرقها الأغنية الفيروزية بثوب فصل من الطبيعة ، وحيك على نول الخير وكان السلام والمحبة سداه ولحمته ، وقضية الجوار هي من بين تلك القضايا ، يكتنفها الربيع رمز من رموز الحياة والحركة ، يعيشها انسان يعمر الايمان قلبه بالعمل على توحيد الفصول وجعلها نيسانا واحدا ، منه منطلقه ، واليه مآبه ، فتضحك له الأرض ، ويقيم عرسه تحت أجفان تلك الضحكة ، فيعيش في جمهورية بناها على اساس من الألفة ، واستمد دستورها من الوفاق ، فربي اهلها لا يعرفون معنى المحكمة والمحاكمة ، وقديما قال ارسطو " إن المتحابّين في غنى عن العدل ، لأنهم يتنافسون في عمل الخير ، ولا مجال للشر بينهم • ولو عمّت المحبة الناس لما كان للمحاكمين وجود على الارض" (٢) وكذلك هو انسان الأغنية الفيروزية في جمهوريته التي بناها من المحبة ، يعطي بقلب

---

(١) نهاية الأرب للنويري ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ج ٢ ، ص : ٦

(٢) حديث العشية لبولس سلامه ، طبعة ثانية ، دار الحضارة سنة ١٩٦٣ ص : ٨٧ •

•/••

الطفولة ، ويفكر بعقل الشيوخ ، يسكن في بيوت تفتح نوافذ ها على بعضها ، لتلتقي العيون ، وتتفرّد البسمات ، فتشع في جوانب النفس قدرة خلاقة ، تحرك العقل ليبدع في الخلق ويسمو في الإبداع ... إنه انسان عوّد نفسه على العمل ومكّن ذاته على العطاء ، فغرس لوقته في الأرض الى جانب كل حبة ترفع ايها نحو السماء فاحبته الورود ، وتحدثت عنه الأفياء ، وفرحت به الأرض ، حتى أضحى التفكير في هجرتها عيبا ، وجاورته مجموعة أخرى من البشر صارت له حبيبة وصار هو لها حبيبا :

يا بنتَ جارتنَــــــا	كلّـــــي بجيرتنَـــــا
هالأرض سَعَدِتنـــــا	وأحباب عِزّتنـــــا (١)

وكل شيء مهيّأ لأن تكون هذه الجيرة مثالية لا تتناهى ، فهي تتكون من عناصر خمسة : هدوء ، أفياء ، ملاعب ، مياه ، ومحبة ، وهذه المحبة ليست وليدة الساعة بل انها صاحبة تاريخ ، ربيت مع سنين كثيرة بظل هذه الجيرة الهادئة : " وفيهما شوي شوي ربيت محبّتنا " (١) انها معرفة من أيام صغرنا يوم كان ملقانا احضان تلك الأشجار ، ونزهاتنا طرقات بلدتنا ، وحكاياتنا قصص الحب تسجلها لنا انحناءات الدروب ، واستراحات الظلال . فهل تجوز ، بعد ذلك ، هجرة هذه العشرة ؟ وهب انها حدثت بالفعل فالأمر لا يتغير بالنسبة للجيرة الحقيقية لهذه الجمهورية لان العرف فيها يقول : ليس الجوار جوار الأجساد ، وانما هو جوار المهج والألباب . لذلك يبقى الجار جارا مهما كان التنائي جائرا ، فيرحل من بعيد ليؤازر جاره متمنيا له القدرة المتلالئة والعافية الباعثة :

أنـــــا لأفـــــــي	مـــــن العَافيـــــي
تا قلبـــك صافـــــي	يـــــا جارتنَـــــا (٢)

فمهما تنائى الإنسان المحب يبقى قريبا لقلوب أحبابه واصفيائه ، حتى ولو لفه الموت برداء الفناء ، فانه يبقى حيا في مهج المخلصين وقولهم .

والجيرة ايضا تقوم على دعوة الجيران للمشاركة بكل ضروب الحياة ومواسمها : بالفرح ، والكآبة ، بالتذكار والصبابة ، بأيام القطاف وجني الحبوب ، بين الحقول وعلى صفحات البيادر ، بالنوم والسهر بيناء الحياة ، ومشاتل الزهر ... فتحلو صورة الحياة في الذهن البغيض ، ويرمي بغضه في لجج الظلمات ليمشي مع مواكب الحق في مسالك الحق . وليس من حق الجاران يصمت لاقوال المفسدين الذين لا تروق لأبصارهم حياة التآلف والتآخي بين البشر ، فيعملون على تفتيت المجتمع الإنساني بدس سموم

---

(١) يا بنت جارتنا ، رقم : ٢٢٦ .

(٢) عالكرم انزلـي ، رقم : ٢٢٤ .

المشرقة بين عناصره ، ولكن واجب الجوار يدعو للوقوف في وجه الدساسين ، وقطاع الطريق على مديريها ، لتبقى نفحات المحبة ملء الحناجر وفعلها ملء القلوب ، لا تثيرها الأهواء مهما استبدت :

سَهْرُوك كتيــــــر وَغِمْــزُوك كتيــــر
وَضَلّيت إلــي يا جارْتنـا (١)

وكذلك الجار ايضا بقي على هذا الدرب رغم الألسنة والحكايات التي ألفت ورويت في ليالي السهر ، ولكن اين العجب في لقاء الجيران وسط الجنائن ، يروون لبعضهم أشعار الحب ، ويرسمون أمام الورود صور المستقبل ؟ وما الغريب لو كان هذا اللقاء تحت الدوالي فوق سطوح المنازل ، حتى تتناوله ألسنة الحساد وهي تقطر قيحا وصديدا (٢) هذا كله لا يهم ما دام الحب ينمو ، في قلوب المتواعدين على لحن اغنية ، وما دامت هذه الأغنية ترددها المناسبات ، وما دام هذا الحب يناديها ويروي لها اسرارا تستطاب بمعرفتها الحياة :

وما دام قلبــو إلــي وغنّيتــو بتنعــاد
يا بيــت لا تسأليـــي شو همّنــا الحسّــاد
وما دام بشبـاج الدار مُفتّح زْوّار زْوّار
والحب عم يندهلنا ويرويلنا اشرار (٣)

بهذه اللوعة من إخلاص الإنسان لأخيه الانسان ، وبمثل هذه القدرة على ردع الشكوك الخبيثة ودحرها ، وبمثل هذه العناصر الثابتة بالمحبة ، تشاد الأمجاد ، وتنتصر الشعوب وتعظم الأوطان ، لأن الوطن يتكون من الشعب ، والشعب مجموعة من الناس متجاورة متحابة ، وبقدر ما أخلص لجاري القريب بقدر ما أخلص لجاري الإنسان ، في كل الأرض ، لأن الإخلاص يبتدىء معي في البيت ويتسع حتى يشمل الإنسانية كلها ، وهذا هو الدستور الذي استنّ في الأغنية الفيروزية ، وعمّ فيها حتى صار عرفا .

والذي يحدث أحيانا ان يقع نوع من الجفاء بين الجيران من طرف واحد فكيف يقابله الطرف الآخر في عرف الأغنية الفيروزية ؟ هل يقابل بالمثل ؟ أم يواجه بالعكس ؟ ان مواجهة الجفاء بالجفاء قضية لا تعطي نتائج مرضية بل تزيد من حدة التنافر ، ولكن ان نقابل الغضب بالرضى ، والكراهية بالمحبة ، والعبوس بالبشاشة ، والميوعة بالرصانة ، فذلك هو الربح الأكبر ، والنتيجة الطيبة ، وعلى هذا النظام تعالج القضايا في أغنيات الجيـــرة :

---

(١) عالكرم الزلي ، رقم ٢٢٤ .

(٢) الصديد : القيح المختلط بالدم . (٣) شو صار ، رقم : ١٠٥ .

../.

إنْتِ بتجرحْنا وقلبك يا جارنا جار (١)

وبعد ذلك توجه اليه دعوة لنسيان وضعه، وهجران جفائه، والتزام الخط المثالي الذي اعتنق نظمه، وبه استنار ماضيه، والعودة الى هذا الماضي حيث يخلي الأشجار على طريق العين ويهدي لأحبابه باقة ورد من ازهاره التي زرعها:

مهما تنسانا ما مِنِنْسى يا جار يا جار
دايماً منحب تهاديـنا من روضك أزهار (١)

ويسود الوفاق، ويرجع الجار محباً عذباً، وتضحك ليالي السهر في بيت يسكنه القمر الى جانب الفرحة والتسامح.

وتسير جمهورية الجيرة هذه على منهج قوامه الترابط، والتوافق، والتكامل، بحيث تشكل جسداً واحداً لقوم كبير، ان اعتل اي عضو فيه اعتل الجسد كله، تماما كما يسيء اللص لأهل بلدته، فيخجلون من بقية الناس لأن السارق منهم. او القتلة لسمعة وطنهم في الداخل والخارج، لأنهم اليه ينتسبون. كذلك الأمر للجار في الأغنية الفيروزية إن واكبته غيوم الهموم، أو رافقته عيون الكآبة، فان بقية جيرانه يشاركونه في دموعه كما كانوا يتمتعون معه بلذة بسماته، لأن قضيته قضية الكل مع استقامة العكس:

بتقول الصبية للقمر ليلية مِشْوارك مِشْوارنا يا جارنا (٢)

تنطلق من عظمة هذه المحبة ومن مجد هذه الصيرورة الاتحادية للإنسان بالانسان، باقة ابتهالات لرسول الجمال حتى يشرق على نوافذ المحبين، ويلون قضاياهم بلونه، ويمسح اعماقهم بمسحته، ويوقظ في بصائرهم صور الماضي الضاحكة، ليعودوا اليها، بعد أن كان النسيان يمسح سماتها. ورسول الجمال هو ورد نيسان، يخبر الدنيا بأن المحبة لن تنقلب، والقرابة لن تنفصم، والجيران لن تفترق.

وحياة عينك يا ورد نيسان زهّر على شبّاكن المشتاقْ
ون كان بدّن يسألو عنّا جيران قلّن بعدنا جيرانْ (٣)

ومن أروع المشربيات التي تقدم لأي إنسان حتى يصبح عضوا في جمهورية الجيرة المثالية، معطيات الطبيعة الخيِّرة، من رياض عبقة الأريج، وسماء تسكب شمسها

---

(١) كيف حالك يا جار، رقم : ١٦٩ .
(٢) يا حلو يا جارنا، رقم : ٢٣٠ .
(٣) بتشوف بكرا بتشوف، رقم : ٤١ .

../.

على عشيقتها الأرض ألوانا من الدفء والحياة ، ويخلع قمرها ضوءه رداءً يتلفع به نسائم الورود ، وفراشات تسبح بين خيالات النور ، مرفرفة كحلم العذراء فوق ثغور الرياحين ، لتلطم عدوا دموع الفجر ، ثم تغيب سكرى بين أجفان الجمال لتستيقظ من جديد ... إنه كون من الجمال ... فلماذا يرسم الإنسان من ذاته صورة قبح يلصقها على وجه الطبيعة ؟ ويكفي أنه يكره ويحقد ويقتل لكي يكون قبيحا ، وقد خلق له الله الطبيعة مثلاً للمحبة والتسامح والحياة والتعاون ، فترى المياه تسعى من أعماق الأرض لتقدم ذاتها للحيات فتنمو لتعطي من نموها أكسيرا يحيى به الحيوان ، ثم يجيء الإنسان سيد الأرض ، فيتمتع بكل ما كونه اتحاد العناصر ، فيعمل للاستئثار فرديا ، دون أن يعلم حكمة اتحاد العناصر التي تولّد له الحياة ... فيحذو حذوها متحدا مع أخيه الإنسان ضد الفرقة ، والألم والتشرد ، وليمس متحالفا معها ضد الانسان .. ولو وعي لادرك أن دمعة السماء ما كانت إلا لابتسامة الأرض ، وما ابتسامة الأرض إلا زهرة مخضرة ، خلع الجمال عليها من ذاته ثوبا ... وقد قال الشامي في هذا المعنى :

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها مخضرّةً واكتسى بالنّور عاريها ؟
فللسماء بكاءٌ في جوانبهـــا وللربيع ابتسامٌ في نواحيهـا (١)

فيا ليت الإنسان يحول المعرفة من الطبيعة ، ويا ليته ينصت لنداءات الحكمة المنبعثة من كل حنجرة فيها ... وهذا هو الخط المتبع في كل موضوعات الأغنية الفيروزية ، والجيرة هنا تضامن، كوريقات الوردة الواحدة ، ان سقطت واحدة منها ، انتقصت معايير جمالها ، وإن غوديت ازدادت براعمها وازدانت فروعها بالعطر والعطاء ، مكونة دنيا خضراء كلها سعادة وأغاني ، والحب فيها عناقيد لا تنتهي مواسمها :

وهناك الذّي المقمرا يتنقل علياتي
فيها الهوى يتمشى أحلام وغنايي
والحب فوق دواليها عناقيد حلياتي فيها
وما فيش واحد مقطوف (٢)

تبقى قصة الجار الصغير الذي " يطل شباكه " على منافذ الجيران الآخرين ، وتتجاور الورود تيمنا لتجاور القلوب ، فيضمر بيلسان روضه زنبق دارنا ، ويزهر شقيق حوضنا ، تحت أجفان أقحوان بيته ، وكأن هذه الورود تتهامس عن هذا الجار الذي

---

(١) في كتاب (من غاب عنه المطرب للثعالبي) نسبة هذين البيتين لابن المعتز . انظر نهاية الأرب ج ١١ ص : ٢٦٧ .
(٢) بتشوف بكرا بتشوف ، رقم : ٢١ .

يرندح بصوته الشجي أغنيات الفرح ، فتبتهج به رياضه ، وتداعب الفروع خصلات شعره الوثير ، فتلتقي طفولة الورد مع طفولة الجار ، وتلتقي على " شباكه " الأطيار ، وتصدح على سطحه صغار العصافير عند استيقاظ الأماني بين الجنائن لتغني لهذا الجار الصغير أغنية الحب :

حين الأماني تلوح   على الزهر والحقول
يصعد فوق السطوح   طير صغير يقول
ما أحلاه جارنا هذا الصغير (١)

ولا بد للقمر ، أمير الأغنية الفيروزية ، من أن يتدخل بين الجيران ويكون سببا في تأخير وصول الجارة لزيارة جارها ، فيعاقب ويلام ، لأنه واحد من أسرة الجيرة ، كما أعلن ذلك في أغنية " نحنا والقمر جيران (٢) " يدان ان ظهر حينا ، ويدان أن غاب أحيانا ، هو فرد في جمهورية له فيها حقوق وعليه واجبات .. وضيعتنا اليوم ساهرة رغم احتجابه ، وقد انتظرته طويلاً حتى طلع بنوره على طريقي إليك ، وان كان لا بد من اللوم ، فإليه يوجه :

لا تعتب عليّي أخرني القمر   ضيعتنا سهرانة وطالع الشهر
يا حبيبة عينيّي لو تعرفو فيّي   لومك مش عليّي لومك عا القمر (٣)

والجار رفيق العمر ربينا معا من يوم كنّا فيه لا نعرف الحياة سوى لعبة حلوة تحت السنديانة ، او هروب من البيت الى صخور الرابية حيث نجد بينها مرتع آمالنا ، ومنتجع خيالنا ، ومكانا رحبا نتحرر فيه أحلامنا ، وتتحقق تصوراتنا .. ولما كبرنا ، وكبرت معنا هذه الأحلام والتصورات ، صار يُحجز علينا .. واذكر يوم جاءت امي تنهاني عن التكلم مع الشباب وخاصة الأعداء الذين يريدون الوقيعة والغدر ، وافساد أجواء هذه البيئة المحافظة ، ولكنني تأملت فيك بعد هذه الصلاة لأرى إن كانت وصية أمي تشملك بإحدى بنودها ، فوجدت انك لست من الشباب المقصودين ، او الأعداء المفسدين :

إنت مش حدى ولا إنت العدى   إنت البيتك بيتي ربيت من الزغر (٤)

و إنك الجار الذي ربيتُ وإياه تحت أغصان تلك السنديانة التي ما زالت تروي لبعضها الى اليوم ، حكايات طفولتنا البريئة .

---

(١) شباكه يطل ، رقم : ٢٠٢ .
(٢) رقم : ٢٠٥ .
(٣) لا تعتب علي ، رقم ١٧٢ .
(٤) الاغنية نفسها .

../..

المبحث الثاني

الأم والطفولة

رأيت الأم والطفولة مجتمعين في مبدأ الحياة ونظامها ، فجمعت بينهما في منهج بحثي في فصل واحد ، تمشيا مع القانون الطبيعي الذي أراد ان يجمع بين عظمتين : عظمة الحنان في جوهر الأم ، وعظمة البراءة في وعي الطفولة ... انه فصل منابعه مشارق الحياة ، امتدت على مشارف تاريخ الحياة .. فيه ولادة مستمرة نسمع منها آيات الغمر تتلى من قدس قلب ، على قلب اختير ليكون .. فاقتطفته الحياة فكرة من بين اذرع العدم ، وألبسته ثوب الوجود ، وشتلت في بصيرته صفاء لا محدودا ، ونصاعة تجاوزت نظم المقاييس ، وبراءة تدرك بالإيمان ، ولكنها تبقى خلف حدود الحرف ... فصل تبرعم فيه الحنان ، وفيه تفتح ، واستيقظت بكره على نغمات الأمومة ترفرف فوق السرير ، وغفيت أصائله مع انتباهة أحلام الطفولة في بصيرة صامتة ... إنه فصل لك ايتها الأم ، يا صانعة الأمجاد .. انه لك ايتها الطفولة ، الهاتف لا وعيك في وعي الحياة : يا امي ... انت المناجاة الرقيقة التي أردّدها ، حين ينسج الزمن بساط اليأس فوق رأسي ، فينفرج أمامي الظلام ، وتحلو لي الحياة لأنها أم البشر .. انت رفيقة شفتيّ في كل آن ، ومحيكة لي الأمل ، حين أفقد الأمل .

من أغنيات هذا المبحث ما هو للأم خاصة ، وللطفولة خاصة ، ومنها ما هو بين الاثنين معا ، وهي اغنيات للطفولة على لسان الام ، مع استقامة العكس ، ومنها ما يقوم على اساس الذكرى لهذه الطفولة والحنين اليها . ولنبدأ بنداءات الام نحو اطفالها ، لنعرف ما بهذه النداءات من معان واشراقات .

تنبلج من قلب كل ام طاقات ولا أعجب : منه انفلاتات حياة ، تعلم بها قلب الوجود معنى الولادة ، وتلقن الإمكانات الخلاقة ، كيفية العطاء الذي لا ينضب وتطمح الحياة قدرة استمرارية لممارسة الحياة .. هو الجَنان الذي يجمع في كونه كل الجنان ، فيه طاقات من المحبة اللامدركة ، كما يحوي طاقات من الكراهية تصب على اى شيء يدنس هذه المحبة ، فيه دفء تنحسر دونه كل الأدفاء .. إنه دفء الأمومة تغتسل فيه الأجنّة (١) مذ تكون فكرة في ذهن النور ، حتى تصير قضية مجسدة مكتوبة في تاريخ الحياة .. فيه ايمان يجمع العظمة من كل اطرافها ، فيمحها الكفر بمذهب الكفر ، والإيمان بالله الذي يشد الأمومة للتعمق في ذاته اكثر ، لتسكبه ، هكذا ممعنا في حنايا اطفالها فيصبحوا ، بالطهارة وبهذا الايمان ، اخوة للسيد المسيح الذي ما

---

(١) الأجنة جمع جنين ، وهو الولد ما دام في الرحم .

../.

دعاهم إليه مانحاً اياهم ملكوت السماوات الا لكونهم كذلك ... وعلى ذلك سماهم اخوته : " من سقى احد إخوتي هؤلاء الصغار كأس ماء بارد باسمي ، الحق اقول لكم ان اجره لا يضيع " (١) فكيف يضيع أجر الام وقد سقت الوجود ، وجود هؤلاء الصغار ؟ انه لن يضيع .. بل هو محفور على صفحة الخلود .. في قلب الله ، انها الأم تنتظر اغفاءة الضجيج من حولها ، واستقرارة الحياة في الخلد الصافي ، واطمئنانة الحنوان في بصيرة الصمت ، وبرودة الليل على كرسي الزمن ، حتى تنطلق الى الله بصلاة مشفوعة بطهارة طفولة تصلّي معها . فينصت الله لهذه الصلاة ويستجيب .. لأن اركانها : صفاء النفس ، وسكون الجوارح مملوءة بأيمان الام العميق ، وبراءة الطفولة اللا محدودة ... التي لا " تُردُّ صلاتها " فتلبس البرودة في ذلك الليل ثوبا نسجته حرارة الايمان وعظمة الإدراك ، فينطلق صوت الأمومة من حنايا ذلك الصمت مرنما :

أقول لطفلتي إذا الليل بَرَدْ
وصمت الرَّبى لا تُحَد
تعالي نُصلّي فأنتِ صغيرة
وإنَّ الصغار صلاتهم لا تُرد (٢)

نعم لا ترد لأن في الطفولة وردة ايمان جديدة ، تتجدد فيها الام ، لتقيم صلاة تحلق في جوانب السماء وتأخذها عرائس الخلود ، لتقدمها الحوبة في مزامير التسبيح الالهي ... وتبقى ندآت الأم تنطلق في الأجواز البعيدة ، صوب منابع النور ، ضارعة الى الله .. " شمس الاطفال " ان يملأ قلوب الأمهات بنورهم ، ليبقى في الوجود صلاحا ، وتبقى على الشفاه بسمة ، تتحدى بهناءتها مواكب الشرور وتضيء بطفولتها كل البيوت.

زوري زوري بيوتنا يا شمس الأطفال
وأضيئيها بيوتنا يا شمس الأطفال (٣)

إنها لهفة الأمومة على شهاب انفصل من سمائها ، تحنو عليه لانه الذات الأخرى لها ، ويحن اليها ولا يركن إلا لها ، لأنها المصدر الذي انطلق منه الى مشارف الحياة يزغرد لا طلالة وجهها ، وترقص على شفتيها عظمة الابتهاج ... يتمخض الكلمة ليطلقها ، فتكبر عليه الكلمة ، يعالج الحرف بسره ، ليحله لامه فرحة كبرى ، فيقف الحرف رصدا على باب لسانه ، يرفع يديه في الهواء كأنه يستلهم النطق من الأعالي ، فترجع اليه فارغة الا من اللا شيء ... وخلال هذه المحاولات والانفعالات الداخلية

---

(١) حديث العشية لبولس سلامة ص : ٨٥ .
(٢) أقول لطفلتي ، رقم ٢٧٧ . (٣) شمس الاطفال ، رقم ٣٠٢ .

../..

تبوح حنجرته بكلمة حديثة الولادة فيه ، لكنها بدون حرف ، يلتقطها سر الامومة المنحني فوق سريره ، ويترجمها إلى سرور يرسمه على حنيات سرائرها المنبسطة ... فتلجأ الام الى الكلمة لتجسد بالحرف فرحتها ، ولكنها ترى نفسها مواكبة طفلها في أهازيجه بالكلمة من غير حرف ، لانها تكون ، حينئذ ، خلف حدود الحرف ، في كون البهجة ، أمام مدرك المعرفة ... ولما تعود لذاتها تعلن امام السماء بأن الأطفال محبة الدنيا ، وان دنيا المحبة لهم ، هم فرحة للكون ، وكون الفرحة لهم :

لَهم حُبُّ الدنيــا لهم لحــب الدُّنيــا
وهم فــرح البــال يا شمــسَ الأُطفــال (١)

فالأم ترى الكون طفلًا يعبث بوجه الوجود ، فيضحك له الوجود ، وترى الزمان طفلًا يلهو بأهداب الحياة فتمطر عليه بسمات وأحلام ملائكة ، فتشعر بعد ذلك ، بأن كل الزقزقات الفَردة هي ملك له وان كل الصفاءات من ذهنه تشرق ، حتى تطير به السماء الى غده الذي يغام بين أحضان السنين ، فالأطفال صورة دائمة في اذهان الأمهات ، تمثل هذه الصورة معظمة الأمومة وتتلون بها في مختلف المراحل والأحوال .. كأن يكون الأطفال كالنهر وهم يسابقون الزمن في انطلاقتهم نحو الحياة المستقبلية ليدركوا الخلود قبل ان يدركهم الوقت ، تماما كما تتسابق أمواه النهر الى الحقول العطشى لتوزع الحياة على الحبات فتنمو الأغراس ، وتتعانق الظلال ، راسمة على كف الحياة واحة السلامة ... او يكونوا نورا ينسكب على هذه الأرض من فم السماء ، فيملؤنها من بسماتهم ليحولوا الدموع الى أفراح ، وليحلوا أمل المستقبل الناضر ، مكان يأس الماضي والحاضر ، تماما كما يبتسم القمر من وراء الافق ، فتهدد بسمته شغف الظلام ، وتحرر طلعته ، عقد الخوق :

رَكَضُوا ركضَ النَّهــر ضَحِكُوا ضِحكَ القَمَــر
وانتشرت أظـــلال يــا شمـــس الاطفـــال (١)

إنهم أمل طلق في عنق المستقبل لينزع منه التشاؤم المتمنطق بظلام القبور ، ويزرع مكانه اشراقة جديدة لمعنى الأيام ، على عتبات الدور ، انهم نبت جديد يحمل دما جديدا لجسد السنين .. فارفق بهم كبارا يا من كنت شمسهم وهم صغارا "الآن الطفل طهر ونسيان لأنه تجديد ولعب وعجلة تدور على ذاتها ، فهو حركة البداية وعقيدة مقدسة " (٢).

---

(١) شمس الأطفال ، رقم ٣٠٢ .

(٢) هكذا تكلم زرادشت ، نيتشه ، ص: ٤٧ .

../..

رفقـــا بالأطفـــال   يا شمس الاطفال (١)

وتتالى نداءات الأم نحو السماء ، لتعلق ابتهالا على كل نجمة وتتلو صلاة في كل بعد .. ضارعة أمام الرحمة اللامحدودة ان تنزل السبات على اجفان طفلها ، وأن تسكب عليه نعمة المحبة الكبرى ، محبة الصلاة والصوم ، ليبدأ مسيرته الدنيوية من هذا المنطلق الديني ، الذي يصله بيوم الخلود اللامتناهي فيعيش به الحياة الحقة :

يلا تنام ريمـــا   يــلا يجيها النـــوم
يلا تحب الصــلا   يــلا تحب الصـــوم (٢)

هذه النغمات التي ترتلها الام لطفلها كلما أرادت له الراحة المهنأة ، هي البذور الأولى التي تعلق في هذه التربة البكر فتغرزها لتنمو مع الايام فتكون عاملا من عوامل تكوين ميول هذا الطفل واخلاقه في مستقبله ... وانه لا اروع من أن تحمل هذه النغمات في لحنها ذكر الله ، فيخترق شعاع الكلمة كنه الحواس ، ويسكن فيها فينطلق ، فيما بعد ، معرفة من الذات التي استقر فيها ، موزعا هذه المعرفة على الانسان ، فيتحرك فيه الوعي ، ويشرق منه الخير .. وبعد قليل من الزمن وبعد أن تصبح هذه النغمات هينمة (٣) ترفرف فوق السرير المهتزة ، تستيقظ في الامهات قدرة أخرى على الرؤيا . فتتحول ابصارهن ظلا لأبنائهن يلاحقهم ايثما راحوا ، ويتبعهم كيفما انطلقوا عندما يرتفعون بأبصارهم الى السماء مع لعبهم الطائرة ، او يلمحون للأسفار مع مياه النهر ، فيفرشون سطحه " بشخاتير " الورق ، متواعدين مع الماء والسماء على رحلات كبيرة في المستقبل ، مشيعين في نفوس أهلهم أملا عظيما بهم ، فتتلون اوقاتهم بتلون الأمل الذي يرجونه منهم فيفرحون ان كانت دلالته مشرقة ، ويكلحون ان كانت سماته مظلمة :

بيطيروا بها السما طيارات   وبالساقية بيسفروا شخاتير
وبايديهن عمر وراق بين وحمر   وبيلونو ها العمـــر (٤)

انهم يقطفون ، في كل ميلاد لهم ، في كل عيد لهم ، سنة من عمر الزمن ، يكبرون بها ، ويصغر الزمن عندهم أن عملوا على ترويضه ، فيرحلوا ، مع كل قطاف ، قاطعين بعدا مقتربين به من باب الحياة ، مبتعدين عن احضان الوالدية التي كانت تسهر

---

(١) شمس الأطفال ، رقم ٣٠٢
(٢) يلا تنام ريما ، رقم : ٢٥٢
(٣) الهينمة ، الصوت الخفي
(٤) عم يلعبوا لولاد ، رقم : ١٤٠ .

../..

مع الليل لتحميهم من برده وتلفهم بالأطمئنانة من خوفه :

ويا ما بْلَيالِيكْـــــن يِسْهَر تْغَطّيكُن لِفْزِع لوعِّكُن
ويـــتّن تُوعــــوا من إيدَيْنا بْتِهرُبُوا تا تِلْعَبُو

وتعثرت الطفلة بعد رحلة لها قصيرة على طريق العمر ، ورحلت لتقيم نزالاً مسع الأيام فعبثت بها الأيام •• رحلت وفي ذاتها شوق لعناق الحياة ، وما ان مدت بذراعيها لعــــوهـا ، حتى ردتهما اليها مطرلتين همّا ردمعا •• ولما قطعت مسافة اخرى من عمرها على طريق الزمن ، شعرت بأن قدرة ما تولد في ذاتها ، ولكنها عجزت عن كنهها ، ادركت بأن حياة ما تستيقظ في صدرها ، وتحرك فيها شوقا بحو الحزن والفرح ، ومـــلا صوب الرحلة والمرح ، حياة ما كاد يكتمل نموها ، حتى تفتحت معها مجموعة كوامن فــي نفسها ، تولدت من نشوتها مجموعة اضداد •• ولم تستطع ، هذه التي ارادت ولوج مدارك الحياة ، ان تدرك سر هذا التفتح في ذاتها الذي تغيرت به حالها ، فعاشت بحيرة ذبل على اثرها اندفاعها فترة ، وصغرت بناظريها الدنيا •• وفجأة لمحت بخاطرها أمها •• نظرت اليها ، فلقيت عين هذه الام ترافقها بحنانها المعهود ورعايتها الدائمة •• فانطلقت نحوها تشكو لها ضياعها بين أسرار الولادات ، وسمات القلق ناطقة فــي اضطراب لسانها ، وانغام الفرح غميصة في جنانها ••• :

دَخِيلك يا إمِّي صِدري شو بلي تْركيني بِهَمِّي زِهْقاني الدِّني
بذكرُ من سِلي وأكثر من سِنـــي شِفْتُو تَحت اللوزة(١) بُها الفَيّ الهَني
وما بَعرف عَطاني يِمْكِن سَوسَني (٢) ومن يَوما يا إمي صدري شُو بلي (٣)

---

(١) لقد وصف الشعراء اللوز كثيرا فقال احدهم في لوزة بقلبين :
و مهدٍ الينا لوزةً قد تضمّنــت لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما خِلّان فازا بخلـــوةٍ على رِقبةٍ في مجلسٍ فتعانقا
نهاية الارب ج ١١ ص : ٨٩ •

(٢) السوسن جنس زهر مشهور من فصيلة السوسنيات ، كثير التنوع ومنتشر في النصف الشمالي من الكرة الأرضية • غالبا ما تكون ازهاره كبيرة ولامعة اللون ، وهي حسب الانواع ، بنفسجية وبيضاء وصفراء • يزرع كثير من هذا الجنس في الحدائق ، ومنه ايضا اصناف برية عديدة • وقال الشيخ الرئيس ابن سينا بأنه ينفع لعدة امراض ذكرها • (راجع نهاية الارب ج ١١ ص : ٢٧٣ وما بعدها) والسوسن مـــادة حلوة تغزل فيها الشعراء فقال بعضهم :
يا رب سوسنة قد بتها شغفــا وما لها غير نشر المسك من ريـــق
مصفرة الوجه مبهن جوانبهـــا كأنها عاشق في حجر معشـــوق •

(٣) دخيلك يا امي ، رقم : ٦٧ • ••/•

كانت الشكوى بوحا بالقضية ، وكانت القضية : ولادة حب ٠٠ وقبل كل ولادة يحدث صراع ، واضطراب وقلق ٠٠ صراع بين العوامل المكوّنة ، واضطراب في الحنايا المترقّبة ، وقلق على نوعية هذه الولادة وجنسها ، خيرا كانت ام شرا ؟ ففي إصطراع عناصر معينة في جوف الأرض ، واضطراب مواد أخرى فيها ولادة بركان يرمي ضمير العطاء على ساحتها جدبا وحرمانا ، فتتقلق الحبات ، وترحل الترابات من موطن الإخصاب ٠ ولكن في اصطراع الشعاع مع الامواه ، والرياح مع الغيوم ، ولادة امطار تفجر في الارض الخصب والحياة ٠٠٠ فأن كان في ولادة الأشياء تغير واضطراب ، فكيف تكون الحالة والقضية تتعلق بالإنسان مباشرة ؟ بولادة الحب فيه ؟ انها ولادة بدايتها صراع بين الحواس ، واضطراب في الشاعر ، ونهايتها حب يحتلي النفس ، ويقود هذه العوامل كلها نحو معرفة مستقرة ، ولذاذات مستمرة ٠٠٠ وخلال هذه الولادة بالذات يشيع ، بين جوانب التفكير قلق فيه شيء من الركونة ، وخوف ممزوج ببعض الاطمئنان ، يعيش صاحبها بينها ، لا يعرف كيف يبدأ ومن اين وماذا يحدث ؟ خاصة وان كانت الولادة مبكّرة ، كما حدث لهذه الصغيرة التي التقت بالحب بين أفياء اللوزة وقدم لها تلك السوسنة التي كان ضوعها بذور الحب الأولى في حناياها ، فانطلقت الى امها سائلة خائفة " دخيلك يا إمي مدّري شو بِني" هذه العودة الى الأم بعد الرحيل عودة الخوف والهم والتساؤل ، تدل نوعا ما ، إلى اي مدى كانت الأمهات تعمل على تثقيف ابنائهن او بناتهن ، بصورة خاصة ، في زمن هذه الأغنية ،(١) يستشف من ذلك ان هذه التربية التثقيفية كانت شبه مفقودة او محدودة، فلو لقنت الأم ابنتها شيئا من دروس الحياة ، وعرفتها على بديهيات تكوينها ، وحتميات صيرورتها عندما تبدأ زهرتها بالإعقاد ، لأدركت ان هذا التغيير الذي حدث فيها ، وهذا الشعور الذي طفق يرود وجودها ، ما هو إلا تباشير لولادة حب بدأ يبدو مع نشوء الاكتمال ٠٠٠ ولما عادت الى امها سائلة اياها تفسيرا لهذا الصراع القلق المتولد من بعض ردود الفعل لقصة قرأتها تدور احداثها حول حلوة آلمها فراق الحبيب :

قْريتْ حكايِي بْكْتِبْ زَرقا　　　عن حِلْوايي بْتِشْكي الفرقا
قِصّتْها بْكتْـبِي أخذتْلي بْدِلي　　　ومْن يَوما يا إمّي مِدْري شو بِني (٢)

كذلك ، ان للتربية التثقيفية اهمية لا تقل عن اهمية التربية الجسدية للطفل ، وبقدر ما تكون هذه التربية مكتنزة صحيحة ، بقدر ما تحل عقداً عظيمة في نفوس شاباتنا وشبابنا العربي ، فينطلقون من معرفة ما بهم اولاً ومعرفة نفوسهم ثانيا ، الى مختلف المعارف الأخرى في كوننا العميق ٠ ولا هذا الصوت ، صوت عدم المعرفة ، مرة ثانية في أغنية

---

(١) يعود تاريخها الى ١٩٦٢/١/٢٢ ٠ ومن المصادفات ان اكتب عنها في ٧٣/١/٢٢٠

(٢) دخيلك يا امي ، رقم : ٦٧ ٠

٠/٠٠

لاحقة ، ترسم الصورة نفسها وتدور حول المشكلة اياها بعد أكثر من سنتين ونصف (١) من اطلالة سابقتها وتحمل عنوان عدم المعرفة للقضية نفسها وهو " يمّي ما بعرف " مسح تطور بسيط في التصرفات والأحداث تبعا للتطور الزمني بين الاغنيتين مع بقاء المشكلة الجوهرية في الموضوع على حالها ، وهي مشكلة الخوف ، ولعل السبب في ذلك ، هو بقاء هذه المشكلة متحكمة في نفوس الناشئة دون علاج يشفيها ، أو ، على الاقل ، دون مداواة تحد من سلطتها ، لأن شفاءها يتطلب وقتا طويلا ، لكون المعالجة ستبدأ من البيئة بمساعدة الدولة على نطاق واسع ، حتى يستيقظ الوعي في كل الطبقات ، ويسود الإدراك العميق لأرقى أساليب التربية الحديثة واصولها ، بين مختلف البيئات ، فتعيش الحريات ، وتتحرر النفوس من نِطاق الخوف بمختلف جهاته وطرائقه ، فتزول منها أصول الحيرة ليحل مكانها الاطمئنان ومعرفة السير في طريق الأمان ، وتصبح الفتاة ، في الشرق العربي منطلقة ضمن معارف بنّاءة ومفاهيم خلاقة ، تدرك على اضوائها حدود علاقتها مع الشاب الذي تحب ، وعمقيات هذا الحب وعظمته ، وتعرف ، حينئذ ، انه هو الذي دعاها للبقاء بقرب العين حين ناداها الحب وهي حيرى ، تتجاذبها نزعتان : نزعة البقاء لإرضاء مشاعرها التي منحها الله اياها ، ونزعة الذهاب خوفا من تأخرها ومن التحقيقات التي تجريها لها أمها حول أسباب هذا التأخر ودوافعه ، :

يمّي ما بَعْرِف كيف حاكاني	وِكِنْت حَدّ العَين حيرانــــي
تْركْتُو بِقَصْدي روح بَدّي روح	وَمدري شُو حَدّ العَين خَلّاني (٢)

هكذا تلتقي قضية الـ " مدري شو " في أغنيتين يفصل بينهما فارق زمني ، في الأولى " دخيلك يا امي مدري شو بلي " قالتها وما فقهت انها ولادة حب ، وفي الثانية " ومدري شو حد العين خلاني " ولو درت لقالت انه الحب • والتطور الوحيد الذي حصل بينهما هو التكلم والابتسامات • فان اقتصر اللقاء الاول على اهداء زهرة غير مقرونة بالكلمة وان كانت تعبر عنها ، فأن اللقاء الثاني طال فيه الحديث وتعمق بسمه الإبتسامات ، الى ان علت الخدود زنابق الخجل ، واشتد نموها حتى كاد الصِّبا يغيب بين فروعـــــه •

يِحْكي وْيِحْكي وْصِرت اسمعْلُو	ولَحْكي كيف كان طالعْلـــو
صارُو الزّنابق حَدّ نـا يطْلَعـو	وْلَوْ حَلّ كان الوَرد خَبّاني (٢)

وبقيت مشكلة الخوف لازمة من لوازم اللقاء بين الحبيبين ، يلازمها شعور بعدم المعرفة مع ترديدها عند نهاية كل صورة " يمّي ما بَعْرِف كيف ما بَعْرِف كيف " إنهـــا

---

(١) غُنّيتْ في ١٩٦٤/٩/١ •

(٢) يمي ما بعرف كيف ، رقم ٢٦٢ •

البيئة تصبغ باعرافها طباع أبنائها وتنمي بهم وجوب الدفاع عن هذه الأعراف التي اصبحت كالقوانين ، من خالفها الدين ومن خرج عنها أمين ، واعراف هذه البيئة تحيط علاقة الشاب بالفتاة ، بهالة من السرّية المقدسة التي تنجسها اللقاءات ، وتفضحها الألسن ولو ساد ت المعرفة ، وانتفى الوعي من اغلاله ، لنشأت في النفوس تربية صالحة لا تدل على حجب المصايات الطبيعية عن اصحابها ، بل تدعها سائرة نحو مستقرها مع التدريب على كيفية استقبال هذه المصايات وكيفية التصرف بها ، والمحافظة على صفائها وقيمها ، فتتصل بذلك عقد الخوف من نفوس الشباب في شتى الظروف ، ويحكم الاتزان تصرفاتهم ، فلا تضيع الفتاة بعد لقائها مع حبّها في مسالك الاضطراب النفسي والقلق الفكري :

وغابتِ الشمسُ وغبتُ واحتدَيتُ   وما عدتُ عا دروب اللقا اشتهَيتُ
وما وعيت كيف اركّبتُ صوب البيتْ   قلبي يدقُّ وكنتُ فزعانـــــــي (١)

ويبدو الى جانب هذا كله ان الأم هي الملاذ الأوحد وهي المرجع والمقصد الذي يؤوب اليه الأبناء حاملين اليه مشاكلهم ، ناقلين شكواهم ، طالبين حلولا وتفاسيــــر يلجأون اليها في معظم الأحيان ، يستوضحونها قضاياهم الخاصة التي تولد فيهــــم ويستلهمونها سر تفتح نوع من الحياة يمور في ذواتهم • وليس هذا فحسب ، بل هناك حالات أخرى يتجّر خلالها الأبناء عن حبهم العظيم لامهاتهم وفرحتهم الكبرى بهــــن بأغنية حلوة تحمل كلمتها إلى السماء دعاء لأعظم طاقة حنان سكبتها رحمة السماء فــي جنان الأمومة فكان عيدا على الأرض ، وكان طفلها عيداً في "ملكوت السموات " • كل هذا للأم • اما الاب ، فتستصغر عظمته امام دفقة دفء تحصرها الأمومة اكسيراً في صيرورة طفلها لتحوله جوهرا يطاول بفضله مدارك الابداع ••• الاب الذي يهذر ايامه على طريــــق الجهاد ويبذل طاقاته ، من اجل اقتطاف حبات النور ، من شجرة الوجود ، ليغرسهــا بين أهداب ولده ، يبقى جرما صغيرا في ذهن هذا الولد ، يدور في فلك امه ، شمسه الكبرى ••• لذلك ، نرى تحول الطفل الى امه اكثر ، ويبقى كذلك حتى يجتاز مــن زمنه الدنيوي مسافة كبرى ، هذا إلى جانب شعوره بالخوف من والده أن باح له بما أقدم عليه خلال يومه ، او بما يراوده من افكار ليوم غده ، اما امه فهي كون من حنان تولد منه قدرة على المغفرة غير متوفرة بحرفه في والده ••• والحقيقة ان الخوف ليس من الوالد ، ولكنه من العقاب الموجع الذي ينفذه هذا الوالد بحق ولده ان لم يعجبه تصرفه ، وهنا تبرز اهمية التربية الصحيحة التي يجب ان يتحلّى الأهل بمعارفها ، فلا

---

(١) يحي ظ بحرف ، رقم : ٢٦٢ •

•• / •

ينشأ هذا الخوف في الطفل أصلا اذا نميت شخصيته ووجهت على اسس تربوية سليمة " ولن يكون البيت إيجابيا في التوجيه وذا فاعلية في الاشتراك ، والتأثير في البناء التربوي للتلميذ ، إلا اذا كان الآباء والأمهات على درجة من التربية تشعرهم بأهميتها للفرد والجماعة ، وتحبب اليهم الحرص عليها في ابنائهم ، كما سبق ان حرصوا عليها واستشعروا نتائجها في انفسهم " (١) فأن توفرت هذه التربية في الاهل أدركوا أن التعويل على الولد وتخويفه ، وعقابه بالضرب ، وسائل ليست من انماط التربية الصحيحة في شيء ، ولا تساعد الطفل في مستقبله ، الا على تنمية الكبت في نفسه ، وتقوية شعوره بالحرمان مما يعتبره حقاً من حقوقه ، فلا يجرؤ ، بعد ذلك على الخوض في معترك الحياة ، بخطى ثابتة او ثقة رزينة بالنفس •

وقد جاءت هذه الأغنية ، مع سابقتها للدلالة على ثلاثة قضايا مجتمعية تنشأ في الشباب من صغرهم هي : الخوف ، عدم المعرفة ، اطمئنان الولد الى امه دون ابيه • ولا تزول هذه القضايا الا بالتغيير البناء في مبادئ التربية التي تتبع في مجتمع هذه القضايا ، واتباع أساليب منهجية متوادة من خبرة طويلة ، ومراقبة علمية قويمة في هذا الحقل ، لتنمو في نفوس الاجيال الصاعدة ، قدرة مبدعة ، تشكل انطلاقة حركة قادرة تكوكب في مشارق المعرفة ، يصعد المجتمع بفعلها درجات كثيرةً في سلم الحضارة ، ويمتد ببصيرته نحو أفق جديد من آفاق التحرك المثمر • هذا عن الطفل وعلاقته بأمه ، وعلاقة امه به من ناحية الأمومة والتربية • ولكن ماذا عن الانسان الذي تدركه الشيخوخة ، فيقف على مطل سنيه ، ليتأمل اياما حلوة في زمان طفولته ؟

خصصت الأغنية الفيروزية خمس اغنيات ، لهذه الوقفة التذكارية • واحدة تروي قصة طفولة ضاعت ، واخرى حنين للرجوع إلى طفولة لاعبة ، وثالثة تدور حول طفولة نسيها الانسان وبقيت الارض وحدها ذاكرة وشاهدة ، واثنتان تذكير حبيب بقلبين جمعتهما براءة الطفولة بالعابها بين القناطر •

جميلة هي وقفة الانسان على اطلال عمره يفتش بينها على ذكرى عبرت ، لم يبق منها سوى أعلاق لصقت بجوانب نفسه ، يعود إليها ليشغل بها فراغه ويسلي بقصصها شيخوخته ، رغم ما في هذه القصص احيانا من فصول مأساوية ، ولكنها تبقى قريبة من النفس رغم بعدها في الزمن ، كقصة " شادي " ، ذلك الطفل الذي كانت الغابات بابا له يجيء منه غدوة ، ليمضي مع الإنسان الطفل يومه لاعبا ، ويذهب فيه رواحا : ليشارك عناق الارض ، وليشاطرها التطلع نحو السماء ، بعد ان يفيق في الانسان سلطان النوم •• كان يجيء من الغابات الى طفلة جايلته ليشدو معها الكلمة البيضاء بين الحقول ، ويلعب برفقتها على الثلوج ، ويرسم بيديها على الصخور صورا لحكايات من عمر هذه الطفولة ••

---

(١) الأصول التربوية تأليف حسين سليمان قورة الطبعة ٢ ، ١٩٦٨ ، دار المعارف بمصر ص : ٢٤ •

٥٥/٥

ولكن هل تستمر صورة الصفاء والسلام مرسومة على صفحة النفس في الإنسان ؟

ذلك هو السؤال وتلك هي المشكلة • والذي حدث أن الإنسان حارب أخاه الإنسان ، واشتعلت الأرض بالقتال ووصل العداء الى الغابات مأوى شادي ومعبده ، وباتت الحياة الدنيا حقيقة من الصراع والمطامع بين البشر ، ولسوف تبقى كذلك حتى يجيء عهد جديد يمسح تاريخ ذلك الصراع بصفحة جديدة من الطهارة • وضاع شادي من معبده بين الغابات ليرى العداء مستحكما ، وانسان الحرب متسلطا ، وخافت عليه رفيقته في الطفولة فركضت تناديه ، ولكن صوتها ضاع بين اصوات المتقاتلين ، كما ضاع شادي أمام حراب المصطرعين •• ومع كل ثلج تستفيق تلك الذكرى في ذهن رفيقته حتى كبرت وبقي شادي طفلاً يداعب البراءة وتداعبه :

والتلج إجا وراح التلج عشرين مرّة إجا وراح التلج
وأنا صرت إكبر وشادي بعدّو زغير عم يلعب عالتلج (١)

وانتبهت صاحبة الذكرى من سرحتها في الماضي لترى الوجود من حولها ما زال متلفعا برداء البغض ، ملتزما طريق المطامع مستلهما منها شريعة الحروب ، فيقتل في كل يوم ألف شادي على الأرض ، ولا بد في النهاية ان يولد من السلام طفل ، لا ليموت هذه المرة ، ولكن ليبسط ذاته على الدنيا شيدا فيها بناء السلام الذي لا يزول •

أما الحنين الى طفولة لاهية ، فأنه يشيع في النفس إثر حياة معقدة ، وعيشة صاخبة يقف شبح المسؤولية فيها عابثا بالراحة ، لاغيا (٢) لأهداب الاطمئنان ، فينظر الانسان وقد انهكته المشقة ، الى الطفولة ليستمد منها صفاء ورضاء ، بعد أن تنزل في مخيلته صورة اطفال يصنعون طائرات من ورق ، طائرين معها من شدة الفرح •• فالأم التي كانت بالأمس تنظر الى أبنائها نظرة سعيدة وهم يقيمون مهرجانا لكل لعبة من العابهم :

بيطيرو بْها السّما طيايير وبالسّاقية بيسفرو شخاتير (٣)

صارت اليوم ، وقد بان وجهها كمسرح للأيام والسنين ، تنظر للأطفال ، نظرة حنين لتلك الأيام التي كانت فيها بحصرهم متمنية ان يعود بها الزمان الى الوراء لتعود طفلة ثم يسنها هكذا الى الأبد •• يكمل مسيرته مع الكون دونها ، فيتجاوزهـا ،

---

(١) شادي ، رقم : ٦٧ •

(٢) اللاغي : الممحي ، المتعب •

(٣) عم يلعبو لولاد ، رقم ١٤٠ •

أو يضعها أمامه حتى لا يدركها ، فتكون راقلة قبله وتبقى بعده راقلة ، لتدخل أحضان السماوات نقية صافية من بصماته وأعلاقه وتبقى لاعبة بالأضواء ، لاهية بالأبعاد من فوق السطوح :

طيري يا طيارة طيري يا ورق وخيطان
بدّي إرجع بنت زغيري على سطح الجيران
وينساني الزمان على سطح الجيران (١)

وتستغرق في تصوراتها للماضي حتى تعيش في لحظات قليلة ، سنوات من أحلام الحداثة ولهوها ، فتذكر " ضحكات الصبيان " التي كانت تُطلق لأي سبب مهما كان بسيطا ، والأغاني التي كانت تنشد في الهواء للشجرة ، للعنقود ، للدالية الصغيرة التي تحمل " خصلة " من عنب ، للقلم والدفتر الذي كان يُرسم عليه خطوط ورسوم لا تحمل معنى ولا هدفا ، للمدرسة وللمعلم المتمترس خلف منبره المتسلح بعصاه يهدد بها ويتوعد .. كل هذه ذكريات لمرحلة من عمر الطفولة ترود ذهن الشيخوخة عندما تقف على عتبة الأيام وقد انهكتها الأيام ، تقرأ في صفحات الماضي ، واقفة عند هذه الصفحة ، معنة فيها التذكر ، مسرعة في تجاوز تلك ، مسرفة في تجاهلها ، يلف وقوفها ابتسامة راضية ، ويشمل تجاوزها دمعة نادمة ، إن دفتر الطفولة كنز من العمر ، تقلب صفحاته أنامل السنين النائمة في البصيرة فيستيقظ في الكهولة حنين الى أيام صاغتها البراءة ، وصانتها الطهارة ، بعد أن اكتنزت طعم الأيام والليالي ، وذاقت من ألاعيب الزمن قسوة وأهوالا ، كذا تستيقظ فيها حكمة تتمنى الانسان من بعدها ان يبقى طفلا بصفات الطفولة ليبقى العالم سماء ، وصفاء ، وسلاما . لكن الانسان كثيرا ما ينسى ، ليس فقط الاشياء العابرة في حياته ، بل هناك قضايا جوهرية ايضا يمحوها النسيان من جوانب عقله كالحب ، والوفاء ، والذكرى . وعندما تنمحي تلك القضايا من الإنسان فماذا يبقى فيه ؟ تبقى هذه الروح التي تميزه عن الارض .. وتصبح الأرض ابلغ منه انسانية ، واكثر وفاء ، واقدر تذكرا بعرف الأغنية الفيروزية لأنه لا شيء عندها أبكم ... وتبقى الأرض الشاهد الأوحد أمام التاريخ على الانسان الذي ما فتيء يجرح الإنسانية في كل يوم ، بألف لون من ألوان القتل ، وشاهدا على الانسان المنسي امام الانسان المحسب ، لأنه انشمس في المادة التي اسدلت عليه ستارا كثيفا من النسيان وقف حاجبا بينهما وبين الروحية ، منبع الحب ومورد الذكرى . وفي اغنية " وطى الدوار (٢) تجسيد بالكلمة بسيط لهذه الصورة ، حيث تبدأ خطوطها الأولى بحكاية ولدين صغيرين بعدد

---

(١) طيري يا طياره ، رقم : ١١٨ .

(٢) وطى الدوار ، هو اسم لموقع ارض .

../.

الأيام لكنهما كبيرين بالعواطف الإنسانية الأخرى . وكل واحد منهما كان يزور (بيرة) أسبته وأحبها وامضى معها اياما فريدة نقية ، و " ولي الدوار " ما زال يذكر تلك الأيام وما زالت صورهم مرسومة على صخوره :

بَعْدك بْتِذْكُر يا ولي الدَّوَّار   بْتِذْكُر حْكَايِتْنَا
وَادين بِالإيَّام كَانو زْغَار   يِلْعبو عَا بيرتنا (١)

هذان الولدان الصغيران بالأيام ، كل واحد منهما كان مشرقا بصد اولات الطفولة ، يجيء مع السكون خلال الأفياء ، وإلى الغدير حتى يبني لرفيقته بيوتا على جوانب ضفافه لتفرح بها ويغني معها للمروج والربيع ، فتسجل أمواه الغدير تلك النغمات لتطلقها ، وللزهور في الرياض والحقول فتتمى بها وتضحك الارض لها ، ثم ينزل الى جذع شجرة ليرسم عليه اشكالاً صورتها له طفولته ، اما هي فقد كانت تتطلع اليه بحنين غسلها اريج الطهارة .. تلك ايام قضت لم يبق منها سوى اطلال ذكريات ، بعد ان كبرت تلك الطفولة ، وطار بها جناح النسيان بعيدا .. ولم يعد صبا اليوم يذكر طفولته بالأمس ، هذه الطفولة التي ربيت بجيرة فتاة ما زالت تحلم بتلك الساعات وتأمل بأن تبعث من جديد .. ولكن الطفولة رحلت في ذلك الزمان وبقيت قصصها حية في الجوار ، تعيش مع الغدير ، وتتجدد مع مواسم الزهور ، وتغردها حناجر العصافير ، وتختزنها الارض ينبوعا من ينابيع الحياة :

هَالزغار قِلّو صارو كْبار   نِسْيو جيرتنا
وَحْدك بْتِذْكُر يا ولي الدَّوَّار   وَحْدَك حْكَايِتْنَا

كذلك تلقن الأرض للإنسان دروساً في الإنسانية ، وتختزن ، في كل ترابة منها تاريخا ، فتمتد انسانيتها الى ما وراء الحدود .. كل ذلك لأجل الانسان فهل يعتبر ؟

وينطلق صوت التذكير بالطفولة مرة اخرى في اغنية لاحقة ، (٢) وفي إطار جديد

---

(١) ولي الدوار ، رقم ٢١٨ . وكأن هذه الفقرة امتداد لما قاله كورناي في (السيد) حينما قال على لسان دون رودريك : " Don Rodrigue ":

Je suis jeune , il est vrai ; mais aux âmes bien nées
La valeur n'attend point le nombre des années .

Corneille, Le cid , tragi - comedie, classiques larousse, Page 47 . Librerie Larousse Paris 71 .

(٢) ظهرت الاولى ، ولي الدوار ، في ٢٢/١/١٩٦٢ ، والثانية : فايق علي ، في ١٥/١/١٩٦٢ .

../.

ونهاية مسعدة، وإن كانت الجيرة هي المحْور التي تدور حوله الأحداث لأنها المبعث الأصيل لتكوين العلاقات بين البشر ، وعندما يلتقي الشباب والحب تكون هذه الجيرة فاتحة الحديث ، فتذكره بأيامها التي ملأتهما معه باللعب والزيارات ، يوم كانت تخيم عليها سماء الطفولة ، فلا تستطيع الألسنة ان تعبث بتلك اللقاءات او تجرّحها :

مِنْ زَمانْ وْزَمانْ نِحْنا كِنّا جيران   نِبْقُو نِجُو لَعِنّا نِلْعَب سَوى وْنِتْحَكّى (١)

ولكن الأيام زرعت بذلك الطريق هجراً ولده البعاد ثم ما لبث ان امتدته بولادة لقائنا ، فضحكت لنا أيامنا في الطفولة بعد ان ضحكت قلوبنا لتلك الأيام ، وأرادت أن تعيشها من جديد في إطار من المعرفة والعمل الخلاق :

بْتِحْدِثْنا الطّريق   عَنْ طَريق العَتيق
وِمْدْري كيف التَقينا   مِدْفِه وْنِحْكو عَنّينا
وْضِحْكِت عالحيطان   صُورنا مِنْ زَمان
صَبي نَاطِر صَبيّة (١)

وتستأثر قضية الموازنة بين وضع الانسان الطفل ووضعه عندما يكبر ، في فصل الام والطفولة في الأغنية الفيروزية ، فتتكرر أغنيات الموضوع الواحد . وهنا تدور اغنيات : وطى الدوار ، فايق عليي ومع ليلى ، حول محور واحد يصور الطفولة كمركز البراءة والمحبة، والنية التي لا يمكنها الا ان تكون صافية . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، يبين ان الانسان في كبره يتناقض في جوهره مع صغره ، فتنحسر عنه البراءة ، وتتقهقر المحبة ، وتخبث النوايا ، فيتمنى اثناء ذلك ، أن يعود لطفولته ، لتعود اليه الاطمئنانة والفرحة المحببة .

وبهذا تكون الاغنية الفيروزية قد صورت الطفولة منهلا عذبا من مناهل الطهارة والصدق والسلام يرجع اليه حين تنزع النفس نحو العداء ، وتتلوث بأدران الشرور ، فتنبعث رائحة الموت من خبز الحياة . ولو استطاع الانسان ان يعود الى الطفولة فيعب من معطياتها ، لقضى في نفسه على إنسان الكراهية والضغينة والحرب ، ولساد التقارب بين جميع الأمم . وهذه مأثرة من مآثر النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية .

واخيرا ننتهي هذا الفصل بحصاد غلات البذار الذي زرع في بدايته ، وقد كان هذا البذار نداءات الأم لاطفالها التي بدأت بدعوتهم للاصطلاء بالصّلاة إذا بسرد

---

(١) فايق عليي ، رقم : ١٥٠ .

الليل حولهم ، هذا النوع من البذار عمقت جذوره في النفوس وعلت افنانه في المدارك ، مع كل مسافة قطعها الطفل في عمر الزمن ، ولما عظم فيه وعيه ، اتجه نحوامه ، وكأنه ذاهب الى معبد وقد استأثرت فيه الهواية بعد وصوله الى باب المعرفة ، وبدأ يعطيها من ثمار بذارها التي جعلت منه بواسطته مزمورا سطر في سفر الحياة • بدأ يناديها من وحي الهبات التي بذلها قلبها فيه يوم كان في السرير ، قبل ان يتمكن لسانه بالكلمة ، يناديها بموحيات علائقها يوم كان وجهها سماء لناظريه ، فيتصور بأنها صوت حنان متجسد وهبته نعمة السماء للأنام ايكون تسامحا على الارض ومحبة ، إنها الأمنيات العذاب، تكتسب برضاها والأحلام الكبار تتحقق بدعائها :

بِــــداءُ الحَنَــــانِ	وصفـــو الأمـــانِ
وأسعـــد حلـــم	أمـي (١)

انه صوت الفضيلة ينطلق من كل الوجود ، ليصلي أمام عرش الأمومة ، آيات من المحبة ، ناطقة بالفضل والإكرام ، انه صوت الإنسانية المثال كونت نبراته من الحنان ، وصيغت نغماته من سكب العاطفة فصار اغنية تردد ها حناجر الأبناء في كل البقاع ، وصارت الأم به نداء يتلوه الابن في أحلك ساعات عمره ، عندما يحيك اليأس من الدموع ألماً يلف به بصيرته فتتعثر ، وعندما يستقطر الحزن من الحياة هموماً ينسجها حول قلبه فيضطرب ، وعندما تسرق الليالي السوداء ساعات الرقاد من جفونه فيسهد :

فــي شَجـــن الفؤادِ	وليلـــةِ السُّهـــادِ
أعذب مــن أنــادي	أمــي (١)

وكأن هذا النداء دعاء مؤمن تزول من قدسيته كل الكآبات •

وكما تُنادى الأم بأحلك الساعات واصعبها تُنادى كذلك في أصفى الاوقات وأعذبها ، عند ارتعاش النفس حين تحلم بلذيذ الأمنيات ، وعندما ترقص الأوتار على شدو الفرح وحين تشرد الأغنيات على يقظة الموج :

وحين أشــدو لَحنــي	فــي رَعْشَــةِ التَّمَنِّــي
أجمـل مـا أُغنــي	أمــي (١)

ثم ينظر الإنسان حوله في الطبيعة فيرى كل شيء فيها ينادي : امي ، الغابات التي تروي عروقها من الارض فتشدو مع النسيم انشودة الأم بصفاء وغبطة ، وتلتف اغيانها

---

(١) امـي ، رقـم : ٢٨٠ •

أمام العاصفة متمسكة بجذورها بأعماق الأرض صارخة : يا أمي فتنهزم شراسة القوة أمام " نداء الحنان " .. السهول والحقول الناظرة دوما نحو السماء هاتفة لها : يا أمي : فتدر عليها السماء قطرات من حياة ، فتشرق منها الخيرات وتغل فيها المواسم :

الخـــــــــاب والسهـــول   والطيـــــر والحقـــــول
جميعهـــا تقـــــول   أمـــــــــــــي

هكذا تنطلق الأغنية الفيروزية بعظمة الأم ، فتجعل منها تمثالا يضم الإنسانيــــة بأجنحة المحبة والحنان والمعرفة ، ومن مدلولها شعاعا يخترق ظلمات النفس فيبددهـا ، ويقيم مكانها أملا عذابا تدفع نحو العطاء بثقة وعزم وطيدين ، فتنشأ بذلك جسور يتقدم بدايتها ونهايتها الأم ، يربط بينها جسر يعبر عليه الأبناء عاملين بمحبة وسلام ، ويتلذذ منشدين في كل حين (يا أمـــي) .

يتضح من هذا كله ان الأغنية الفيروزية صورت ناحية مهمة من النواحـــي الإنسانية ، لا كما هي فحسب ولكنها سمت بها الى ما يجب ان تكون عليه . صورت الأم ، هذا الكيان من الحنان ، مدرسة علم تنهل الأجيال من مناهجها نورا ومعرفة ، وبقدر ما تكون هذه المناهج راقية ، بقدر ما تجيء هذه الأجيال عظيمة في اخلاقها ، ساميـــة في تطلعاتها ، وفية في التزاماتها ، سواء كانت على مستوى الوطن الصغيـــر ، ابتداء من البيت ، او على مستوى الوطن الكبير انتهاء بالعالم كله .. ومن هذا المنطلق كـــان الابن بارا فأدرك أن الأم (نداء الحنان وصفو الأماني) ولم يكن عقوقا لا صورة لـــه في ذهنه ولا قيمة ، فالعقوق شر لا مكان له في الأغنية الفيروزية . وصورت الطفولـــة معينا من المحبة والسلام لا ينضب يرجع اليه حين تستأسد البغضاء بالقلوب وتستأثر الحروب بشتى النزعات ، وجعلته مثالا للبراءة يحتذى حين تنطوي النوايا على الـــدس ، وتلغ فيها سموم الخبث . وصورت الإنسان نسيانا يضمحل أمام ذكراه حين يرجع الـــى طفولته يوم كان يلاعب الفراشات ويوم كانت الارض كلها ملكه ، ويوم كان " يداكر بها السطح بالبابير " (١) فيسترجع جزءا من انسانيته التي مزقتها المطامع وعبثت بها النوازع ، وتملأ جوانبه السعادة من جديد . كل هذه سمات أخرى من مآثر النزعة الانسانيـــة وابعادها في الأغنية الفيروزيـــة .

---

(١) عم يلعبو لولاد ، رقم ١٤٠ .

المبحث الثالث

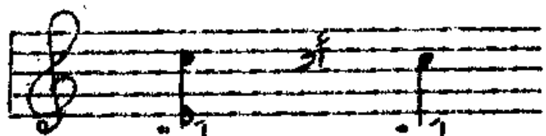
الغزل في الاغنية الفيروزية

للغزل مدلول وللعشق مراتب ، تحدثت عنها كتب اللغة (١) والادب(٢)• والغزل عندي هو لغة القلوب العاشقة يوحيها الجمال ويلفها الحب الطاهر • ونحن نتعرف الى مظاهر الغزل في الاغنية الغزلية الفيروزية التي تنوعت فكان منها الشعر الفصيح ومنه الموشحات ، والشعر العامي ومنه الفولكوريات •

من هذه الغزليات قصيدة بعنوان " لملمتُ ذكرى لقاء الامس " وهي تنقسم حسب موضوعاتها الى اربعة اقسام : الأول يبين وضعاً من أوضاع إنسان يعيش بذكرى لقاء حبيبه • والثاني يتحدث عن مشاركة العصافير في مشاعره المحبة • ويتميز الثالث باضطراب الأشواق والمواقف • اما الرابع والاخير فانه جاء على شكل نتيجة وتقرير موقف بهذا الشأن • ومطلع القصيدة :

لملمتُ ذكرى لقاء الأمس بالهُدُبِ ورحتُ أحضنها بالخافق التَّعِبِ
أيدٍ تَلوح من غَيبٍ وتَغمرني بالدّفءِ والضَّوءِ بالأقمار بالشُّهُبِ (٣)

وهي تتكون من تسع أبيات على البحر البسيط الذي دخل الخبن (٤) عروضه وضربه (٥) ، وتفعيله هذا البحر (مستفعلن) تتألف من سببين خفيفين ووتد مجموع والرمز الموسيقي للسبب الخفيف يأتي على الشكل التالي : (٦)



أما حرف الروي فهو الباء " ويدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً ، ويدل على القوام الصلب بالتفعّل (٧) •• "

---

(١) انظر لسان العرب •

(٢) انظر نهاية الأرب ج ٢ ، ص : ١٢٥ وما بعدها •

(٣) رقم ٢١٦ •

(٤) الخبن هو حذف الثاني الساكن •

(٥) فاعلن هنا تصبح فعلن •

(٦) اما الرسم الموسيقي للوتد المجموع فقد ورد في ص :

(٧) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، بقلم د • اسعد علي ، ص : ٦٢ •

••/•

والمعنى الإجمالي للبيتين يشير الى عاشقين أفعم الحب قلبيهما ، فتواعدا ، وكان بينهما لقاء سكر تلاشى الوجود خلاله في حسابهما ، لانهما صعدا بسكرة الحب الى ما فوق حدود الوجود .. ثم استفاقا على اقتراب فراق موجع بعد طول حلاوة اللقاء ، فافترقا بعد ان زرع كل واحد منهما اجمل امانيه في كيان الثاني ... وفي اليوم التالي أيقظ ورود الزمان الذي تم فيه لقاء الأمس ، ذكرى ذلك اللقاء ، فلاحت على شفتيهما محاولة استرجاعه بسمة غلفتها الفرحة ، وبددها الماضي ، وانعقدت في عينيها سكرة الرفيف ، تفتحهما لتلتقط صورة من صور اللقاء الحلوة ، وما أن تدرك الصورة بعقلها وبصيرتها جيدا ، حتى تأخذ اهدابها رضوخ هذه الصورة ، بطرف اغفاءة هادئة تشد بها إلى الاعماق مضمومة بقلب انهكته شدة الخفق ، وهي حالة تعتري العاشق كلما دنا من معشوقه او استغرق في تذكر اوقاته معه ، وخلال هذا الاستغراق يتهيأ للمتذكر العاشق اشياء لم تكن حاصلة في الواقع مع معشوقه وانما هي امنيات يحب ان تحدث فعلا ، فتتحقق له اثناء بلوغه درجة بعيدة العمق في تذكر لقاء مسعد .. كشعوره بايماءة الأيدي مرفرفة وراء الأفق البعيد ناشرة ظلالها حوله ناثرة عليه من الدفء انسكابات يصعد خلالها بلذيذ السكر ، متحدا بهالات النور .. ويبدو في البيتين التاليين عنصر آخر يبدو كأنه يراقب وينتقد ، وفي ترقبه يلوح نوع من الاهتمام، وفي انتقاده نلمح شيئا من التعريض . هذا العنصر هو العصفور ، فتتساءل هي :

ما لِلْعَصافيرِ تَدنُو ثمّ تَسْأَلُني	أَهملتِ شَعْرَكِ راحت عُقْدَةُ الذَّهبِ
وفوقَها وبريقٌ في تلفّتهــــا	تُثيرُ بي نحوَها بعضاً من الغَضَبِ

هذا التساؤل عن العصافير المستفسرة وحالاتها الأخرى ، له دلالة نفسية عميقة الأثر في نفسها ، تشير الى مدى تمكن استغراقها الكلي في تذكر لقائها بالامس حتى لم تعد ترى وتدرك كل ما يحيط بها وما يحدث حولها .. وكل ما يحيط ويحدث يحتل حاشية الشعور عندها لذلك عاشت مع الذكرى بكل حواسها وجوارحها لانها تحتل بؤرة الشعور ، فكانت تشد يديها إلى صدرها ، مغمضة عينيها ، رافعة رأسها ، مائلة رقبتها بالنسيم المتهادي ، حين يصل تفكيرها الى نقطة كونها الابتهاج بلذاذ الوعود .. وكانت البسمة تعلو شفتيها كلما انفتحت مخيلتها على نافذة جديدة تشرف منها على آمال المستقبل المخضرة .. كل هذه التصورات تستدعيها من منطقة ما وراء الشعور التي تختزن التجارب العقلية ، وتمتص الأحداث الماضوية ، فتنفجر كلما اثارتها كلمة تذكر بالحدث ، أو حادثة تذكر بالصورة ، مع العلم بأن " ما يحتل " بؤرة الشعور " وما يحتل حاشيته قد يتناوبان فيحل كل منهما محل الآخر " (١) لذلك فالعصافير

---

(١) في النقد الادبي ، د . عبد العزيز عتيق ، ص : ٦٣ ، دار النهضة العربية ط ١ سنة ١٩٧١ .

التي كانت تحتل حاشية الشعور عادت فاحتلت (بوءرته) عندما انحسر التوغل في الذكرى قليلا ، فاستفاق على رفوف العصافير تحط وتطير وقد ملأت الأدواح عندلة وتغريدا ، فحسبت انها ادركت ما تعانيه من مشاعر وما يعتريها من فكر ، فملأها الحياء اما منها خجلا من فكرها وتصوراتها •• وبعد ان عملت موازنة بين مظهرها بالأمس وبين ما بدت عليه اليوم شعرت بأن تلك المناقير تسألها عن جمال شعرها الذي جمعه عزم اللقاء ، وبعثرته يدُ الذكرى ، فلا عقدة القصب تطوقه ، ولا ألق التصفيف يمنطقه ، فأصل كأنه في حداد •• وأحست بأن وراء نظرات تلك الرفوف اليها شيء من الغمز تختبيء وراءه نية تثير في نفسها من القلق والاضطراب ما يجعلها تعتب على احبابها العصافير التي تكشف وحدها أسرار اللقاءات ، كما يفضح القمر في الليل امور العشاق (١) •

القسم الثالث من القصيدة فيه حيرة واضطراب وطباق في المواقف بين اقبال نحو الحبيب وادبار عنه ، وبين ضحك وبكاء ، وشرود وتركيز ، واطمئنان واعياء ، كل هذه الطباقات وليدة سبب واحد هو الحب وهذا القسم يشكل الجزء الاكبر من القصيدة ووزع بين اربع ابيات هي :

حيرى أنا يا أنا والعين شاردة أبكي وأضحكُ في سرّي بلا سَبب
أهواه ، من قال اني ما ابتسمتُ له ، دنا فعانقني شوقٌ الى الهَرب
نسيتُ من يده ان أسترد يدي طال السّلام وطالت رفّةُ الهُدب
حيرى أنا يا أنا انهدُّ مُتعبَة خلف الستائر في إعياء مُرتقِب

المعنى الإجمالي للابيات يبرز وضعا خاصا من الأوضاع التي تحدد العلاقات بين الشاب والفتاة في مجتمعنا العربي المعاصر ، هذه العلاقات لا زالت تبرقعها السرية خوفا من الأهل ومن الناس (٢) والخوف هو الذي يولد القلق وعدم التوازن العقلي ، والتناقض في المواقف العاطفية لدى الفتاة تجاه من تحب كما هو بائن هنا ، فهي تحبه وترفض ان يقال العكس ، وابتساماتها له دليل الرضى به ، ولكن ما الذي ولّد في نفسها شعورا بالهرب منه عندما اقترب نحوها ليتبادل معها حصاد الأماني التي زرعها كل منهما في كيان الثاني ؟ الخوف هو العامل الاكبر لأن الفتاة في مجتمعنا ليس من المستحسن ، عرفا وعادة ، ان تفصح عن مشاعرها تجاه من تحب ، وهذا ناتج عن عدم وضع خط تربوي صحيح وصريح يضع فتاتنا في جو يوءهلها لإدراك حتميّة توءول اليها ، ومعرفة طبيعة ولدت في أزلية وجودها • وبعد صراع مضن بين رفضها المفروض عليها ،

---

(١) اشارة الى أغنية لشرنطلع يا قمر ، رقم ١٧٨ •

(٢) تناولت ناحية من نواحي هذا الموضوع في فصل الأم والطفولة من :

•• / •

وقبولها المنبثق من كلي إرادتها وصدق مشاعرها ، يحدث اللقاء ، فتمتد الأيدي مصافحة، فتطمئن لبعضها ، ويطول السلام ، وتنسى الأيدي المصافحة ... وهذا البيت من أجمل ما جاء في القصيدة وأروعه ، وهو فيها ركن وعمدة :

نَسيتُ من يَدِهِ أنْ أستردَّ يدي   طالَ السَّلامُ وطالتْ رِقّةُ الهُدُبِ

صورة تُكوِّن قصيدة بذاتها لحبيبين مكتفيين بالكلمة لا ينطقانها لكن مشاعرهما تبوح بها ، ونظراتهما تشير اليها ، وعزم الرغيف يرسمها في الأذهان . هذا موقف توافقت عنده كل المتناقضات ، وسارت اثناءه الأمور في الطريق الذي قضي أن تسير فيه ، لكن البيت التالي يأتي فيلغي هذه الاستكانة الحلوة بإعادة نغمة الحيرة والتعب والانتظار والترقب المشوب بالقلق ، ولو انه جاء بعد زميله في المعنى مباشرة وهو البيت الخامس من القصيدة لكان اوفق من ناحية تسلسل المعاني واتساق المواقف ولانتهت القصيدة نهاية مسعدة رصينة ، وتلك نتيجة مريحة بعد طول اضطراب وكبير عياء ، اللهم إلا إذا قصد الشاعر ذلك انسجاما مع قلق النفسيات وتقلبات المواقف ، ويأتي البيت الاخير نتيجة لهذه المعاناة كلها واعلانا صريحا للتحيزة العاشقة :

أهوى الهَوى يا هَلا إن كان زائِرَنا   يا عِطْرُ خيِّمْ على الشبّاكِ وانْسَكِبِ

انها نزعة إنسانية ولدت معها منذ البدء ، وافصحت عنها بجرأة وسط بيئة يعتبر فيها مثل هذا الإعلان خروجا على التقاليد السائدة ، وتحديا للأعراف القائمة .. انها تعشق الحب وتفتح له قلبها أن اختاره وطنا ، فتنهار امامه كل الحدود المقيِّدة لمثل هذه الانطلاقة ، وتنحل رباق الخوف التي اوجدتها تلك الحدود ، فيندفع منها النوع ليعتمر القلوب المحبة موزعة حبها على الناس عَرفا مستطابا .

تعتبر هذه **القصيدة** من أروع القصائد في الغزليات الفيروزية التي ألّفها الرحبانيان باللغة الفصحى ، من حيث دقة تصوير مواقفها الحسية والنفسية والمعنوية التي تكتنف العاشق ضمن حدود بيئة يتحكم فيها الالتزام بتقاليد وعادات يتقهقر دونها الدفق العاطفي ، وتنحسر تحت وطأتها التطلعات الشابة نحو آفاق جديدة تشد إليها انظار وافكار المجتمع ومن حيث بنائها الشعري المتكامل ، والالتزام بقافية واحدة في القصيدة كلها ، او من جهة التنسيق المبنوي والمعنوي في معالجة وضع العاشق ضمن أطر بيئة صعبة ، إذ أن كل القصائد الغزلية الباقية من فصيح الرحبانيين لم تحتو هذا التكامل البنائي الذي حوته هذه القصيدة ، فهي وان تبنت احداها شرح ناحية عاطفية واحدة صورة ايها تصويراً ينم عن ذوق وحذاقة ، الا انها اتسعت على اوزان مجزوءة (١) ومشطورة (٢)

---

(١) المجزوء : هو حذف تفعيلة من كل شطر .

(٢) المشطور : هو ما اسقطت نصف تفعيلاته .

او منهوكة (١) او مخلعة (٢) ودون الالتزام بقافية واحدة في القصيدة الواحدة وان وقع هذا الالتزام فأن حركة البناء فيه تتغير ، كما في اغنية " يا بيتا لنا " (٣) حيث تناولت الحركة فيها بين الرفع والخفض باستثناء سبع اغنيات من مجموع الفصيح الرحباني ، اربعة منها استعمل فيها الوزن تاما . اما القصيدة التالية : " امس انتهينا "(٤) فهي الواحدة من الاغنيات السبع التي استعملت فيها القافية الواحدة والبحر التام الواحد وهو البسيط ايضا الا ان استعمال الضرب هنا جاء مقطوعا (٥) في حين كونه هناك مخبونا (٦)، اي انها اتت على نفس وزن وقافية قصيدة " (جبل الريان) لجرير التي تغنيها فيروز كذلك ، هي اذن نونية ، وحرف النون " يدل على البطون في الشيء ، او على تمكن المعنى تمكنا تظهر اعراضه .. " (٧) " وحركة النصب تفيد التأثير او التنبيه على امر من الأمور . " (٨) ومطلعها :

أمس انتهينا فلا كُنا ولا كانـا   يا صَاحب الوعد خلِّ الوعدَ نِسْيانا (٩)

هذا المطلع يشير الى المعنى الاجمالي الذي تدور عليه القصيدة كلها ، وهي كسابقتها في حصر الاحداث " بالامس " الا انها تختلف عنها بنوعية الحدث ، فهو فيها فراق أنهى أماني حبيبين ، فلا وعد ولا لقاء ، وهو في السابقة ذكرى لقاء يتجدد .. و " امس انتهينا " تصوير حالة عاطفية لقلبين عاشقين عند الفراق بعد تلاقيهما ، فاستقطر التأثر من سماء النفس الحزينة دمعة سكبتها العين فوق شفاهٍ علتها بسمة مرتجفة ، بعثتها ذكريات الماضي وآمال المستقبل ، ووقفت الغصة اثناءها حاجزا امام الكلمة المنطلقة ، حتى نسي الحبيب هدية حبيبه وقد اشتراها بكل ما يملك ، فالموقف العاطفي هنا بلغ شأوا عاليا من الأسى والحسرة على كل الماديات فاحتجبت وراء ستار عميق من النسيان :

---

(١) المنهوك : هو ما اسقطت ثلثا تفعيلاته .

(٢) المخلع : هو مجزوء البسيط مع بعض التغييرات في عروضه وضربه .

(٣) رقم : ٣٢٩ .

(٤) رقم : ٢٧٦ .

(٥) القطع : هو حذف اخر الوتد المجموع وتسكين ما قبله ، فتصبح " فاعلن " : فاعل . اي انها تتكون من سببين خفيفين بعد ان كانت سببا خفيفا ووتدا مجموعا .

(٦) الخبن : هو ان يحذف الثاني الساكن .

(٧) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص : ٦٤ .

(٨) الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام ، ص : ٧٢ .

(٩) امس انتهينا ، رقم : ٢٧٦ ..

../..

كان الوداع ابتسامات مبللة ... بالدمع حيناً وبالتذكار أحيانا
حتى الهدايا وكانت كل ثروتنا ... ليل الوداع نسيناها هدايانا

هذه بلاغة في المعنى رائعة تصور مدى عظمة الاكتئاب المهيمن فوق سماء القلوب المفارقة .

وتنتهي القصيدة انتهاءة متبرمة مما حدث بعد ان اظلمت ناحية فرحة في سماء اللقيا مشفوعة بأمنية كبرى هي ألا يدنو الفراق من الحب والمحبين ابدا :

يا رحلة في مدى النسيان موجعة ... ما كان أغلى الهوى عندنا وأغنانا

بعد هذا الإرتحال يعيش الحبيب ايامه وسط هالة من الذكريات يفرح بهما ويحزن على انقضائها ، يسعد بمسرات الماضي ويشقى بآلام الحاضر فيجلس مع رسائله معاتبا حبيبه على طول فراقه واصفاً له الحالة المحزنة التي يعيشها بدونه ، لا أنيس له سوى الأوراق يخط عليها الكلمة ملتاعة ، والحرف مقهورا ، دون معرفة السبب :

كتبت إليك من عتب ... رسالة عاشق تعب
رسائله منازلة ... يعمّرها بلا سبب (١)

هذا المطلع العتابي من قصيدة صيغت على مجزوء الوافر واتبعت قافية واحدة ، وهي تعطي صورة كئيبة للعاشق في غياب معشوقه جريا على عادة العشاق منذ القديم السحيق ، والمطلع هنا يتضمن غياب السبب عن بناء رسائله كما غاب ايضا عن الضحك والبكاء في قصيدة لقاء الأمس ، ولكن السبب معروف في كل حال ، وما كان تجاهله الا مسحة بلاغية اصطبغت بها الكلمة ، الى جانب المسحة الفقهية التي تبدو في كلمة عتب وتعب في عروض السطر الأول وضربه . (٢) فكلمة عتب كيفما قلبت تلمح فيها تعبا وكللاً ، والعتب نفسه هو عياء في النفس يتولد من طول فراق حبيب او عدم زيارة جار ، وما جرى مجرى ذلك مما يثيره الاضطراب من ميل نحو الملامة ، والتعب هو عياء يصيب العزيمة فلا يقوى صاحبها على المقاومة ، وكذلك تبغ فيها معنى الانقياد والانصياع دون المقدرة على التمرد وهذا اخطر انواع التعب . كل ذلك يمعن في توضيح حالة العاشق اثناء غياب

---

(١) نجمة الكتب ، رقم : ٣٢٣ .

(٢) تلك هي نظرية ابن جني في الاشتقاق الاكبر الذي يعرفه بقوله " هو ان تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنىً واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شيء من ذلك عنه ، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل اليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد " .
انظر نصوص في فقه اللغة العربية للدكتور السيد يعقوب بكر ، ج ١ ، ص : ٧٨ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، سنة ١٩٧٠ .
../..

مشوقه وبالتالي يتضح المعنى وضوحا كاملا (١) .

وقد استمرّ ذلك في بقية أجزاء القصيدة حين يعود الحبيب للذكرى لمّا يسكن الليل مع السكينة بين تأوهات القصب ، فيسائله عن الدار التي كانت تسكنها ، عن اماكن اللعب التي كانت ترودها معه ، فلا يسمع جوابا فتنهمر دموعه من شدة اللوعة واتقاد الحسرة :

يَعود إليك عند اللّيـــل   حين تأوه القصـــب
يُسائلُ : كيف حال الدار   كيف مطارح اللّعب
ويمسح دمعةً سبقتـــه   رغم تمنّع الهُـدب (٢)

فهو يقضي ليله بذكرها وقد عصى الكرى جفونه ، وحل مكانه سهاد مقلق . (٣)

---

(١) ان قضية الوضوح والغموض مقياس " من اهم مقاييس المعنى الشعري . ومرجع ذلك كله الى الاسلوب ، فوضوح المعنى يستلزم ان يكون الأسلوب الذي يؤدّى به جاريا على أصول اللغة خاليا من التعقيد بعيدا في الفاظه عن الغرابة " وقد تظافرت كل هذه المستلزمات هنا لإيضاح المعنى وجلاء الصورة . انظر : في النقد الادبي ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، ص : ١٤٢ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٧١ .

(٢) نجمة الكتب ، رقم : ٢٢٢ .

(٣) هو يقف اليوم الموقف نفسه الذي عاناه طرفه بن العبد منذ اكثر من الف وثلاثمائة سنة الى الوراء لما تناءت عنه حبيبته (خولة) فقال في ذلك :

يطَّـا خولةَ أنـــي أرق   ما أنام الليل من غير سقم
كلما نام خَـليٌّ بالـــه   بتُّ للهم نجيّاً لم أنــم
مع التخمين مني ذكرهـا   فهي همي وحديثي وسَدم

وليس التشابه في الموقف النفسي وحسب ولكنه تشابه من حيث الاسلوب واللغة ايضا رغم الفارق الزمني البعيد ، فاسلوب طرفه هنا سهل للغاية ولغته باستثناء كلمة (سدم) الأخيرة تكاد تكون عامية كعبارة "ما انام الليل " او " مع التخمين " وكذلك هي الحال في قصيدة " نجمة الكتب " الرحبانية كما في عبارة " كيف مطارح اللعب " . اما بكاء الشاعر هنا لمّا تمر بخاطره صورة دارها و " مطارح اللعب " فيذكرني بعبرات امرئ القيس وقد هتنت فوق الحصى بعد ان وصل ديار حبيبته فوجدها مقفرة موحشة :

كأنّكَ ردائي فوق رأسيَ باكيــاً   أعُدُّ الحصى ما تنقضي عَبَراتي

والعبرات جمع مفرده العبرة وهي الدمعة ، الحزن بلا بكاء . وهذا ما يشير اليه البيت الخامس من القصيدة الرحبانية (نجمة الكتب) حيث تمتنع الهدب عن استقبال الدموع فتسقط دمعة ولدتها شدة الحزن المنفعل سبقته الى الدمع فسبقها ماسحا قبل ان تسقط .

./..

هذه الدموع ما زال العشاق يذرفونها ويغلونها الى اليوم ، وقد اصبح لزاما عليهم ان ينفلتوا من جاذبية الدموع ليتصلوا بعالم آخر هو عالم البسمات ، ينقلونه لأسماع الكون أغنية وفرحاً •• ولكن الانفلات من جاذبية للاتصال بأخرى يستلزم قوة ضخمة من الدفع تسير على نظام مدروس لتُبدِّل مفاهيم بأخرى ، أو تُدخل مفاهيم جديدة من أجل خلق الحضارة المسعدة •

ونلمح في القصائد الرحبانية الثلاثة التي وردت حتى الآن بكاء اللوعة ودموع الصبابة تتردد ، وذلك هو خط اتباعي اتقنه الشعراء القدامى وابدعوا في تفصيله وتحليله ابداعا كبيرا ••

وان كان الحديث عن الدموع صونا واضحا في الشعر العربي القديم ، فأنه جاء في الشعر الرحباني الحديث مشفوعا بالضحك كما في قصيدة (لقاء الأمس) أو على شكل (ابتسامات مبللة) فيه كما في قصيدة (امس انتهينا) وكيفما بدا الوضع فانه يبقى في حدود الشمة المحزنة ، والأفضل ان يتجاوز ذلك الى مجال الدمعة المفرحة •

ولنرى ما نجد عند توغلنا اكثر في مفهوم الاغنية الفيروزية الغزلية من مدلولات وصور يحتويها فصيح هذه الاغنية •

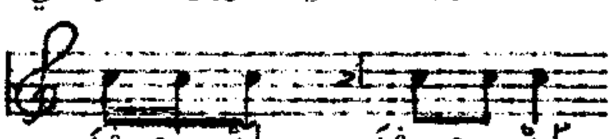
عرفنا ان في الحب دموعا ، وسنعرف أن له هموماً ايضا ، وهموم الحب عنوان قصيدة لامية مطلعها :

يا هُمومَ الحبِّ يا قبـــلُ   في بِحارِ الشوقِ تغتسلُ

كلما قُلنا صفا زَمَـــنٌ   رجعت كالريح تشتعل

أيهذا القلب كيف لنا هرب من خطوه الملل (١)

وحرف اللام يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه •• " (٢) وموسيقيا الأبيات من ثالث المديد أي ان زحافي الحذف والخبن (٣) دخلا عروض هذا البحر وضربه فتحولت فاعلاتن الى فاصلة صغرى " فعلن " ورمزها الموسيقي على الشكل التالي :



(١) هموم الحب ، رقم ٣٢٦ •

(٢) تهذيب المقدمة اللغوية ، ص : ٦٤ •

(٣) الحذف : هو حذف السبب الخفيف من آخر فاعلاتن فتصبح : فاعلا ثم يجيء الخبن وهو : حذف الثاني الساكن منها فتصبح : فعلا ، وتنقل الى : فعلن تسهيلا للنطق • وعلى هذا يكون ثالث المديد على الشكل التالي : فاعلاتن فاعلن فعلن مرتين • وهذا النوع هو اكثر انواع المديد شيوعا بالنسبة لباقي الانواع ، والمديد هو من البحور القليلة الاستعمال • راجع علم العروض والقافية للدكتور عبد العزيز عتيق • دار النهضة العربية ، بيروت •

•• / •

ولغة الأبيات سهلة واضحة ، والمعنى يحاول اعطاء صورة عن الحب لا تختلف بمضمونها عن الصور المعطاة في القصائد السالفة ، فالقبل هموم الحب ، يولدها الشوق ويثير فيها تحرقا ولهجا وان هي ركدت حينا ، وعادت النفس الى سالف صفائها فانها ترجع أشد واقسى ، فتورث الهم وتقلق الفكر ، وتضفي على الحياة رتابة يحيش في كنفها الملل فيخلق هذا الوضع بالمقابل ، تطلعا نحو التبديل ، وميلا الى الهرب من جو يغشاه ضباب يمنع البصر من الامتداد ، ويخفت قدرة العزم على التطلع • اما الحب فيبقى رائعا حتى وسط هذه الأجواء •• فآلامه لذة ، وحسرته متعة ، ودموعه تذكي المشاعر وتغذي البصائر وتحيي الأفئدة بآمال جديدة كما تحيا بدموع الليل ثغور الأقحوانات •• ولما تدرك الصدور معرفة الحب وتشتذي من منابعها ، تتمنى العيش الأبدي تحت هذه الظلال بين الرياض الفريدة ، والطيور الغريدة ، تبوح بمكنوناتها أمام الحبيب بوحاً مثقلا بالحياء ، مشفوعا بالفرح ، فتتمسك المشاعر بهذا النمط من الحياة غير مصدقة إمكانية ديمومته الأبدية ، لشدة اسره وعظمة بهجته فتسأل الحبيبة حبيبها :

أيدوم الحب تسألني حلوة جنت بها القبل
أيظل الروض مبتسماً ويطول البوح والخجل ؟

والخجل صفة حلوة تحيش في حياة الساهرين المحبين ، وتحتمر خدود العاشقين ، وتتجلى في انفعالاتهم ، وترود كلماتهم واصواتهم ، فالحلوة التي مرت بالحي بعد عودة الغزل ووصول الأحبة لها صوت تعلوه نبرات الخفر دلالة على التأدب :

خجل صوتها عشت يا خجل
خلتها سألت وهي لا تسأل

هذان بيتان من لامية عنوانها " عادك الغزل (١) وهي تتكون من احد عشر بيتا جاء على مشطور المتدارك (٢) ، مطلعها يبشر بعودة الأيام الحلوة ، ورجوع الرفيف الطيب •• وخاتمتها امل يخدع ، ورجاء ينهار ، وأوهام يعبث بها الغزل :

أيها القلب كم يخدع الأمل
وبأوهامنا يعبث الغزل

ليس هناك استقرار في الحب ، والذي نطمح فيه هو ذلك الاستقرار ، والذي نطمح اليه هو حلول الفرحة المتكاملة في قلوب العاشقين ، ورحيل الدمعة من عيونهم ، وغربة الحزن عن مشاعرهم ، وليس غربتهم عن حبهم ، بل جعل هذا الحب سكنا لهم وموطنا كما في

---

(١) رقم : ٢٠٨ •
(٢) فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن •

" عصفورة الشجن "

أنا يا عصفورة الشجن — مثل عينيك بلا وطن
بي كما بالطفل تسرقه — أول الليل يدُ الوسن
واغترابٌ بي وبي فرح — كارتحال البحر بالسفن
انا لا أرضٌ ولا سكنٌ — انا عيناك هما سكني (١)

هذه اربعة من ثمانية ابيات تكوّن القصيدة ، وهي ، موسيقيا ، على ثالث المديد (٢) والمعنى يشير الى حبيبة اراد الشاعر تصويرها على شكل عصفورة حزن تعلق فيها قلبه ، واصبح مثلها ينتقل في كل الارض لا يملك عليها وطنا محددا معلوما • كما تتنقل هي على كل فنن وتحط على كل صخرة ، وتطير فوق كل ارض • • وهذه نزعة انسانية كبرى تتجلى في معظم الادب الرحباني وتنطلق من ان الارض هي لكل انسان فوقها لا يجوز الاقتتال من اجلها بل يجب اقرار السلام عليها ، لتتحقق الكلمة الكبرى القائلة (المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسره) (٣)

انها اروع كلمة تقال لاجل ديمومة الحياة وفعالية استمرارها ، وسيطبق الفناء على حياة ليست هذه الكلمة قاعدة لها ومنطلقا ، وفي ظلال هذه القاعدة بيت الأغنية الفيروزية ومن هذا المنطلق انطلقت ، فكانت في كل الارض واعتمرت كل القلوب وما كان مطلع " عصفورة الشجن " غير دليل على ذلك وتذكير به • • ثم تنطلق لتتناول حالة اخرى تفسر وضع الحبيب ابان غياب محبوبه وتبين الحالات المتباينة التي يعانيها ، فهو كالطفل حينا يغيب في احضان النوم مستغرقا في دنيا الاحلام ، وهو كالسفينة احيانا تسافر بها أمواه البحر الى شواطئ الدنيا الأخرى ، يقتله الاغتراب ويطمئنه الفرح بأصل الاستكانة امام عيني الحبيبة لان لا أرض له ولا سكن سواهما وهو بغير ذلك مشرد يعيش في ضياع وقلق ، واما ترحل السفينة يوم الوداع ، ويسير كل حبيب في طريق يلفه سكون مثير ، تهمي الدموع من جديد وتسترسل الاحزان وتتمادى بالعبث في الشاعر وتسأل الدموع ان كانت تخبئ وراءها لقاء يمسح بفرحته حسرات الفراق :

أترى يا دموع — لنلتقي في الربيع
أترى يا دموع — عند أي ربوع (٤)

---

(١) رقم : ٣١٠ ولغويا : الشجن في البيت الاول الحزن • وهو النفس • والوسن في البيت الثاني ثقلة النوم • والاغتراب بعده النزوح عن الوطن •

(٢) وهو البحر الذي جاءت عليه اغنية " هموم الحب " •

(٣) الانجيل المقدس : لوقا : ٢ : ١٢ •

(٤) وداع ، رقم : ٣٢٨ •

• • / •

ود موع الوداع مرت في قصيدة (امس انتهينا) حيث كان الوداع كله ، كموضوع شامل ، ابتسامات مبللة بالدموع ، وهكذا تبقى في قلوب المحبين جذوة امل لا تتخافى حرارتها ، ومواعيد بمواسم الأفراح لا تسكن حدتها • لكن هذا الامل يبقى ضمن التصورات لا يتجاوزها ، وهذه الافراح تبقى في حدود المواعيد لا تتخطاها ، ومن هنا تنشأ اللوعة وتنمو الحسرة ، فيشرك العاشق الطير حينا في آلامه ويحمله الاشواق لمحبوبه ، ويظن احيانا انه الذي باح بأسراره ، وكشف عن مقاره ، وهو كلما بكر في السير على طريقه كلما سبقه الحبيب الى هذا الطريق :

من دلّه على طريقي	هل باحت الأطيار
بكّرتُ من قبل الشروق	فجاء في الأسحار (١)

ويحصل التبرم من كثرة اللقاءات خوفا مما قد يظن ويحاك •• لكنه حلوٌ هذا التلاقي مع نفحة الصباح وهو ان لم يحدث يشعر الحبيب بضياع شيء ثمين وحميم من حياته فيحزن كحزن الترابات على فراق الريح :

لكنه إذ يروح	أحسّ شيئا يضيع
كما تحسّ السفوح	بعد ارتحال الربيع (١)

ورغم كل هذا يتصور العاشق بأنه طيف يمر في عين معشوقه ليس أكثر • او "سنونو تعبر"(٢) لا تأتي الا في المواسم تنهل منها وترحل الى غيرها في ارض ثانية ، فينشأ العتاب رقيقا متسائلاً عن هذا المحبوب الذي يحمل لواء العداء دائما ، يمر دون ان يحيي رغم حكايات الحب التي حكيناها يوم جمعتنا " وردات السياج " (٣) فغنت في عينيه الأحلام العذاب ، ولاحت على هدبيه " مواعيد الوفاء " وقد اقسمنا ان نكون لحياة موناة صافية فما الذي أغضبه بعد ذلك ؟ أهي الغيرة من ابتسامات أخرى لنا ؟ فان كان الامر كذلك ، فما هذي الابتسامات سوى ضباب يبرّد شفاه الرياحين لكنه سرعان ما يتبدد أمام وجه الشمس بسمتك الكبرى :

ان كنت غيري من بُنيّات تبسّمن لنا
فلا تخافي هُنّ جارات وأنت كلّنا

بعد هذا القلق في الحب ، وبعد المحبوب وهجرانه والدموع التي سكبت يوم فراقه ، الحبيب له على كل ذلك ، يأتي دور الاطمئنان الذي يلمح طيفه

---

(١) حيرى ، رقم : ٢٨٧ •
(٢) يا بيتا لنا ، رقم : ٣٢٩ •
(٣) عاتبة ، ٣٠٧ •

••/•

في بعض الفصيح الرحباني الغزل ، ودور الفرح الذي يحل محل الدموع ، والطاير الذي يغني ذلك الفرح هذه المرة ، من ذلك اغنية بعنوان " يا حبيبي " (١) نلمح فيها ورودا تتفتح ، وطيوبا تضوع ، وأحلاما تتهادى بين الأحداق في سفرة مع الحبيب مسكرة وتحس من خلال معانيها باتقاد العواطف واتحاد القلوب فرحاً مع الالوان المزدهرة :

أزهر المرجس (٢) في الروابي   يا حبيبـــــــي
وتشكى الطير في الهضاب   أنت ذال العشب والطيوب
ورفيق الليل في الدروب   انت أحلام الضحى الطروب يا حبيبي

انها أحلام بالأماني الحلوة يحس بها القلب فيقطر حنانا ورقة ، ويمر العشب جنة تهنأ الأحبة تحت وريف ظلالها ، وما جنة الأحبة سوى حدوث لقاء مفعم بمحبة قوية متبادلة بينهم ، لقاء على ضوء سراج معلق في كوخ فقير ، تعيش في فقره ليالي الغبطة ، ويحتضن في صدره محبة تعجز عن احتوائها دور المرمر وقصور العاج ، ولتغضب الطبيعة بعد ذلك ففي غضبها اكسير الحياة لديمومة فرحتهم المطمئنة ، ولتثور الرياح ، ففي ثورتها بعث جديد لمشاعرهم المنتشاة بالمحبة ، و " لتهبط الثلوج " ، ففي هبوطها سمو بمحرقة المحبة لدرجة الذوبان بالمحبوب :

أنت معـــــي   سراجنـــا مضـــاء   ليالاتنـــا صـــلاة   وكوخنـــا يموج
أنت معـــي   فلتطير السمـــاء   ولتعصف الريـــاح   ولتهبط الثلوج (٣)

ليس للزمان والمكان قيمة عندما يغني الحبيب بحبيبه من شدة المحبة لان طاقاتها تصل الى أبعد من ذلك بكثير ، حيث يتحد الأمان بالسكينة فتحتوي القلوب وتسعد هنا ، غير ان المكان هو من العوامل الموصلة لتلك المرحلة والمهيئة للصعود مرتبات كبرى في معلى الحب ، لذلك يكثر حديث العشاق عن المواعيد بين الكروم والبساتيـــن ، وعلى النبعة وبين احواض الورود ، وان كان الحديث عن بيت فانه يكون ، " بيـــت الصنوبر " (٤) حيث الافياء الوريفة وعدلة العنادل وزقزقات العصافير ، كلها تشارك

---

(١) رقم ٢٣٢ .

(٢) المرجس كلمة فارسية وهو نبت من الرياحين . أصله بصل صغار ، وله زهر مستدير أبيض واصفر ، تشبه به الأعين . وقد وصفه الصنوبري في مقابلته فقال :

ارأيت احسن من عيون المرجس   او من تلاحظهن وسط المجلس
در تشقق عن يواقيت علـــى   قضب الزبرجد فوق بسط السندس

انظر نهاية الارب ، ج ١١ ، ص : ٢٣١ .

(٣) انت معي ، رقم : ٢٧١ .

(٤) انت لي ، رقم : ٢٨١ .

../.

في طرب الشاعر فتقدم لها ألحونة إيقاع منبسط ، وتكون مرسالاً ينقل النغم بين القلوب . فتبشر هنا الحبيب بصحوة الربيع (١) ويحنو كل ما في الوجود على هذا الحب :

الليل حلـــو الوعـود	والروض غصن الــورود
وكـل مـا فـي الوجـود	حانٍ على حبنـا (٢) .

ويحدث أن يخلو الروض من زهوره ، وورد الحوض عند مدخل البيت لم يتبرعم بعد ، وقد اغترب طيب العرف من الحقول ، وحبيبي " يريد زهره " (٣) فمـاذا أهديه أيتها الطيور ؟ سأعطيه ما هو أكبر من الزهر وأطيب من الشذا ، سأهبه حبي ، وأجمع شوق الدنيا بقلبي ، وبراعم الأحلام الخصيبة أقدمها له باقات تتفتح في روحه وأطايبـه :

سأجمـع الشوق بقلبـي	وأقطـف اللحن النضيـر
وانتقي من روض حبـي	براعم الحلم الوثيـر

وللحن عظمة كبرى في قلوب المحبين ، وقدرة سحرية على تحريك النفس تحريكاً ملذاً ، فهم يذكرونه ويعيشونه عند بلوغهم في الحقيقة ما كانوا يحلمون به تاركين دموعهم سجينة في قفص ماضيهم مختصرين لقاءهم مع الدنيا " بيوم ولحن "

نحن اختصرنا لقاء الدنيـا	بيـوم ولحـن
كنا كمـا نتمنـى	فلم يعد من تمنّي (٤) .

عند انتهاء التمني أحببت الانتهاء من الفصيح الرحباني الغزل لتكون النهاية مسندة ونتيجة لمسيرة طويلة وسط الدموع والعتاب ، والصد والفراق ، وعذاب الحب وهمومه ، ولتكون أيضاً بداية الرحلة مع العامي الرحباني الغزل الذي يفوق الفصيح كماً ويختلف عنه كيفاً ، لكنه يأتلف معه من حيث الفحوى باتجاهه في منحيين لمعالجة أوضاع العاشقين . أولهما مدمعي حزين ، وقلق ملوع ، والثاني بهيج مزدهر ، وفرح مطمئن . فماذا احتوى هذا العامي من صور ؟ وهل اختلفت هذه الصور ، عن كل ما تقدمها ، ابتكاراً وإبداعاً ؟ وهل استطاع الانفلات من القديم مضموناً مثلما استطاع ذلك شكلاً ؟

---

(١) يا زائري ، رقم : ٢٣٦ .
(٢) ملي ، رقم : ٢٢٢ .
(٣) عنوان أغنية ، رقم : ٢٢٥ .
(٤) رجعت تسأل علـي ، رقم : ٢٩٠ .

../.

يلعب الحزن دورا كبيرا في الأغنية الفيروزية العامية كما لعب في فصيحتها ، وبقي العشاق فيه يشكون فراق من يعشقون وعزوفهم عنهم وتحسرهم في دروبهم وسقمهم في الهوى وعذابهم فيه حتى أضحى ورود كلمة حب يذكر بالمشقة والضياع ، واللوعة الخرساء التي يحطها العاشق في صدره من شدة ما يتمادى معشوقه في الصد والعزوف ، وصار كبير العشاق يسدي النصيحة لصغيرهم بترك قضية العشق حتى يبلغ ، ليستطيع التحمل والصبر ، لأن درب العاشقين طويل محفوف بالآلام . وبداية شروق العشق في ذات " صبية " أن يتكرر رواحها مترنمة بكلمات قصيدة حفظتها عن الحب :

وتمرق صبيّة تمشور دغوش (١) الضباب ترندح قصيدة غنيتها من كتاب
ويا شعرها الناطر شي إيد تجدلو بعدا ، زغير عالمحبة والعذاب (٢)

وكأن العذاب من مستلزمات المحبة ، والاثنين معا من ادوات العشاق .. وتنتقل الأغنية بعد ذلك لتعطي صورة للشعر المضفور على كتفي حلوة صغيرة يلعب به الريح ويعلوه سواد فاحم ، يتأرجح في تصورات الحبيب كأرجحة بين شبيبات النسيم :

غمر الضداير (٣) طاير عالريح طاير
يا شعر من ليل ويكي بالبال ضلك طاير (٤)

هذا الشعر الليلي الضدائر يوقظ في ذاكرتي صورة مشارعة له اوضح دقائقها امرؤ القيس منذ اكثر من الف واربعماية سنة (٥) حين قال :

وفرع يغشي المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المداري في مثنى ومرسل (٦)

---

(١) دغوش من الدغش ، والدغشة وهي الظلام ، وظلمة الضباب هنا هي ظلال الجبال التي يتركها غروب الشمس .

(٢) غمر الضداير ، رقم : ١٤٥ .

(٣) الغمر بالعامية : ما يملأ الفراغ القائم بين اليد والجنب . والضداير : هي الضدائر فقلبت العامية الهمزة ياء ، والضدائر جمع مفرده غديرة وهو المضفور من شعر النساء ، وضفر الشعر : نسج بعضه على بعض عريضا .

(٤) غمر الضداير ، رقم : ١٤٥ .

(٥) ولد في أواخر القرن الخامس أو اوائل القرن السادس بعد الميلاد وتوفي بين سنتي ٥٣٩ ، ٥٦٥ بعد الميلاد . راجع تاريخ الأدب الجاهلي . د . علي الجندي ج ٢ ، ص : ٥٧ .

(٦) المرجع السابق ص ، ٨٤ ، اما معاني الكلمات في البيتين فهي التالية : فرع شعر طويل . المتن : الظهر . الأثيث : الكثير النبات . القنو : العذق وهو كباسة النخلة . المتعثكل المتداخل بعضه في بعض . ومستشزرات الى العلا : مفتولة الى فوق . المداري : جمع مدرى وهي مثل الشوكة تسرح بها المرأة شعرها .

./..

في تلك الحقبة من الزمن يوم كانت الصحراء تستأثر بتصورات الجاهلي ، والنخلة تلقي عليها ظلالا من الحياة طلقة ، اعطى امرؤ القيس مفهوما لشعر حبيبته من احدى جوانب تلك التصورات فجاءت جلية مركزة محكمة الدقة ، بعكس الاضطراب الذي يشوب الصورة الرحبانية ، وان اتفقت مع الذوق القيسي في محبة الشعر الأسود والتي جعلت هذا الشعر مضفورا وتلعب به الريح ، ولو جعلته منسدرا (١) او مثدونا (٢) لامكن ذلك ولكان طيرانه في البال أروع ، لأن المضفور من الشعر يثقل على الريح ، وان تلاعبت به ، فأنه لا يُشعر بالرعشة الجمالية فيما لو كان طويلا مانفتل — ماء والمقصود بالريح هنا نوع واحد منها وهو النسيم وليست الريح الهوجاء او النؤوج (٣) حتى تستطيع ملاعبة تلك الغدائر ، لكن مكمن الجمال هنا نجده في كل لفظة على حده وليس في حسن ربطها وتنسيق هندستها ، فالغدائر ، الريح ، الشعر ، الليل ، البكاء والبال ، كلمات في كل منها قدرة على التحريك النفسي ، والتوليد التصوري ، بدون ربطها مع غيرها من المدركات ملموسة كانت او محسوسة ، واني لأجد هذا الربط الهندسي البارع في قول نصر بن أحمد حيث قال :

سَلْسَل الشعر فوق وجهه فحاكى ظُلمةَ اللّيل فوقَ ضوءِ الصَّباح (٤)

رغم كل ذلك فأن انسانية المنزع تتجلى في بقية الأُغنية لما تومىء صاحبة الغدائر إلى " الجبل " فتنهض الضمائر حيث تومىء ، ويشرق الضوء حيث تلتفت ، دون ان ينسى الحبيب صلاته لأجلها ، والصلاة في الاغنية الفيروزية ، تعبير يطلق عند بلوغ الوجدان الدرجة القصوى في القدرة على استيعاب المحبة والفرح ، والغنى الروحي ، ويتجلى المنزع الإنساني في رداء آخر هو المسامحة ومقابلة النكران والاساءة ، بالاقبال والمغفرة ..

وتلك هي الحالة مع ابنة لقنت قلبها منذ طفولتها محبة طفل مثلها .. واخذت هذه المحبة بالتغير كلما اقبلت عليها السنون ، فتحولت من محبة الطفولة الى حب ينبض في عرق الشباب ، وصار هو يعزف عنها بعدما كان يصرف لها .. اما هي فبقيت على محبتها له ، بل وازدادت قوة في هذه المحبة وازداد هو قوة في عزوفه وشكوكه ، وما استطاعت الا ان تحبه حتى اوشكت ان تنطفىء جذوة الشباب :

كل ما عم زيد في حبك ولوع كل ما يتزيد في عيني الدموع
ويا ريت عن حبك المضني لي رجوع كرخ تهرب الأيام ويمر الشباب (٥)

---

(١) المُنسدِر : المنبسط .

(٢) المُثْدوِن : الطويل الناعم .

(٣) الريح النؤوج : إذا كانت شديدة المرور .

(٤) نهاية الأرب ج ٢ ، ص : ١٨ .

(٥) عتاب ، رقم : ١٢٣ .

إن في هذا الثبات بالمحبة ، نزوعا الى الخير والتزاما بالمثل ، اذ ان المحبة جمال ، ومن الجميل ان نحب ، ولكن الأسطع جمالا هو ان تكون لدينا قدرة على الاستمرار في هذه المحبة رغم ما يحيط بها من سموم البغضاء ومناقع الكراهية ، والقلب الذي تعود على أن يحب لا " يتوب " عن عادته مهما امطرته المآسي بالدموع كما في قصيدة عتاب (١) التي تمثل ذروة حزن تمادى في تعذيب قلب محب وكما في " يا ويتني بقسى " (٢) حيث تغفر بسمة الحبيب كل ذنوبه في الحب . والجدير بالذكر ان سالكي هذا الطريق يعرفون ، مقتنعين بهذه المعرفة ، انه طريق مزروع بالدموع ، محفوف بالصعاب ورغم ذلك يسلكونه مختارين ، ويُحيُّونه بدموعهم راضين ، معزين قلوبهم ، محاولين إقناع ذواتهم بالفرح والرضى .

مَعْليشْ يا قَلبي   دَربِ الهَوى صَعْبي
نحنا اخترناها   وبالدَّمع سْقينَاها (٣)

وتستعمل مظاهر الحزن والأسى عند العشاق للدلالة على محبتهم بعضهم : فالقلب المعذب ، وتعرفه على الغصات " وليالي البكاء " وحكايات الناس المُجرِّحة ، كلها بسببك أيها الحبيب وتشير إلى حباك ، وتسأل بعد ذلك ان كنت اهواك ؟ (٤) ولا يتوقف الوضع عند هذا الحد ، بل ويتجاوزه الى ابعد من ذلك حين تنتظره تحت الأمطار متدثرة بحبها له وعيونها مبتلة بكل ايات الدموع فيتركها ملتفا بنسيانه لها وعيونه منتسلة بكل معطيات الفرح ، لكن اخلاصها له ابعد من معاني الفصول لانها تخضع لقانون النهاية ، ولقاؤها به وحبها له يبتدئ بعد حدود تلك النهايات :

حَبّيتَك بالصَّيف   حَبيتك بالشّتي
وِعْيونَك الصَّيف   وِعْيوني الشَّتي
وْمَلقانا يا حَبيبي   خَلفَ الصَّيف وْخَلف الشّتي (٥)

إلى هنالك تهفو الأغنية الفيروزية حتى في اوج اصطخاب الاحزان والتياع المشاعر كما تهفو ايضا الى انتظار اللقاء عند بداية الصيف ، بين حقول الحصادين وعلى بيادرهم .

(١) عتاب ، رقم : ١٢٣ .
(٢) رقم : ٢٤١ .
(٣) معليش يا قلبي ، رقم : ١٩٥ .
(٤) بتسأل اذا بهواك ، رقم : ٢٢ .
(٥) حبيتك بالصيف ، رقم : ٥١ .

../..

ويستمر الحبيب في تنكره حتى تطلب منه أن يحبها لفترة ولا بأس بعد ذلك من أن ينساها فهي تكتفي بذلك القليل حتى تحفظه ذكرى لا تموت كالطير الذي يتوجع من شدة الظمأ فيكتفي بقطرة صغيرة من الماء تعيد اليه انتلاجه الحياة :

أنا طيـــر معـــذب ناطـــر يترقـــب
خليني إشـــــرب بتكفيـــني قطرة (١)

هذا الاقتناع باليسير من المحبوب له دلالة سامية ، هي دلالة الحب الروحـــي اللامتناهي ، بعيدا عن ذلك الحب الجسدي الذي يخفت ثم يتلاشى بتلاشي مثيراته ، انه حب يسمو فوق تلك الأرضيات في نفس علوية مثاليرة •• وهذا الحب نجد لـــه جذورا عند جميل بن معمر حين صرح باكتفائه بالوعد قولا و " بالنظرة العجلى " وعند عمر بن ربيعه المخزومي حين قال :

ليت حظي كطرفة العين منها (٢)

هذا كله يشير الى تشابه مشاعر العشاق في مختلف الأزمنة نحو بعضهم • ففـي نشيد الأناشيد لسليمان الحكيم وصف للحبيب منه " رأسه ذهب إبريز وغدائره كسعف النخل حالكة كالغراب " وعند امرئ القيس الشعر " اسود فاحم اثيث كقنو النخلة " وكذلك اليوم في الاغنية الفيروزية " غمر الضداير " اسود كالليل ، لكنه كالغراب فـي نشيد الاناشيد •

" واهل الهوى " لا استقرار في حياتهم ولا ثبات في مواقفهم ، فهم يتبدلـون متحيرين ، وينتقلون من حب الى آخر يقبلون على هذا ويعرضون عن ذاك ، افكارهم فـي قلق وأيامهم في ارتحال وسفر (٣) حبهم متقلب ووعودهم كالبرق الخلب (٤) يأتي ربيـع وينقضي صيف ويبدأ خريف والحبيب ما زال غائبا بعيدا عن صعوبة الانتظار التي تعيشـه حبيبته :

ورق الأصفـر طايـــر عالطرقـــات المهجورة
والناطـر بعدو ناطـر والحبيبـــه مقهـــوره (٥)

لقد نسي كل الذكريات ومحا صورة حبها التي رسمتها في قلبه (٦) وهي الـــتي

---

(١) حبني اليوم وانساني بكره ، رقم : ٥٠

(٢) ضرب طرفة العين مثلاً الزمن القصير الذي يتمنى رؤيتها فيه ، شرح ديـــوان عمر بن ابي ربيعه المخزومي تأليف محمد محيي الـــدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، ص : ٢٧٥ •

(٣) غيرو أهل الهوى ، رقم : ١٤٩ •

(٤) ميلو اهل الهوى ، رقم ٢٠٠ •

(٥) ضحك اللوز ، رقم : ١١٠ — (٦) كنى يا قلب ، رقم : ١٦٧ •

••/•

تتمنى ان تضيع وتتناساها الشمس ويهجرها الربيع ان هي هجرته او نسيت حبه (١) لذلك فهي حريصة على حفظ ذكراه ، وصون صورة طلقة ، في صفحة قلبها وكل تصوراتهـــا ، وهو يقابل ذلك بالنسيان او المماطلة فيقدم لها وردة تحفظها في سر اغانيها ، وتقدم له باقة ورد فيلفها بعميق نسيانه • وبين اقبالها عليه وادباره عنها بعد ايام حلوة من الوعود تشرق في ذهنها صورة لأطلال لقاء قديم يوم رصع عنق شجرة قديمة برسمها ، حين التقى معها تحت افيائها ، ولم يبق اليوم سوى تلك الصورة الشاهدة الوحيدة على وجود ذلك الحب (٢) ، لكن هذا القلب ما زال يجاهد في سبيل الحب وقد اغتسل بدموعـــه وجرح باشواكه وكبا في لياليه ولم يتعلم معرفة العزوف عنه ، بل كان في كل وقعة ينهض محتويا في ذاته نبضا جديدا وانطلاقة متجددة لان ذلك هو طابع فيه (٣) يعود اليـه حتى ولو اعتزم على ان ينتزع منه الحنان (٤) •

هذا هو الحب في أوجاعه وبلاويه ، واحزانه ومآسيه ، لكن له صورة اخرى فـي الأغنية الفيروزية توضح ملامحه من الناحية المقابلة اي ناحية الصحة والمواسم والفــرح والفرد ، وهي أقل كمّا من نقيضتها ، فما هي ملامح هذه الصورة ؟

الحب الفرح في الأغنية الفيروزية موسم اعياد ، واغاريد قلوب ، ومعزوفة كناري يزفها الى قلبين وحد بينهما الحب ، " وزينة الربح " (٥) بالاصوات الايقاعية ، واقواس السوسن والجلنار ترتفع فوق الدروب والممرات ، وحكايات النغم يتقلها الناس في الشوارع فتحلـــو لها هالة الضوء ، ويطل الحبيب من الوسط مشيرا الى حبيبته " ماسحا جبينهـــا بالسنابل دلالة على اخلاصه لها والعمل معها من اجل بناء حياة خصيبة ، انه جمال الطبيعة كلها مُختَصراً في دعوة حبيبين للسهر وسط هذا الجمال ، وكأن كل شيء يدعو لهذه السهرة ، من القمر الى الورود المتعانقة ، من حلاوة الكلام الى لهفة الاشعـار ، فكل الوان الجمال موجودة فلم يبق سوى قلبين يعشقان السهر ، ويغيب النوم بعد ذلك ويغيب معه يوم من العمر :

مَـكدام إنْـك هَـوْن	يا حلم مُلْوا الكَـوْن
شو هَم لَيـل وْطَـار	وْيِنْقَص العمـر نْهار (٧) •

---

(١) يلساني طريقي ، رقم : ٢٦٥ •
(٢) بكتب اسمك ، رقم ٣٣ •
(٣) سجره على مفرق طريق ، رقم : ٨٧ •
(٤) راجعة ، رقم : ٧٥ •
(٥) بكرا انت وجايي ، رقم : ٣١ •
(٦) بكرا انت وجايي ، رقم : ٣١ •
(٧) سهار ، رقم : ١٤ •

••/•

فالزمن في عرف العشاق، وهم ينتهي من الأذهان عندما يدرك الإنسان عميق أسراره •

ونسمع أيضا هذا الوجه من فرح الحب في اغنية تعلن انتهاء الأحزان في ايام العشاق ولياليهم وفناء اللوم الذي ولد في ذلك اللون من الحب المعتم ، وتدعو الى مسح الدموع ، فالحب بدأ يقطف ثماره و " ارعيان الجبال " مهمة البوح ببداية عهد الفرح " وعودة ايام الهوى " (١) • ان في ذلك انفلاتة من زمن الكمد والاكدار ، وانطلاقة صوب ينابيع البهجة والصفاء ، واصناف الزهور هي من هذه الينابيع ، وهي في الاغنية الفيروزية شعار الحب يعيد زمن الرضى عند اهل الهوى " فدرج الورد " هو مدخل بيت حلوة عاشقة ، وتحت كل خيمة ورد لا بد من ان تقوم خيمة من الحب (٢) وكذلك " درج الياسمين " فانه ملتقى العشاق وأريكة المحبين •• ولكن ما قيمة هذه الوردة ان لم يكن وراءها انسان قادر على ادراك ما فيها من جمال ؟ او ما قيمتها بالنسبة للنحلة ان لم تكن تدرك ما يكمن في اعماقها من لذيذ الحلاء ؟ ثم ما قيمة الأغنية ان لم يكن وراءها من يستمع ويطرب ؟ وما قيمة الليل والسحر والطبيعة والوجود بأسره وما عليه وفيه بدون معرفة الإنسان ومحبته ؟

مِنْ غيرِ حبِّك شُو النّجمات   شُو الليل شُو الوادي شُو الأسحار
مِن غير حبّك ما إلنا ساعات   غنّا نلتقي بأجمل التذكار (٣)

الحب هو كل شيء في الأغنية الفيروزية وهو فيها دليل وجود على كل الوجود ، وعمر الانسان قصير فليحب قبل ان يدركه الفناء فهو الطاقة الوحيدة القادرة على ربطه بعالم الخلود •• وما الحزن سوى إشاعة تنتحر أمام عظمة الحب الذي تفجرت منه البداية ، ومنه ستولد النهاية ، وبه نستطيع ان نعيش الحياة مملوءة بالفرح ، طافحة بالنعاء ، تحت أجواء فردوسية (٥) وقد لا نملك رغيفا من الخبز اذ انه " ليس بالخبز وحده يحيا الأنسان " (٦) فالحياة المثالية لا يمكن ادراكها الا بالحب ، وسوف نذر له " الورقة الاخيرة " لانها الرابحة التي تصلنا بالحياة الأبدية •••

---

(١) يا رعيان الجبال ، رقم : ٢٣٩ •
(٢) درج الورد ، رقم : ٦٩ •
(٣) دبنا وما تبنا ، رقم : ٦٦ •
(٤) بعدت السهرية ، رقم : ٢٧ •
(٥) انت وانا ، رقم : ١٦ •
(٦) الانجيل المقدس •

••/•

هكذا تنتهي الأغنية الفيروزية الغزلة بوجهيها الحزين والمفرح متدرجة من حب الى آخر حتى تصل الى هذه الدرجة من الحب الأسمى الذي يشكل أروع ملامح صور الحب المفرح بهذا الملمح يتميز الشعر السامي الرحباني الغزل على زميله الفصيح ، ويختلف عنه من حيث الإبانة عن وجه من الحب ما زال محجوبا في عالمنا العاطفي ، يُنظر اليه ، إن نُظر ، من خلف الحجب ، وهو ينتظر اليد المزودة بكل الامكانات المثالية لتكشف عنه البراقع فيسفر عن الحقيقة التي تبرهن عن حقيقة الخلود ، إلا ان مضمونه يبقى دائرا في فلك المضامين الشعرية القديمة مشربة ببعض الدفاعات الإبداعية والملامسات الابتكارية ، وقد اوردت طرفا من الموازنة بين بعض هذه المضامين من الناحية الفصيحة الصرفة في التي وازنت بين مضمون فصيح بمضمون فصيح آخر ، وسأورد هذه المرة موازنة بين مضمون عامي حديث ، ومضمون فصيح قديم اجابة على السؤال الذي طرحته عند بدء التحدث عن الشعر الغزلي العامي •

تضمنت الأغنية الفيروزية الغزلة ، من جملة ما تضمنت ، وقفات على ديار الحبيب المهجورة إلا من الظلام الموحش ، وهناك وقفت فتاة امام منزل حبيبها تناديه ، الكنها ما كانت تسمع سوى صوتها ترجعه جوانب الفراغ ، حتى يتلاشى خلف امكانات السمع •• وتنظر الى منزله من خلال الظلمة فترى نوافذه مغلقة ، وأبوابه موصودة كأنما عليها رصد ! وتسمع في أجوائه رفيف أجنحة هادئة كأنها في حداد ، وقد غابت درجاته بين الأعشاب التي نمت بعد ان هجرتها الأقدام •• تناجي نفسها وتقلعها بالكف عن النداء لان الدار خالية يلفها سكون ما بعد الرحيل :

مَا فِي حَدا لا تِنْدَهي مَا فِي حَدا عَتْم وْطَرِيق وْطَير عَالهَدِي
بَابُنْ مْسَكَّر والحِشِيشْ غَطَّى الدْرَاج شُو قَولِكُن شُو قَولِكُن مَارو صَدَى (٢)

انها كوقفة الجاهلي امام ديار احبابه واستنطاقه لها عن احوالهم ووجهة سيرهم ، إلا ان القديم لم يحمل لنا صوت امرأة ينادي الحبيب فوق اماكنه المهجورة ، ولم يحدثنا عن دموع امرأة هتنت فوق اطلال مساكنه كما هي الحال هنا ، فالتقاليد تبدلت بتبدل الأعراف والمفاهيم تغيرت بتغير الحضارات • اما جوهر القضية وهو التحدث الى ديار الأحبة المهجورة ، فلم يتبدل ابدا • والوقفة في هذه الأغنية تذكرني بوقفة امرىء القيس على " الربع القديم " ومناداته وخيبة امله في الجواب :

أَلِمَّا على الربع القَديم بِعَسْعَسَا كأني أُنادي أو أُكلّم أخرسا (٣)

---

(١) ص : ٢٠ •
(٢) ما في حدا ، رقم ١٩١ •
(٣) تاريخ الأدب الجاهلي ، د : علي الجندي ، ج ٢ ، ص : ١٠٢ وألما : انزلا • الربع المنزل • عسعس : اسم موضع •

••/•

وتحدثنا الأغنية ايضا عن عودة الحبيبة وحيدة في طريق معتم ، فالنار خامدة ولا أمل بالاهتداء :

يا ريت ضَوينا القنديل العَتيق، بالقناطر يمكن حدا كان اهتدى

والجاهلي كان يفخر بديمومة شبوب النار ليهتدي بها الناس على اختلاف اغراضهم ومقاصدهم . وهناك صورة أخرى في الأغنية الفيروزية تعالج نفس الموقف فتتحدث عن رحيل الأحباب بعيدا على " جبل عالي " وعن التكلم الى باب الدار وانطفاء النار والمواقد التي تحضن بقايا الرماد :

واسألت باب الـــدار وين النـــاس وأهل الـدار
قلي الهجــر غــدار تركو البيت وطفو النـــار
شوفو المواقد رمدو رمـــدو (١)

لكن الباب يجيب هذه المرة فيخبر عما فعله " أهل الدار " قبل رحيلهم . ولم تخلُ الصورة هنا الا من " بعر الأرآم (٢) التي وجدها امرؤ القيس عند الاطلال بين الدخول وحومل ، لكنها حوت استنطاق ذلك الطلل كما استنطقه امرؤ القيس :

ألا انعم صباحاً أيّها الربع وانطق وحدّث حديث الركب إن شئت واصدق (٣)

وهذا عميرة (٤) بن جعل يعدد ما بقي من " ديار الحي " بعد ان تركه اهله :

ألا يا ديار الحيّ بالبَـــردان خلت حجج بعدي لهنّ ثمـــان
فلم يبقَ منها غير نؤيٍ مهـــدّم وغير أوارٍ كالركـــيّ دفـــان
وغير حطاوبات الولائد ذعذعت بها الريح والأمطار كل مكان (٥)

---

(١) بحدو الحبايب ، رقم : ٣٦ .
(٢) الأرآم : جمع رئم ، وهي الظباء البيض .
(٣) تاريخ الأدب الجاهلي ، د . علي الجندي ، ج ٢ ، ص : ١٠٥ .
(٤) ملحق تاريخ الأدب الجاهلي ، د . علي الجندي ، ص ١٨ .
(٥) المرجع نفسه . والنؤي الحاجز الذي يكون حول الخباء لئلا يدخله الماء . الأواري جمع آري ، وهو ما حبس الدابة من وتد ونحوه . الركي : جمع ركية وهي البئر . دفان : مندفنة . الحطوبات : جمع حطوبة وهو ما يحتطبه الإماء ويجمعنه . الولائد : الاماء . ذعذعت : فرقت .

وفي الأغنية الفيروزية لم يبق سوى الدّار والمواقد والرّماد •

كل هذا يدفعنا الى القول بأن مضمون الشعر العامي الرحباني الغزلي مع ما استطاع أن يفلت من حدود المضامين الشعرية القديمة كما استطاع الافلات من ذلك الشعر من حيث الشكل العروضي ، كما ان هذا الشعر بوجهيه الفصيح والعامي سار على محاذاة الشعر القديم لم يختلف عنه الا بقدر ما اختلفت البيئات وتناوبت الحضارات ، وتبدلت التقاليد والعادات تبعا لهذا التناوب ، " فبعر الآرام " الذي أورده امرؤ القيس في موضعها المناسب كانت تثير الحزن والألم في نفس الجاهلي وهي ان ذكرت اليوم فانها قد لا تثير سوى التقزز والاستهجان • و " المواقد التي ردّدت " ما زالت تثير بعض المشاعر في زماننا ، ولكنها قد تثير في نفوس الأجيال الآتية ما يثيره " بعر الآرام " في نفوسنا اليوم ، عندما يحل " الألكترون " محل الأشياء التي يسخرها الإنسان لخدمته حتى ذلك الموقد • فالاختلاف لم يتناول جوهر مشاعر الرجل نحو المرأة ، لكنه تناول تلك الشكليات التي ربيت تحت ظلال الحضارة واناقة معطياتها ، وهذا امر طبيعي بالنسبة للقديم ايضا ، فهذا علي بن الجهم لما كان في البادية وراء القطعان ، وأراد ان يمدح الخليفة المتوكل ، لم يجد ما يمدحه به سوى الكلب الذي يشكل قمة الوفاء عنده ، والتيس الذي هو في عرفه اقوى الاقوياء • فقال للخليفة :

أنت كالكلب في حفاظك للعهد وكالتيس في قراع الخطوب

ولكنه لما نزح الى بغداد وعبّ خياله من معطيات حضارتها الزاخر ، رق تعبيره ، ولطفت مشاعره ، وصفت افكاره فقال واصفا :

الوردُ يضحكُ والأوتارُ تصطخبُ والنايُ يندبُ أشجاناً وينتحبُ
والراحُ تَعرضُ في نُوَرِ الربيعِ كما تُجلى العروسُ عليها الدرُّ والذهبُ
وكلّما انسكبتْ في الكأسِ آونةً أقسمتُ أنَّ شُعاعَ الشمسِ ينسكبُ (١)

وهكذا لعبت أنامل الحضارة بالأغنية الفيروزية الغزلية في جميع اركانها ، فشفّت تشبيهاتها وراقت كلماتها ، وصفت تعابيرها ، فأبانت عن نزعة انسانية هي في الانسان كالغريزة ألا وهي محبة الرجل للمرأة ، معالجةً مختلف الجوانب التي يمر بها الانسان في فترة من فترات حياته وما يشوب هذه الفترة من حزن ودموع وعذابات لا بد منها ، ومن فرح وسعادة واطمئنان يتمناها ويحاول تحقيقها جميعاً ، خاتمة كل ذلك بنهايات سعيدة ومتدرجة في الحب الى اسمى معانيه واشرف مقاصده •

ولكن ما عسانا نجد في الأغنية الفيروزية الفولكلوريّة التي تناولت موضوع الغزل أيضا ؟ هذا ما سأتناوله في الفصل التالي •

---

(١) في النقد الأدبي ، الدكتور عبد العزيز عتيق ، ص : ١٣٢ ، دار النهضة العربية سنة ١٩٧١ •

البحـــث الرابـــع

الأغنيـــة الفولكلوريـــة

(١)

تناولت موضوعات الاغنية الفولكلوريـــة الغزل بوجه عام، على نمط يتميز عن الاغنيـات الغزلية الاخرى من حيث قدمها والتصاقها بالميول الشعبية اكثر. وقبل ان اتناول المفهـوم الذي تنطوي عليه هذه الأغنيات، والمدلولات التي تشير اليها، يحسن ان اقف عند الاصطلاح "فولكلور" لأبيّن مفهومه واورد مدلولاته قديما وحديثا، واتحدث عن تاريخه، والكلمات التـي تحمل فحواه او جانبا من هذا الفحوى، فيتضح السبب الذي من اجله سُميت هذه الاغنيات باسمه.

(٢)

"الفولكلور اصطلاح علمي مشتـــق عن الانجليزية. ادخله العلامـــة وليـــم توس W.G.Thoms لأول مرة على المصطلحات العلمية سنة ١٨٤٦ "(١) وعلى هذا فانـه "يرتبط من الناحية التاريخية، ومن ناحية ابتداعه بوليم جون توس هذا وبجمعية الفولكلـــور الانجليزية " (٢) وهو "يتألف من مقطعين : Folk بمعنى الناس وهي من الكلمة الانجليزية القديمة Folc ـ و Lore بمعنى معرفة او حكمة، فالفولكلور حرفيا = معارف النـــاس، او حكمة الشعب. وقد اقترح "توس" هذا الاصطلاح ليدل على دراسة العادات المأثـورة، والمعتقدات وكذلك ما كان معروفا حتى ذلك الوقت ـ بشكل غامض ـ بالآثار الشعبيـــة القديمة "(٣). ومن الأهداف التي كان يسعى اليها مؤسسوا جمعية الفولكلور الانجليزية : "جمع ونشر المأثورات الشعبية، والأغاني الروائية الأسطورية والأقوال الحكمية المحليــــة، والمعتقدات الخرافية (الخزعبلات) والعادات القديمة، وكل الموضوعات المتعلقة بذلك" (٤) وقد تتالت، بعد ذلك، تعريفات عديدة للفولكلور، تنوعت بتنوع العقول التي وضعتها فهـذا

---

(١) الفولكلور قضاياه وتاريخه، يوري سوكولوف، ترجمة حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس، راجعه وقدم له : عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١، صفحة ١٧ .

(٢) الفولكلور ما هو ؟ فوزي العنتيل، دار المعارف بمصر ١٩٦٥، صفحة ١٥ .

(٣) نفسه صفحة ١٥، هامش رقم : ١ .

(٤) نفسه، صفحة ١٦ .

"الفرد نت Alfred Nutt "يعرف الفولكلور بانه : "انثروبولوجيا (١) تتعلق بالانســان البدائـــي " (٢) • اما هارتلاند E.S.Hartland فقد رأى فيه : "انثروبولوجيــا تعالج الظواهرالنفسية للانسان غير المتحضر" وقد ادخل كلاهما الفنون والحرف في اصطلاح الفولكلور• اما ستيوارت جليني S. Glennie فقد كان وحده الذي اصرعلى ان الفولكلــور هو ما تعرفه الطبقات المثقفة عن العامّة The Folk(٣)• وبين هذا وذلك "ظهر اول مختصر للفولكلور (٤) نشر سنة ١٨٩٠ م• تحدَّدَ الفولكلور في مقدمته [illegible] بانه دراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون•"(٥) كما وضع الموضوعات التي ينتظمها الفولكلور فيما يلـي :

١ ـ المعتقدات الخرافية، والعقائد، والممارسات •

٢ ـ العادات المأثــورة•

٣ ـ المرويّـات المأثــورة•

٤ ـ الأقوال "الحكمية" المأثورة (٦) •

---

(١) تعني "الانثروبولوجيا حرفيا دراسة الإنسان، ووجود الكثير من العلوم التي تتناول دراسة الانسان جعل من المحتم ايجاد تعريف محدد لها، وهي تعني في معظم أجزاء أوروبا "علم الأحياء البشري" (البيولوجيا السلالية) او الأنثروبولوجيا الطبيعية• ومن بين التعريفات التي قدمها الدارسون الامريكيون للانثروبولوجيا : ١ ـ انهــا تعالج الانسان من حيث هو كائن اجتماعي، ويشتمل موضوع بحثها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية من غير تحديد لزمان او مكان• ٢ ـ هي دراسة الانسان ودراسة اعماله• وقد جعلوا لها قسمين رئيسيين : انثروبولوجيا طبيعية واخرى ثقافية• وتحت هذه الاخيرة نجد : اثنوجرافيا ـ واثنولوجيا واحيانا نجد فروعا اخرى، وذلك في حالــة إذا لم تكن هذه الفروع ثانوية ـ نجد : علم الآثار، والفولكلور، وعلم اللغــــــة، والأنثروبولوجيا الاجتماعية/ الفولكلور ما هو صفحة ٥٥ ـ ٥٦/ •

(٢) نفسه، صفحة ١٧ •

(٣) الفولكلور ما هو، فوزي العنتيل، صفحة ١٧ •

(٤) The Hand book of Folklor

(٥) الفولكلور ما هو، صفحة ١٨

(٦) نفسه، صفحة ٢٠ •

••/•

لكن هذه التحديدات والتعريفات لعلم الفولكلور لم توقف المناقشات والجدالات حول موضوعه . فنجد " اندرولانج " في خطابه الانتتاحي للمؤتمر الدولي للفولكلور (١٨٩١) يقول : ان منهج الفولكلور هو دراسة الطقوس القروية الحديثة، وقصص الخوارق، والعقائد كموروثات " ثقافية (١) او مخلفات باقية من الحالات العقلية القديمة (٢) " . " وبعد ذلك بسنوات اجابت " مس برن " عن هذا السؤال : ما هو الفولكلور؟ فقالت : انه معارف الناس المأثورة، سواء كان بين الأجناس المتخلفة، او بين الطبقات المتخلفة في الاجناس الأكثر تقدما . انه ليس اللغة، ولا الفنون او الحرف اليدوية، لكنه ثمرة الفكرة انه " فكرة " الانسان البدائي، او الإنسان المتبربر معبّرعنها في كلمة، او في فعل او عقيدة، أو عادة او قصة، او أغنية، او قول مأثور . وانه لا يرتبط بالمشكلات الاجتماعية التي تستغرق انتباه عالم الاجتماع ولا يرتبط بالجانب المادي للأنثروبولوجيا، وكذلك فان علاقته بالأدب خاصة به " (٣) .

ونجد في مختصر الفولكلور " الذي صدر سنة ١٩١٤ هذه العبارة، " وهي أن الفولكلور يغطي كل شيء يشكل جانبا من الإعداد الذهني للناس كمميز له عن مهاراتهم الفنية ونجد كذلك شرحا لما مر وهو انه ليس شكل المحراث هو الذي يثير انتباه عالم الفولكلور، ولكن الطقوس التي يمارسها الحرّاث، وهو يشق بمحراثه التربة . وليس صنع الشبكة او الشص . بل المحظورات التي يراعيها الصياد في البحر . وليس الذي يثير انتباهه هو عمارة الجسر، والمباني، ولكن القرابين التي تصاحب تشييدها، والحياة الاجتماعية لأولئك الناس الذين يستخدمونها . " (٤) وقد قرر " طومسون " بأن الفكرة في الوقت الحاضر هي أن الفولكلور هو : التراث، إنه شيء انتقل من شخص، وحفظ إما : عن طريق الذاكرة او بالممارسة اكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون . ويشمل الرقص، والأغاني، والحكايات، وقصص الخوارق، والمأثورات والعقائد، والخزعبلات (المعتقدات الخرافية)، والأقوال السائدة للناس في كل مكان كما انه يشمل كذلك : دراسة العادات والممارسات المنزلية، وانماط الأبنية، وأدوات البيت، والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي . (٥) " ويمكن حصر هذه التعريفات القديمة المختلفة بحيث يستقطر منها ما يلي حديثا :

---

(١) الغرض من اضافة كلمة ثقافية تمييز الاصطلاح عن الموروثات المادية .

(٢) نفسه، صفحة ٢٠ .

(٣) نفسه، صفحة ٢١ .

(٤) الفولكلور ما هو؟ صفحة ٢٢ .

(٥) نفسه، صفحة ٣٥ .

٠٠/٠

١ • الفولكلور هو بقايا القديم، وثقافة ما قبل التمدين، او الموروثات الثقافية، في بيئة المدنية الحديثة "• وقد تضمن قاموس الفولكلور الأمريكي طائفة من مثل هذا التعريف : (١)

أ ــ الفولكلور هو جميع العقائد الشعبية القديمة، والعادات والمأثورات التي استمرت متوارثة بين العناصر الأدنى ثقافة في المجتمعات المتحضرة حتى الوقت الحاضر •

ب ــ الفولكلور هو حفريات حية تأبى ان تموت •

٢ • الفولكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية • يقول تايلور "Taylor" إن الفولكلور يتألف من المواد التي انتقلت تراثيا من جيل الى جيل من غير نسبة موثقة الى مبتدع او مؤلف• وقد اجمل ليتش Leach تعريفه للفولكلور بقوله : انه المعرفة المذخورة للناس الأنقياء (البسطاء) المتجانسين، المرتبطين معا ليس فقط بالأواصر الطبيعية المشتركة، ولكن ايضا بالأواصر العاطفية، والتي تلون تعبيراتهم جميعهما، وتهبها الوحدة والتميز الفردي •

٣ : الفولكلور هو ما انتقل مشافهة، والأدب الشعبي : فباسكوم Bascom يقول إنه يعني ألوانا مختلفة من أشكال التعبير الفني التي تستخدم الكلمة المنطوقة كأداة لها، وعلى هذا فإنه من الممكن تحديد الفولكلور بأنه فن قولي، وهو يرى ان الفولكلور في جميع اشكاله متعلق بالأدب • اما فوستر فيقول : ان الفولكلور يصبح ــ في نظره ــ اكثر دلالة عند تطبيقه على المظاهر الأدبية غير المدونة لدى جميع الشعوب المثقفة، وغير المثقفة • وقد عرفه اتلي Utley بانه ادب انتقل مشافهة •

٤ : الفولكلور هو الثقافة الشعبية : وقد وصفه "فان جنب" في سنة ١٩٢٤ بأنه علم تركيبي يهتم بصفة خاصة بالفلاحين وبالحياة الريفية، وبما ظل باقيا من هذه الحياة في البيئات الصناعية وبيئة المدينة• أما احدث تعريفات الفولكلور فهو ان الفولكلور ــ بالنظر الى مادته : هو المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة "التراث الشفوى Oral Tradition" وهو ايضا : العلم الذى يدرس هذه المأثورات• هذا التعريف مطابق لتوصيات مؤتمر الفولكلور الذى عقد في" ارنهيم Arnhem بهولندا في سنة ١٩٥٥" (٢) •

---

(١) Standard Dictionary of Folklore, Mythologyand Legend (مادة فولكلور) •

(٢) كل هذه المعلومات من كتاب الفولكلور ما هو ؟ من ص ٢٦ الى ٤٤ ونجد امثال هذه التعريفات عند يورى سوكولوف في كتابه : الفولكلور قضاياه وتاريخه من الصفحة ١٧ وما بعدها •

•• /•

وهناك مصطلحات مماثلة للاصطلاح فولكلور (قد فضل استخدامها في القـــارة الأوروبية في بادئ الأمر، فالأقطار اللاتينية استبدلت المصطلح اليوناني ديموس Demos " الناس" بكلمة Folk وقد استخدمت في فرنسا الاصطلاحات الآتية ديمولوجي Dêmologie, او ديموسيكولوجي Dêmopsychologie وكذلك انثروبوسيكولوجي Anthropopsychologie وكان ذلك حتى سنة ١٨٨٠ م، اذ استخدم "جادو Gaidoy" و سيبليه Sebillot" اصطلاح فولكلور. وفي نفس الوقت تقريبا دخل ايضا اسبانيا (١) .

اما في ايطاليا فقد كان مصطلح Demologia (٢) هو المقابل لمصطلـــح "فولكلور" كما ان "بيترى Pitrê" استخدم ديموسيكولوجيـــا Dêmopsicologia وحدده بشكل مطلق كدراسة للحياة الماديةوالروحية بين الشعوب المتحضرة وغير المتحضرة .

وفي السويد ظهر اصطلاح "الذواكر الشعبية" (٣)، وتطور استعماله، ثم استبدل الآن بما يشمل كلمة فولكلور (٤) .

ويرجع العلماء ان الفولكلور ترجمة للكلمة الالمانية فلوكسكنده "Volkskunde" وقد ابتدعت هذه الكلمة في اعوام (١٨٠٦ — ١٨٠٨ م) عندما نشر (برنتانو Prentano) و "فون ارنيم Von Arnim" مجموعتهما من الأغاني الشعبية المسماة : "البـــوق المسحور للصبي" (٥). غير ان المصطلح الجرماني لم يستخدم كثيـرا، حتى التقطه ثانية "رايـل W.H.Riehl" مؤسس الفولكسكند و العلمية الحديثة في منتصف القرن الماضي . وان كان المقطع الاول من الكلمة Volk ظل مستخدما لمدة ثلاثين عامـا، فقد نشـــر "هردر Herder" كتابه : "اصوات الشعوب في اغانيها" سنة ١٨٠٧ (٦) لاول مرة فـي (١٧٩٨ — ١٧٩٩) تحت عنوان : اغنيات شعبية (٧) . وقد استخدم في هذا الكتـاب مصطلحات من مثل : "نفس" الشعب، ومعتقد شعبي، لأول مرة (٨) .

---

(١) الاصطلاحات السابقة عليه كانت Demosfia, Dêmologia وايضـا Demtectogrofia

(٢) استخدم ايضا في ايطاليا اصطلاح Scienza Demica ويعنـي علم الشعب (الناس) .

(٣) "Folkminne"

(٤) "Folkminnes Forskning" الفولكلور ما هو؟ صفحة ٣١ .

(٥) Desknaben Wunder horn, Vol. III.

(٦) Stimmender Vôlker in liedern.

(٧) Volksglaube.

(٨) الفولكلور ما هو؟ صفحة ٣٢ .

../.

ونستطيع ان نلخص القول، على ضوء ما تقدم، بان الفولكلور هو : المأثورات الشعبية القديمة على اختلاف مشاربها وانماطها سواء أكانت اغنية بعناصرها الثلاثة : الكلمة، اللحن والاداء، مع ما يصحبها من رقص وغيرها، او قولا مأثورا، او عقيدة من العقائد او عادة من العادات او فنا من الفنون او حرفة من الحرف، على ان تتميز هذه المأثورات جميعها بطابعها الريفي ومسحتها البدائية البسيطة، والاسطورية احيانا، وهي على الرغم من قدمها ما زالت تحدث تأثيرا عجيبا في النفوس ورواجا كبيرا في المدنية الحاضرة، ودون ان يعرف في معظم الأحيان مؤلف تلك الاغنية او هذا القول . هذا عن الفولكلور عامة، فماذا عن الغناء الفولكلوري عند العرب ؟

(٣)

إن الغناء الشعبي عند العرب " لم يلق اهتماما خاصا من المؤرخين القدامى وخاصة مؤرخي الموسيقى ، اذ انصرف اهتمامهم الى الحديث عن الغناء الكلاسيكي والفنانين الذين مارسوا هذا الغناء اعتقادا منهم بان الغناء الشعبي ، لا يستحق منهم كبير اهتمام، لا في مادته الشعرية، ولا في مادته الغنائية، ولانه لا يمثل المستوى الأدبي والفني ، للفئة التي كان يكتب لها التاريخ في العصور الخالية . على ان الامر الجدير بالملاحظة هو ان ما حدث في دنيا العرب حدث ايضا في دنيا الغرب، اذ لم يكن حظ الغناء الشعبي في الغرب خلال القرون الماضية، أوفر من حظ الغناء الشعبي عند العرب، اذ لم يهتم الغربيون بالتراث الشعبي في بلادهم إلّا في عهد قريب، وكان الباعث الأول لهذا الاهتمام يقظة الوعي الوطني ، وما رافق هذا الوعي الوطني من شعور بدور الشعب التاريخي في بناء المجتمع " (١) .

" ويرجع اهتمام العالم العربي بالفولكلور الغنائي ، الى عهد قريب، قد لا يتجاوز اعقاب الحرب العالمية الثانية، فمنذ هذا التاريخ ، اخذت الانظار تتوجه الى هذا اللون الغنائي الذي كان الشعب العربي يحياه في واقعه اليومي ، دون ان يعير دوره التاريخي كبير اهتمام " (٢) . وهذا لا يعني انصراف العرب القدامى انصرافا كاملا عن الفولكلور الغنائي "فان المؤرخين العرب القدامى ، تطرقوا في كتبهم، سواء أكانت كتب تاريخ ، ام ادب ، ام تراجم، الى هذا الموضوع، على قدر يتناسب مع مفهومهم لدور الشعب في حياة المجتمع الانساني ، ولكن النصوص القديمة للفولكلور الغنائي عند العرب، لم تكتب على اساس فن قائم بذاته، وانما عرضت عرضا في كتب التاريخ ، والاداب والتراجم، الأمر الذي جعل من الصعب العسير على الانسان، اعطاء صورة دقيقة عن فن مثل فن الفولكلور الغنائي ، يمثل وجود

---

(١) الفولكلور الغنائي عند العرب، نسيب الاختيار، صفحة ٨، الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المطبعة والجريدة الرسمية، السلسلة الفنية (٧) .

(٢) نفسه، صفحة ١٠ .

الشعب ودنياه، ويصور شخصيته الصافية، في واقعية عفوية، ويحضن ثروته الوطنية . وحتى يتوصل الانسان الى مثل هذه الصورة، لا بد له من احاطة بالنصوص الأدبية للأغنية الفولكلورية في تاريخ العرب المديد، ومعالجة ما تعرف اليه، على اساس من تفهم لموضوع الفولكلور بالذات، والاخذ بمناهجه السلمي، ودراسة تاريخه لدى الشعوب، اذ بهذه الوسيلة يتسنى له ان يلقي ضوءا على تاريخ الفولكلور الغنائي عند العرب، وهو تاريخ تمتد جذوره الى قرون قصيرة المدى " (١) .

انني ابنت بعض وجوه القضية الفولكلورية، لأعالج على ضوئها ما استطعت تجميعه من الاغنيات الفولكلورية التي تغنيها فيروز، فما هو مفهوم هذه الأغنيات ؟

تحت ذلك المفهوم السابق لكلمة فولكلور تندرج معظم الأغنيات الفيروزية، حيث نلمح هذه المسحة القديمة للتراث الشعبي تربط مختلف موضوعاتها .

ففي اغنيات الضوء نعيش في ليالي الضيعة على ضوء قنديل "عتيق" ونلمح سهرات اهاليها تحت ضوء القمر، يتحدثون عنه لانه رفيقهم من ايام الطفولة .

وفي الوطنيات نشهد ولادة وطن من "برق القصائد" (٢) تعلق على بابه "الخرزة الزرقاء" (٣) التي تصد العين الحاسدة، وهذه عقيدة ما زالت قائمة الى يومنا هذا . وفي الضيعة نلمح "ناطور القمري" ومواسم الفلاحين والبيادر والحصادين، و "تلال الزراعين" و "حكايات الدوالي" (٤) والقرميد الأحمر .

وفي أغنيات الام والطفولة نسمع اغنية "يلا تنام ريما" وهي في كلماتها تعود الى عهد قديم لا يعرف واضعها، وانما تنوقلت على الالسن وما زالت تغنى . وقد مرت بنا احدى تعريفات الفولكلور التي تقول بأنه "يتألف من المواد التي انتقلت تراثيا من جيل الى جيل، من غير نسبة موثقة الى مبتدع او مؤلف" . الى غير ذلك من الأعراف والتقاليد المختلفة في هذه الاغنيات وفي اغنيات الجيرة وحسن الجوار .

هذا من الناحية العامة، أما على وجه الخصوص فهناك خمسة وثلاثون أغنية اسميتها فولكلورية لانها تتناول شتّى المفاهيم القديمة والحديثة لكلمة فولكلور . فما هي الفحوى التي تنطوي عليها هذه الأغنيات وما هو وجهها الفولكلوري ؟

---

(١) الفولكلور الغنائي عند العرب حسيب الاختيار، صفحة ١٨، الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المطبعة والجريدة الرسمية، السلسلة الفنية (٧) .

(٢) وطني، رقم : ٢١٧

(٣) وردة الوردات، رقم : ٢١٦ .

(٤) سهرتنا عدراج الورد، رقم : ٩٥ .

الغزل هو الموضوع الرئيسي لمجموع هذه الاغنيات، الا ان معانيه صيغت على قالب قروي قديم، فأتت أسماؤها رسوماً للمطالع التي كان القرويون وما زالوا يرددونها بحب وشغف من أمثال أبو الزلف، والميجانا والعتابا واندلعونا ويا هويدلك وغزيل، وعاليادي اليادي، وهيك مشق الزعرورة، وعالزينو الزينو وغيرها .

هذه المطالع ما زالت الى اليوم اساسا يبني عليه شعراء العامة قصائدهم العامية فتغنى او تنشد في مناسبات الاعراس والاعياد، خصوصا على موائد القرويين وفي مواسم افراحهم، وشتّى اعمالهم الاساسية، كالحراثة والحصاد . وكثيرا ما نسمع اصوات الحصادين ممزوجة بأنين القش المتهاوي بين أحضان المناجل المسنونة تردد : "هيهات يا بو الزلف، عيني يا موليا" ثم ينسجون على هذا النمط الوانا كثيرة من الكلام تتنوع بتنوع المناسبات مراعية بذلك مقتضى الحال .

و "أبو الزُّلف" وتلفظ احيانا "ابو الزَّلَف" من الذلف وهو صغر الأنف واستواء أرنبته، فصاحبه أذلف مؤنث ذلفاء والجمع ذُلْف . وقال الشاعر :

إنما الذَّلفاء ياقوتة   أُخرجت من كيس دهقان (١)

"وتطلق الذلفاء على المرأة الحسناء كما ان الرجل اذا كان حسنا يقال له أذلف . وقال الأمير شكيب ارسلان في "السيد رشيد رضا أو إخاء اربعين سنة (ص ٤٩ في الحاشية) "وانه — يعني اسم ذلفا — بالذال المعجمة لا بالزاي ولكن العامة لفظته بالزاي كما تفعل في كثير من الالفاظ (٢) ". ومن الجائز ايضا ان يكون اصل الزاي في "الزَّلَف" سينا وعلى هذا يكون أصل الكلمة "السالفة" جمع سوالف وهي صفحة العنق عند معلق القرط "وفي اللسان" والسالفة أعلى العنق وقيل ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوة، والسالف أعلى العنق وقيل هي ناحية من معلق القرط الى العاتقة "ومن ذلك جاءت تسمية "السالف" وهو الشعر النازل فوق الصدغين حتى معلق القرط وقد سمي باسم موضعه، وهذه النواحي التي ذكرها اللسان، والشعر الذي يغطيها هي مادة دسمة للشعراء رصعوا بذكرها اشعارهم تغزلا بها قديما وحديثا . لذلك فان قلب السين زايا، اقرب من قلب الذال زايا . فالسين اخت الزاي وكلاهما "من مخرج واحد هو ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا" (٣) ومن حروف الصفير، الا ان السين مهموسة والزاي مجهورة، والجهر يغلب الهمس لذلك غلبت الزلف "على "السالف" فالأول من زلف اي تقدم وتقربه والثاني

---

(١) لسان العرب مادة ذلف .

(٢) معنّى رشيد نخلة، أمين نخلة، ط أولى ١٩٤٥، العصرية ص ٦٣ .

(٣) نصوص في فقه اللغة، د . سيد يعقوب بكر، ج ١، ١٩٧٠ دار النهضة، ص ٢٠٢ هامش ٣/ وانظر كتاب سيبويه ج ٢، ص ٤٠٥، س ١٣ — ١٤ .

من " سلف " أي تقدم وسبق، فتصاقبت الألفاظ لتصاقب معانيها اى تدانت (١) .

" ومولیا من الموالي ، وهي : المصادق، والمناصر، أو من المولى ، وهو ، أيضا : الجار، والناصر، وابن العم ، وكلها يوافق المعنى . وطريقة ابو الزلف " ان تكون لازمتها بيتا واحدا، صدره، على كل حال : هَيْهات يا بُو الزلف عيني يا موليا " وعجزه راجع الى هذه التقفية، وان يكون الدور أحد نسقين : إما عاديا، اي بيتين صدر أولهما، وعجزه، وصدر البيت الثاني من قافية واحدة، وعجزه، من قافية ترجع الى قافية اللازمة، واما على النسق الذى استحدثه رشيد نخله، أي اربعة أبيات صدورها من قافية، وأعجازها من اخرى، عدا عجز البيت الأخير، فهو يرجع الى قافية اللازمة " (٢) .

والذي يعنينا هنا هو الدور العادي الذي استعمل في الأغنية الفيروزية وهذا مثاله مع لازمته :

اللازمة او المطلع : هَيهات يا بُو الزَّلف عيني يا مُولَيّا ۔ مَحلا الَوما بِالَوما وْمَحْلا العِزُوبِيّا

الدور : يا وْرِحْتَ اَنا لْسِندكُن قَبل العَشا بنتفسي ۔ وْلقيتكن نايمين وْسْراجكن مْطفي

مَدّيت إيدي عالحَبَق لاقطف اي قطفي ۔ صاحِت بِنْت اللكَن يَمّا يُما حَرامِيّا (٣)

اللازمة تضج بالحنين لايام الصبا اللاعبة العزباء، والدور يعرفنا على بعض انماط العيش والتقاليد عند القرويين القدماء وهي :

١ ـ نوم المُزار قبل موعد العشاء، وذلك يدل على ان الزمان هو زمان الحصاد ، وان المُزار من الحصادين، ومن عاداتهم النوم باكرا بعد يوم طويل من العناء، والنهوض باكرا قبل طلعة الفجر، لأنهم على موعد في الحقول مع قامات السنابل ومقابض المناجل .

٢ ـ ان وسيلة الإنارة في ذلك الوقت هي السراج الذي يُعتبر اليوم من التراث الحرفي القديم، وما زال يُستعمل في بعض القرى، وهو بذلك يمثل لونا من الوان الفولكلور الذي عرفه " جاستر " بانه " ذلك الجانب من ثقافة الشعب الذي حفظ في الفنون والحرف أيضا ".

---

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ١٩٤، وكتاب الخصائص لابن جني، ج ٢، ص/١٤٥ـ١٥٢/

(٢) معنى رشيد نخله، صفحة ٦٤ .

(٣) غنّي يا حلوي رقم : ١٤٦ .

٣ ـ حرص اهل القرى على ان تكون منازلهم محاطةً باء ناف الورود والمطـــوره ان كان في الجنائن اوعلى شرفات الدوره واعتناءهم " بالحبق " واختصاصهم بزراعته وقد اعتادوا ذلك حتى اصبح عرفا عاما عندهم ·

٤ ـ ان المجتمع القروي على بساطته وصفائه لم يخلُ من بعض الآفات الاجتماعيـة كالسرقة مثلا، فهناك من يحب العيش مصابا بداء أخلاقي بغيض ·

هذا عدا كون صدر المطلع (اللازمة هنا انتقل الينا بالممارسة عن طريق " ذواكر العامة من الناس " كما يعني " مايسرز John Myres " بقوله عن مواد الفولكلـور بانهـا " قدمت بوسائط خاصة هي العقول " (١) كما انه لا يُعرف من ألّفه، كما يحدث عندنا اليوم اثناء الدبكة " الجبلية " · وقصة ذلك ان الذي يمسك على الطرف، ويُختار عادة من الذين يُشهد لهم بالبداهة والخفة الحركية، ينشد مطلعا من تأليفه، ثم يؤلف الباقون، بالاشتراك معه، بقية الأدوار الأخرى، وعلى هذا لا ينسب هذا القول لاحد منهم، فيكون تأليف مجموعة من عوام الناس فتحفظه الذواكر ويردد في مختلف المناسبات الشعبية، مع الحفاظ على اللحن الذي واكبه اثناء انشاده في المرة الأولى ·

اما " الميجنا " او الميجانا فمن قولهم في الفصيح : طريق " مجن " ، اي ممدود ، طويل منبسط، فان الميجنا يُغنَّى بها ، كما لا يخفى ، بين يدي العتابا ، وذلك ليطول علـى قوّال العتابا فترات الارتجال والراحة ـ وتسمى الميجنا ايضا : " كسرة ميجنا " من قولهـم في العامي : " كسرله " ، يريدون : مهّد له · وطريقتها ان تكون لازمتها بيتا واحـــدا صدره على كل حال : " يا ميجنا يا ميجنا يا ميجنا " وعجزه راجعا الى تلك التقفية، وان يكون الدور منها على طريقة المعنّى ، أي أن شطري البيت الاول وصدر البيت الثاني من قافيـــة ، وعجز البيت الثاني من القافية العامة " (٢) كما هو نظام : " ابو الزلف " · وتأتي الميجنا مـن البحر اليعقوبي التي تتألف دعامتاه من ١٢ حركة " (٣) وهذا مثاله من الأغنية الفيروزيـــة، وقد ورد فيه بعض الخروج عن المألف ، إن كان في اللازمة أو الوزن :

اللازمة : مِيجْ يا بو المِيجْ يا بو المِيجَنـا	وِرد اللّكّن عِلْيو زْرارُو عالقَنَـا
الـدور : مِيج يا بو المِيج أُعلَكْ وَيْنْ غِدُو	هالحَمْلو بَكّير عنّـا وْبِيْعَـدُّو
وْبِتجُو عالحَيّ تْبِقـو حَـيّـــدُو	بْوُجُودْكُن بالدّار نِحْنا شْو لنَا (٤)

---

(١) الفولكلور ما هو ؟ فوزي العنتيل ، صفحة ٢٨ ·

(٢) معنّى رشيد نخلة ، صفحة ٦٢ ·

(٣) الزجل ، تاريخه أدبه اعلامه قديما وحديثا ، منير وهيبه ، صفحة ٦٨ ·

(٤) دبكة الميجانا ، رقم : ٦٥ ··

· · / ·

هذا النمط من الميجَنا يفتح أمامي معنى آخر لها غير "الطول والانبساط".
وهو الاختلاط الذي فيه معنى التقلب وعدم الثبات على موقف معين. فالفصحى تقـول :
"ماج يميج ميجاً الشيء : اختلط" (١) وفي اللسان "ماج في الأمر اذا دار فيه، والميج
الاختلاط" والعامة تقول ماج "مَوجانا ومَيَجانا" اى دورانا وتقلبا. والقضية هنا متعلقة
بين حبيبين واحد منهما لا يثبت في حبه تجاه الآخر، فمرة يحب واخرى يعرض، تارة يذكر
وطوراً ينسى، يقبل حينا وأحيانا يصد. أفلا يمكن أن يكون الدور هنا، واللازمة من قبله نداء
لهذا "الميج" ولفته لحب دفين في قلبه، ودعوته لزيارتها عند مروره بالحي مع التلميح لـه
بأنها ما زالت مستعدة لاستقباله بحرارة ؟ فهي لا تملك شيئا بوجوده في دارها. وهذا
العجز الأخير من الدور هو قول شعبيٌّ سائد في معظم القرى والذي يقال للضيوف عادة
إمعانا في تكريمهم والحفاوة بهم. وفي ذلك صورة من صور الكرم الذي يمتاز به الريفيـون،
والذي هو عادة من عاداتهم لا يمكنهم التنكر لها.

والعتابا فن من الفنون الشعبية القديمة التي ما زالت تعتبر سيدة الموقف اثناء
مناسبات الأفراح وولائم الزفاف في القرى والأرياف، وهي من العتاب اي اللوم، اذ يقـال :
"عاتبه عتابا ومعاتبة على كذا : لامه، وواصفه المَوْجِدة، وخاطبه الادلال أي اجتراء عليه
لثقته بمحبته" (١). والعتابا "يقال لها أيضا "الجُبُورِيَّة" نسبة الى قبيلة جبور البدوية.
قال ويل في "دائرة المعارف الاسلامية" الفرنسية ما معربه : "مهد العتابا الصحراء. وهي
منتشرة اليوم في سوريا وفلسطين والجزيرة" (٢) وللعتابا قواعد وأصول يتبارى ناظموها على
هذه الأصولية، وهي تتألف من بيتين : عروض البيت الاول وضربه وعروض البيت الثاني من قافيـة
واحدة إلا انها مختلفة المعنى، وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس، اما ضرب البيت الثانـي
فيكون غالبا مختوما بياء ساكنة "على قياس" مفَـاع" او "مَفَـعْ" وان ختم بالف مطلقة او يـاء
مرسلة فانه يأتي على قياس "فَعُو" وتسمى القطعة من العتابا "بيت عتابـا" على انهـا
مؤلفة من بيتين" (٣) اما "اشهر الناظمين بها رجلان : أولهما حمادي الجاسم من عشيرة
الجبور، والثاني اسمه عبد الله الفاضل من عشيرة عنزة" (٤) ومثاله من الأغنية الفيروزيـة
الفولكلورية هو الآتـي :

أنا في ضيعتـي اليَنبُـوع جَاري ... "رفيقي الحَقل، والبِسْتان جَاري
ارْجَعوا يا هاجْرين الدَّهر جَاري ... وشمس العمر مالت عالغيـابْ (٥).

---

(١) المنجـد.

(٢) معنى رشيد نخلة، صفحة ٦٠

(٣) نفسه، صفحة ٦١.

(٤) الزجل وتاريخه، صفحة ٧٨.

(٥) ريح الشمالي، رقـم : ٨٢.

../..

في هذا "البيت من العتابا" صورة للضيعة وانسانها تحتوي على نغم تشويقي غايته إيقاظ الحنين في قلوب أبنائها الذين تركوها من زمن بعيد، لعلهم يعودون إليها، فهي بحاجة إليهم بعد ان افتقرت لعزيمة السواعد، وطاقات الصّبا. ونلاحظ هنا الجناس المتمثل بكلمة "جاري" ويكون الجناس تاما احيانا في "العتابا" على خلاف ما ذكره الاستاذ أمين نخله في معرض حديثه عن العتابا حين يقول: "وهي من بيتين تكون فيهما القافية في عروض الأول وضربه، وفي عروض الثاني من الجناس المحرف" (١) دون أن يشير الى أن هذه القوافي قد تكون من الجناس التام أيضا وان كان قليلا. ومن أمثلته مِمّا تُغنيه فيروز هذا البيت:

يا طَير البراري وَيْـن حَلْـو — حَبايِبْنا وْمرّ العَيش حَلْـو
ويا شَعَر البنيّـه ميـن حَلّـو — طويل وْيِجْرح قْلوب الحَباب (٢)

والدلعونا من الفنون الشعبية الأُخرى، وكذلك عالبادي و "يا غزيل" اما الدلعونا فتشبه الميجنا من حيث تنظيمها الفني، أي أنها تتكون من اللازمة او المطلع الذي يشكل بيتا واحدا تعود قافية عجزه إلى ضربه، ثم الدور الذي يتألف من بيتين صدر الأول وعجزه وصدر الثاني على قافية واحدة، أما قافية عجز الثاني فتعود الى قافية المطلع ولنأخذ من الأغنية الفيروزية الفولكلورية مثالا على ذلك:

المطلع: على دَلْعونا على دلْعونـا — ريح الشّمالي غَيّر اللّونـا
الدور: على دلْعونا لَيْش دَلّعْتيني — عرفْتيني مْجَوّز ليش أُخَذتيني
لَكْتُب كْتابِكْ عَـا وَرَق تينـي — ولَجْعَل طَلاقِك حَبّ الزّيْتُونا (٣)

"والدلعونا" كما يبدو من الدلاعة ومنها المدلع الذي ربي في عز ونعيم، وكأن الكلام هنا موجه الى كل حُلوة فيها دَلَع ودَلّ ورِقّة وهَيَف، ومَن كانت هذه صفاتها، لا تستطيع تحمل الريح الشمالية، وهي المشهورة بشدة برودتها، وما تجلبه معها من الصقيع فان لفحتها هذه الريح تحدث في لونها تغييرا مُستملحا، وتلوينا مستعذبا، كتورّد الخدين مثلا وهو لون يحبه الشباب قائما فوق عرش الخفر. وفي هذا المطلع اجمالا تلميح لطيف لمكنون قلب بدأت تلمسه أنامل الحب. اما الدور فيقع فيه اللوم على تلك "الدلوعة" التي قبلت منه الزواج رغم معرفتها بكل أحواله. وفيه ايضا تهديد بجعل "كتب كتابها على ورق التين" دلالة على انه سيكون سريع الذبول والسقوط، ويجعل طلاقها نهائيا لا عدول ولا رجوع عنه كما تُرمى نواة الزيتون فلا يُلتفت إليها بعد ذلك.

---

(١) الجناس المحرف هو الذي تختلف هيئات حروفه، إما بالحركات واما باللفظ: معنى رشيد نخله، صفحة ٦٠ — ٦١.

(٢) من اغنية ميلو الحبايب رقم ٢٠١ ومن الملاحظ هنا الجناس التام المتمثل بكلمة (حلو) وهي متفقة في هيئات حروفها: حركة ولفظا.

(٣) دبكة الدلعونا، رقم ٦٢.

أما "عالیادي اليادي" فتأتي على النَّسق الذي استحدثه رشيد نخله في "أبو الزلف" ويتألف من أربعة ابيات صدورها من قافية، واعجازها من أخرى، عدا عجز البيت الأخير، فهو يرجع الى قافية اللازمة" (١) ومن ناحية وزنه فإن "الشطر الاول من جميع أبياته من البحر المزدوج الذي تتألف دعامته من ٧ حركات • اما الشطر الثاني من جميع أبياته تكون من البحر المتقارب الذي تتألف دعامته من ٦ حركات" (٢) ومثاله :

المطلع : عَاليادي اليادي اليَادي — يَمّ لِتْبَيّديّا
وِحْياة عَهْد الهَوى — لَرْجِّعك لَيّا

الدور : يا حِلْوي يْلِلّي القَمر — بيضَل نَاطْرُورك
عَشْقان غاوي السَّهر — بِيفَيّة زْهُورك
واللّيل ياخد صُور — والنِّجمات تْزورك
بِكْرا بيطِلّ السَّحَر — وْبِتْرجعي لَيّا (٣)

إن غزل العشاق في القرى أصبح من الفولكلوريات الحلوة التي تأنس بها النفس وتطرب لها الأذن، فالقمر عندهم لازمة تردد عند بداية حياتهم الغزلية، ولا بد للعودة له في نهايتها، حين لم يعد لهم من حياتهم تلك، سوى الذكرى، وكأنه في عرفهم، لا يظهر الا إكراما لخلوة تحب الخلوة مع سكينة الليل، فيحدثهم السهر معها، مرتميا بضوئه بين آيات ورودها، لكن العاشق الناظر يتعزى بمجيء السحر الذي يعيدها إليه مغتسلة بسكب الضوء، مضوّعة بلهفة العبير، • القمر في الضيعة أمير سمراتها وهو فيها عاشق معشوق • ويختلف نظام "يا غزّيل يا بو الهِبا" قليلا عن الفنون السابقة شكلا ولحنا وهو يتألف من المطلع وهو من بيتين يبدأ صدر البيت الاول دائما بـ "يا غْزّيل يا بو الِهبا" وقافية عجزه تعود الى هذه التقفية، على ان تأتي عروض البيت الثاني حرة ثم يعود الضرب الى قافية البيت الأول، ويتغير الترتيب في الدور الذي يتألف ايضاً من بيتين، تأتي عروض البيت الأول وضربه وعروض البيت الثاني على قافية، وضربه يعود الى قافية المطلع، ومثاله مما تغنيه فيروز :

المطلع : يا غزّيل (٤) يا بو الهِبَا — مَرحبْتين وْمَرحَبا
شِرْبِتْ مَيّه مِن ايدا — يا عْيُوني ما أطْيَبا

الدّور : يا غْزيل قِلّو قلّو — بركْل يّما يْضَلّلّو
لو طَال الزّمَن كِلّو — غيركَ منّي مْصَاحبا (٥)

---

(١) معنى وشهد نخلة، صفحة ٦٣
(٢) الزجل، تاريخه، ادبه، اعلامه، صفحة ٧٩
(٣) عاليادي، رقم ١٣٠
(٤) غزيل : تصغير غزال •
(٥) يا غزّيل، رقم ٢٤٧

شأنه في ذلك شأن الفنون السالفة الذكر. والنداء في المطلع لهيفاء مُترفة الجمال صاحبة هيبة ودلال . شُبهت بغزال صغير لما في الطفولة من طهارة وشفافية وصفاء، اما الدور ففيه تقرير وتصميم على الوفاء والثّبات في الاخلاص لحب ربط بين قلبين حتى ولو تبدلت مقاييس الزمــــان .

وعلى هذا النسق تأتي الأغنية الشعبية الشائعة "عالزَّينُو الزَّينُو" والزينو من الزين والجمع أزيان ؛ ضد الشَّين . وامرأة زائن متزّينة . والزَّوْنة من الزّينة المرأة العاقلة . والزينة جنسُ زهرةٍ من فصيلة المركبات. أزهاره جميلة وسيقانه وأوراقه أنيقة . له مقامه في الحدائق (١) وقد تكون الكلمة منحدرة من هذا المعنى فتشبهت الفتاة الحلوة بهذا الزهر. والزينو فـي الأوساط الشعبية اسم لكل فتاة جميلة وانيقة . فصار مطلعا لهذا النوع من أغانيهم .

وشبيهة بهذا النسق ايضا اغنية "مَرمر زماني يا زماني مَرْمَر" وهي غارقة في القدم كلاما ولحنا ولا يُعرف من واضعها ، شأنها في ذلك شأن معظم الاغنيات الشعبية . وقد نظم الأديب اللبناني المعروف أمين الريحاني قصيدة على لحنها مستعملا كلمات مطلعا . واولها :

"مرمر زمانـي ومَا سَقاني مَرْمَــر ـــــ قلبي تَولَّع في هَواك يا أسْمَـر

مرمر زماني يا زمانـــي مرمـــر ـــــ مَرْمَرتني يا ابن الحَرام تِتْمَرمَـره"

والقصيدة بكاملها موجودة في "كِتاب وضعته لجنة الاستعلامات الأميركية باللغة الانجليزيـة عنوانه الأغاني العامية عند سائر الامم The folk songs of many peoples (٢) ومن الأغنيات التي يصحب أنشادها لون من ألوان الرقص الخفيف "هَيك مشق الزَّعرورة" (٣)

---

(١) المنجد ، لويس المعلوف اليسوعي .

(٢) الزجل ، تاريخه ، أدبه ، اعلامه ، منير وهيبة ، صفحة ١٠١ .

(٣) رقم ٢١٣ ـــ والزعروره الواحدة من الزعرور "وهو شَجر مثمر من فصيلة الورديات يكثر في مناطق المتوسط شجره أحمر وربما كان أصفر وله نوى صلب مستدير يملأ أكثر جوفه فيكون لبه قليلا ." وقد وصفه الشعراء قديما فقال فيه ابن رافع

كأنما الزَّعرور لمَّا بَـــدا ـــــ في حُسن تقدير ومرأى أنيـــقْ

جَلاجِلٌ مخضوبـــةٌ عندما ـــــ او خَرزاتٍ خُرطتْ مِـنْ عَقيـــقْ

يَضوع من ريَّـاه إمَّا هفـا ـــــ بهِ نسيمُ الريـح مسكٌ فتيـــقْ

من نهاية الارب ، ج ، ١١ ، صفحة ١٣٧ .

ولما ينضج الزعرور في الجبل تذهب لقطافه مواكب الصبايا والشباب بملابس طويلة بتأنٍّ وحذر شديدين لصِفر حبته وليونة ما يؤكل منها عند نضجها، ولما يتخلل شجرها من شوك، وفي سهراتهم يتذكرون ويقلّدون حركة "مشق الزعرورة" ويغنون لها وللحلوة المِقْناع.

اما يا هويد لك، فيبتدئ مطلعها دائما بـ "يا هُوَيْدَ لكْ يا هُوَيْدَلِي" وتأتي الأدوار بعده من بيتين صدر الاول وعجزه وصدر الثاني على قافية، وعجز الأخير على قافية تعود الى قافية المطلع ومثاله مما تُغنيه فيروز:

المطلع: يا هُوَيْدَلك يا هُوَيدَلِي ــ نارك ولا جَنَّةُ هَلي

الدور: يا ساكِنَة بسَفْح الجَبَل ــ إنْتِ الرَّجا وإنت الأمَلْ
غاب القَمر حَل الضَّلَلْ ــ من مَنْزِلك لَمَنْزِلي

وهي على البحر المتفاوت الذي يتكون من دعامتين وست عشرة حركة، ثمانية في الصدر وثمانية في العجز على النحو التالي:

يَهْ	وي	دَ	لك	يَهْ	وي	دَ	لي	نا	رُكْ	وَ	لا	جَنْ	نَةْ	هَ	لي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

أصل الكلمة:

لم أجد في المصادر التي بحوزتي، والتي تكلمت عن الزجل والفولكلور كلاما تاريخيا او لغويا عن "هويد لك" ــ وهي على اي حال لم تتكلم إلا عن العتابا والميجنا وابو الزلف ــ لذلك فإنني سأحاول أن افتش فيها عن أصلها أو عن سبب تسميتها.

إن الكلمة توحي لي بسببين، أولهما لغوي، والثاني تقديري قد يكون موجودا في ذاكرة التاريخ، إلا انه مغلّف بالنسيان.

١ ــ في اللغة:

إذا أخذنا الأصل الثلاثي (هَوَدَ) فإننا نجد ان معناه: غَنّى برفق ولين. وفي اللسان "التَّهويد والتهواد الإبطاء في السير واللين والترفّق" ومن المعلوم ان اغنية "يا هويد لك" تُغنّى مصحوبة بدبكة لها إيقاع يحتوي على البطء والترفق.." ويقال غناء مهوّد، وقال الراعي يصف ناقة:

وَخُود (١) من اللائي تسمعن بالضحى ــ قريض الرُّدافى بالغِناء المُهَوَّد

وهوّد الرجل إذا سكن، وهوّد إذا غنى. والتَّهويد هدهدة الريح في الرمل ولين صوتها فيه، والتهويد تجاوب الجن لِلين أصواتها وضعفها. قال الراعي:

يجاوبُ البومَ تهويدُ العزيف به ــ كما يحنّ لغيثٍ جِلّةٌ خُورُ

---

(١) الواو في (وخود) اصلية ليست بواو العطف، وهو من وخد يَخِدُ إذا أسرع، (اللسان مادة هود).

وقال ابن جَبَلة : التَّهويد الترجيع بالصوت في لين " (١) وتلك هي أُصولية الغنـاء فـي (يا هَويدَلَكْ) فيكون النداء في أول الكلمة، لهذا النوع من الغناء الرقيق و " لك " فـي الأخير" ملكك والمَعْنى : يا لِغِنائك ما أرفقه، ويا لَغنائي ما أهدأه، والرفق والهدوء معنى كلمة هود تهْويدا في الغناء .

٢ — فـي التقديـــر :

إذا أخذنا كلمة (يا هويدلك) وحذفنا منها ياء التي للنداء ، و (لَكْ) التي بمعنى خاصتك فانه يبقى لدينا كلمة (هُوَيْدَ) مع الاحتفاظ بحركاتها وسكناتها وهو اسم فارسي الاصل، وقد يكون اسم فتاة ضُرب المثل بروعة جمالها، فكانت لها هذه الأغنية مصحوبة بدبكة عادئـة ، ومن عادة الدبكة ان يمسك على طرفها الاول من خفّت حركته وحسن صوته، يقابله آخر علـى الطرف الثاني بنفس الميزات، وصار ينشد كل واحد منهما (يا هويدلك يا هويدلي) اي : إما ان تكون (هُوَيْدَ) لكَ، إما أن تكون لي . ثم شاع هذا المطلع وحفظته ذواكر الناس .

وتقوم الى جانب ذلك كله مجموعة اخرى من " الطقاطيق " الفولكلورية من امثـــال " بردى بردى " (٢) ،"يا طيرى طيرى" (٣) ، " يا حْنَيِّنـه " (٤) ، " قالولي كن" (٥) ، "يابا لالا " (٦) ،" الرّوزانـا " (٧) ، " وهَلَا لالا لَيّا " (٨) ، " وغيرها . والشيء المشترك بين هذه الفنون الشعبية كلها هو ان صدر اللازمة من كل فن ثابت دائما وفي كل حال، ولكل فن لحنه الخاص.

وهناك فن أخير من الفنون الشعبية القديمة التي تغنيها فيروز، غير هذه الفنون كلها، هـو : " المواليا " و " أول من نطق به أهل واسط . وهي مدينة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٢ للهجرة، وفرغ منها سنة ٨٦ وجعلها دار الامارة . وذكر السيوطي فـي شرح الموشح النحوي، ان هارون الرشيد لما قتل البرامكة، من بينهم جعفر البرمكي ، أمر ان يرثـى بشعر . فرثته جارية بهذا الوزن، وجعلت تقول : يا مواليا . وقد اختلف بسبب تسمية بهذا الاسم . فقيل سمي به لموالات قوافيه بعضها ببعض . وقيل سمي بذلك لان اول من نطق به موالي بني برمك . وكان احدهم اذا نطق به ونعى مواليه قال : يا مواليا . وهذا هو الاصح . وقال السيوطي : " هو مُوَال بضم الميم وفتح الواو، وبعد الألف لام مفتوحة على صيغة اسـم المفعول من ولاه يوليه اذا تابعـــه " .

---

(١) لسان العـرب .
(٢) رقـم : ٤٠٩
(٣) رقـم : ٢٤٥
(٤) رقـم : ٢٣١
(٥) رقـم : ١٥٨
(٦) رقـم : ٢٢٥
(٧) رقـم : ١٢١
(٨) رقـم : ٢١٢

../..

" ومن امعن النظر في المواليا، يتحقق لديه انه بحر من بحور الشعر البسيط . وانه من الفنون التي لا يلزم فيها مراعاة قوانين اللغة العربية من إعراب أواخر الكلمات . وما يشاكل ذلك . ويجوز فيه استعمال الألفاظ الجارية في تخاطب العوام من الناس لفظا وخطا . والموال ينقسم الى ثلاثة اقسام : الأول ويسمى رباعي، يتقوم على اربعة اشطر، والثاني أعرج يتقوم من خمسة اشطر، والثالث العثماني ويتقوم من سبعة اشطر " (١) وهو القسم الذي تغنيه فيروز وهو على البحر البسيط ومثاله :

يا ربع لي في حِماك الغَضْ عِشْرةٌ صِبا   غَنَّيتِ في واحَتك ألحان حُب وَصَبا
بنطر ْينسّم عَلينا من رياضك صَبا   بذكر ملاهيك يلّلي العِشبُ فيها وَرد
بِذكُرغَديرالهوى بيطيب منّو وّرد   يا سالب القلب اسمع ما نِغَنّي ورِدْ
وّرِد لَسيونِنَا النَّوم يلّلي القلب نَحّوك صَبا (٢)

وهو في معناه لا يخرج عن كونه تغنيا بديار الحبيب، وتذكر الأيام التي قضيت فيها، ثم التمني للعودة إليها حتى يطمئن القلب وتقر العين . تقوم الى جانب هذه الالحان والأنماط الفولكلورية، أغنيات أخرى تدور معانيها حول أصباح الضيعة وأماسيها وتصور بعض عاداتها وتقاليدها كالعودة إليها باكرا من كروم العنب والتين والعصافير تغط وتطير، باحثة، هي الأخرى، عن مأكل ومشرب، وتبدو من بعيد "سطوح القرميد " (٣) التي ما زالت جنباتها اعشاشا للدوري وأمكنة مناسبة تأوي اليها السّنونو، والمواكب العائدة تتحدث عن السهرة أين تكون ؟ فتختار "بيت الحُلوة " هذه المرة وتكون سهرة عامرة، يتفق فيها بعض الساهرين على الغدوة في صباح اليوم التالي إلى الكروم واللعب حول "عرزال الناطور" (٤) الذي اصبح اليوم من الفولكلوريات الحلوة، واصبح الناطور مقصد العرائس يذهبن اليه فيفرح بهن، ويقطف لهن التينات والعناقيد بلهفة وحسرة يترجمها نغماً بصوت نايه [illegible] دائما في وسطه، فيطرب العَروسة وتضحك لها الزينة وما زينتها سوى بعض الاساور "والطرحة المقصّبة(٥) "

---

(١) الزجل، تاريخه، ادبه واعلامه، منير وهيبة، صفحة ٥٦ ـ ٥٧

(٢) يا ربع ، رقم ٢٣٦

(٣) ما احلى الرجعة بكير، رقم : ١٨٤

(٤) العرزال من (عورزولو) السريانية وهي خيمة ناطور الكرم . والناطور من (نه تورو) السريانية ايضا اى حافظ الرزق . (انظر الزجل وتاريخه ص ٢٠) " والناطور معرب Natora (ناطورا) "حارس" في الآرامية اليهودية والسريانية (والارامية الفلسطينية المسيحية) " (انظر دراسات مقارنة في المعجم العربي للدكتور السيد يعقوب بكر ص [illegible] سنة ١٩٧٠

(٥) اطلعي يا عروسة، رقم : ٤ .

../..

أو " القَمطة العِنَبيَّة (١) التي غالبا ما تحيكها الجدّة على منزالها وهي جالسة في الشمس على شرفة البيت أو في حديقته، وكثيرا ما يلتفّ حولها بعض الجدّات في " الضيعة " فتغزلن الحرير اثوابا، ويغزلن من صغير الاخبار قصصا وروايات (٢) ٠اما بيت هذه الجدة فهو من تراث الضيعة يتحدث ابناؤها عنه اليوم، عن بابه الكبير المصنوع من السنديان، الذي يفتح مرة عند الصباح ويوصد عند المساء بدعامة قوية توضع وراءه، عن " اليُوك " (٣) و " الفرشات "، عن الجدة نفسها التي تفخر في ان تقدم لضيوفها ما خبأته من عنب مجفف وتين شَريح محشو بالجوز، وتحكي لأحفادها " حكايات الجن " (٤) ٠

كل هذه الفولكلوريات، وغيرها كثير، تغنيها لنا فيروز اليوم، فتبعث في ذواتنا شوقا للضيعة ، مكثت رتدته طويلا في أعماقنا، وتُحيي في نفوسنا محبة عظيمة لهذا التراث القروي المشتمل على بساطة الفرح ، وفرح البساطة، والعيش المكتنز للقلوب النقية التي وعد السيد المسيح أصحابها بمعاينة الله فقال : (طوبى لأنقياء القلوب فانهم يعاينون الله) (٥) ، مصورة لنا هذه المحبة العامرة بالضيعة، والغامرة قلوب ابنائها، فيعملون بها في الحقل وعلى البيدر، وفي البيت وأينما حلوا، وكأن الناظر اليهم، من خلال الأغنية الفيروزية، يقتنع بانهم يعيشون بالمحبة ولأجل المحبة ٠ واني لاجد في ذلك دعوة للانسان اينما وجد، ان يكون كذلك ... وذلك هو شأن الاغنية الفيروزية المتجلببة بالنزعة الإنسانية ابدا ...

فهل نجد ذلك في الزجليّات الفيروزية، التي تمثل وجها آخر من الوجوه الفولكلورية ؟

×××××××××××××
××××××××××
×××××××
××××
×

---

(١) عنبيّة القمطة رقم ١٤٢ ، والقمطة من القماط جمعه قُمُط وهي خرقة عريضة تلف على الصغير اذا شد في المهد " والقمطة " هنا شال من نوع خاص تشد به الفتاة رأسها ٠ والعنبيّة : بلون العنب٠

(٢) يا منزال، رقم : ٢٥٩

(٣) " اليوك " هو تجويف مستطيل الشكل داخل في جدران غرفة النوم ٠ له رف من الطين او غيره، توضع عليه الفرش ويغطى ببيض الستائر٠

(٤) بيتك يا ستي الختياره، رقم ٣٦ ٠

(٥) انجيل متّى : ٥ : ٨ ٠

المبحث الخامس

الزجل

(معناه — لغته — اوزانه — تاريخه)

(١)

رأيت أن أفرد للزجل فصلا خاصا لانه المنحى الذي انتحته (١) الاغنية الفيروزية ، فدارت ضمن حدود فلكه ، وما تجاوزت هذه الحدود إلّا ببعض القصائد الفصحى التي تخرج عن دائرته ، فما هو هذا الزجل ؟ وبأية لغة يصاغ؟ وما هي اوزانه ، وما هو تاريخه ؟

الزجل لغة هو " اللعب والجلبة ورفع الصوت ، وخص به التطريب . وانشد سيبويه :

له زَجَلٌ كأنه صوتُ حادٍ (٢) إذا طلب الوسيقةَ أو زَميرُ

وقد زَجِلَ زَجَلاً فهو زَجِلٌ وزاجِلٌ ، وربما اوقع على الغناء . قال وهو يغنّيها غناءً زاجلاً . والزجل ، رفع الصوت الطرِب . وقال : يا ليتنا كنّا حَمامَيْ زاجِلٍ . ونبت زَجِلٌ صوتت فيه الريح . قال الأعشى : كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ . والزَّجْلة صوت الناس . انشد ابن الاعرابي :

شديدةُ أزِّ الآخرين كأنهـا اذا ابتَدَّها العِلجان زَجْلةُ قافِلِ

شبه حفيف شخبها بحفيف الزَّجْلة من الناس". (٣) وقوله من الناس مطلق دون التخصيص فيه دلالة على ان رفع الصوت هذا ، الذي من خصوصيته التطريب ، اختص به الناس العوام ، وهو وإن صدر عن اللغويين والفصحاء فأنه يصدر بلغة العوام ايضا ، او اللغة الدارجة المنعتقة من قواعد الفصحى وانضباطها ، بدون ضبط مرسوم او وزن معلوم " . فان الطريقة الزجلية ، في الغالب ، يغنى بها ويجرى في نظامها على النغم ، دون الوزن . ونحن في جبل لبنان ، الى اليوم ، نقول لصاحب الزجل : " قوّال " . والقوال ، بالتشديد : المغنّي ، ومما ينظر الى هذا الرأي كلام للمحبي في "خلاصة الاثر"(٤) قال : الزجل في اللغة الصوت . وسمي زجلا لانه يلتذ به ويفهم مقاطيع اوزانه ولزوم قوافيه حتى يُغنّى ويصوّت (٥)

هذه الصفات جميعها تنطبق على الشعر العامي لبساطته ، وسرعة انتشاره بين جميع الناس ، وتحريكه لمشاعرهم ، لشدة قربه من افهامهم ، وتعبيره عن احوالهم اليومية فيطرب له ، بخلاف الشعر الفصيح الذي هو شعر الخاصة الذين يتقنون اللغة بكل

---

(١) قال الشاعر سعيد عقل في مقابلة اجريتها معه يوم الثلاثاء في ٣١/ ١٠/ ١٩٧٢ " ان الاغنية الفيروزية تصاغ في الشعر اللبناني ، وهو غير الزجل ، كلاهما في اللغة اللبنانية ، الا ان الزجل شعر منبري للارتجال ، او ظاهريته الارتجال " .

(٢) الحداء طريقة من الطرائق التي احتواها الزجل .

(٣) لسان العرب .

(٤) (١ : ١٠٨) . (٥) مغنى رشيد نخله ، صفحه : ٣٢ .

../.

أبعادها • وهكذا نجد ان لفظة زجل تعني الطرب ولعل هذا الذي دفع بعض الدارسين الى القول " بوجود صلة بين طروبادور وطرب على اعتبار أن الاولى مشتقة من الثانية (١) •

ويبدو ان الاعتناء بتدوين تاريخ مفصل عن الشعر العامي لم تلق رواجا عند العلماء، اذ لم يكن يُلتفت اليه كفن قائم بذاته، فانصرف العلماء والمفكرون والمؤرخون الى العلوم والفنون الاخرى فاستقطبت كل نشاطاتهم (٢) •

وقد اختلفت الآراء حول من اخترع الزجل • فمنهم من قال إن أول من اخترعه رجل اسمه راشد • وقيل ابو بكر قزمان المنرساني (٣) الا انهم يتفقون على ان من " أحكمه وأقام عماده ابو بكر بن قزمان الأندلسي القرطبي المتوفي سنة ٥٥٥ " (٤) •

والزجل من بين الفنون السبعة التي ذكرها الأبشيهي في مستطرفه (٥) وهي " الشعر القريض والموشح والدوبيت، والزجل، والمواليات، والكان وكان، والقوما، ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف • وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا ولا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت، ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقُوما ومنها واحد هو البرزخ بينهما يحتمل الأعراب واللحن وهو المواليا، وقيل لا يكون البيت منه بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة فأن هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الأعراب• وقد أوضح قاعدة الجمع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه : بالعاطل الحالي والمرخص الغالي " •

وفي خلاصة الآثر للمحبّي (٦) ان الزجل " خمسة أقسام : ما تضمن الغزل والزهر والخمر وحكاية الحال ويختص بالزجل، وما تضمن الهزل والخلاعة ويقال له بليق، وما تضمن الهجو والنكت ويقال له حماق وما بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة فأسمه مزيلج، وما تضمن الحكم والمواعظ فاسمه المكفّر بكسر الفاء المشددة • والأول اصعب هذه الخمسة " (٧) •

---

(١) أنظر قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس، ج ٢، ص ١٩٥ •

(٢) أنظر في ذلك معنّى رشيد نخله، ص ١٦ و ١٨ •

(٣) خلاصة الأثر (١ : ١٠٨)، وانظر معنّى رشيد نخله، ص ٢٠ — ٢١

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة، راجعها وعلّق عليها : شوقي ضيف، طبعة دار الهلال، ج ٣، ص ١٣ •

(٥) الجزء الثاني / ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، ص ٢٠٦/

(٦) (١ : ١٠٨) •

(٧) معنّى رشيد نخله، ص ٣٢ •

٠٠/٠

ويخبرنا ابوعلي البستي في نفح الطيب (١) ان "أول زجل عمل في الدنيا هو :

"باللـه يا طير مدلّـل   مُرّ بي وسْط القِفار
إيـاك تجـدّ د العـاده   ترمي حجيره في داري (٢)

وهناك من يحدّد عهد النظم بالعامية ويضع له اسبابا ومبررات فيقول " ويرتقي عهد النظم العامي الى صدر النصرانية، نشأ نشأة الآداب بفضل اساتذة البيعتّين الذين تولوا رئاسة العلوم في كليتي "الرها ونصيبين ". وقد انشأوا منظوماتهم وموشحاتهم ليترنم بها في الطقوس البيعيّة . ذلك ان رؤساء الدين لما شاهدوا في الشعب الميل الى الغناء والانصباب على اللهو والاندفاع أثارت في نفوسهم النخوة والحماسة لمكافحة تلك الأغاني الشعبية الخلاعية . فقام كل من السادة : غريغوريوس النّزينزي اليوناني وافرام الرّهاوي السرياني وطفقا يجهدان خاطريهما في انشاء المنظومات التقوية والموشحات البليغة التي حاكت الموشحات الأندلسية، فأصابا في ذلك الخليبة " (٣) .

أما فيما يتعلق بتاريخ هذا الفن العامي إجمالا، فأنه يبقى في حدود الترجيحات والمظنونات لما في آراء الذين كتبوا عنه من تباين، ولكن مهما يكن من غمّاء في هذا التاريخ "فالذي لا ظل عليه للريب ان هذه الطريقة العامية ترجع الى اصل بعيد في القدم، وانه لم يجعل لها اسم الزجل، ولا عرفت به الأقطار، ولا وسع مجالها للفنون والبلاغات، ولا صح بعزّها في مغرب ومشرق، الا منذ القرن الثالث للهجرة، وأن الأندلس، لذلك العهد، كانت بساطها وسامرها، وان فنون الشعر الجارية على السنة عامة الحضريين، في جميع البلاد التي غلب فيها اللسان العربي، تنزع الى عرقها " (٤) .

هذا فيما يتعلق بالزجل عامة، اما فيما يختص به في لبنان، فأنه لا يعدو كونه نمطا من هذه الأنماط الزجلية القديمة، الا انه بلغ شأوا بعيدا جدا من التطور، رقّت فيه الفاظه، وارتقت معانيه، ونمت بلاغته واعذوذبت موسيقاه، وكل ما عند القوم من تاريخه الغابر ان زمانا طويلا امتد به على السكون وافتقار المادة، قبل أن ينتهي إلى هذه الأيام المتأخرة ثم انه

---

(١) (٣ : ١٢٥ من طبعة الأزهرية) .
(٢) معنّى رشيد نخله ، ص ٢٤ .
(٣) الزجل تاريخه، ادبه، اعلامه، قديما وحديثا، منير وهيبة، ص ٣١، المطبعة البولسية ١٩٥٢ ـ حريصا لبنان .
(٤) معنّى رشيد نخله، امين نخله، ص ٣١ ـ ٣٢، الطبعة الاولى ١٩٤٥ .

خدمته السليقة، ومدّه الاطلاع ومحّصه النقد ، فتدفق في مختلف المعاني ، وما زال يترقّى شيئا فشيئا . قال الأب شيخو في "شعراء النصرانية بعد الاسلام " (١) "وكأن فن الزجليات أخذ ينتشر في أنحاء الشام في القرن السابع عشر على أمثال ابن القلاعي وعيسى المزار وميخائيل حاتم، ففي مكتبتنا الشرقية نحو عشرة مجاميع من ضروب الزجليات المختلفة الأوزان والأدوار وأغلبها من القرن السابع عشر" (٢) .

" وكان يقال للزجل في لبنان، وذلك من اقدم عهود اللبنانيين بتعاطيه، حتى بضع سنين من يومنا هذا : المعنّى . وكان يقال له أيضا القول، ويقال لصاحبه القوال " (٣) .
وقال رشيد نخله — في هذا الصدد — في مذكراته الأدبية الخطية "والذي عندنا، في مسألة تسميته بالمعنّى، أن زجلنا القديم كان وقفا على الغزل وحكايات احوال العشق، وما هو في سبيل منه . فسمي يومئذ معنّى . — والمعنّى هو ايضا المتعب المضني — لذلك . وكأنما سمّوا صاحبه قوّالا للاعتماد في نظم المعنّى على النغم، دون الوزن، وللتفنّي في ارتجاله . والقوّال ايضا المُغنّي . ثم اشتقوا من اسم صاحب الصناعة اسما لصناعته، فقالوا : القول، حين يكون الأمر هكذا، لا يكون قولهم "قوّال معنّى، بعيدا، اى مغنّي رقائق العشق والضنى . ولقد سألنا أولادنا الزجالون، في هذه الأيام، بعد ان جمع الزجل بين الغزل وسائر المواضيع كيف الأشبه بتسمية هذا الفن، فرأينا أن لا بأس باسم الزجل — اي ان بضاعته قد ردت اليه " (٤) .

" ولعل اقدم ما انتهى الينا من انواع الزجل اللبناني زجلية نظمها ابن القلاعي في وصف حوادث لبنانية تاريخية، جرت في القول الراجع بين السنة ١٠٥٧ والسنة ١٤٥٠ للميلاد ، وعنوانها "مديحة على جبل لبنان بلحن افرامي "وهي من النوع الزجلي الذى قلّد فيه قدماء الموارنة، بعض صلوات لهم، يأتون فيها بسير جماعة من القديسين، اناشيد سريانية، معروفة "بالافراميات "نسبة الى مار افرام السرياني " (٥) . ويقول رشيد نخله "ان اقدم ما جاءنا عن الزجّالين في لبنان، مما هو من عروض المعنّى الجارية، اليوم ، هذه القطعة الآتية، وهي لزجّال ، من جنوب لبنان، مجهول الاسم، قال :

صِحْت الوَحي مِنْ صاحْبي يِهْل الوَحي تاجَرْتْ معو مِتْل ما تاجر جِحي
بِينِضْ قلبك كنت قطّاب مستْريح "وضْفصاف قلبك كان تاكي وْمِسْتِحي (٦)

---

(١) (٤ : ٤٤٩) .
(٢) (معنّى رشيد نخله، ص ٣٧، ٣٨)
(٣) نفسه، ص ٣٩ .
(٤) معنّى رشيد نخله، ص ٣٩ .
(٥) نفسه، ص ٤٠ .
(٦) نفسه، ص ٤٤ .

" وللشعر العامي أوزان بعضها يشبه اوزان الشعر الفصيح ، وبعضها لا مثيل له في الأوزان المعروفة في هذا الشعر. والذي نراه ان الأوزان العامية التي ليس لها مماثل في الأوزان العربية الفصحى ، مأخوذة في الغالب عن اوزان الشعر السرياني " (١) .
واول من تعرّض " لضبط قواعد النظم العامي : انطون الراهب التكريتي المونوفيزيتي المعروف بأنطون البليغ الذي صنّف كتابا في الفصاحة والخطابة ينطوي على خمس مقالات ، أفرز المقالة في الخامسة منه للنظم . ومن ذلك الحين اي في عهد أنطون التكريتي (+ ٨٢٠ م) دخلت القافية في النظم العامي الذي كان يجهلها قبل ذاك ولما جاء جيل المولدين بعد التكريتي التزموها في دواوينهم في بيتين بيتين او في اربعة اربعة او في القصيدة برمتها (٢) .

اما أوزان الشعر العامي المتوازية الدعائم هي : الأسواني ، المتساوي ، المتوسطة المتقارب ، المزدوج ، المتفاوت ، المتناهي ، السريع البسيط اليعقوبي ، الوفائي ، المتوازي ، والكامل " اما اوزان أبحر النظم المختلف فتدعى " المداريش " وما يتفرع منها ، وهي لا ضابط لها وهي كثيرة جدا وقد خصصها مؤلفوها للترانيم البيعية . ومعناها جدل في ثوب شعري ويتكوّن المدراش من عدة ابيات تتساوى في عدد مقاطعها احيانا وتختلف في عدد المقاطع في احيان اخرى " (٣) .

" واول من اخترع المعنّى ومشتقاته هم السريان من سكان لبنان الأقدمين . واوزان المعنّى جميعها مشتقة من الأناشيد والميامر والمداريش والقصائد السريانية ، التي لا تختلف بالأساس عن اوزان الأزجال اللبنانية . ثم ان كلمة معنّى مأخوذة من اللفظة السريانية (معنيشو) اي " اغنية " ولفظة " معنّى " هي اسم مفعول من الفعل السرياني " غنّى " فيكون معناها " المغنّى " والمغنّى للانشاد والتنغيم " (٤) .
" والزجل اللبناني ، اي المعنّى ، انواع عديدة نذكر منها :
" المعنّى العادي " :

وطريقة هذا النوع من المعنّى " هي ان تكون القافية في صدر وعجز البيت الاول وعجز البيت الثاني واحدة في " المطلع " وان يرجع اليها بعد نهاية كل دور الذي يتألف عادة من بيتين . ووزنه من البحر اليعقوبي حيث يتألف البيت من ٢٤ حركة وتتألف كل من دعامتيه من ١٢ حركة " (٥) . ومثاله في الاغنية الفيروزية :

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .
(٢) الزجل ، تاريخه ، ادبه ، أعلامه ، ص ٣١ — ٣٢ .
(٣) نفسه ، ص ٤١ .
(٤) نفسه ، ص ٦٣ .
(٥) الزجل ، تاريخه ، ص ٦٤ .

٠٠٠/٠

تِبقى بَلدْنا بالغَمام مْسَيَّجِـي ويضحك عَمَا لُواتْ غَيم مْنفَسّجي
ولمّا على بْنيّاتِها يهبّ الهوا يصير الهَوا عا بْوابن يْروح ويجي

وتقاسيمه كما يلـي :

تب	قى	ب	لدْ	نا	بال	غ	ما	م	سيَّ	يَ	جي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
ويض	حك	ع	مل	فلْ	وا	تِ	غَي	مِ	مبْ	نَفْ	سَ جي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢

المعنّى الموشح :

"يقال ان اول من ادخل "الموشح" الى لبنان الشاعر اميل صيدح الشامي وأخذ عنه الشعراء الذين عاصروه. وهذا النوع من المعنّى يتألف البيت منه من وزنين، الشطر الاول يأتي من البحر المزدوج الذي تتألف دعامة الشطر منه من سبع حركات، والشطر الثاني يأتي من البحر المتساوي الذي تتألف دعامة الشطر منه من اربع حركات، وعلى ذلك يكون البيت من ١١ حركة ٧ في الشطر الاول و ٤ في الشطر الثاني وطريقته ان تكون قافيتا الصدور في البيتين الاول والثاني واحدة وقافيتا الأعجاز منها واحدة" (١) ومثاله من الأغنية الفيروزية هو التالي :

المطلع : دار الدّوري عالدّاير يا ست الدّار
حامل هالقصة ودايـر داير منْ دار

طاير من فوق شْمَيلي رفْ حْساسين
يرفرفْ مِنْ ميلي لميلي ينقّوذ ياسمين
الدور : طلّ الليل، ويا ويلي شاف الحِلوين
صار الليل بْها الليالي يعشق ويغار

وتأتي الأدوار بعد ذلك، وكل منها يتألف من اربع ابيات صدورها على قافية وأعجازها على أخرى، الاّ عجز البيت الرابع والأخير الذي تعود قافيته الى القافية العامة في المطلع، كما هي الحال هنا. وتأتي تقاسيم السطر الاول من المطلع على الشكل التالي :

دا	رد	دو	ري	عد	دا	ير	يا	ست	تد	دار
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	١	٢	٣	٤

ومن الواضح ان الشطر الاول جاء من البحر المزدوج وفيه سبع حركات والثاني من البحر المتساوي وفيه اربع حركات وهو نظام هذا النوع من المعنّى.

---

(١) الزجل، تاريخه، ص ٦٥. وانظر كذلك معنّى رشيد نخله.

المعنّى المخـــرّج (١)

وقد استحدثه رشيد نخله • وطريقته : زيادة خرجه بعد كل بيت ، تكون فيهـــا القافية جارية على القوافي الاخيرة في الأبيات • وامثاله وهو لرشيد نخله وتغنيه فيروز :

أهلاً وَسهلاً فيك يا رنيق الهوى   هالقلب بيناديك من بعد النّوى
أهـــلا وسهـــلا فيـــك   (الخرجه)
هالريـــح والجنّـــات   ملعـــب لأحـــلامـــك
يا طيـــب إيّامـــك   (الخرجه) (٢)

وقد جاءت هذه الأبيات في الاغنية بعد اربع ابيات تختلف عن هذه فنيا اذ انها جاءت على المعنّى المذيل المقلوب وكل بيتين منها يشكلان مطلعا لقصيدة تختلف في موضوعها عن الأخرى • فالبيتان الأولان هما مطلع قصيدة عنوانها " مطلع القلب " (٣) هما :

ودّع وارمي القلب بَعْد آنْ ودّعو   وتْلّي اصطفل قلبك رجع لا موضعو
قرّبت من قلبي رجفل منّي وَنَفَر   وتْلّي معك ما برّن ن يرجع معو

لكن البيتين الآخرين هما مطلع قصيدة قالها رشيد نخله لما كان ابنه امين في المستشفى وعنوانها "أمين في المستشفى " (٤) والبيتان هما :

لا معي روحي ولا بقيت معك   طارت ورقتها حواشي مضجعك
وكلْ شي في بالكون آهات وجروح   كانوا بقلبي واسألك شو بيوجعك

كل ذلك جُمع في اغنية غزليّة واحـــدة •

ومن فنون الزجل الاخرى " القرّادي " وقد اختلف في اشتقاق تسميتها ، فقـــال احدهم : ان اصلها من ، قرض الشعر فقلبت الضاد دالا فصارت قرد ، ومنه جاء اســـم " القرّادي " (٥) •

---

(١) راجع معنّى رشيد نخله •

(٢) لم اجد هذه الأبيات في معنّى رشيد نخله الذي جمعه ابنه أمين •

(٣) معنّى رشيد نخله، ص ٢١٠

(٤) نفسه، ص ٢٧٦

(٥) انظر معنّى رشيد نخله، ص ٥٢

وهناك من يرجّح التسمية الى أصول لغوية سامية فيقول : ان كلمة قرّادي من جذر سامي مشترك وارد بالعبرية والآرامية والآشورية والعربية . الجذر هو رقد مع قلب ومعناه رقص . وان كلمات قرد ورقد ورقص كلها من عائلة واحدة . الرقد ان في العربية نوع من الرقص . والقرّادي في لبنان يتبعه رقص الدبكة (١) .

. " والقرّادي فنون منها ما اهمل النظم فيه كالقالب ، وكرج الحجل ، ومشي الستة والمطبق ، والشلوقي ، والكتاري ، والمسجع ، ودقّ المطرقة ، والمربع ، والمجوز ، والشوفاني نسبة الى جبل الشوف ، والشوفاني القديم ، ونقلة العروس ، والمربوط . وقد انقطع النظم بهذه الفنون لما ينبغي لها من كدّ الخاطر على حساب ، هي اشبه ما تكون بالتفويف والتسميط والتشريع ، وبقّ الأرقط المؤسس والموصل والمقطوع والملغز في الشعر ، مما ليس وراءه شيء " . ومن امثلة ما تكلف تلك الأفانين الزجلية من الخطة الشديدة هذا المقطع من المربوط وهو لزجال قديم ، مجهول الاسم :

شمشة العمّال تلـــوح   قلبي من تَحْتها مَشْلُوح

مَشْلُوح قلبي من تَحْتها   مَشْلُوح من تَحْتَا قَلْبي

من تَحْتا قلبي مشلوح (٢)

وقد اخذ الرحبانيان هذا المقطع وجعلاه مطلعا لأغنية فيروزية سارت كلها على هذا النمط مع اختصار اخرجه منه وتغيير بعض كلماته فصار على الشكل التالي :

شمشي اللّي عَمْ يِتْلُوح   قلبي من تحتا مشلوح

مشلوح قلبي من تحتا   من تَحْتا قَلْبي مَشْلُوح (٣)

ومن فنون القرّادي التي ما زال ينظم فيها الى اليوم :

<u>القرّادي العادي :</u>

واوزانه من البحر المزدوج ، وتتألف دعامته من ١٤ حركة موزعة مناصفة بين شطري البيت . ومثاله في الاغنية الفيروزية قائم في سهرة الحب . وهناك القرّادي المهمل الذي لا نقاط له والقرّادي المقطع ، والقرّادي المخمّس المردود . وهذه الفنون الثلاثة تأتي على البحر المزدوج ولا تغنّي منها فيروز ، وكذلك هو الحال في القرّادي الموشح ، الا انها تغنّي في القرّادي المردود الذي تأتي اوزانه على البحر المزدوج وطريقته ان يكون صدر وعجزي البيت الاول والثاني من المطلع على قافية واحدة وصدر البيت الثاني قافيته حرة . اما الدور فتكون جميع صدوره على قافية واحدة ، واعجازه على قافية واحدة الا عجز البيت الأخير فإن قافيته تعود الى قافية المطلع .

---

(١) الزجل ، تاريخه ، ص ٧٢

(٢) معنّى رشيد نخله ، ص ٥٣ — ٥٤

(٣) شمشي اللّي عم بتلوح ، رقم : ١١٠

../..

وقد جاء في الأغنية الفيروزية مختصرا ، أي ان الدور عوضا من ان يأتي اربع ابيات كما هي العادة جاء على بيتين فقط على النحو التالي :

المطلع : وَردةْ عِين الرّمانة ما شالله شو حِلْيانِة
لونا الزّهر مبكّي النّهر من القهر ومش دِريانِي

الدور : قلّي في حِلوي بْها الفَيّ كتبتلا إسما عالمَيّ
سْتّا الجيري وستّا الحَيّ ولونا شو بيسمّانِي

وتغنّي كذلك شكلا من اشكال القرّادي المخمس المقلوب ونظامه كنظام القرّادي المرصود من ناحية الوزن والترتيب الا انه يشترط في كل دور ان يعود الشطر الثاني من البيت الى صدر البيت الذي يليه مع قلب الكلمات والاحتفاظ بملحقاتها في المعنى واللفظ ومن امثلته التي تغنّيها فيروز هذا النمط :

المطلع : بَاب البوّابة بْبابين قفوله ومفاتيح جداد
وعالبوّابة في عْديَن الليل وعَشَر بين شداد

الدور : حِلوِه وشبّاكين ودار العاشق غط العاشق طار
نَحِمه ونار وعوّادين عوّادين ونحمه ونار
ونار ونَحِمِه وعوّاد (١)

وقد جاء المطلع هنا على نظام القرّادي العادي ، ولا بأس في ذلك ، فالرحبانيان مجدّدان متحرّران من الالتزام بالأصولية القديمة ، منعتقان من كل ما يقيد حركتهما الفنية المتجددة ، العاملة دوما في حركية ابداعية منطلقة متطلعة الى استقطار الفرحة من الفن ، واشرابها للاذواق ، موشحة بحلاوة تنزع اليها الأذواق . كل ذلك ضمن اطار هذه اللغة اللبنانية العامية ، التي تعيش في حياة الناس اليومية ، وتواكب افراحهم واحزانهم ، جدهم ولعبهم ، بها ينادون عقولهم ، وبها يناجون عواطفهم ، يزرعونها مع كل فرسة ، ويحصدونها مع كل سنبلة ، انها الكلمة التي يرتلون بها مواسمهم ، والكلمة التي يندبون بها آمالهم ، وكذلك هي الحالة في لغات الارض كلها ، حيث تتعايش معا لغتان : فصحى وعامية ، يتعايشان بسلام منذ تاريخ ولادتهما ، انهما توأمان

---

(١) من (قصيدة حب) .

سبق احدهما الآخر الى الوجود ، ولكن هذا لا يفصم عرى الأخوة التي تربط بينهما ، ورغم هذا نجد في ادبائنا من يصدون عن العامية ويشهر عليها حربا عوانا ، متوصلا محبيها ، والمؤلفين فيها • وبالمقابل تقوم نخبة من الأدباء بالدعوة الى احترام العامية واعطائها حقها من الدراسة والاهتمام • فالأب لويس شيخو (١) يقول :

" يأنف اغلب الكتبة من استعمال اللغة العامية لنشر افكارهم وترويج مقاصدهم، على ان لهجة العوام في بعض الأحيان اقرب الى نوال المرغوب، واقوى فعلا في القلوب ، فان الأدباء يجدون فيها تفكهة الأرواح ، اما الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وامثاله المعتادة فتؤثر فيه اقوال الكاتب ومضامين تحريراته " (٢)•

ومن الأدباء ايضا من يحترم الزجل ويعشقه ويسكر بسحر بيانه وكأنه ينصت لشعر الحطيئة او لبيد أو حبيب بن أوس • وقد ارسل بعض ادباء ومفكري لبنان الى الاستاذ منير وهيبه صاحب كتاب الزجل وتاريخه (٣) آراءهم في الزجل فقال الأديب ميخائيل نعيمه : " ••• فمن الطبيعي ان يكون الشعر المنظوم بلغة المخاطبة احب الى قلبه (أي الشعب) وافعل في روحه من ذلك المنظوم بلغة سيبويه وطبقاتها لعروض الخليل ••• "

" وكتب المرحوم جبران خليل جبران " ان في الموالي والزجل والعتابا من الكتابات المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة المستبدلة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة لبانت كباقة من الرياحين بقرب رابية من الحطب• او كسرب من الصبايا الراقصات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة •ابناء لبناني هم الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنّى والزجل "•

بعد هذا القول ، ترى ، ما الذي كان يقوله جبران لو سمع فيروز تغنّي هذه الفنون الزجلية كلها ؟ هذا الى جانب كون جبران من بين الادباء الذين كتبوا في الزجل ، ومما قاله :

وإطلع لراس الجبل واشرف على الوادي ... وقول يا مرحبا نسم هوا بلادي
يا الله يطوف النهر ويشرق الوادي ... لاعمل زنودي جسر وبقطعك ليا

---

(١) في مجلة المشرق ، ص ١٦٢ ، سنة ١٩٢٥
(٢) الزجل ، تاريخه ، ص ٨٧
(٣) من صفحة ٨٨ الى صفحة ٩٠

ومن أدباء الفصحى ايضا الذين كتبوا في العامية امين الريحاني والشيخين ناصيف وخليل اليازجي ، ورشيد بك نخله الذي بويع بامارة الزجل سنة ١٩٣٣ ، وهو بحق أمير الزجل وإمامه ، فان كان ابن قزمان (المتوفى سنة ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م) قد أبان اصول الزجل وصفّاه من العقد فأن رشيد بك نخله طوّره ، ورقّق حواشيه ، والبسه وشيا مطرزا من الأسلوب الموشّح بخيال واسع خصيب ، واخترع فيه فنونا وطرائف لم تكن معروفة قبله كالمثنّى المخرّج ، والردف المطوّل ، والمذيّل المقلوب ، والمقصّد (١) وغيرها ، وهو ، بعد ذلك كله ، واضع النشيد الوطني اللبناني في سنة ١٩٢٦ ومن شعره الغزلي الرقيق هذان البيتان (٢) :

علّمتها تقلّي حبيبي بلفظها   تحجّبتْ لمّا تردّدتْ في جفنها
قالت : "البايْن لفْتَه وَاشْده   بْخاف يجْرح نعومة شفافي لفظها

وكذلك بولس سلامة الذي له ديوان زجلي سمّاه " زاوية من لبنان " منه هذه الابيات :

رِغيتْ عشر سْنين عن لبنان   وعالبال عشّت ارض أجدادي
وكنت بعُمر دوم بالفنجان   لا شوف بلكي بعُود لبلادي
مبارح قصدت الكرم صرلي زمان   محروم أكل التين سوّادي

الى أن يقول :

بكّير غادي والفجر نعسان   والضباب معابق السوادي
والصبح عم يفتّح الأغصان   وبو الحن للحسون بينادي

وكما مرّ الشعر الفصيح بعصور مختلفة ، كذلك مرّ أخوه العامي فهناك عصره الجاهلي الذي تكونت بذوره في حدود سنة ١٠٠٠ م وامتد حتى سنة ١٣٠٠ م وهناك عصر الاكليروس الذي امتدّ من سنة ١٣٠٠ حتى ١٨٠٠ م وعصر الابتداء من سنة ١٨٠٠ حتى ١٩٠٠ م وعصر النهضة من سنة ١٩٠٠ حتى ايامنا هذه . وما زال الزجل يرتقي ويشف فيبلغ ، في معظم الاحيان ، مرتبة راقية من الرهافة والبلاغة وحسن البيان .

هذا عن الزجل ، فماذا عن الموشح الذي ربي مع الزجل في مهد واحد (١) وضمن نطاق حضارة واحدة وظروف واحدة ؟

---

(١) راجع هذه الافانين في مثنّى رشيد نخله ، ص ٤٥ وما بعدها .
(٢) نفسه ، ص ١٢٧
(٣) انظر نكلسن في تاريخ الأدب العربي ، ص ٤٥ وبروكلمان ١ : ٤٥٠

المبحث السادس

الموشح

(١)

لندخل الموشح من بابه اللغوي • فماذا تعني الكلمة لغة ؟ جاء في اللسان أن " الوشاح ينسج من أديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها " ومن هذا المعنى تحدر الموشح الذي ينسج على أنماط شعرية تختلف في اشكالها عن انماط الشعر العربي المعروف ، ويرصع بمطلع واقفال تلحق بالأغصان ، وأدوار تزين بالأسماط ، وكأن شعراء الأندلس حيث ولد الموشح أحبوا هذا الوشاح المطرز المتأنق على المرأة فاستحدثوا هذا اللون من الشعر وسموه موشحا ، وتناولوا المرأة في معاييه عند بدايات عهدهم ، وكما يدل وشاح المرأة على أناقة مترفة ، وحضارة متألقة ، كذلك يدل فن التوشيح بالنسبة للشعر ، فالبيئة لم تعد جاهلية صحراوية معقدة قاسية ، وانما هي بيئة معارف وحضارات ، وشفافية عيش وجنات ، وطبيعة موشاة بالأزاهير ، رافلة بالخيرات ، فجاء الموشح ايضا طوعا كهذه الطبيعة يطول ويقصر ، يمتد وينحسر، يكثف ويقل ، يتحرر ويتقيد حسب الملاءمة ومقتضى الحال ، فالموشح ، لذلك ، هو مظهر من مظاهر الأناقة الشعرية في بلاد الاندلس (١) •

وقد اختلفوا على اسم مخترع الموشح (٢) كما اختلفوا على حقيقته واصبح المتحدثون عنه يضعون له التعاريف المتنوعة • فابن سناء الملك يقول بأنه " كلام منظوم على وزن مخصوص " وذهب محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية الى القول بأنه " قصيدة منظومة للغناء " وهذه التعاريف وامثالها تنطبق على أي نوع من الشعر فصيحه وعاميه ، فالشعر العربي برمته يُنشد ويُغنّى لما في أوزانه من اتساق وانضباط عجيبين ، وللأخذ الأغاني الفيروزية كلها أوليست " كلاما منظوما على وزن مخصوص ؟ وهل تختلف عن كونها " قصائد منظومة للغناء ؟ " مع انه لا الشعر العربي يرتكز على الاسس والمفاهيم التي اخرج على نظامها فن التوشيح ، ولا الأغنية الفيروزية هي كذلك ، رغم امكانية انطباق هذه التعاريف عليها (٤) •

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربي ، ص: ٥٨٣ : ٥٨٤ •

(٢) راجع ما قاله ابن خلدون في المرجع السابق ص : ٥٨٣ وما جاء في الذخيرة لابن بسام •

(٣) دار الطراز تحقيق جودة الركابي ص : ٣٥ •

(٤) انظر في تعريف الموشح فن التوشيح للدكتور مصطفى عوض الكريم ص : ١٧ •

••/•

وهنا تبرز نقطة اختلاف أخرى هي لغة الموشح أصلاً أفصيحة هي أم عاميــــة ؟ الذي يفهم من كلام ابن خلدون ان الموشح انحدر من الشعر الفصيح لما " تهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية " وابن بسام يقول بأن مخترعها كان " يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " ومنهم من يذهب الى ان الموشح زجل ارتقت لغته الى مرتبه الفصحى ولكنه لم يخلُ من الالفاظ العاميـــــة، فنكلسن يقول " ان نظام العامة المعروف بالزجل كان شائعا في الاندلس قبل ظهور الموشحات ومنه اخذ الشعراء لنظم موشحاتهم " (١) ومنهم من يجعله قسمين : فصيح لا سبيل للّحن فيه ، وعامي لا يجوز فيه الإعراب •

والزجل فيه المحكّى الموشح والقصيد الموشّح وهو يختلف عن نظام الموشحات الاندلسية • وانه ليخيل إليّ بأن الموشح صيغ بلغة فصيحة متحررا من قافية الشعر الفصيح الملزمة عادة ومن الأوزان الخليليّة المقيّدة غالبا ، ثم تخلله اللحن بعد ذلك تحت تأثير الظروف الغنائية التي شاعت شيوعا كبيرا في الاندلس فاقترن الموشح بالموسيقى والغناء " واتصل ذلك كله ، بالشعب واعياده ، بل يظهر انه اتصل بحياته دائما في عيد وغير عيد (٢) هذا الاتحاد الوشّحي بالحياة الشعبية الغنائية فتح البــاب امام الكلمات العامية ، فدخلت نظام الموشح واصبحت تشكل وحدة من وحداته ، وقــد ساعد في ذلك ايضا ان موضوع الموشح الرئيسي في البدء كان الغزل ، فبدأ وكأنه ولد حاضنا بين يديه غادة مشغولة بتنميق ادواره واغصانه ، ثم اتسع ورافق الناس في مجالس لهوهم حيث تصدح الموسيقى من بين انامل القيان ، ويقف الساقي متأهبا وسط مجموعات الندمان ، الى ان تعددت اغراضه ، وتنوعت مضامينه • " واذا كانت اغراض الموشحة قد تعددت الا ان الغزل والحب ومجالس الطرب والسمر والشراب ووصف الطبيعـة كانت الموضوعات الرئيسية للتوشيح لتناسبها مع فن الغناء ، ولهذا السبب اقترن فن الموشحات بالالحان والغناء ، ثم تجاوزت الموشحة هذه الأغراض إلى الدين والتصوف"(٣) •

وقد تغزل الشعراء بالموشحات والأزجال على حد سواء لشدة ما افتتنوا بها ، ومن ذلك قول " ابو عبدالله محمد الأزرق الأندلسي في مدح موشحة ذهابا الـى القصيـــدة :

بعثتْ بها عذراء رائعة الحلى	قضت انها للمعلمات مرشّحـــة
توشّحت اللفظ البديع وأقبلت	مثاني تبْدو للعيون (موشّحــة)

---

(١) الزجل ، تاريخه ، ص: ٥١ •

(٢) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي • د • شوقي ضيف ، الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر ، ص: ٤٥١ • وانظر نفح الطيب ج ٢ ص : ٨٥٢ وما بعدها •

(٣) قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس د • السيد عبد العزيز سالم ج ٢ ص: ١٨٧، وانظر الحجي في : تاريخ الموسيقى الأندلسية ص : ٥٩ •

••/•

وقال القيراطي موجها بالزجل والموشح ذهابا الى الشعر :

أُرتاحُ لأقمار وهي طَوالِعٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وشموسُ راحي للمغارب تجنح
ويهزني (زجلُ) الطيور بلحنها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ والروض بالزهر النّدِيم (مُوشّحُ) "(١)

وللموشح في نظمه طرائق عديدة متنوعة وملونة ، كروضة من الرياض جمع فيها الربيع كل الوان وانواع الزهور واجناسها ، وعلى هذا الطراز جاءت اوزانه حتى اصبح من العسير ضبطها وتقليدها في شكل نهائي محدد ، الا ان المشتغلين بالموشح قسموه الى قسمين كما فعل ابن سناء الملك فقال : " الموشحات تنقسم قسمين : الأول ما جاء على اوزان أشعار العرب والثاني ما لا وزن له فيها ولا المام له بها . والذي على اوزان الاشعار ينقسم قسمين : احدهما ما لا يتخلل اقفاله وابياته كلمة تخرج به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري ، وما كان من الموشحات على هذا النسيج فهو المرذول المخذول وهو بالمخمسات اشبه منه بالموشحات ولا يفعله الا الضعفاء من الشعراء ... والقسم الآخر ما تخللت اقفاله وابياته كلمة او حركة ملتزمة تخرجه عن ان يكون شعرا صرفا وقريضا محضا . والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب وهذا القسم منها هو الكثير ، والجم الغفير ، والعدد الذي لا ينحصر ، والشارد الذي لا ينضبط . وكنت اردت ان اقيم لها عروضا يكون دفترا لحسابها ، وميزانا لاوتادها واسبابها ، فعزّ ذلك واعوز ، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف وما لها عروض الا التلحين ، ولا ضرب الا الضرب ، ولا اوتاد الا الملاوي (٢) ولا اسباب الا الاوتار ، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور ، والسالم من المزحوف . واكثرها مبني على تأليف الأرغن ، والغناء بها على غير الارغن مستعار وعلى سواه مجاز . " (٣) ومن جهة الإيقاع قسموا الموشح كذلك الى قسمين : " القسم الاول ما سار الناظم فيه على ميزان واحد فجعل مشوحته اسماطا واغصانا اكثر ما تكون من المثنيات . والقسم الثاني هو ما سار الناظم فيه على موازين متنوعة يؤلفها حسب ذوقه من شطور متساوية او غير متساوية ، ولا رائد له سوى تناسق القوافي المتعددة ، وائتلاف الرنات ، فتجيء القطعة كقالب من الايقاع المتنوع الأجزاء ، فاذا شاء الناظم ان يطيل موشحته ، كرر ذلك القالب من جهة الوزن وتفنن من جهة القوافي ، مع التزام قافية

---

(١) الزجل تاريخه ، ص : ٤٧ ــ ٤٨ ، وانظر مجلة الرسالة سنة ١٩٣٧ ص: ١١٠٣ وكتاب مخطوط للعلامة عيسى اسكندر المعلوف في خزانته الخاصة .

(٢) الملاوي : المفاتيح تشد بها الأوتاد .

(٣) دار الطراز ص : ٣٣ ــ ٣٥ .

واحدة لاحد الشطور. " (١) ومنهم من جعل التوشيح على اربعة انواع : النوع الاول ، ان يقسم الشاعر قصيدته الى أدوار كل دور منها بيتان . النوع الثاني مقسم الى ادوار يكون الدور الاول من بيتين والادوار الباقية من خمسةابيات . النوع الثالث هو ان يبدأ الشاعر ببيت واحد وتأتي بعده الأدوار من ثلاثة ابيات . والنوع الرابع مثله الا ان الأدوار تتألف من بيتين فقط مع اتباع نسق معين من التقفية في كل نوع من هذه الانواع . (٢) ولكن هل تقيد الاخوان رحباني بهذه الانواع جميعها ، ام ساروا على منهج خاص بهما ؟

(٢)

ان عدد الموشحات التي الفها الرحبانيان لتغنيها فيروز لا يتجاوز السبع موشحات من اصل سبعة عشر موشحة ، وما تبقى لسعيد عقل وسيد درويش وأبو بكر بن زهير ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم ممن لم تذكر أسماؤهم ، وبين هذا القليل من الموشحات التي الفها الرحبانيان يظهر خطان متلازمان من حيث الالتزام والتحرر، أي ان هذه الموشحات منها ما كان اتّباعيا ، ومنها ما بدا ابتداعيا ، فالاتباعي جاء على ذلك النمط الذي يسير الناظم فيه على اوزان غير متساوية ولا همّ له سوى ائتلاف الرنات وتعدد القوافي كموشح " شهرزاد " (٣). والنوع الابتداعي هو اتباعي في الحقيقة مع قليل من الحذف والتبديل حسب ملاءمة الذوق وتبعا لسنة التطور في النظم واللحن ، كأن لا يحتوي الموشح على جميع اجزائه الاساسية المعهودة من : مطلع ، وادوار ، واقفال ، وخرجة ، وانما يتكون كله من مجموعة مطالع يقوم الواحد منها على بيتين يأتي صدراهما على قافية وعجزاهما على اخرى كموشح " جليس الليل " الذي يبدأ بالمطلع التالي :

يا جليسَ الليل من عهد الوفا   قَد تباعدنا وكنّا الأصدقاء
حين طابَ السمرُ والعَيشُ صَفا   طلع الفجر وعدنا غُرباء (٤)

وهكذا تتكرر المطالع وتتنوع القوافي الى آخر الموشح . وعلى نظامه جاء موشح " زمان الحب " (٥) و " بلغه يا قمر " (٦) إلا أن هذا الأخير تنوعت القافية في

---

(١) فلسفة الموسيقى الشرقية في اسرار الفن العربي ، ميخائيل خليل الله ويردي ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ، ص: ٥٢٥ .

(٢) هذا التقسيم مبدئي وانواع الموشحات تجاوزت هذه الانواع بكثير .

(٣) رقم : ٣٠٤ .

(٤) يا جليس الليل ، رقم : ٣٣١ .

(٥) رقم : ٢٩٥ .

(٦) رقم : ٢٨٤ .

../..

صدور مخالفة حيناً وتوحدت حيناً آخر ، أما الاتباعية الشكلية الفعلية فلم تتوفر إلا في موشح " فاتر الالحاظ " (١) ونظام هذا النوع من الموشحات هو ان يقسم الشاعر قصيدته الى أدوار يكون الدور الأول من بيتين ، صدراهما على رويّ واحد ، وعجزاهما على رويّ قافية القصيدة غير رويّ الصدرين . أما بقية الأدوار فيكون كل منها من خمسة ابيات ، الأخيران منها كالدور الأول في التقفية والأبيات الثلاثة الباقية تأتي صدورها على رويّ وأعجازها على رويّ آخر ، وهما مخالفان رويّ قافية القصيدة (٢) ومثال هذا النوع مما تغنيه فيروز هو :

الدور الأول :

فاتر الألحاظ في الهدب وما	فصفا الحب وغنّى الوتَرُ
يا مليحَ الوجه يا عذب اللما	قُم بنا فالليل حلوٌ مُقْمِرُ

الدور الثاني :

خدلر الساحر غمزي الفتون	ومضى يحكي لنا عمّا بِه
فلمحنا عبر لفتات الجفون	حائر الوجه وشكوى حُبّه
وشدا النرجس في بوح الشجون	حاملا عطر الهوى من صوبه
ايها المائس في شجو الحمى	من تنادي والشذا ينتشر
كلما ليل الجمال ابتسما	عاودتنا من هواك الذِّكَرُ (٣)

ثم تتتالى الأدوار ، بعد ذلك ، على غرار الدور الثاني حتى نهاية الموشح .

اما موضوعات هذه الموشحات كلها ، فهي الغزل وقد سرت على الطريقة التي درجت عليها اغنيات الغزل السابقة . والغزل نزعة انسانية كبرى استأثر بالقسم الأكبر من الأغنية الفيروزية .

---

(١) رقم : ٣١٣

(٢) راجع انواع الموشح في : الزجل : تاريخه ، ص : ٥٦ وما بعدها ، وكذلك مخطوطة الاب ارمانيوس فاخوري ، ص : ٤٤ الموجودة بدار الكتب اللبنانية .

(٣) موشح فاتر الألحاظ ، رقم : ٣١٣ .

الفصـــــل الرابـــــع

النزعـــــــة الروحيّـــــــة

تمهيد

مفـــــــتــــــاح

تردّدتُ في جعل هذا الفصل أوّل فصول هذا الباب، كما تردّدتُ في جعله آخر فصوله. ومبعث تردّدي وحيرتي أصيلٌ في دراستي. لأن النزعة الروحية اولٌ ووسطٌ وآخره في الكلمة والصوت الفيروزيّين..

ففصول: الكلمة، والطبيعة، والإنسان، تفتحاتٌ من النزعة الروحية التي تشدّ سامع فيروز الى حنينٍ عُلويٍّ تيّاه كأنه "حنين النور للنور" (١).

لذلك رأيت ان ألم باقة عابقة بأطياب الكتب المقدسة من أغنيات فيروز، تنشرُ فيها عبيرَ الايمان وتعلّم دروسه بطريقتها المؤثرة. ورأيتُ أن أقدمَ باقتي فصلا رابعا بهـــــذه الصـــورة:

---

(١) من قصيدة خالقة رقم ٣٧٢:

تاهت عن العالم العالي فأرشدها الى سناه حنين النور للنور.

../..

تُشرق، في ثنايا النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية، نزعة روحية هي لا بل الانسان كذلك، ايمانا ومعرفة وخلاصا ... هذه النزعة تسكن جميع الاغنيات على تنوع موضوعاتها : فالضوء هو الخير (١) الأسمى، هو الله الذي يشرق على الكون نورا ومحبة. والوطن منبت الهياكل (٢) حيث تخشع القلوب مصلّية في لحظات انخطاف تقرب الى الله. والأم ملاك وحب أبدي (٣). والطفولة صلاة لا ترد (٤). والجيرة اماكن لولادة المحبة (٥) تذكّرنا بوصية يسوع بأن نحب بعضنا بعضا. والغزليات انجيل المحبين يشرق في ذواتهم منزعا قدسيا يرتقي بهم حتى يصلوا الى قدرة يمنحون بها المغفرة عن طريق الصلاة. إلا ان هناك اغنيات تخصصت في هذا المنزع، اتت بها الكلمة مترهبة في ثوب الايمان، مؤمنة بترهب الكلمة يسوع في قفص الجسد لاجل خلاص الانسان ... و "بأحمد المصطفى" (٦) حيث تحن القلوب وتهتدي النفوس. فما هو عدد هذه الاغنيات فصيحة وعامية ؟

بلغ مجموعها ست عشرة اغنية، عدا النصوص الكنسية، اربعة منها بالفُصحى، بينها واحدة لسعيد عقل وأُخرى لابن جبير، وقد قسمتها كلها الى ثلاثة اقسام :

١ ـ التراتيل الدينيـة

٢ ـ الأغنيات العيلاديـة

٣ ـ اغنيات الابتهال والايمـان.

فما هي سيرة كل قسم من هذه الاقسـام ؟

١ ـ التراتيـل الدينيـة :

وهي نصوص وضعتها الكنيسة خصيصا لمناسبة اسبوع الآلام او الجمعة الحزينة، وهي الفترة التي تألم وصلب فيها السيد المسيح لاجل رفع خطايا العالم، ولمناسبة قيامته في اليوم الثالث من بين الاموات. لذلك كانت جمعة عظيمة، وقد نذرت فيروز ان ترتل في كل ايامها من كل عام في كنيسة مار الياس ـ انطلياس ـ فتزداد قلوب المصلين خشوعا وشفافية،

---

(١) اشارة الى مسرحية الليل والقنديل.

(٢) ها اسمك غنّيت، رقم : ١٢٠

(٣) امي يا ملاكي، رقم : ٣٦٥

(٤) اقول لطفلتي، رقم : ٢٧٧

(٥) يا بنت جارتنا، رقم : ٢٦٦

(٦) اقول وآنست بالليل نارا، رقم : ٣٦٢

مرتعشة بالايمان، راحلة مع الصوت لتكون قصيدة اللحن للعقل الروحاني امام ذهن اللـــه في عيد الاحزان وعيد قيامة يسوع المقدسة ٠ وليس للرحبانيين نصًّا مخصصا في هذا المنحى مما تغنيه فيروز، ربما اكتفاء بصوتها الذي يفوق حدود التأليف في هذا المضمار، لذلـــك سانتقل الى ما ألّفاه في القسمين التاليين ٠

٢ ــ اغنيـات الميـــلاد :

وهي ثماني اغنيات أعطتنا صورا من وحي عيد ميلاد السيد المسيح ٠ والعيد لغة " الوقت الذى يعود فيه الفرح والحزن " كما قال الأزهرى ٠ وقال ابن الاعرابي " سمي العيد عيدا لانه يعود كل سنة بفرح جديد "(١) وذكرى ولادة يسوع فرح يتجدد في قلوب العالم ليذكرهم بولادة خلاصهم من الخطيئة، نتكبر بهم الغبطة، وتزهر في اشواقهم تطلعات الرحيل الى وراء حدود المدى، حيث العيد الكبير بعودة الإنسان الى موطنه الحقيقي ٠ وفيروز تغني هذه الذكرى فتشد الوجدانات صوب آفاق الفرح القدسي ٠ هذه الآفاق التي انحدرت منها نجمة الهداية لترشد المجوس(٢) الى مغارة الولادة الجديدة للانسان، فتسعد الليالـــي بضوء جديد ينير النفوس والعقول، لان السماء في فرح عظيم، وقد وهبت الكون طيبا وشعـــرا وسلاما (٣) وكانت هبة السماء عظيمة لابناء البشر، فجاء يسوع اليهم رافعا عنهم الخطيئـــة، باعثا في ذواتهم قدرة تمكنهم من المعرفة بالمحبة يسوع ٠٠ فاضحت القلوب ازهارا متفتحة تكوكب أريجها نصاعة الايمان المطلق، لذلك لم يشك الرعاة بعد ان اشرق حولهم مجد الله في قـــول الملاك : " انه قد ولد لكم اليوم مخلص وهو المسيح الرب في مدينة داود "(٤) فمضوا الـــى بيت لحم ووجدوا الطفل في المذود فمجدوا الله وسبّحوه (٥) هذا الحدث المقدس تغنيـــه فيروز ببساطة الطفولة، وعظمة المحبة، وطفولة الكلمـــة :

وْمغَـــارَة تِعْبَانِـــــه	فِيها طِفْـــلْ زغيـــــر
بِعْيُونـــو الحِلْيَانِـــــه	حُب كْتِيـــــر كْتِيـــر (٦)

---

(١) انظر اللسان مادة عود ٠

(٢) انظر انجيل متّى، ٢ : ١، ٢، ٩

(٣) اغنية نجمة العيد، رقم : ٢٠٤

(٤) انجيل لوقـا، ٢ : ١١

(٥) لوقـــا، ٢ : ٢٠

(٦) ثلـج ثلج، رقـم : ٤٢

٠٠/٠

واضفاء صيغة التعب على المنارة هنا يتجه في منحيين :

الأول : يكون التعب فيه صفة للمنارة بمعنى انها بسوحله وفقيره .

الثاني : بمعنى النصب والعياء الفعلي الذي عانته المنارة الجماد من عظمة ورهبة الرسالة التي اختيرت لتأتمنها ، كارتعاشة قلب المؤمن لحظة وحي ، فالخشية هي ركن في العبادة اوصى بها داود " اعبدوا الرب بخشية وابتهجوا برعدة " (١) فالخشية والرعدة انبثق منهما تعب حل بالمنارة يوم احتضنت يسوع .

و " صوت العيد " سماء يقطف منها المتأمل عناقيد المعرفة بالآتي ، فيشاهد الوعود وقد استحالت مدركات من الخصب والجمال ، وبزيارة يسوع الليل حدثت استحالة الظلمة الى ينابيع خلاص ، لانه نور " والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه " (٢) فلوّن الليل) بذاته المنيرة :

مُوجي يا سَما بِالعَناقِيد هِلّي بِالحَلا بِالمْواعِيد
زَار اللّيل يَسُوع لَوّن اللّيل يَسُوع (٣)

وما زالت الأرض تختلج بشوق الانتظار ليحل فيها عيد السماء الكبير ... (٣)

والى جانب ذلك تغني فيروز أفراح الناس بمواسم هذه الأعياد ، وتكتنز اغنيتها صورا انسانية تضج بالطهارة ليس للبشر المعيّدين فحسب ، ولكن لاولئك الذين لم يزرهم العيد فظلوا ينظرون اليه على الطرقات المزينة، ويتطلعون الى معناه متجسدا في الهدية ومرسوما في الليرة، فتهب في ذواتهم حسرة الاسى ، وتسكن بين اجفانهم دمعة الحرمان . فالعيد عندنا مظاهر تكمن في زينة البيت والشارع ، وفي جِدّة الثوب وأناقة الشكل ، وهو " اسوارة بإيد " واغنية لشجرة الميلاد القائمة فوق منارة مرصعة بالزينة، مزدانة بالأنوار . ولكن اين يسوع في عيد ميلاده ، ليقرع ابواب الناس؟ وما ابواب الناس الا قلوبهم :

وَيْن اللّي جَايي بْعِيد عَم بِيبرش مْواعِيد
يْدِق بْواب النّاس وِيمشي والخَير يْزِيد (٤)

---

(١) سفر المزامير ٢ ، ١١

(٢) يوحنا ١ : ٥

(٣) صوت العيد ، رقم: ١٠٨

(٤) لعبة عيد ، رقم : ١٨١

انه في قلوب اولئك الأطفال الحزانى الذين نسيتهم مواسم اعياد الناس، لا زينة على ابوابهم ولا هدايا بين ايديهم، بيوتهم بعيدة ركعوا فيها مصلين، وكانت صلاتهم حزينة، فحل بينهم يسوع وصار عيدهم كبيرا :

وصارو يصلّو يركعو يصلّو ويمكن صلاتن بكت الدّني (١)

وتتابع الاغنية القصة فتجلب للاولاد رفا من العصافير كان يفتش على مهجع فاختار شجرتهم المسنة، غط عليها، ففرحوا به وغنوا معه، وعيد بهم العيد لانهم "حب الدنيا وفرح البال" (٢) ولان الله عون للمحتاجين (٣) . وهذه نهاية مسعدة جاءت طبقا للمنهج الانساني التي تتسم بها الاغنية الفيروزية، والتي تشرق منها بداية "ايام العيد" حيث ترتفع معنى الهدية بها من مادة ارضية الى روحية سماوية، تختفي امامها قيمة الذهب، لتسمق مكانها قيمة المحبة، يحل فيها القلب لتكون هدية العيد، فتفرح السماء بهذا الحلول :

بها العيد بدّي قدّم هديّه لا ذهب لا ورود جوريّة
طالع عبالي ضمّ زهرة وقلب وقدّمن للعيد عيديّه (٤)

انها أضمومة الألق الروحي تشرق سعادة على كل الناس في كل زمان ومكان (٥)، ترتلها اصداء الاجراس المصلية في حنايا "القرى الخاشعة" (٦) .

٣ — اغنيات التضرع والايمان :

وهي ثماني اغنيات تشكل منهجا للارتفاع والبلوغ الى النقطة التي يستطيع الانسان ان يبسط ذاته منها، فتمتد حتى تصل الى مكنون المعرفة حيث تسقط حدود الزمان وتتلاشى معايير الفصول ...

يبدأ هذا المنهج من الايمان بالله ايمانا مطلقا لا يدخله الوهن او يضعفه الشك. لا تحد من اصراره المغريات ولا تتعبه التجارب، فالانسان المؤمن يسطع ايمانه، كلما كبرت به احزانه، ويدرك بان الله معه حتى ولو صار ذرة ضياع تدور في كهف النسيان الابدي :

"واذا كبْرت أحزاني ونسيني العمر التاني
انت اللّي ما بتنساني (٧)

---

(١) رح خبركن قصة زغيره، رقم : ٨٠
(٢) شمس الاطفال، رقم : ٣٠٣
(٣) انظر اغنية برد برد، رقم : ٢٣
(٤) ايام العيد، رقم : ١٩
(٥) انظر نفس الاغنية .
(٦) يا رنين الاجراس، رقم : ٣٣٤
(٧) ايماني ساطع، رقم : ٢٠

إيمان بمجيء يسوع من قلب النور (١) مهما طال الزمان دون ان يعرف تلك الساعة احد الا الآب وحده (٢) ولكنه سيأتي من (خلف القيم) على سحاب السماء (٣) .

انه ايمان ساطع كالشمس، واسع كالمحبة، يعرف ان وراء كل حبة تكمن قدرة، ووراء كل ظلمة يختلج نور، ووراء كل دمعة يشرق كون البسمات، وبعد ذلك كله يعرف ان وراء الحزن والشر والكفر شفاه تصلي ... وهناك، خلف الحجب الصامتة، من ينصت للصلاة، وينقل العزاء لقلوب المصلين :

أُومنُ أنَّ خلفَ الريح الهوجاء شِفاه   تَتْلُو الصَّلاة
أُومن أنَّ في صَمتِ الكَون المُقفَلْ   مَنْ يُصْغِي لِي (٤)

هذا الايمان المشتعل في النفس هو الطاقة التي تحلل الانسان من الاثقال التي تقيد جناحيه فتمنعهما من التحليق .

بعد ذلك تأتي مرحلة الطلب الذي يتحقق بالصلاة . صلاة الى الله وابتهال اليه سبحانه حتى يرعى هذا الايمان فيه، فيثبته ويقويه، وطلب البركة منه تعالى حتى يستطيع التحرك بالايمان . والله يمنح البركة لطالبيها ويفتح الباب لمن يحب الدخول " اسألوا فتعطوا . اطلبوا فتجدوا . اقرعوا فيفتح لكم " . (٥) كل ذلك يتحقق بالايمان . وفيروز تطلب من الله بعد ان امتلأت بالايمان، ان يساعدها ويمنحها البركة :

أَنا زَهْرةٌ مِنْ زُهُـورَكَ   بارِكْنِي وَساعِدْنِي (٦)

مساعدة على أيِ شي ؟ وبركة لاي شي ؟

انها مساعدة على استطاعة حمل الرسالة، رسالة الخير والمحبة والاطمئنان بين ايدي السلام (٧) . والبركة لاجل القدرة على المنح ... منح الضوء للمظلمين، والهداية للضلّين، والعزاء للمظلومين، والوعد للموعودين .

---

(١) ايماني ساطع، رقم : ٢٠

(٢) انظر انجيل متّى : ٢٤ : ٣٦، ٤٢، ٤٤ و ٢٥ : ١٣

(٣) انجيل متّى : ٢٤ : ٣٠ ورؤيا يوحنا ١ : ٧

(٤) اومن : رقم ٢٧٠

(٥) متّى، ٧ : ٧

(٦) شمس المساكين، رقم ١٠٣

(٧) يا ساكن العالي، رقم ٢٤٣

خذني بإيدي واجْعلني أنـــا
قصـــةِ الموعـودِيــــن   قنديـل التعبانيـن
وفوقِ البيـوت المهدومــة   ضوي فجـر النّاطرين (١)

والأخذ باليد هو الإرشاد على طريق النعمة التي يتحقق بحلولها الطلب ويؤدي طريقها الى الهدف، و " النعمة غاية تُطلب، ومعرفة الغاية نعمة تُحب ، والمحبة ولوع بالجمال ونزوع الى الوصال، والوصال اتحاد بالحبيب ورجاء حياة في كمال النعيم .."(٢) وكمال النعيــم " جمال وجه الله، الرجاء الذي يُرجى " (٣) وفي تحقق الرجاء، تجدد وانتقال واتساع وشمول، يتخطى حدود المدركات، وهي مرحلة التحلل من الرباق حيث كون المحبة في شموليتــــه السرمدية، وكأن فيروز حلّت بها هذه المحبة فغنت مشاهداتها ... رأت بالعين ابواب السماء مفتوحة يتسابق منها كرم الله استجابة للمصلين اينما صلوا لا فرق بين كنيسة وجامع، وبيــت، وبرية . فالله ملء السماوات والارض اينما طلبه المؤمن يجده . فتطمئن يداه بالارتفاعـــة، وتسجد ركبتاه على الارض طمعا بمعاشقة السماء ... ثم غنت مشاعرها في تلك المرحلـــة فانتبهت لشجو الرملة ضارعة الى الله، فكانت طربا لاحزانها، وسمعت صوت الحجيج فدعــت ما في الطبيعة ليشاركها نعمة الصلاة .. وطلبت من "قارئ القرآن" ان يصلي لاجل الانسان ولاجل اهلها بالإنسانية في مكــة :

غنيتُ مكّة أهلَها الصّيــدا   والعيدُ يملأُ أضلعي عيــدا
يا قارئَ القرآن صَلِّ لهـم   أهلي هُناك وطيـب البيـدا
لو رملـةٌ هتفـتْ بمُبدعِهـا   شجواً لكنتُ لشجوهـا عُـودا
ضَجّ الحَجيج هُناك فاشتبكي   بفَمي هنـا يـا وَرْقُ تغريـدا (٤)

هذه الشمولية في منهج المحبة الفيروزية رحلت الى محمد كما رحلت الى المسيـح، لا فرق طالما ان الله " اعزّ الناس كلهم " (٥) فكيف تكون معزته للمختارين من انبيائه ورسلـه؟ وباعث الرحلة الى محمد ارادة في النفس حركت الأشواق للامتلاء بلحظة من (نبي الهــدى) تكون تمهيداً لطريق الاستقرار في الجنة، لانه لا يضل ولا يذل من يهتدي بهديه ويسير بوحيه :

---

(١) نبع الينابيـع ، رقـم ٢٠٣،
(٢) انظر عن طرق النعمة في : فن المنتجب العاني وعرفانه للدكتور اسعد علي : صفحة ٣٨٥ الطبعة الاولى، دار النعمان ١٩٦٨
(٣) غنّيت مكـة، رقم ٣٨٤
(٤) غنيت مكـة، رقم ٣٨٤
(٥) الاغنية نفسها،

../..

فما ضلّ من بسراك اهتـدى　　　ولا ذل من بذراك استجارا (١)

إن في ذلك دعوة للسير في طريق الهـداية، بعد الوصول الى مرتبة قصيّة في المعرفة، والإدراك بأن طرق الضلالة كثيرة تغوي الناس ببدايات حلاوة يسيرة . اما طريق الهداية التي تدعو إليه الاغنية فمدخله صعب لكن حلاواته لا يحيطها إدراك، ولا تحدها نهاية .

هذا المنحى هو مرحلة الختام في الأغنية الفيروزية، فالإنسان رواية تمر في ذهـن الزمن، لا يبقى من افراحه واحزانه، ومن أصباحه واماسيه، ومن حاضره وماضيه، سوى قصة اختياره للطريق تحملها الريح حتى يتحقق مصيرها بقاء او فناءً . وفيروز تختار طريق الخلـود لتحل في الخلود وتكون كلمة فوق كل المحسوسات، فوق "الحزن والزهر" (٢) وفوق الفصول ومتاعب السفـر .

---

(١) اقول وآنست، رقم : ٣٦٢

(٢) شو بيبقى من الرواية، رقم : ١٠٤

قفص

كشفتُ في مفتاح هذا الباب ، عن مدلول النزعة الانسانية في اللغة وفي اصطلاح هذه الدراسة • ثم تحدثتُ في الفصول والمباحث التالية عن الكلمة في أغنيات فيروز ، والطبيعة ، المدلول الذي ترِد منه ، ان كان في السماء من شمس وقمر ، أو على الأرض بقنديل يمثل الخير في الانسان ، والذي يصارع مع الشر فيه ، فتتحقق سيادة الخير الذي يكون أساسا لبناء وطن عزيز يرتفع ويتسع حتى يشمل الأرض مرتع الوجود الجسدي ، والسماء لوقفة النزوع الروحي •••

فالانسان يبدأ الخير في ذاته ، حتى اذا أتقنه مرّن على ممارسته في بيتـه ، ففي جيرته ثم قريته ، ويتسع حتى يشمل وطنه فالعالم •• حينئذ يحقق الانسان ذاته ، فيفتح امامه الطريق لعروج أبواب السماء ••• حيث خاتمة فصول الانسان في نزعاته الانسانية •

خاتمـــــــــة

أقمت هذا البحث على دراسة الاغنية الفيروزية في نزعاتها الانسانية المتنوعـة ، مقدماً بذلك منحى جديداً من مناحي البحث في مجال الدراسات العليا •

والاغنية الفيروزية تتميز بعناصرها الثلاثة : الصوت ، الكلمة واللحن • تمثـل فيروز العنصر الاول ، ويمثل الاخوان رحباني العنصرين الآخرين ، وقد اضحى لهمـا بما يمثلانه مدرسة جديدة لها أثرها البعيد في النهضة بالاغنية اللبنانية خاصة ، والعربية على وجه العموم ، والارتفاع بها الى المستوى الحضاري اللائق ••

وقد عالج الرحبانيان بما ألفاه مختلف القضايا اللبنانية والعربية والانسانيـة ، ففي لبنان نجد لهما مواقف من الضيعة وأرضها ، وقضية النزوح عنها ، فالهجرة عـن لبنان والدعوة الى العودة اليه • وعربيا كتبا عن القضية الفلسطينية ، وعن سلام الدول العربية • وانسانيا كانت كلمتهما عن السلام خاتمة كل عمل من أعمالهما الفنية ، وكـان كل من الخير والجمال والمحبة ، أساسا بنيت عليه هذه الأعمال ، واكليلا توج بهـا جبينها •

كل ذلك نقلته فيروز الى اسماع العالم بصوتها المؤثر ، فشدت الانتباه الـى الكلمة التي تشدوها • وكان أن سعيت جاهدا وراء هذه الكلمة، فجمعتها ودرستها وصنفتها حسب موضوعاتها ، وأقمت عليها هذا البحث في مقدمة وبابين وخاتمة وملحقين •

تحدثت في المقدمة عن اسباب اختياري للاغنية الفيروزية موضوعا لدراسة أدبيـة انسانية ، والمصاعب التي واجهتني ، والمنهج الذي تغلبت به عليها ، وعن قيمة هذه الدراسة ، ومن شجعني عليها وساعدني ، وأخذ بيدي الى نقطة الوصول •

أما الباب الاول فجعلته عن تاريخ الموسيقى والغناء وصلتهما بالنزعة الالهية عند الانسـان عامة وعند العرب بصورة خاصة ، في شعرهم وغنائهم ، وعن حياة فيـروز ونشأتها ، وحياة الاخوين رحباني ، وعن مجموع الاغاني مادة هذا البحث ، بادئاً ذلك بمفتاح دخلت به ، وخاتما بقفل خرجت منه •

والباب الثاني أبنت فيه مظاهر النزعة الانسانية في الاغنية الفيروزية ، فـي الطبيعـة أرضاً وسماء ، وفي الانسان دنيويا ودينيا •

أما الملحق الاول فـوضعته للشعراء الذين غنت لهم فيروز من غير الاخوين رحبانـي •

والملحق الثاني خصصته لنصوص الاغنيات الفيروزية موضوع هـذا البحث •

••/•

هذه فكرة موجزة عن رحلتي مدة ثلاث سنوات مع الأُغنية الفيروزية ، رأود هنا ان أُورد بعض نتائج هذه الرحلة " وأنا كلّي ايمان " (١) بمدى قيمتها وتأثيرها :

١ — ليست الاغنية موضوعا للتغزل بالحبيب، والوقوف على اطلاله ، أو مكانا لافراغ لوعة العشاق وتدلّلهم وحكايا صَباباتهم فحسب ، وهذا هو السائر والسائد الذي يطبعها اليوم ، وانما يمكن لهذه الأغنية أن تكون أداة فعالة لنشر الفكر البناء في سائر اتجاهاتـه : أدبيا وفلسفيًّا ، اجتماعيا واخلاقيا ودينيا كما تجلّى ذلك في موضوعات الأُغنية الفيروزيـــة ابتداء من التربية في البيت ومسؤولية الأم الكبيرة ، الى بناء علاقات طيبة مع الجيران والعالم، وما يتبع ذلك من مفهوم التعايش السلمي الذي هو حلم الانسانية في هذا العصر ، الـــى قضية الصراع بين الخير والشر القائمة في ذات الانسان ، الى الايمان بالله ، العامل الفعال في تهذيب النفس وترقية المشاعـر .

٢ — على ضوء ما تقدم ، يمكن أن تُستغل الأُغنية التي بهذا المستوى ، لتهذيـب النوازع الإجرامية في نفوس المجرمين داخل سُجونهم ، كأن نسمعهم باستمرار اعمالاً فنيــة ، كمسرحية الليل والقنديل مثلاً التي تغنيها فيروز ، والتي يحول فيها الحب والصوت ، انسان الظلمة والشر ، الى انسان يعمل على ابادة الظلمة بالنور ، راية الخير ورمز الأمان .

٣ — يمكن ان تساهم ، هذه الاغنية ، وتساعد على حل بعض القضايا الداخلية في الوطن كنزوح شباب القرية ، وهم عصبها القوي ، الى المدينة ، فتبور فيها الارض وتصبح مأوى للذئاب ومنبتا للأشواك . وقد كانت الاغنية الفيروزية خير مساهم في هذا المضمـار ، فصورت الضيعة و (زرّاعيها) وحقولها وبيادرها وسهراتها ، فأحبها الناس .. وصوّرت لبنان ، في دنيا الاغتراب ، للبنانيين فتحرك بهم حنين العودة اليه ، ولغير اللبنانييـــن ، فزرعت في نفوسهم شوق الامل بلقياه . وعلى هذا ، فالاغنية تشجع السياحة فتتمتّن معانـــي الصداقة بين الشعوب وتتأصّل .

٤ — لقد صورت الأغنية الفيروزية البيئة اللبنانية بوجهيها : الطبيعي والانساني ، صورتها بشكل قد لا يجده الباحث في كتب التاريخ على ما تحتويه من أجـزاء ، ولا في شعـر بعض الشعراء رغم ما تَنِمُّ حوله الأصدقاء ..

---

(١) من أغنيــة : زهرة المدائن ، رقم : ٢٩٦ .

٥٠/٠

لذلك فان تدريس أغنية من هذا الطراز في المدارس والجامعات أُجدى ،
ويعطي زخماً جديداً لمناهج الدراسة وفروعها ، خاصة في فرع الفلسفة وعلم الاجتماع .

فهل ترتفع أغنيتنا اللبنانيّة والعربية إلى هذا المستوى ، ثم تتخطاه إلـــى
مجالات أرحب ؟

ملحــــقـا الرســـالـة

ملحـــــق رقـــم ١

شعراء آخرون غنت لهـم فيـــروز

تنوعت الاغنيات الفيروزيّة في موضوعاتها ، وتنوعت كذلك في مؤلفيها ، على اختلاف نزعاتهم وجنسياتهم ، قديما وحديثا ، فمنهم الجاهلي ، والأموي ، والعباسي ، والأندلسي • ومنهم اللبناني ، والسوري ، والفلسطيني ، والمصري ، من متوفين رحمهم الله ومعاصرين، أمد الله بعمرهم طويلا • وكان الأخوان رحباني مدعين في ما اختاراه ،كما أبدعـا بما ألفاه ، ففي الاختيار صعوبة لا تقل عن صعوبة الابتكار ، تحوّلت كلتا الصّوبتيـــن أغنية فيروزية لها من الأوتار عزيفها ، ومن الروح رفيفها ، وأسفرت هذه الأغنية بعناصرها الثلاثة : الكلمة ، اللحن ، الأداء ، عن وجه إنساني منعتق من أسر المحدوديـــة المكانية ، ومتحرك بالزمان ماضياً ومستقبلا من أجل إسعاد الحاضر ، فالكلمة لم تغنَّ لأنها تنتمي لجنسية معينة ، ولكنها غُنِّيت لأنها تبرز نزعة إنسانية محورها : الحب والحق والجمال ••

فما هو عدد الشعراء الذين غنت لهم فيروز ومن هم ؟ وما هو عدد القصائد الــتي غنتها لهم فصيحة وعامية ؟ وهل اختلفت موضوعاتها عن الموضوعات الانسانية السابقة ؟

غنت فيروز لثلاثين شاعرا (١) ، ما مجموعه سبع وستون أغنية ، اربع عشرة منهـا بالعامية • فمن هم هؤلاء الشعراء وما هي قصائدهم ؟

١ — سعيد عقل: ابرز من غنت لهم فيروز ، ليس من ناحية الكمية التي تغنيهـا فحسب ، وانما لكونه مستشارا للكلمة التي تغنيها • وقد بلغ مجموع ما غنته من شعره إحدى وعشرين قصيدة ، ست منها بالعامية ، وزعت حسب موضوعاتها على النحو التالي : تسع أغنيات وطنية : اثنتان للبنان ، خمسة لسوريا ، وواحدة لكل من فلسطين والأردن • ثماني أغنيات غزلية • وواحدة في كل من : الدين ، الأم ، القمر ، وهناك أغنيـــة أخيرة هي اليتيمة بين الأغنيات الفيروزية كلها ، التي تعطي صورة إنسانية ولا أروع ، عن أخت تحمل على زندها طفولة أخيها مغنية له ، ومصلّية لأجله • بين هـــذه المجموعة ما ألفــه سعيـد عقـل خصيصـا لتغنيـه فيـــروز وهـــو :

---

(١) ذكر فؤاد بدوي في جارة القمر ص : ٢٣ ، أسماء شعراء لم يشملهم هـذا الاحصاء ، وهم : عمر ابو ريشه ، صلاح لبكي ، الياس ابو شبكه ، هــارون هاشم رشيد وابن دريف • ولكني لم اعرف نصوص الأغنيات التي تغنيها لهـم ، فسألت منصور الرحباني عنها فقال : " لا اذكر الأغنيات " غير انه اشار الى ان فيـــروز لم تغن لابن دريف بعد الا أنها ستغني له في المستقبل • كما ان فؤاد بدوي لم يذكر ما غنته فيروز لهؤلاء الشعراء •

لبنان ، رُدَّني إلى بلادي ، قرأتُ مجدَك ، نسمت من صوب سوريا ، شام يا ذا السيف ، مُرَّبي ، أجراس العودة ، و أردن . اما الباقي فهو ما اختاره الرحبانيان من شعر سعيد عقل وهو : غَنَّيتُ مكّة ، سائليني ، أمي يا ملاكي ، القمر ، من صوب بيتِكُم ، مِشوار ، لاعب الريشة ، يارا ، مرجوحه ، دِقّيت ، فتَّحوُن عليَّ ، بحبَّك ما بعرف ، شَـال .

وقبل التحدث عن هذه الأغنيات في نزعتها الانسانية يحسن الوقوف قليلاً مع مؤلفهـا .

وُلد سعيد عقل في زحله سنة ١٩١٢ ، وفيها تلقى دروسه ، فتجلت مواهبه في سن مبكرة واعتلى المنبر يوم كان لا يملك من الزمن بحسابنا سوى ثلاث عشرة سنة ، أحب أمه كثيرا فكتب لها أجمل اشعاره ، منها " أمي يا ملاكي " التي تغنيها فيروز . والده شبل عقل من الأسَر العريقة في السياسة ، ترك زحله مدينته اثر حرب ١٩١٤ ، واستوطن المتن . وتعلم سعيد من والديه كيف يساعد الفقراء فانطبعت هذه الصورة الانسانية في ذاكرته حتى أضحت دستوراً من دساتير حياته الى اليوم . يعمل في الصحافة والسياسة ، ويقدم منذ سنة ١٩٦٢ جائزة شهرية باسمه بقيمة ألف ليرة لبنانية لكل شخصيّة تقوم بعمل فيه إبداع وموهبة ، وكانت أول جائزة قد منحت للمؤذن زهدي عبس من طرابلس على مئذنة جامع طرابلس . وهذه آثاره مشفوعة بتعريف بها كما وضعه مؤلفها (١) مرتبة على حسب صدورها الزمني :

١ — بنت يفتاح سنة ١٩٣٥ .

أول مأساة شعرية كتبها سعيد عقل . إنها النضارة أصبحت شعرا .

٢ — المجدلية سنة ١٩٣٧ .

المجدلية ، ظاهرا ، شعر غـزل .

ذلك ان الشاعر اعمل فيها خياله ولمساته النضرة كأنسا الطبيعة كلها جمعت ألوانا على لوحة مصور . الا ان المجدلية هي قصيدتنا الفلسفية الأولى . تتعرض لحقيقة تداخل فيها ثالوث المسيحية : القدرة والمحبة والمعرفة ، في ثالوث الاغارقة : الحق، والخير والجمال . وهي تسأل : هل يخطىء الجسد وهو في ذروة الحب ؟ مجدلية سعيد عقل هي قصيدة كل يوم وقصيدة الأبـد .

٣ — قدموس سنة ١٩٤٤ .

هي المسرحية الشعرية التي اعتبرها النقد حدثا . بدأت في لبنان عهدا

---

(١) طلبت من الاستاذ سعيد عقل ان يقول كلمة عن كل اثر من آثاره تلخص هذا الاثر . وكانت هديته الكلمة ، ادرجتها كما وضعها .

./..

" له ما بعده " ، على حد ما قاله فؤاد افرام البستاني . وتدرس اليوم شعري الجديد من المدارس الى جانب فواجع شكسبير ومآسي كورناي وراسين . كل الشهامة والبطولة مشفوعة بتصدام القلب . صراع بين القدر والسعي استخدمت فيه اجمل معايات الأسطورة والتاريخ . والمسرحية هذه بحثي من أجمل شعر سعيد عقل ، ذات كلاسيكية لا تجارى . أشعارها على كل شفة ولسان . ومنها اتخذت اجمل الشعارات لأمجد المواقف . لا يمكن فهم لبنان المعاصر دون قراءة هذه الرائعة التي اعتبرها العلامة فؤاد البستاني دستوراً للبنان .

٤ — رندلى سنة ١٩٥٠ .

بحثي من أجمل الغزل . كل الذين انتموا مدرسة الشاعر الكبير كانوا رسلا لهذا الديوان . والصبايا يقرأنه على انه صورة لخفقات قلوبهن الأولى ، وشعراء الجمال يدرسون في قصائده أكمل ما وصلت إليه الكلاسيكية العربية ، رغم الثورة النابضة في كل سطر من سطوره . قلما تجد في دول المنطقة فتاة لا تردد ابياتا من "رندلى" او شابا لا يحفظ قصائد منها عن ظهر قلب . ويقول صلاح لبكي ان الحب الكبير الذي عاشه سعيد عقل مخبوء في تضاعيف هذا الديوان .

٥ — يوم النخبة سنة ١٩٥٤ .

هي دراسة تقول ثلاثة : ما هي النخبة ، كيف تتكون وما يفرقها عن الحزب ، وما دورها غدا في لبنان وفي الشرق جملة . دراسة تضم اذن كل التحديات التي ستواجهها النخبة بما فيها اعادة النظر في استكناه ابعاد الله . بعضهم ، كمي مرء يعتبر سعيد عقل في هذا الكتيب اكبر قائد فكري اطلعه لبنان المعاصر .

٦ — كأس لخمر سنة ١٩٦٠

اجمل نثر كتبه سعيد عقل . البحاثة هنا يتخلى عن كونه شاعرا . كل مشاكل ادبنا الحديث تجدها في هذا الكتاب معالجة بسمو مسؤولية وبلفة تأبى الا ان يكون الكأس أروع حتى من الخمر التي يحتويها . ولا ننسى ان سعيد تقي الدين قد قال : " سعيد عقل هو أعظم من كتب النثر في العربية " . قد يكون نثر هذا الكتاب هو الذي أوحى كلمة تقي الدين .

٧ — اجمل منك ؟ لا . سنة ١٩٦٠

سعيد عقل شاعر الغزل يعود الينا في هذا الديوان متخطيا ذاته . حتى الشكل عنده تبدل . الا انه بقي ابن الكلاسيكية العربية الذي يقول بشأنها ان بيت القصيد منها لا يضارعه بيت قصيد ولا حتى عند الأغارقة . شهامة الى نضارة ، وحب لا يعرف

٠٠/٠

الا ان يكون ساميا • في هذا الديوان ممد سعيد عقل في وجه التيارات الرخيصة التي قامت على اذلال المرأة المرأة • في نظره ، غلالة سحر تشف المثل الأعلى ، فمن اذلها حطم كل القيم التي تمضي بالبشر جهة الألوهة •

٨ — لبنان ان حكى سنة ١٩٦٠

" اجمل ما خط قلم عن وطن " بهذه الكلمة استقبلت بعض الصحف هذا الكتاب الفريد • يظن تاريخا للبنان تداخلت فيه الأسطورة والواقع ليجعلا منه ساحر اللوحات ، أو قصص حب تستثير الدموع • هو، بالأحرى، تاريخ للمجد • فلا حب ولا مجد ولا بطولة الا احتوى عليها •

٩ — يـــارا سنة ١٩٦١

هي غزل سعيد عقل المفرغ في اللغة اللبنانية والحرف اللبناني (ويحدده الشاعر بأنه بالحرف اللاتيني مطلقا) • هنا انت امام قصائد اصبحت على كل شفة • ومنها غنت فيروز وغنت (١) الثورة التي في هذا الديوان تقوم على تطلع الشاعر الى جعل الحب غلافا للحياة جملة • وهو الفن الكبير مطلقا • تقول قلب يذوب حبا •

١٠ — أجمـــراس الياسمين سنة ١٩٧١

لأول مرة ، ديوان شعر كله على الطبيعة • على انها الطبيعة المتفردة بـأن تجد من يغنيها كأنها امرأة • لهذا كان بعضهم هذا الديوان ديوان غزل •

١١ — كتاب الورد سنة ١٩٧٢

كثيرون يقولون في هذه المقطوعات الصغيرة انها اجمل ما اطلع شعر الحب • لكن سعيد عقل لا يقرهم على تسميتها شعرا ما دام انها مفرغة بالنثر • والكتاب هـو من الشهرة والتأثير بحيث تجده — بشكل قصصات جرائد — في حوزة غير واحـدة من الحسان ، اقتطعنه من الصحيفة التي كان ينشر فيها تباعا • هو سمفونيـة ذات حركات ثلاث : الشاعر مخاطبا الحبيبة ، الحبيبة مخاطبة الشاعر وحوار الحبيبين • ماذا قصد به ؟ الحب ، الحب لا اكثر هذه المرة ، على انه اجمل ثروة خص بها الخالـق الخليقة ، وعلى انه الحب الفاخر ، الخليق بنفسه • جزء منه اذن المستوى •

---

(١) القصائد التي غنتها فيروز من هذا الديوان هي : مشوار ، رقم : ٣٥٢ ، تحبك ما بعرف ، رقم : ٣٤٣ ، يارا ، رقم : ٣٥٥ ، رقيت او (حكاية الحلوايي) ، رقم : ٣٤٨ •

٠٠/٠

١٢ — قصائد من دفترهـا سنة ١٩٧٣

هو ان الكتاب قصائد وضعتها يافعة وسرقها حبيبها ودفع بها الى المطبعة • أحاسيس جمعت نار الحب الى الشهامة ، الى التطلع صوب بناء النفس • واحيانا اريدت القصيدة الى قول فن الشعر ، وربما فن الحياة • مرة اخرى ، هو النزل في خدمـة المجد والعنفوان ودون ان يتخلى عن نفسه •

وله ، الى جانب ذلك ، العديد من المؤلفات التي هي قيد الاعداد ، والكثير من المقدمات في الكتب التي تؤلف كتبا لو جمعت •

ولمعرفة من هو سعيد عقل جيدا يلزم قراءة الف صفحة في كتاب لألفرد ومي مر عنوانه (لبنان سعيد عقل) (١) في اللغة الفرنسية ، ستتولى الأديبة الشاعرة مي مر نقله الى العربية ويقوم المؤلف الفرد مر بنقله الى الانجليزية (٢) وهو " لا يتـرك كلمة قالها سعيد عقل منذ اربعين عاما حتى اليوم الا ويحللها ويفلسفها ويتحرى عمـا وراءها " وحزب " التجدد اللبناني " الذي يتزعمه سعيد عقل يرشحه لرئاسـة الجمهورية ، وواضعي الكتاب يقولان بهذا الخصوص : " سعيد عقل ، رئيسا للجمهورية، يعلي لبنان المطلق " (٣) وفي الكتاب صورة واضحة لشخصيته وعقله المتحرك فـي العديد من المعارف • فهـو :

١ — اللاهوتي الذي يعتبر المحبة المسيحية هي " ان تحب كل الناس دون استثناء ، الذين مضوا والحاضرين والذين سيجيئون ، فاذا استثنيت واحدا خنت المحبة " • وهو لا يعتبر ان في لبنان طائفتين ، ويردد دائما " لبنان طائفة واحدة هي الطائفة اللبنانية " ويعلن " انا الذي يقول بأن المحبة لا تستثني انسانا واحدا ، كيف تريد لي ان استثني نصف لبنان ؟ "

---

(١) لم يصدر هذا الكتاب بعد •

(٢) كتب حافظ محفوظ ملخصا لهذا الكتاب بعد لقائه مع واضعيه الفرد ومي مر ، في ملحق الأنوار الأسبوعي يوم الأحد ١/٣/١٩٧٠ العدد : ٣٣٥٢ ، ص : ١٦ و ١٧ • ثم صدر هذا الملخص في كتيب بالفرنسية في ٢٠ صفحـة بعنوان SAID AKL :qui etes-vous • وكتب جولي داغر بلقيس الموضوع في جريدة الجمهورية الصادرة يوم الأحد في ٢٦/٤/١٩٧٠ ، العدد : ٤٠٦٤ ص : ٧ ، وتحت عنوان : ٣ كتب جديدة ب ٣ لغات عالمية بقلم مي والفرد مر / ٣٠٠٠ صفحة ، ٧٥٠٠٠ سطر ٧٥٠٠٠٠ كلمة " سعيد عقل لبنان " وصدر كتاب بالفرنسية عن سعيد عقل الشاعر بعنوان :

" SAID AKL un grand poète Libanais . "

لمؤلفه Jean Durtal : سنة ١٩٧٠ وهو من ١٧٥ صفحة •

(٣) ملحق الانوار الاسبوعي ، الأحد في ١/٣/١٩٧٠ ، العدد : ٣٣٥٢ ص : ١٦ •

• • / •

٢ — هو فيلسوف الزمان وتسريح الزمان ، وله نظرة خاصة في عالم الفلسفة تلخص في ما يلي : " ان المادة في نهاية ما ، هي ليست مادة يرجع اليها . لن ترى ابدا ولن تمس ولن تشكل حاجزا . الفيزياء تقرب اليوم اكثر من البيولوجيا ، تقرب التعريف بالطبيعة اكثر من التعريف بالله . روح محض هو وهي على التخوم " . لقد تكلم كثيرون عن تسريح الزمان ولكن سعيد عقل داور الفلسفة واعطاها تطبيقات جديدة ولا سيما بخصوص القضية اللبنانية : " الزمان كناية عن فراغ عليك انت ان تملأه . يمكن ان تجعل من السنة ساعة ومن الجيل سنة اذا اردت ان تغتصب الزمن ، فكأن الزمن مرآة عليك أن تجعلها تلد والا ما كنت خلاقا " .

٣ — هو السياسي الذي يؤمن بالوطن العالمي وبالأسرة البشرية الواحدة ، " انا مواطن عالمي وطني الأرض " وهو يتوخى في رئيس جمهورية لبنان مواصفات دونها أن يكون طموحا ، عالما ، قديسا . وله مشاريع معروفة لانماء لبنان . وكتب كذلك عن القضية الفلسطينية كثيرا ، ولو جمعت هذه الكتابات لملأت اكثر من مجلد ضخم .

٤ — هو العالم الذي يقول : " هناك علمان لا يجب ان يخلطهما احد : علم الله وعلم الكون . اللاهوت يعطي العقل البشري أقصى ابعاده الروحية الميتافيزيكية ، وعلم الفلك يعطيه اقصى ابعاده الكونية " .

٥ — هو الكاتب الصحفي : " انه ريشة من نار " كتب من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٢ في " الوادي " الزحلية وفي " البرق " وفي عدد كبير من الصحف والمجلات الأخرى ولا يزال .

٦ — هو شاعر الحب الذي غنى المرأة في شعر وفي نثر بعد ان " ما بين قمم شعر الحب في العالم . ولسعيد نظرة خاصة الى الحب مستقاة من اعماق المدنية ومن نظراته اللاهوتية الى الكون الا وهي النظام " . وهو الى جانب ذلك كله اول لبناني وقف وراء المذياع ليقول : هنا بيروت . وكان ذلك في ٢ ايلول سنة ١٩٣٨ (١) وصاحب فكرة " اللغة اللبنانية " التي يحبها ويدافع عنها حتى أضحت كلماته فيها تصلح كدليل على مدى طواعية هذه اللغة وقدرتها على التعبير عن حالات فكرية لها مضامين فلسفية . من ذلك ما كتبه في مقدمة " جلنار " لميشال طراد حيث يقول : " اللّي قات لَجُّوا عَ دَخايل هالمَلاق الدّافِقْ القَلْب ، بَسْ المُفَتَّح — مِتِل كانُو

---

(١) انظر كتاب الأذاعة اللبنانية ، فايق الخوري ، ص : ١٣١ ، ط : ١ سنة ١٩٦٦ .

../.

بكل حواسّو ، وهيّي حاسّي سادسي كمان — الفقش عالعقل ع حركتو وهو عم يتلق ، ع علّاتو مع حالو ، ع صريخو الساكت ، إيدي الممدودين لربّو وللمجهول ، بيصير يعرف يقول : " علّة وجود الإنسان ، اللي هيّ العظيمي الكل لَيلي كرمالها بيشك حالو بقبالة إستفهام قدام النجوم ، أجمل شي بها الكون هو انّو الإنسان يعرف ، ويعرف لحد انّو يصير يخلق " . (١)

بعد ذلك ، ماذا عن إنسانية كلمته التي تغنيها فيروز ؟

لقد تجلت انسانية سعيد عقل ، الإنسان اللاهوتي في المحبة ، والمواطن العالمي الذي وطنه الأرض ، في كل القصائد التي غنتها له فيروز . فكانت كلماته في سوريا غاية ، وكأنها للبنان . وغنتها فيروز وكأنها تغني للبنان ايضا ، فاتحدت كل عناصر الأغنية بالمحبة لتنطلق من سوريا عروسة المجد الخارقة بديمومة شمس المجد ، والمتفاعلة مع مشاعر محبيها ، فتذوب من هذا التفاعل صناعة الحدود ، ليرتقي الانسان عالياً في سماء العقل ، يفرح اينما وجد على الارض لانها وطنه الكبير ، تعيش فيه ، ويبدلوه بمحبتها احساس سموّ وعظمة :

قرأتُ مجدك في قلبي وفي الكُتبِ	شآم ما المجد ؟ أنتِ المجدُ لم يغِبِ
إذا على بَرَدى حورٌ تأهّل بي	أحسستُ أعلامك اختالت على الشُّهُبِ (٢)

هذه (شآم المجد) التي ربطت بالمجد عزم الزمان ، وتركت هذا الطابع على الوجه المشرق من التاريخ ، وزرعت في " ارضها الشهامات " يحمل ذكرها في القلب ارتعاشة ، كارتعاشة صورة افنان أرز لبنان بين الهدب . سكب حبها في الأغنية ، فصارت الأغنية حبّها ، وطربت الأغنية ، فكانت هي المجد قائماً في طربها :

شآم لفظُ الشآم اهتزَّ في خَلَدي	كما اهتزازُ غصون الأرز في الهُدُبِ
انزلتُ حبك في آهي فشدّد ها	طربتُ آهاً فكنتِ المجدَ في طربي

شآم ، في الأغنية الفيروزية ، ليست أغنية وطنيا وكلمة مجد فحسب ، بل هي السيف كذلك يوضع في موضعه ، فيحافظ موضعه على استمرارية بريقه ، لتتيح تحت حده عزة الخالدات ان تبوم المجد من لسعة الكفورار ، ليبقى نوره ساطعا تتبدد به ظلمة التاريخ :

شام يا ذا السيف لم يغب	يا كلام المجد في الكتب .
قبلك التاريخ في ظلمة	بعدك استولى على الشهب (٣)

---

(١) انظر ملحق النهار ، الاتحاد اللبناني ، الاحد ٢٨ /١٩٧٢/٥، ص : ١٤ .
(٢) قرأت مجدك ، رقم : ٢٨٧ .
(٣) شام يا ذا السيف ، رقم : ٣٨١ .

../.

وان سلك الحب وازدهى فمن تلك الناحية الانسانية شروقه ، الناحية التي يتوهج بها الانسان ، لا لوهج قائم في ذاته ، ولكن لوجود هذا الوهج في عالمه ، يجذب غيره ويحل في ذات غيره ، وهذا ناموس حل في الأغنية الفيروزية ، واتحدت هي فيه ، وتحولت الكلمة بالصوت نزعة انسانية مضيئة تغنى بإيقاع متدفق بالحنان :

هام أهلوك إذا هَمَّ على دربٍ قلبي على دربِ

فالمحبة الحقيقية للعالم ليست مرتهنة بزمان الفرح وحسب وانما بكل الأزمنة مهما تلونت وتبدلت • وليس للإنسان فضل أن أحب ، لأنه بذلك يحقق ذاته ، وينفذ وصية ، وهو مدعو في كل زمان ومكان ليكون محبا ، ولا فضل لمحب على آخر طالما ان المحبة توحدهما ، وفيروز ، بهذا ، تنشد لـ " بَردى " وتحدثه عن " الجبل اللاعب بالزمان والعناصر " :

انا صوتي منك يا بَـــردى مثلما نبعُك من سُحبي

وحّــد الدنيـا غدا جبـلٌ لاعبٌ بالريح والحِقَـــب

هذه الوحدة بالمشاعر من ارقى صور المحبة وارقها انسانية • وسوريا في الأغنية الفيروزية ربى يطيب فيها الحب كما يطيب فيها السيف إن مُسّت (١) ، فليس عشقها للمحبة من مركز ضعف ولا خوف •

ومن اللبنانيات التي تغنيها فيروز لسعيد عقل قصيدة " لبنان " (٢) وهي من أحد عشر بيتا على البحر البسيط تكوّن بمجموعها دستورا لاهوتيا في المحبة الوطنية ، وتجلي صورة للبنان معلقة في هدب الأبعاد ، آفاقه وشلاّله منبت الخصب الإبداعي ، وربيع الفكر المنفتح ، وموكب المحبة المتوالد • يتقن اهلوه " لعبة الموت " ان ولد عدوان عليه ، يكتفون به ، وان ضاقت الأرض ، فعزائمهم أوطان واسعة :

لبنان سخرة علقت بالنجم أسكنها طارت بها الكُتب قالت : تلك لُبنانُ

أهلي ويغلُون ، يغدو الموت لعبتهم إذا تطلّع صوب السفح عُــــــدوانُ

من حفنة وشذا أرز كفايتهم زنود هم إن تَضِــقِ الأرض أوطانُ (٢)

وتقوم ، الى جانب ذلك ، اغنية " ردّني إلى بلادي " (٣) وفيها حنين الاغتراب للوطن والعودة اليه ، وشوق الأمنية فيه لأن يكون وردة تتناثر وريقاتها على ثرى وطنه ، وتلك هي نزعة الانسان دائما ، تشده المحبة إلى المكان الذي وعيت فيه مداركه ، وتحركت بين منابعه انسانيته •

---

(١) نسمت من صوب سوريا ، رقم : ٢٩٦ •

(٢) رقم : ٢١٠ •

(٣) رقم : ٢٧٥ •

••/•

أما سائر الموضوعات الأخرى للغزل والأم والقمر والدين ، فأن انسانيتها تكمن في ذاتها وفي كونها منتخبة لتكون من مزيج الأغنية الفيروزية ، وهي تندرج تحت العناوين الكبرى في الفصول السابقة الخاصة بها . أما الموضوع الجديد الذي غنته فيروز من شعر سعيد عقل الصامي هو : الأخوة . ويتمثل في أغنية "يارا" (١) وهي تحلي صورة انسانية ولا أصفى عن "يارا الجدلوايي" التي تحضن اخاها الصغير بلهفة ولذتها المحبة في عميق مشاعرها ، وتلفه بذراعيها ، كما البسمة على شفاه الرضيع ، وتغني له بصوت تسحبه من عزيف حنانها ، لتوقظ بين جفنيه هيمنة الهجوع ... لكن زمن الإغفاءة يطول ، وتتعب يارا .. وتبقى لهفتها على اخيها سهرانة حتى تحمله عنها أجنحة السبات ، فتنعس في السرير ، وتمد ذراعيها المشوكين الى السماء مصلية لأجله حتى يكبر :

ولمن تعبت يارا تعطتلنا بالسرير
تصلي : " يا ربي يكبر خيي كبير "
وللسما ديها كاك الدين الحرير
تلمست الشمس وتعبت يارا (١)

بهذه الشفافية الانسانية المتوهجة تعيش الأغاني الفيروزية في ضمير التاريخ الإنساني .

٢ — بشارة الخوري (الأخطل الصغير) : غنت فيروز من شعره ثماني قصائد ، ثلاث منها في الوطنيات عامة ، واحدة للبنان خاصة ، هي " ملعب الأحلام"(٢) وثانية مشتركة بين لبنان وسوريا بعنوان " سيوف وجراح " (٣) واخيرة لـ " ضفاف بردى " (٤) وهي دالية على البحر الكامل ، تتألف من ست وعشرين بيتا تغني منها فيروز أحد عشر بيتا فقط وهي ذكرى وحنين " لعشية في سفح دمر " . وهناك اربع قصائد غزلية : "ارق الحسن " (٥) وهي حائية على البحر البسيط ، من ثماني ابيات تغني منها فيروز سبعة . و " وداد " (٦) وهي دالية من احد عشر بيتا تغنيها كلها . " في عيونه خبر " (٧) رائية من ثماني ابيات تغنيها كلها و "يا عاقد الحاجبين " (٨) نونية من اثني عشر بيتا ، تغني منها ثماني أبيات فقط وهناك اغنية أخيرة لـ " نسيم الدجى " (٩) وهي ميمية من تسع أبيات تغني منها ثمانية . وهي مناجاة للنسيم عند يقظة الشاعر في ليل نام به الغرام في اعين الناس

---

(١) رقم : ٣٥٥ . (٢) رقم : ٣٦٤ . (٣) رقم : ٣٧٩ .
(٤) رقم : ٣٨٢ . (٥) رقم : ٣٦٠ . (٦) رقم : ٣٩٩ .
(٧) رقم : ٣٨٥ . (٨) رقم : ٤٠٦ . (٩) رقم : ٤٠٨ .

../.

٣ — جبران خليل جبران : تغني له فيروز ثلاث اغنيات • الأولى بعنوان " المحبة " (١) وهي ليست قصيدة ، وانما هي نثر قال فيه جبران كلمته في المحبة • والاثنتان الباقيتان : " اعطني الناي " (٢) و " سكن الليل " (٣) شعر صور فيه جبران منحى من مناحي تأملاته الصوفية •

٤ — نزار قباني : له ثلاث قصائد تغنيها فيروز واحدة وطنية في "دمشق"(٤) والباقيتان "لا تسألوني " (٥) و " وشاية " (٦) في الغزل •

٥ — ميشال طراد : تغني له ثلاث اغنيات عامية اثنتان في الغزل همـا : " جلنار " (٧) و " تخمين "(٨) وواحدة تصور شوق الوالدية للأبناء هـي "تكَوَّخنا يا تبني " (٩) •

٦ — سعيد دريش : له ثلاث اغنيات وهي كلها في الغزل : يا شادي الألحان " (١٠) و " دللعت يا مَحْلا نُورْها " (١١) و " زُوروني كُلّ سَنَة مَرَّة "(١٢)•

أما الشعراء الباقون فتغني فيروز لكل واحد منهم قصيدة واحدة • واحيانا لا يتجاوز ما تغنيه لبعضهم الأربعة اسطر • وفي ما يلي اسماء هؤلاء الشعراء، مرتبة حسب المقتضى الهجائي ، مقرونة باسماء قصائد هم الفيروزية المُغَنّى ، مشفوعة بأيراد المنزع الإنساني لكل منها سواء أكان روحيا ، او وطنيا ، او غزليا ، اوغير ذلك من الاتجاهات الإنسانية في الأغنية الفيروزية :

١ — ابن جبير(١٣) : قصيدته " اقول وآنست بالليل "(١٤) • وهي رحلة روحيَّة الى رسول الله محمد بن عبد الله •

---

(١) رقم : ٣٦٤ • (٢) رقم : ٣٦١ • (٣) رقم : ٣٧٧ •
(٤) رقم : ٣٧٣ • (٥) رقم : ٣٨٨ • (٦) رقم : ٤٠٠ •
(٧) رقم : ٣٤٦ • (٨) رقم : ٣٤٥ • (٩) رقم : ٣٤٤ •
(١٠) رقم : ٤٠٤ • (١١)رقم : ٣٥٠ • (١٢) رقم : ٣٤٩ •
(١٣) ابن جبير (١١٤٥ — ١٢١٧) ولد في بلنسية (الأندلس) وتوفي في الإسكندرية • رحالة عربي درس الفقه والحديث في شاطبة ، شرب الخمرة صدفة فحج تكفيرا • وكان من أهل المنزلة العالية في العلم والأدب والشعر في الغرب • انظـر ترجمة له في تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٣ ، ص : ٩٤ • وفي تاريخ الفكر الأندلسي ، ص : ٣١٦ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وكتاب (الرحلات) لشوقي ضيف ، ص : ٧٠ — ٩٤ •
(١٤) رقم : ٣٦٢ •

../.

٢ — ابن سناء الملك : هو أول من استكثر الموشحات واجاد فيها مـــن المشارقة ، وله (دار الطراز) في الموشحات (١) • تغني له فيروز موشح " يـــا شقيق الروح من جسدي (٢) في الغزل •

٣ — ابو بكر بن زهير : موشحه " هل تستعاد " فيه حنين " لأيام الخليج " و وصف لمجلس أنس بين أحضان الطبيعة •

٤ — ابو الحسن علي الحُصري القيرواني : له موشح " ياليل الصب "(٤) في الغـــزل •

٥ — ابو سلمـــى : هو (عبد الكريم الكرمي) شاعر فلسطيني نزح الى سوريا عندما حلت نكبة فلسطين • له قصيدة غزل عنـوانها : ابنة بلادي (٥) •

٦ — ابو نـــواس : له " حامل الهوى " في الغزل (٦) •

٧ — أحمد شوقي : له " يا جارة الوادي " (٧) ، وتقع في واحـــد وخمسين بيتا ، المغنّى منها تسع ابيات فقط •

٨ — أسعد سابا : (٨) من شعراء الزجل اللبناني وله قصيدة " عـــن دلّـك " (٩) فـي الغـــزل •

٩ — إيليا أبو ماضـــي : وله لبنانيّة بعنوان " وطن النجوم " (١٠)•

١٠ — بدوي الجبــــل : له قصيدة " خالقة " (١١) رائية من ثمانيـــة وعشرين بيتا على البحر البسيط • تغني منها فيروز خمسة عشر بيتا •

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان ج ، ٣ ، ص : ١٥ وفي معجم الأدباء ج ، ١٩ ، ص : ٢٥٦ ، وشذرات الذهب ، ج ، ٥ ، ص : ٣٥ وحسن المحاضرة ، ج ، ١ ، فصل : ما كان بمصر من الشعراء •

(٢) رقم : ٤٠٥ • (٣) رقم : ٣٩٨ • (٤) رقم : ٤٠٧ •
(٥) رقم : ٢٥٦ • (٦) رقم : ٢٧١ • (٧) رقم : ٤٠٣ •
(٨) انظر ترجمته في الزجل وتاريخه ، ص : ٢٣٣ • (٩) رقم : ٣٥٤ •
(١٠) رقم : ٤٠١ • (١١) رقم : ٣٧٢ •

••/•

١١ — بولس سلامه : تغني له قصيدة بعنوان " نوّار يا حلم الصّباح "(١) وهي أحد عشر بيتا في تأملات رومنسية •

١٢ — جرير : له قصيدة " جبل الريان " (٢) في الغزل •

١٣ — رشدي المعلوف : له " ربّي سألتك " (٣) • للأمّهات •

١٤ — رشيد نخله : له غزلية بعنوان " أهلا وسهلًا " (٤) بالعامية •

١٥ — رفيق خوري : له موشح " أرجعي يا ألف ليلة "(٥) في الغزل •

١٦ — شفيق جدايل : له شعر بعنوان " **تعال تعال** " (٦) في الغزل •

١٧ — الصّمة القشيري : تغني له أربع أبيات بعنوان " بروحي تلك الأرض " (٧) وهي حنين لأيام أمضاها بها •

١٨ — عبد الله غانم : (٨) له غزلية بالعامية هي " دقت على صدري "(٩) وهو من شعراء الفصحى الذين كتبوا في العامية •

١٩ — عبد الله الخوري : تغني له " لجة خضراء في أبيات عنوانها " بين النّجوم "(١٠) •

٢٠ — عنتره : تغني له بيتان فقط " ولقد ذكرتك "(١١) في الغزل •

٢١ — قبلان مكرزل (١٢) له قصيدة " غروب " (١٣) وهو من شعراء الفصحى الذين كتبوا في العامية •

---

(١) رقم : ٣٦٧ • (٢) رقم : ٣٧٠ • (٣) رقم : ٣٧٤ •
(٤) رقم : ٣٤٢ • (٥) رقم : ٣٥٨ • (٦) رقم : ٣٦٨ •
(٧) رقم : ٣٦٦ • (٨) تجد نبذة عنه في الزجل وتاريخه ص : ١١٢ ، وفي لبنان في روائع اقلامه . للدكتور جميل جبر ، ص : ١٤٣ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤ •
(٩) رقم : ٣٤٧ • (١٠) رقم : ٣٦٧ • (١١) رقم : ٢٠٢، ٤٠٢ •
(١٢) تجد نبذة عنه في الزجل وتاريخه ، ص : ١٢٠ •
(١٣) رقم : ٣٨٣ •

••/•

٤٢ — لسان الدين بن الخطيب : (١) له موشحان غزليان : " من عذب اللظ " (٢) و " في ليالٍ " (٣) .

٤٣ — مرسي جميل عزيز : تغني له شعر بعنوان " سوف أحيا " (٤) .

٤٤ — ميخائيل نعيمه : تغني له كلمة شعرية عن أوراق الخريف بعنوان " تناثري " (٥) .

وهكذا تناثرت الموضوعات الانسانية في الأغنيات الفيروزية ، تناثرَ الطَّل فوق ارتعاشات البراعم .

---

(١) تجد ترجمته في تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، ج ٣ ص : ٢٣٠ ، وراجع كذلك تاريخ الفكر الأندلسي ، ص : ١٥١ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وبروكلمن ، ج ٢ ، ص : ٢٦٠ .

(٢) رقم : ٣٩٣ .　　(٣) رقم : ٣٨٦ .

(٤) رقم : ٣٧٨ .　　(٥) رقم : ٣٦٩ .

../.

ملحق رقم ٢ : الأغاني الفيروزيّة حسب التسلسل الهجائي لعناوينها

والأغاني العاميّة أوّلا .

حرف الألف

رقم ١ الأُوضة المنسيّه

ليل وأُوضة منسيّه   وسلّم دايـر منْ دار
دارت فينا العليّه   ودارت بالسّهرة الدّار
والعلّيّة مشتاقه   عالحبّ وهمّ جديد
فيها طاقة والطّاقة   مفتوحة للتّنهيد .
وضويّة البيوت تنوس   فانوس يسهر فانوس
وانت بقلبي محروس   بزهر الحرقه والنّار
يا ريت الدّنيي بتزغر   وبتوقاف الإيّام .
وهالأوضه وحدا بتسهر   وبيوت الأرض تنام .
وتحت قناديل الياسمين   إنت وأنا مخبّايين
نحكي قصص حلوين   ولا مين يدري شو صار
يا أوضه زغيري زغيري   فيها بحبّي تلاقيت
أوسع من دني كبيري   وأغنى من ميّة بيت
بحنانه وبدّي حاكيك   حاكيني اللّه يخلّيك
وإتلّني شبابيك اللّيل وسطوح الدّار .

٢ البنت الشّلبيّه

البنت الشلبيّه   عيونا لوزيّا
بحبّك من قلبي   يا قلبي إنت عينيا
تحت الرّمانه ^   حبّي حاكاني
ستّي غنانه يخيّوني وتغزّل فيّا
بذّل بتلوح   والقلب مجروح
وأيّام عالبال   يجين وتروح
تحت القناطر   محبوبي ناطر
كسّر الخواطر يا ولفي ما هان عليّا

٣ البير المهجور

يا هالبير ، بعرف إنّك   ما عاد حدى يملّي منّك
لكن خوفي ، ينزلو عليك ،   يقومو يسرقوك
صير منّك

../.

انشالله يكون فرق فرق الخصم فرق فرق واخذو العصم
بين الخصم شب بيضلو عا وج المسي
جريمتك يا قرنفل عم تشبح على وج المسي
تا عالبير المهجور نطرتك يا حبيبي والورد الحلو مشرور بالساحة يا حبيبي
والقمر يشدو والسمر يدور بهما البير المهجور .

علّى بهم الأسرار زرعني الحزن القاسي
والفرح الأبيض طار والناسي بقصدو ناسي
يا قرعة الألماسي على شباكي ناسي
وترحل لبعيد طيور وتلتقي من بعيد الطيور
على البير المهجور

٤ ## اطلعي يا عروسه

اطلعي يا عروسه عالكرم نقّي عنب
وطلعت العروسه من الكرم طار العنب
وطلعت العروسه تنقي تين ضحكلا الناطور وقلبو حزين
ولوحت بعيونو لفتي ملبانه عتب وضاع بها البراري وانبح صوت القصب
طلعت العروسه تنقي عريس رماها الهوى ونقاها العريس
ولبست الأساور والطرحه كلا قصب
ورقصت العروسه وضحك رنين الذهب

٥ ## إفيفا

بعرفكن ما جدي
— أهلا وسهلا نورت الدار
والشمع الأحمر يضحك للنار
يا ليل وطار يا حلم وطار
إفيفا إفيفا إفيفا
— افيفا

علّى شرف جدّي صار عمرو ثمانين
خلّو الليله تليق بناطور السنين
جدي يا جدي شيخ الشباب
طريقو التلج وبيتو الضباب
الذهب بجيابو الكرم ساكن إيديه
وولادو سبعه كل واحد ببلاد
تا لرهن ناطرهن جدي مشرح بيال
تا يرجعو ولادو

../..

٦ القدس العتيقة

مريت بالشوارع شوارع القدس العتيقة
قدام الدكاكين البقيت من فلسطين
حكينا سوى الخبرية وعطيوني مزهرية
وقالولي هيدي هدية من الناس الناطرين
ومشيت بالشوارع شوارع القدس العتيقة
أوقف عباب بواب صارت وصرنا صحاب
وعينهن الحزينة من طاقة المدينة
تاخذني وتوديني بغربة العذاب
كان في أرض وكان في ايدين عم بتعمر
عم بتعمر تحت الشمس وتحت الريح
وصار في بيوت وصار في شبابيك عم بتزهر
وصار في ولاد وبأيدن في كتاب
وبليل كلو ليل سال الحقد بفيّة لبيوت
والايدين السودا خلعت لبواب وصارت لبيوت بلا صحاب
بينن وبين بيوتن فاصل الشوك والنار والايدين السودا
عم صرخ بالشوارع شوارع القدس العتيقة
خلي الغنية تصير عواصف وهدير
يا صوتي ضلك طاير
زوبع بها الضماير
خبرهن عللي صاير
بلكي بيوعى الضمير

٧ القمر بيضوي عالناس

القمر بيضوي عالناس والناس بيتقاتلوا
عمزارع الأرض الناس عحجار بيتقاتلوا
نحنا ما عنا حجر لا مزارع ولا شجر
انت وأنا يا حبيبي بيكفينا ضو القمر
القمر بيزور الطرقات وبيشعشع كل الدني
بيضوي بالسهرات عالفقير وعالغني
نحنا منحب السهر وعدروب الليل السفر
انت وأنا يا حبيبي وبيرافقنا ضو القمر
قالوا البلابل صبحي عالحقول وساع والدني بتساع

نيّال اللّي بيرجع عشيي وع كلّ لبْواب بيتلاقى بصحاب
تمشا يا حبيبي مع طير لغياب
نتعد ع هالباب قريب وقريبي .

٨ اللّه معك

اللّه معك يا أسمر الجبهة يا ناعس العينين
عشقتك أنا وما عدت منتبهه من وين ولوين
اللّه معك يللّي الشمس لوّحت جبينك بألوان خمريه
مهضوم إنت وعاتكاوينك موجات سخريه
يا شب يا ساكن بجيرتنا يالقلبنا لقلبك
لفتات عينك صوب حارتنا بتدل عن حبك
ليش التعب الاسمر على عيونك تخمين ما بتنام ؟
تعسان يا مدبلي جفونك كثرة الأحلام ؟
الأزهار عم يتهامسوا بسرك عمكاسر الميّي
والبنت يللّي شاقها فكرك عرفناها مين هيي
متل الورد بفيّا الشدران بتشوف صورتها
عيني بعينك شايفي ألوان صورة محبتها .
اللّه معك اللّه معك

٩ إمّي نامت عا بكّير

إمّي نامت عا بكّير وسكّر بيّي البوّابه
وأنا هربت من الشبّاك وجيت لعيد العزّابه
وشبّاكي بعدو مفتوح والبردايه عم بتلوح
نحرفو بثيابي أهلي يا ذلّي وين بعدي روح
وين بعدي روح يا ذلّي نحرفو أهلي بثيابي .
يا ورد العايق بالطّول وبتضل بحالك مشغول
شوكك بثيابي علق هلّق لإمّي شو بقول
شو بقول لإمّي هلّق علّق شوكك بثيابي

١٠ أنا بنتك

أنا بنتك وانت بيّي وما فينا نتغيّر
إنت وإمّي ودرج اللّوز وبيوت الحي انت وانا
أنا بهاك الأرض مشلوحة هونيك قدراجنا المجروحا
أنا مقدوده بسقف البيت مثره ما خشبة الشبّاك وحجار البيت

../.

الدّاهر يا بيّي جيت مش سكران — إنت وصاحبي ضيّعت حالك
لا في قصص حلوى عم تتحكى ببالك — لا في بطوله ولا طفوله ولا شمس تضوى
إنت وصاحبي تغيرت قلبي وانا ما عرفتك — ارجاع اسكار وارجاع بيّي وردني بنتك

١١ أنا عصفورة الشمس

انا عصفورة الشمس — أنا زهرة الحريّه
أنا وردة المسافه — مربى الحفافي
مكتوبي قد راح — ومكتوبي عجسورة الميّي
انا زهرة الحريّي — انا عصفورة الشمس
ضوو قنديل المحبّه — قبل هبوب الريح
قبل المنابر ما تضيع — ويمحي الزيح
وللّي مسودّين عا هوا لبحور — يغرقو المراكب يغرقو لبحور
ضوّو قنديل المحبه على بيوت الناس — قبل ما ينهدّ الورد ويوسع اليباس
وللي عالبواب يطلعو من النوم — يكسروا لبواب ويتهبّط النوم
طلع الضو عالسهل الكبير — وطارت السما عجناح العصافير
اتركوني اتركوني — خلّيني طير .

١٢ أنا لحبيبي

انا لحبيبي وحبيبي إلي — يا عصفوره بيضا لا بقا تسألي
ولا يعتب حدا ولا يزعل حدا — انا لحبيبي وحبيبي الي
حبيبي ندهلي قلّي الشتي راح — رجعت اليمامي زهّر التفاح
وأنا على بالي الندي والصباح — وبعيونك ربيعي نوّر وحلي
ندهلي حبيبي جيت بلا سؤال — من نومي سرقني من راحة البال
انا على دربو ودربو عالجمال — يا شمس المحبه حكايتنا غزلي

١٣ أنا ما حبيت

انا ما حبيت بعد ما حبيت — لكن انا ناطره والنطره طاقة عالحب
ما بدى إخسر النطره — ولا سكّر طاقة الحب انا ناطره انا ناطره
مرق الحب وانا عالمفارق — جايبي عافرسو البيضا يميل
وقلّي أنا على إسمك مارق ضويلي قمر وقناديل
وانطريني انطريني ، عالطريق اسألي عنّي وانطريني
طل الحب بورق الحراري والقمر عا نهر الورد يفيض
وقلّي جيّي العبي وداري واسهري تحت هومي البيض .

١٤ أنـــا هويــــت

انـــا هويــــت وانتهيـــــت — وليـــه بقـا لـــوم العـزول
بيحسب إنسي أقـول يـا ريــت — الحُب دا عنـي يــــزول
ما دمت انـا بهجرو ارتضيـــت — خلّـي بقـا اللّـي يقـول يقول

١٥ أنــا وسهـرانـه

أنا وسهرانـه وحدى بالبيـــت — على السكيت ومتل الضجرانـه
مشيه قريبي طقت عالـــــدرب — قلب يا قلت جايـي حبيبــي
قمت وضويت زحت البرد ايــي — تاشوف الجايـي وشعشعت البيت
رتبت المزهريـي هيّيت قلوب السكـر — حطيت الشال عليي ولبست العقد الأحمر
ونطرت الباب تالبـاب يـــــدق — والقلب يدق ومـا دق البــاب
والمشيـة بعدت بعدت بالليـــل — معاها الليل تخبيت وتعبت
أنا وسهرانه وطفيـــت الضـــو — وطلع الضو أنا وسهـــرانه ٠

١٦ انـت وانــا

إنت وأنا عم يسألونا كيـــف — منذ ال شو بيحلالنا نغنـــي
ما بيلتقى مرات عنا رغيـــــف — ومنعيـــش بأطيب من الجنـه
عم يمرقى عا حفة الشبــــــاك — هالتاركو صبح ومسا مفتـــوح
ولو ما عاد يسألـي شو بــاك — ولا عاد ياخدنـا القمر ويـروح ٠

١٧ إنســي ؟ كيــف

انسى ؟ كيف والمستعشر سنـي — كنت بها الدني وما كنت بها الدني
وتشتي وتصيف بدونـي الدنـــي — إنسى انسى إذا بقدر انســـى ٠
انسى ؟ كيف والعيد وايام الشهـر — مشتاقه للقمر وخلف الطاقه التمـر
لا سأل عني يوم ولا ودا خبـــر — وبنسى ينسى متل الكل بينسـى
حبستوني إنتو وصرخ انا بريــــه — تركتوني ورحتو عالأعياد الليليــه
وما قلتو فـي نامر لا عياد ولا حريه — وابرد ابرد ما اغفى وصور عاالحيطان
شمس كبيره بالليــل واقعد حدا تا ادفى ٠ انســـى كيـــف ؟ ٠

١٨ الورقـــه الأخيـره

والورقـه الاخيره خلوها للعتــب — منحطها أميره منذرها للعتــب
والناطر شو ناطر تايسافر بعيون الناس — فزليه نزلت عالدرج فزليه بلعت عالدرج

٠٠/٠

وانا صرلسي من الصبحيّه ناطر تا يمرق قزليّه
قزليه قزلتنا صوب الميّه أخذتنا
اخذتنا وما سقيتنا وعطشنا على عين الميه
قزليه على بالي وليليّه موّالي
ويا حالي يسأل حالي كيف حال القصص المنسيّه
وليّنا القمر غاب وتغرّب الليل
راحوا الأحباب كل واحد يميل
واذا الأرض مدوّره يا حبيبي رح نرجع نتلاقى يا حبيبي
منتلاقى تبيت بفيّة قنطره إذا يا حبيبي الأرض مدوّره .

١٩ إيّام العيد

بها العيد بدّى قدّم هديه لا ذهب ولا ورود جوريه
طالع عالي فم زهره وقلب وقدّمن للعيد عيديه
يا عيد يا طالل من الألحان بالخير بزهور الهنا عليان
عالناس كل الناس وين ما كان بتشرق سعاده وشمس مضويّه
وبيوتنا اللّي مشرعه للعيد فيها الإلفه كل يوم تزيد
تتعاد ومواسم الخير تعيد عبلادنا بيألف فيّه .
يا رب تزيد تبرك وتعيد
عالدني كلاً إيّام العيد
هلّت بشاير ماجت عرابي
والطير الطاير غنى للعيد
وضويه وزينه بسمرا تخويني
بسدّو يلاقيني بيتّوم العيد
يا زهق عالي بيخضرو تلالي
ويموج قبالي ويرقص للعيد

٢٠ إيماني ساطع

مهما تأخر جايي وما بيضيع اللّي جايي
تا قلبه بيوصل من قلب الضو
من خلف الغيم وما حدا بيعرف اللي جايي
كيف ، يعني جايي
إيماني ساطع يا بحر الليل إيماني الشمس المدى والليل
ما بيكسر ايماني ولا بيتعب أيماني وانت اللّي مابتنساني

أنا إيماني الفرح الوسيع ومن خلف العواصف جايي الربيع
وإذا كبرت أحزاني ونسيني العمر الثاني
إنت اللي ما بتنساني .

حضرة البناء

٢١ بتشوف بكرا بتشوف

وحياة عينك يا ورد نيسان   زهّر على شباكن العشقان
وإن كان بدّن يسألو عنّا   جيران قلّن بعدنا جيران
بتشوف بكرا بتشوف   شو دارنا حلوي
تا تظل أخضر مكشوف   والشمس بتضوي
فراشات بتجينا رفوف   وطيور تقصدنا ضيوف
وغصون ترقص وتغني   بتشوف بكرا بتشوف .
وإنت تظل وتقلك أهلا   وهيك تظل تسحر على مهلا
وعيونا ترف وتحكي   وقلوبنا تبوح وتشكي .
وتروح بالعتب تطوف   بتشوف بكرا بتشوف
فوق شو هم منعيش بجنّه   وشوق يلم تنهدات ويغني
وعواب خضرا معنيّه   تا قباب مثل الحليّه
وبورد شلحو مسقوف   بتشوف بكرا بتشوف .
وهاك الدني الخضرا   بتضل حليانة
فيها الهوا بيمضي   أحلام وقصاني
والحب فوق دواليها   عناقيد حلياني فيها
وما فيش واحد مقطوف   بتشوف بكرا بتشوف .

٢٢ بتسأل إذا بهواك

بتسأل اذا بهواك ؟
هالقلب مين يللي دوّبه   مين يللي ضناه وعذّبو
ودلّو على الغصّات   بتسأل إذا بهواك
ما دريت بليالي البكي   ما سمعت شو صفو حكي؟
وشو ألفو حكايات   بتسأل إذا بهواك
موال : مين من عيني سرق نوم الهنا   مين من جلدي مسح لون الشباب
ومين علّمني البكا وكتر الضنا ؟   ومين مشّاني على دروب العذاب
من بعد هالأشعار   ومن بعد يللي صار
وليك لا تا بهواك .

../.

٢٣ بـــرد بـــرد

بَرْد بـــرد بـــرد شِتا برق ورعـــد   قرّبي النّارات قربيهـــم بعـــد
شوفي شوفي التّلج كيف غطّى المرج   وشوفي العصافير ما عاد فيها تطير
غلّف هالأ مطار وبعد مالإعصار   يا هَلْ ترى الورد بيرجع يزهّر بعد
التفّي بالوشاح من وجه الرّيـــاح   ما شعرتِ برعشات من برد النسمات
ما بيبرد القلب... المشتعل بالحب   ومهما البرد اشتد لي أماني الغد
ترى كيف عاملين الفقرا المساكيـــن   الله كبير بيعين وبيشوف المحتاجين
ومن بعد الصّقيع بيطل الرّبيـــع   وبكرا بعد البرد دفا مالو حـــد

٢٤ برجعك عيـــد

برجعك عيد بالبيارق طايـــــر   تسلم إيد علّت هالعمايـــــر
خدني وطيـر عجبال العليّـــي   مجد كبير عم شوفو بعينيّـــي
خير كتير.. ومواسم غنيّـــي   وتواطير عالدّاير عالدّايـــر
يا خيّـــال يلعب عالحفافـــي   بين جبال فيها الدّهر غافـــي
صـــوت رجال بيقلّك عوافـــي   والشّلّال يهدر بالبشـــاير

٢٥ بعدك على بالي

قلّل وسألني إذا نيسان دق الباب   خبّيت وجّي وطار البيت فيّ وغاب
خبيت افتحلو عالحب إشرحلـــو   طلّيت ما لقيت غير الورد عند الباب.
بعدك على بالي يا قمر الحلويـــن   يا سهر بتشرين يا ذهب الغالـــي
بعدك على بالي يا حلو يا مغـرور   يا حبق ومنتور على سطح العالـــي
مـــرق الصيـــف بمواعيـــدو   والهوى لملم عنـــاقيـــدو
ولا عرفنا خبـــر عنّك يـا قمـــر   ولا حدا لوّح لنـــا بإيـــدو
بيطل الليالي وبتروح الليـــالـــي   وبعدك علـى بالـــي علـى بالـــي

٢٦ بعلبـــك

بعلبك أنا شمعه على دراجك   ورده على سياجك   أنا نقطة زيت بسراجـــك
بعلبك يا قصّة عز عليانـــي   وبلبسال حليانـــي   يا معمّره بقلوب وغانـــي
هون بِحْنا هون لوين بدنا نروح   يا قلب يا مشبّك بحجارة بعلبـــك
عالدّهـــر عسنيـــن العمـر.
هون نحنا هون وضوّ القمر مشلوح   عا أهلنا الحلوين عابيوت غرقانيـــن
بالعطر بثمـــار الزّهـــر.

٠٠/٠

هـــــون رَحْ نبقـــــــــى نِسعـــد ونشقـــــــــى
نزرع الشّجره وحدّا الغنيّـــــه وللدّني نحكـي حكايـي الهيّـي
وبحلبك بهالــدّهر مضويّـــي وما إسما السّهـرات مسيّـــي .

٣٧ بعدت السّهريّي

بعدت السّهريّي وحليت الغنيّي لاقونا لاقونا عالقمـــــريّـــي
والدّنـي عشقاني والنّجمه سهراني والهوى عم يضحك عالتّعبانـي
وعم يحلى مشوارنا ونحكي نحكي سرارنا حكايتنا حكايي والدّني مضوّايي
والقمـر ساعه والزّعل إشاعـــــه والنّجوم بعيدى والرّفقه سعيدى
والسّفره طويلي والقصه طويلـــي والحبّ البداية والحب النّهايــه
وبيخلصـو السّهريــــــات وما بتخلص الحكــــايـــي .

٢٨ بيمدّلها البيمدّل

بيمدّلها البيمدّل يا أهل الشّتي والريح بيمدّلها البيمدّل وبيمرق عمر مليح .
ميلو أهل الهوى ميلو سهّرونا وما تبونا والقناطـــر ميّــــــلو
سهر وليل وضوّ شحيح يا أهل الشّتي والريح غيّرو غيّرو حبايبنا غيّـــــرو
غيّرو غيّـــرو حبايبنا غيّــــرو وللّي غايـب قلبـو دايـــب
وللّي حبّــو غيّـــــرو .
وعد يطول وشوق يصيح يــا أهـــل الشّتـــي والريــــح .

٢٩ بعدو الحبـــايب
(يا جبل اللّي بعيد)

يا جبل اللّي بعيد خلفك حبايبنا بتموج متل العيد وهمّك متعبنا
اشتقنا عالمواعيد بكينا تعذّبنا يا جبل اللّي بعيد قول لحبايبنا
بعدو الحبايـب بيعـــــدو بعـــدو الحبــــايـــب
تا جبـــل عالـــي بيعـــدو والقـــلب دايـــــب
بعدو الحبايب بيعدو بيعدو
وسألت بــاب الـــدّار وين النّاس وأهـــل الــدّار
قلّـــي الهجـــر غـــدّار تركـــو البيـــت طفيـو النّـار
شوفو المواقـد رمّدو رمّدو رمّـدو
دبلو الزهور وبيـــــن عالشجرات فـــي طيريـــن
عم يســـألـو لويـــن هالأصحاب راحـــو لويـــن
وليالي حلوى تنهّدو تنهّدو تنهّدو
../.

قلتلهن يا ميـن هالحلوين يسألني ما تذكرو تخمين صارو هيك قداربن

من فيرنا رح يسعد و يسعـد و يسعـدو

٣٠ بقطفلـك بـس

بقطفلك بـس هالمـرّه هالمرّه بس تبكـره

تبكـرا بـس شي زهـره شي زهره حمـرا وبـس

ولا بـدّى شي بعد الا داريـك تبقي بيصير وعد لمـا بحاكيـك

يا ويل عيوني كيف بتعد ملـك متل المجنوني بتصير تقلك :

بقطفلـك بـس

بحلم وبضل شهر بالي مشغـول بيطلعلي قول شعر وما بعرف قول

بتذكر مرّه سهرنـا بخيمـه ونهاك السهره وشوشتك كلمـه •

٣١ بكرا إنت وجايـي

بكرا إنت وجايي رح زهّن الريـح خلّي الشمس ترابي والكنار يصيح

وجمّع ناس وقلّي قصـوان وبكل شارع هويّـي حكايـي

بكرا إنت وجايي انت وجايي يا حبيبـي

بكـرا انت ومارق رح صور بسـراج إرسم البيارة عاروس الـدّ راج

وصـوت العيـد يـدق بعيد والشجر يبكي عالمـفارق •

بكرا انت ومارق انت ومارق يا حبيبـي

رايتك منصوبه والدهب ميزانـك عطني لثوبه واحطني عاحصانـك

وبالساحـه الكبيره تمنطرنيـي وعلّق الخيـره على عينيّـي

بكرا انت وطالل يركض بلاقيـك وشطوح المنازل كلا شبابيـك

وانت تـدل عليّي تـدل وتشتحلـي جبينـي بالسنابل

بكرا إنـت وطـالـل إنت وطالـل يـا حبيبـي

٣٢ بكـرم اللّـولو

بكرم اللولو في سلّه طليانه عناقيدا سود وحبيبي مستحلي خصلي وفكري اشرقلو عنقود

قطف الحتب حبة حبه الناطور متابيلك بدي احكيلك عن حبي وفزعانه احكيلـك

ريشه فوق ريشه رح اكتبلك بالريشه وعا سطح العريشي قمريّه وشـرود

في يلوى خبّت صيفتهـا والهـوا ناطرهـا

وبكـرا بليلـة خطبتهـا بتلبـس أساورهـا

والزينه بتلالي عالشباك العالـي والقصب العالي عاجبينـا مقصـود •

٢٣

بِكتُب إسمك

بِكتُب إسْمك يا حَبيبي عالْحور العَتيق
بْيكتُب إسمي يا حَبيبي عارمل الطّريق،
وبكرا بِتْشتي الدّني عالقصص المجرّحه
بيبقى إسمك يا حبيبي وإسمي بْينمحى،
بِحكي عنّك يا حَبيبي لأهالي الحّي
بْتحكي عني يا حبيبي لَنبّعة المَيْ
ولمّا بيدور السّهر تحت قناديل المسا
بْيحكو عنك يا حبيبي وأنـا بِنْتسى •
وهديتني ورده فرّجيتا لصْحابي
خبّيتا بكتابي زرعتا عالمخدّى
هديتك مزهريّي لا كنت تداريها
ولا تجيتني فيها تا ضاعت لهديّه •
وبتقلي بتحبني ما بتعرف قديش
ما زالك بتحبني ليش دخلك ليش
بكتب اسمك يا حبيبي عالحور العتيق
بتكتب اسمي يا حبيبي عا رمل الطريق •

٢٤

بلدي درج اللّوز

بَلدي دَرَج اللّوز أربع خمس بيوت وشويّة شَجَر
بلدي درج اللوز بالجبل العالي بخيال الشّجر
طلّة القمر وردة السّهر بهني بْدرج اللّوز •
بيتنا بْوابو مْشقّقها الزمان عاسطحو في محدله منسيّه من زمان
وامي واخوتي بيلمّو حطب لأيّام التّلج بيلمّو حطب،
وانا من ايّام الطفوله مخبّايه لعب
ناطره تايجي بيّي تايضحكلي بهيّ ويقلّي يا بنت تأخرت عليّ
وياخدني بْطريق اللّي فوقو طريق وفوقو طريق وتلّه ليلكيّه
مشرح نام إلاّ فيك يا درج اللوز مشرح ضيع الاّ فيك يا درج اللوز
مشرح إلقي راسي الاّ على مخدة أهلي بفراشي العتيق
بدرج اللّوز

٢٥

بيّاع الخواتم

يا بيّاع الخواتم بالموسم اللّي جايي جبلي معك شي خاتم •
يا بيّاع الخواتم رح يتركني حبيبي اشبسلي حبيبي بخاتم •
قلّي انطريني برجع بصيفيّه ولا تساليني مخبّيلك هديّه
ومن مدينه لمدينه يودّى يقول انطريني وعم بتروح المواسم وبأيدى ما في خاتم
بيّند علينا ودار اللّنا بجيدى حكيو عنينا وتطلّع بأيدي
يا بيّاع المحبّه إصحا تتسالي القلبي بمناقيد الحمايم دخلك وديلي خاتم •

٠/٠٠

٢٦ بيتك يا ستّي الختياره

بيتك يا ستّي الختياره — بيذكرني ببيت ستّي
تبقى ترندحلي أشعاره — والدنيي عم بتشتّي
يوك وفرشات وديوان — عتق البتاب وهالحيطان
دارك متل دارا يا ستّي الختياره

تبقى تقعدني وتحكيلي — حكايات الجن الحلوي
وزبيب وجوز تغلّيلي — وأعملا ركوة قهوي
ستّي اليوم بعيدي وبشوفا بإيدي — بشتاقه لأخبارا يا ستّي الختياره
يمكن عم تسقي جنينتها — عا تلال الشمس وتحكي
لعبيّه تقرى حكايتها — وعم تتذكرني وتبكي
ولما حاكيتني بكيت وذكرتيني — بستّي والدوّاره يا ستّي الختياره •

٢٧ بيروت

يا مينا الحبايب يا بيروت يا شط اللي دايب يا بيروت
يا نجمه بحريّه عم تتمرجح عالميّه يا زهرة الياقوت يا بيروت
عم يلفو المراكب والقصص الغرايب فيّة السفر والدهب
والهوى بالشوارع والقمر اللي ضايع عم يزرعو الفرح والتعب
هونيك الطفوله اسوارتي المخجوله يا زهرة الياقوت
بحب العمر فيك بعشق لياليك ضجيج العبث واللهو
يا بال الميش فاضي بهاك الصيف الماضي ايّامك الحلوين انتهو
وساحات المدارس وعياد وعرايس يا زهرة الياقوت
وحكاية بيروت حكاية الرصيف التعبان بالناس وبالحيطان
بالأهل العنيد بسكك الحديد بصوات الفرح والهرب والزمان
بيروت الشرايح منارة اللي ضايع يا زهرة الياقوت

٢٨ بيّي راح

بيّي راح مع هالعسكر — حمل سلاح راح وبكّر
بيّي ألا بيّي عمّر — حارب وانتصر بيعنجر
عند تلّك زوادي — عالكرم البلوادي
تنتلك خبرني حكايي — حكيلي عن بلادي
شفت جبال القمح تتمختر — ومزارع تتخضر وتكبر
وليما طلعنا شويّي — عالضيعه الجديّي

٠٠/٥

قلتلك هالسفره حلوى   بس تبعيدي عليّ
قلتلي في سفره أكبر   بدنا نتعب فيها أكتر
يا بتو السيف القاطع   لحب تيلك واسع
وقوام الزينه مضويه   لعز إنت وراجع
والدبايا تعرش العنبر   وبلادي عا ايدك تعمر .

حرف التاء

٣٩
تبقى ميّل

تبقى ميّل تبقى اسأل   متل الأول دال اسأل
الله لا يشغلك بال   وديلي منك مرسال
انا ما بدي تجي وتقول   اعذريني مشغول
لفتي من بعيد بتكفيني   وقلبي إلك على طول
لا توديلي الزهر تلال   وبالشوق تجرح موال
تبقى ميّل
سهرات القمر الحلوين هجرونا من سنين   زعلو ناس وزعلونا من ويتنا المنسيين
إيام تقرب وقبال عينيي عالدرب شمال   وبلبل عاشق غط وقال اسأل اسأل .
تبقى ميّل

٤٠
تحت العريشي

تحت العريشي سوى   قعدنا سوى وقلنا
كرم العشيه استوى   ونبقى منازلنا
يا زهور صم يلي بدهو   البلبل لغي وغنى
الكاسو بعتو التهو   بيغيرونا عنا
تبقى يدوب الحكي   وكان الحكي إلنا
قلوب اللي تشتكي   والشوق اللي لنا
بالليل عليها الحلو   يوميلنا بايدو
وقلوبنا تدللو   تشكي بمواعيدو
ولنا زرعنا الدني   وحليت ما تلنا
فيا السياج الهني   بالحب ضللنا .

٤١
تحا ولا تجي

تحا ولا تجي وكذوب عليي   الكذبه مش خطيه

وعِدْني إنّو نِح تِجي وتِحنا ولا تِجي .

عا قناطر البواب الإبر عم بِتْعيسك — بْحِيك يِتّابي وتْحيك حْكايتي
والإبر مشنوني والعيون مشنوني — يا خوفي الحكي يجي وتما ولا تجي .
الحَسَد عالطريق الحسد عم بيزّهر — زهّر بالدواره وزّهر عند الجاره
ونزلِت بمنزلها قعدنا بمنزلها — ولوين نِح إلتجي وتحا ولا تجي .

٤٢ تك تك تك

تيك تيك تيك يَمّ سْليمان — تيك تك تك جوزك وين كان
تيك تك تك كان بالحقليه — عم يقطف خسون ورمّان
يا جدّي يا ستّ بْسدّور — شوفي القمر كيف بيدّور
والناطوره بدّا شمسين — والشمس بعقد المرجان
عمّي يا عمّي العتّاب — خليها يلعب عالبّاب
والبّاره بدّا قمحه — والقمحه عِنْد الطحّان
يا جدّي يا جدّ التلج — ليحيتك فِتِلت عالمَرْج
والهوى بدّو خيمه — والخيمه بدّا خيطان
وينّي الجمال "بحنّي بالقنطره " — شو لَسمّيناهن " قمح ودره "
شو سمّيناهن " ستّ مقطره " — يا عمّي الغراب " جوزني بنتك " .

٤٣ تلج تلج

تلج تلج عم يشتّي الدّنيي تلج
والنجمات حيرانين — وزهور التلرّنات برد انين
والخيمات تعبانين — وعالتله غيمات مضوّين
ومناره تعبانه فيها طِفل زغير — بعيونو الحلوانه حبْ كتير كتير
وكل قلب وكل مرج — زهّر فيه الحب متل التلج
وجايي رعيان من بعيد — وين الطفل الموعود
قولي يا رعيان العيد — هوّي الليل المنشود
تلج تلج شتي خير وحب وتلج — على كل قلب على كل مرج
إلفه وخير وحب متل التلج .

٤٤ تلال الزّراعين

تلال الزّراعين — تلال الوعر — تلالي الشيح ضيعتنا
تلال الحصّادين — صخور بتصرح — راس الرّيح ضيعتنا
يا طارح شو بين — بيادر حصادين — شبابيك الحلوين ضيعتنا

../.

يا قمر يا عالي يا معلّق بالشجر | يا حلو يا عالي يا لافي من السفر
خبّرني خبر عن ليلة السهر | عن قصة القمر عشطوح ضيعتنا
مزروعه مزروعه جناين داير مندار | وبدنا الا مزروعه لتعطي الأرض ثمار

حرف الجيم

٤٥ جايبلي سلام

بكّير طلّ الحب عا حيّ لنا | حامل معو قلوبي ومحكي ود من وهنا
كنا وكانو عالبنات مجمعين | يمي وما بعرف ليش نقاني أنا
جايبلي سلام | عصفور الجناين
جايبلي سلام | من عند الحناين
نفض جناحاتو | عاشباك الدار
ومثل اللي بريشاتو | منبي شرار
قلبي عالرمانه | فطيت وحاكاني
وبقيونو الذبلانه | شفت الهوى بايهن.
شو قلبي شو قلبي | عنبان المحبوب
متا بدك تطلبي | بحتيلو مكتوب
وديلو شي ورقه | عليها كتبي زرقه
وامريقيلك مرقه | مطرح منّو ساكن
وكل ليلي عشيه | قنديلك ضويه
قبوّبي الضو شويه | وارجعي وطليه
بيعرفها علامي | وبيصلّي تنامي
وتقومي بالسلامي | ويبقى قلبك لايمن .

٤٦ جايي الحب

جايي الحب جايي بيقمر وغنيّه | جايي الحب جايي وعم يسأل عليّه
فرق الرسايل عبواب المنازل | بيقمر وغنيه عم يسأل عليّه
وخليت مراسيلو بسلال الهدايا | علّق قناديلو عبواب الصبايا
وعلّق زهر الخيره بمزهريه زغيره | وقلّي يا صبيّه اقبلي مني هديّه
الصبيه قالت للحب كبّرني واقطفني | نطرتك عسياج الدرب مثل الورده اقطفني
غزلتلك فستان وعملتلك قصيده | وعملتلك بستان وعطتك عا إيدي
كبّرني واقطفني وغيّرني واخطفني . | وبكرا بيزوروني وما حدا بيعرفني

٥٥/٠

٤٧ ## جايي الثلج

جايي التلج يزورنا ويشرّن شطوحنا شطوح   جايي يزور زهورنا بثيابو البيض ويروح
يا تلج الضو جديد يا تلج وجايي العيد   لونك عيد موقد وطك عيد يا أغلى ضيف لا تروح

مجناحك في نهار   وحكيات كتار   من دنيي كلا قمار
نحنا وانت صحاب   ناطرينك عالباب   تنقلك فسوت شهار
عالدرب عصافير   وملت من بكير   بردانه ما بتطير
ساحات الضيعان   وحقول الرمان   مشتاقه كتير كتير

٤٨ ## جايي

جايي أنا جايي   جايي لعندك جايي   رح يخلص الموسم وإفضى للمحبه
وينك يا حبيبي   تا حطك بيقلبي   املي عندك غيمي
من جوانح النيمه   بالحب مخوايه   وجايي أنا جايي
بكرا مشاويري لعندك بتحملني   وعنك يا حبيبي ما حدا بيشغلني
حني عوقوني بيشغلي ونطروني   وقربت الحكايه وجايي أنا جايي .

٤٩ ## جبليه النسمه

جبليه النسمه جبليه   والحلق الطيب طايب
ردي الجدايل يا صبيه   وطلو وطلو الحبايب
جبليه النسمة ومرتاحه   وفتحت للحب جناحا
والصبيه عند الميه   ترقص وتطير الساحه
سألو سألو طلو سألو   أهلك عنك طلو سألو
والصبيه اللي طهيه   أخذتها النسمه الجبليه
جرحني مبارح موالك   خبرني كيف حوالك
وين ما بترحل وين ما بتنزل   أنا مكتوبه على بالك
كتبو كتبو سهرو كتبو   واللي عشقو سهرو كتبو
والصبحيه اسأل عني   وابعتلي النسمه الجبليه
يا طير الحن عندن طاير   يا محمل بالبشاير
نحنا نطرنا وتحسرنا   والفرح عندن داير
يا حجل يا حجل قلن يا حجل   وبعتيني في خبريه سرقتها النسمه الجبليه .

..../.

٥٠
جبّنـــي اليـــوم

جبّنـــي اليوم وانسانـــي بذكـــرا … بعفّالك دوم فـي قلبـي ذكـرا
شو نفع اللّـوم شو نفع الحسـرا … جبني اليوم وانسانـي بذكـــرا
حبّـــك وفيـــوم بتـــزور … كــل الهضـاب وكـل الزهـور
انا زهره لقلبك يحبيها قريـــك … روّيها بحبّك بغيوك مـــرّه
حبك غدير حلـــو الصّبـــور … صافي يسيـــر وحوله الطّيـــور
انا طير معذّب ناطـــر بترقّـــب … خلّيني إشرب بتكفيني قطـــره
من غير نبوى من غـــر نفـــور … نشرد سوى متـــل الطيـــور
كل يوم بطلقـــى منسعد ونشقـــى … وبكرا ما بيبقى لنا غير الذّكـــرا .

٥١
حبيتك بالصيـف

بأيام البـــرد وأيـــام الشّتـــي … والرّصيف بحيره والشّارع غريـــق
تجي هاك البنت من بيتا العتيق … وبقلّا انطريني وتنطر عالطّريـــق
ويروح وينساها وتذبل بالشّتـــي . … حبيتك بالصيف حبيتك بالشّتـــي
نطرتك بالصيف نطرتك بالشّتـــي … وعيونك الصيف وعيوني الشّتـــي
وملقانا يا حبيبي خلف الصّيـــف … وخلـــف الشّتـــــي
مرقت الغريبه عطيتني رسالـــه … كتبها حبيبي بالدّمع الحزيـــن
فتحت الرسالة حروفا ضايعيـــن … ومرقت إيّام وغرّبتنا سنيـــــن
وحروف الرّسالـــــــه … محيهـــا الشّتـــــي .

٥٢
حبّيتك والشّوق انقال

حبيتـــك والشّـــوق انقـــال … وليـــلات الحلـــوى عالبـــال
خلّـي الليـــل يعاتـــب ليـــل … وموّال يجـــرّح مـــوّال
وخلّي القلـــب يقـــول القلـــب … رفقـــا بحنـــا ووحدة حـــال
حبّيتك وسنـــح الغابـــات … اللّي حدود حدود اللّفتـــات
وسنح الغيـــم بصحيـــات … يرحـل خلف تـــلال تـــلال
تاري الحلـــو ناسي مواعيـــدو … لا مرّ لا لوّح لينـــا بإيـــدو
وبعدك يا هالطّير بتجي وتـــروح … توعّي قلب الشّـوق وتزيـــدو
حبيتك ما بعرف وين بأيّا نبع بأياعين … بعتّلك نوم العينين وتنهيدة قلبي مرسال

٥٣
حبيبي بدّو القمـــر

حبيبي بدّو القمر والقمر بعيـــد … والسّما عاليه ما بيطالا الأيـــد
../..

طلعت على السطح دلو علي الناس ... قالو مدري شو بها وخبرو الحراس
قلتلن بدي القمر قالو القمر عالي ... حقو عشر ليالي عشر ليالي سهر
والي عشر ليالي عالسطح سهرانه ... وحاسه بحالي تعباني ونعسانه
خايفه لينام وينزل القمر ... ويلاقيني غافيه ويسرقو جارتنا
يللي مزاعلتنا وتعطيه لحبيبي ... ويجينا حبيبي وأنا صير غريبي

٥٤

حبيبي قال انطريني

حبيبي قال انطريني بأول الصيف ... عابيادر الصيف وعالحقل شبقيني
حبيبي قال انطريني لما بيجي الطير ... وبيعشش الطير بالشجره الحزيني
ونطرتك يا حبيبي وراح يطلع الهوى ... وما التقينا سوى ولا شفتك يا حبيبي
لوحتني الشمس والهوى قصفني ... يا خجلتي منك تجي وما تعرفني
ويسألوني الناس شو قلك حبيبك ... شو وصاك حبيبك شو وصاك حبيبك

٥٥

حراس المدينة

يا حراس المدينه قالو صار غياب ... هذا مو قصر الزينه هذا مو مية باب
حراس المدينه سكرو المدينه ... نسيوني وحبيبي نسيني
أنا سفر العصفوره وحبوني عالطريق ... ليل وساحه مهجوره متل بير النسيق
علموني غنيه عن بلدي حزينه ... اقعد انا وياها سليها وتسليني
قالو سأل عني وكله قسمي ونصيب ... قولك شو بدو مني يا حيرة الغريب
وانمش ناطر شو ناطر بوحشة المديني ... لو هالساحه بتسافر ولا هلي بتودّيني .

٥٦

حلال القصص

جينا لحلال القصص تانحل قصتنا ... ولقينا في عندو قصه يا محل قصتنا
كل واحد عندو قصه وكل قصه ناقصه ... وبيخلص العمر وما بتخلص القصه

٥٧

حلو يا سهرنا

لا ورد في عنا ولا ياسمين ... لا جناين كبيره ولا بساتين
عنا شلينه والقمر والليل ... وسهراتنا الحلوي مع الحلوين
حلو يا سهرنا عاسطح الدار ... والحلو قمرنا زعل وطار
زعل القمر وتغير السهر ... وضيعنا الغنيه بعتمات الشجر
والحكي دار نهار خبار ... قالو صار القمر يغار
وبعدا بتبكي عاشباك الليلكي ... ومتل اللي بعينيها في غيمة بكي
ولتو زرار على زنار ... بدل القمر انزرع قمار .

٠٠/٠

٥٨ حمرا سطيحاتك

حمرا شطيحاتك حمرا كلّا رفوف عصافير — وخضرا طرقاتك خضرا رح بتلفّك وتطير
وشبابيكك يا ضيعه مضويّه ليل نهار — وكل شبّاك وفيه حلوه ووردة طيانه زرار
وتميل هالسّمرا عاوردا الحمـــرا — توشوشها وتداريها وتسألها عن عمرا
تعبان لا تسأل يا قلب وتمهّـــل — رح يتطل من الشّباك الورده تقول تفضّل .

٥٩ عيّد و الحلوين

عيّد و الحلوين عا ضوّ القمـــر — واللّيل ليّل والقمر حنّ ونطـــر
يا ليلة الحلوين عدّ راج الحكـــي — يا سهر الّما فـي بعد منّو سهــر
عيّد و الحلوين ضوّت هالدّنـــي — والولد ني جرّت وراها الولد نـــي
وفي صبي مغرور صارلو شي سنـي — ياخد خبـر ويجيب من عند ن خبــر
عيّد و الحلوين قالو ميّـة مســا — قلنا شو هالغيبه الطّويله وهالقسـا
يا هوى الإيام كان رح تنتسـي — خلّي الدّني تبكي وتغدى عالسّفـر
ويا حلو البيضل قلبو محيّـــرو — يسأل على الحلويـــن كنّن غيّـــرو
والعام فرق كبرو وطيّــــرو — وما عاد فـي غيري وغيرك يا قمـر
عليه وبالعليه في صبيّــــه — قلتلو خطفلي هيّه قلّي خطيّـــه
والمغروره مغروره وبالتّنـــوره — طارت متل العصفوره عالبريّـــه
والحلوي كانت حلوي بعدا حلـوى — وخصور الزنبق تلـوي عالغنيّـــه

حـــرف الخــاء

٦٠ خدني على تلالتهـــا

خدني علـى تلالتهـا الحلويـن — خدنـي على الأرض اللّي ربّتنـــا
ونساني على خفافي العنب والتين — شلحني عـلى ترابات ضيعتنــا
ثواب العتيقه عم طوّحلـــي — وصوت النّهورا يندّه الغيّــاب
وعيون عشبابيك تندهلـــي — صحاب عم بتقول نعنـا صحـاب
وامشي على طرقات منسيّــي — بدنيّة غياب ورح يبيت الطيــر
إنطر شي إيد تسلّم عليـــي — شي صوت عم بيقول مسا الخيــر
خدني زرعني بيأرض لبنـــان — بالبيت يللّي ناطـر التّلّـــي
افتح الباب وبوّس الحيطــان — واركع تحت احلـى سمـا وصلّـــي

٦١ خزقولي هالتيـاب

خزقولي هالتياب السود خزقولي هالخوف خلّي الفرح يرجع وراية العزّ القديم تلوح
٥٥/٠٠

إيّامنا الحلوي بجبالنا السمـــــرا وبيوت توعى عالهنـــا وتنـــام
مجدنـا ينعاد والهوى ينــــزاد ونرد العراس ونرد العيـــاد
تزلغطو ترقصو ويكبرو الولاد .

٦٢ خطـــة قد مكــن

خطـــة قد مكن عالارض هــــداره إنتو الأحبّه والكُن الصّــداره
خطلة قد مكن عالارض مسموعـــــه خطوة العز وجبهـة المرفوعـــه
يا حلوة اللّي عالحلا عـم توعـــى عنقك العقد وايدك الإســـواره
طالع ما شهب النار مجدك طالـــع والبرج بالزينه الغريبه والـــع
ضحكت صبيّه وحليت المطالـــع شعرك قصيده والخصـــر غـزاره
طيري وخلّي هالقلـوب يطيـــرو تلكي الهـوى بيبعـــد تواطيـــرو
يا صبح ورد وزقزقو عصافيـــرو إنت الأماره ونجمـــة الأمـــاره .

حرف الـــدال

٦٣ دبكـــة لبنـــان

دبكة لبنان بالملقى دبكة شهل السواعد يزلو الفرسان عالحلقة والسيف الأبيض واعد
ضاق الميدان يضيوفو والطعب لان لضيوفو طلّو الغزلان تيشوفو والساعد يشبك ساعد
يزلو الصبايا يضحكو بنعمور الميوقه ما تقول نيّاله اتكو عارطفن المعشوقه
ودراج الدار عليانه يغلون الغار تعبانه وشاعر حامـل عمر فنانـــــــي
وقاصد ديرتكـــن قاصــــد .

خطــرو الأصايل يرمحـــــو وطلو عباب الســــــــــاحه
زاح البرج مـن مطرحـــــو لخيولـــــن الرماحـــــــه
طـــل من غيـــاب وتطلّـــع وارتـــج البـــاب وتشـــرّع
يا سنين العزّ عم يرجن فضـــرك عالصـــالي ضامـــــــد
على الدّار رجعو صحاب الحميّه طلّو الدار بالبشايـــر محيّــــه
وبن الجيد وبن عيون الذباحه تشيل الجيد وترشو ملوا الساحـــه
ومن بعيد طلّو خيول الرماحـه زيد وزيد عمر صحـــاب الحميّـــه
يا هلا يا هلا لعيونك لعيونـــك يا هلا يا هلا ومصافي ومصافـــي
ومسيّجني بالعزّ مسيّجنـــــي وسوّره بالخيـــر مسوّره
ومعلّيني عالعالي معلّينـــــي ومنوّره يـــا هـلا يـــا هـــلا

٦٤ دبكـــة الدّلعـــونا

عيني ما تشوف النوم يـــا ديـــب تاركها قلق ونعاسها يـــا ديـــب
وغدي تشرح مع التّنيان يا ديـــب وتقتل مـا تريـد وتشتهـــــي
٥٠/ ..

عَلى دَلْعونا على دلعونا / ريح الشّمالي غيّر اللّونا
على دلعونا ليش دَلّعتيني / عرفتيني مجوز ليش اخدتيني
لَكْتُب كتابك عَا ورق تيني / ولَجْمل طلاقك حَسْب الزّيتونا
على دلعونا والقلب دايب / والهوى طايب والملقى طايب
دَخلك يا رايح صوب الحبايب / وصّل سلامي لامّ ليمونا

٦٥ دبكة الميجانا

ميج يا بو الميج يابو الميجانا / ورد اللّكن علّيو زْرارو عالقنا
ميج يا بو الميج أهلك وين فيدو / مالحلو بكّير عنا وبيعيدو
وبتجو عالحي تبقو حتّيدو / بوجودكن بالدّار نحنا شو لنا
ميج يا بو الميج دخلك شو بقي / من عشرة الإيام محفافي السّقي
وليش يا محبوب مش عم نلتقي / نحنا افترقنا هيك دخلك شو بنا

٦٦ دبنا وما تبنا

دبنا وما تبنا ولمّ الهوى تجمّعنا / بعدا منازلنا ملفى حبايبنا
دبنا وما تبنا والهجر تعبنا / وبعدا رياح الحب عم يتسوّق مركبنا
من غير حبك شو الغنيّات / شو اللّيل شو الوادي شو الأسحار
من غير حبك ما لنا ساعات / فضا غنيّ بأجمل التذكار
دبنا وما تبنا وصوب الضّنا قربنا / وشفنا الدّني ما زال بعدو الحلو حابينا

٦٧ دخيلك يا إمي

دخيلك يا إمي مدري شو بني / تركيني بهمّي زهقاني الدّني
بذكر من سني واكتر من سني / شفتو تحت اللوزه بهالفيّ الهني
وما بعرف عطاني يمكن سوسني / ومن يوما يا إمي مدري شو بني
كلّي حكيها وراح من دربي / ورجعت وحدي وما رجع قلبي
قربست حكايي بكتب زرقا / من حلوايي بتشكي الفرقه
قصّتها بكتبني اخدتني بدني / ومن يوما يا إمي مدري شو بني

٦٨ درج الحلوين

درج الياسمين نازل نازل / درج الياسمين لعندن نازل
حبّونا سنين ونسيونا سنين / وعدنا تقابلنا عادرج الياسمين
تحبو الحكايات على بابك تحبو / تحبو الحكايات وحبيبي بحبّو
واللّي ناسيين مش تحبانيين / عادو شافونا عادرج الياسمين

٠٠/٠

إسمك حبيبي وياما انقال | انا وحبيبي قصه عبال
ولما تلاقينا وحكيو عينينا | كان النذار للنذار مرسال

٦٩ دريج الورد

دريج الورد مدخل بيتنا | دريج الورد جنة جمانا
وبين الورد الاسمر بيتنا | وتحت الورد خيمة هوانا
روح يا بلبل واسأل عالسطوح | في بيت يا بلبل قرميد و عمبلوح
ورق الورد يخمسر بيتنا | دريج الورد ساحب ورانا ٠

٧٠ دق الهوى عالباب

دق الهوى عالباب قلنا حبايبنا | قلنا الحلو اللي غاب جايي يعاتبنا
قمنا فتحنا الباب والشوق دوبنا | تاري الهوى كذاب قصدو يلاعبنا ٠
تعب الشتي والنار غفيت بموقدنا | لا في حكي ولا قمار تنزل وتاخذنا
ودق الهوى عالباب قلنا الهوى كذاب | ولما فتحنا الباب طلو حبايبنا

٧١ دقو المهابيج

تلفي خيام اللهن من الصحارى البعيدي | وتضوى على ظالهن نار الليالي السعيدي
ومافي حدى يقلهن عن الجراح الوجيدي | وترحل خيام اللهن وانسي وحيدي ٠
دقو المهابيج تلو الهوى جنوبي | صوت المهابيج يندة يا محبوبي
والريح السودا تهج دقو المهابيج | شدو الخيام غرب جناح الطير
وهوى الخيام يندة نشد السهر | على باب اللي صوت علينا الديب
وتسيم اللي ياخد قتب وبجيب ٠

٧٢ دواره عالدواره

دواره عالدواره دار الحكي | هجرو الاحبه الحاره ليش البكي
دواره دورتيني سهل وجبل | تحت الندى تسيتهني وبالي انشغل
ما سألتي ما ذكرتيني وغيرك سأل | والهدت الياسميني وبقا تبكي ٠
دواره علي داير صبحه ومسا | وبقية الضفاير عمرو انتسى
قاسي يا هوى صاير ليش القسا | صبيه شعرا طاير وطبكي ٠
دواره علي قاصد يقلب حبق | وبأيام الحصايد قلبو احترق
قالتلي شفتك قاعد تكتب ورق | قلتلا هالقصايد كلن لكي ٠

٠٠/٠

٧٣ ديرو الميّ

ديرو الميّ ديرو المي خلّي يشرب كل الحي … خلّا تشرب كل الدّنيي ويحلا الزرع ويحلا الفي
بيتك حد العين شبّاجو والزّنبق عاغصونو … عالخيمي اللّي فوق دْ راجو عاحِطِ رف سنونو
قِدّامو تَنايي بالشمس مْضوّايي … حكينا حدّا حكايي وتشرب قلّك خَمّي
ونطرتك عاتَبّع الخيضا بَلكي بتلاقيني … وفي بإيدي زهره بيضا والحب مبكّيني
شافوني جيراني عالطرق حيراني … افتكروني تِصباني وقالو عنّي نْطَي
عِنّا جاره زرعت حبقه شو رح نعمل فيها … ما في عندا مي منبقا من عِنّا نْسقيها
كيف حالك يا جاره نورتي هالحاره … تَمي لَعنّا زياره ونحكي نحكي شوي •

حرف الراء

٧٤ راجع بصوات البلابل

بيّي راح مع هالعسكر حِمل سلاح راح وبكر … بيّي خلّا بيّي عمّر حارب وانتصر بيخنجر
بيّك صار برج مسوّر صار القصّه اللّي بتتخبّر … غلب وبد و يرجع ينغلب راح وبد و يرجع أكبر •
راجع بصوات البلابل … راجع بغناني الحصّاد بسن
ساكن عَطراف المعاول … ساكن بِقْرا يسع الحطّابين
واقف عَبّوّاب القناطر … جايي من هبّات الأشعار
إيدو عم تِزرع البيادر … صُوَرو مِضويّه بصدر الدار
ساكن خلف المعني وبين الغزّاره والنسمه … بين الريف وبين العين وخلف حروف الكِلمه
ساكن تحت اللوز وحدّ الزيتون والسّبله … بين السيف وبين الحد وتحت عيون النّبله
راجع بزنود الفوارس … وراجع بأيّام الحصاد
طالل من كتب المدارس … وبدّو يِخلق بيقّمص لولاد
وتجي إيّام وفرحك يكبر … دِني تِنقام وسما تِتعمّر
قصب السّكر يقلب مرمر … والإيّام الحلوي تكتر
هدّرت ريح طلع الورد انشتل الجرد … تجبل العنبر
هدّرت ريح ولمع السيف … ووسع الصّيف وقمرك نوّر
واللّي صار صار وصيّر

٧٥ راجعه

قالو بْعدي بْتنسيه وبتنسي هَواه … وبتستريحي مِنْ عذابو ومن شَقاه
قالو بْعدي والبعد بيخلّي الجريح … ينسى جروحاتو ويحسد لْهناه
وبعدت عا مطرح هني كِلّو أمان … وقلت بدّي شيل من قلبي الحنان
وارجع مِتل ما كنت غنّي من زمان … لا عاشقه ولّا اسهر واركض وراه
٠٠/٠

بعد ما تخلّص لا زم نلمليم هالدّموع / ومن قلبنا يمحي المحبّه والولوع
وشرقت الشمس كتير حلوي بهالربوع / وغنّى على شباكنا البلبل غناه
لا القلب ناسي ولا الدموع مكفكفي / ولا الشوق خفّ ولا تبهدا العاطفي
والعمر ناقص هون شو مش عارفه / وسمعت صوت بعيد وعرفتو نداه
ولك راجعه وحياة عيو راجعه / والقلب عم يسأل وعيني دامعه
ولك راجعه اوقف عبابو خاشعه / استغفرو عن غيبتي واطلب رضاه

٧٦ راجعين يا هوى

راجعين يا هوى راجعين / يا زهرة المساكين
راجعين عا هوى عا دار الهوى / على نار الهوى راجعين
منودّع زمان منروح لزمان / ينسانا على ارض النسيان
منقول رايحين ومنكون راجعين / على دار الحب ومش عارفين

راجعين يا هوى

منرور يا هوى يا هوى منرور / ويا حبيبي يا ورده على سور
نحنا العاشقين على طول عاشقين / وانتو بليالينا عايشين

٧٧ رجعت الشتويه

رجعت الشتويّه ضل افتكر فيّي / يا حبيبي الهوى مشاوير

وقصص الهوى متل العصافير

لا تحزن يا حبيبي / اذا بدّا العصافير تطير
وغنّيه منسيّه عدراج الشهريه / يا حبيبي الهوى غلاب

عجّل وتعا الشني ورا الباب

شتويه وضجر وليل / وأنا عم بنطّر على الباب
ولو فيّي يا عينيّي / خبيك بعينيّي

٧٨ رجعت ليالي زمان

رجعت ليالي زمان رجعو أهالينا / ورجعو حبايب زمان يتحكّمو فينا
أمر الهوى ‥ يا أمر الهوى / سلّم يا هوى وقول للزمان
قول للزمان والله زمانا يا زمان. / عهدك بقلبي قديم عهد الصبا الغالي
ليل القمر والنسيم / بعدن على بالي
أمر الهوى بيأمر الهوى / سلّم يا هوى وقول للزمان.

٧٩ راحو

راحو متل الحلم راحو / سهل صور وجنّت رياحو

ومن وبكي يا تلج منيـــن وتوجّـو عالشّوك يا حساسيـن
الزهر عم بيقصّف جناحـو راحـو

مدري عا أيّا جبـال نزلت مراكبهـن المضـويّـه
يـا ريـت شي خيّـال تنهـن يخبّرنـي بسهريّـه
قومـي انزلـي عالـدار يحكي حكايتهـن المنسيّـه
كان مـون وطيـار رفّ العصافيـر الربيعيّـه
ومتل شي بيدر فضّـي وصوات ما إلهـا عـدد
غنّـت وسكتـت للأبـد بيلبل عم بيغيـب صباحـو
راحو كلّهـن راحـو

٨٠ رح خبّـرك

رح خبّركـن قصّـه زغيـره زغيره القصّه وانتـو زغـار
تحكي وبتصير الليله قصيـره وبكـرا انشالله تصيـرو كبـار
ليلة عيـد فـرح جديـد والأطفال انوعدو بالطّفل السّعيد
غنّيّات لحبّ وزينـات وتتزيّن الشجره للميلاد السعيد
وكان في ولاد نسيوا الاعيـاد نسيوا تزوين بليلـة الميـلاد
بيتن بعيـد والقرش بعيـد وما عندن تايزينو شجرة الميـلاد
صارو يصلّو بركعـو يصلّـو ويمكـن صلاتن بكّت الدّنـي
وكان في برّا عندن شجـره شجرا عمرا شي ميّـة سنـي
وفي رفّ عصافير ملوّحلو كتيـر وبدّو بيت ومابقـا بكيـر
غطّ بها الشّجره صارت صفرا وحمرا وطلّو لولاد وتزينـت الشجـرا
وفرحو كتيـر بالزّينه البتّطيـر صارو يغنّو ويغنّو العصافيـر
ونزل العيد وبعّد مفّن العيـد ومن عبكرا سلّمو وطارو العصافيـر.

٨١ ردّي منديلـك

لما لمحتو طل صـرت ملبكـي وعرفت قصد و وقلت بدّو يشتكـي
فتّشت عا كلمه تا افتحلو حديث وقفت ووقف وتنينا نسينا الحكـي
ومن يومها عم نلتقي ونقعد سوى مدري الصدف بتسوقنا مدري الهوى
دلّو بقا يفهم رح يهبّ الهـوى ضيعان ما بيخبّرو إنك زكـي
ردّي منديلك ردّي بيضا والشّمس حدّي بكرا بيجي محبوبك وبيلاقيك مسودّي
ردّي، ردّي الشّمسيّه خلّيها ترف عليّي لما عيونك بتفيّي وراق الزنبق بتفيّي
يا حلوي اللّـي بيتـك فـوق صوبك عـم ياخدنـي الشـوق
عم حاكيك بلطـف وذوق بحياتـك لا تحتـدّي.

٠٠/٠

٨٢ ريح الشّمالي

ريح الشّمالي يا نسيم بلادنا • يا حسرتي علشيّلو وما ميلّو
ود من عيني علفراق بهنزلو قالو جميع الناس حبابك بادلو
قلت حاشا ان يوافقو غيرنا • انا في ضيعتي اليُنبوع جاري
رفيقي الحقل والبستان جاري ارجعو يا هاجرين الدّهر جاري
وشمس العمر مالت ع الغياب

حرف الزّاي

٨٣ زار بسكون اللّيل

زار بسكون الليل هواك يحكي عالأحلام على غصن الأنغام حماك
رش اللّون بدبيتنا ورود وستاير شرفتنا وعود والشّوق بدارتنا بعدو موعود •
زار بسكون الليل هواك ما أحلى السّهرات أنا وحلو السهرات لقاك
يا ساعة لمّا بحاكيك والهوى يجمعني فيك واللّيل نام يا أجمل الأحلام •

حرف السّين

٨٤ سأل الحلو

سأل الحلو عالبيت الحلو عالكانو يجو يسألو
سأل الجدى عافي حدى والكانو يجو بعدلو
سأل القمر بليلة قمر عن حلوي وليالي سهر
قال الصبا هالكان انتسى والحلوي ما تركت خبر
عالباب رق طيور واللّون بعد ولون
بخصلة شعر وزهور ويا هون مش هون

٨٥ سألوني الناس

سألوني الناس عنّك يا حبيبي كتبو المكاتيب وأخدها الهوى
بيعزّ عليّ غنّي يا حبيبي ولأول مرّه ما منكون سوى
سألوني الناس عنك سألوني قلتلن راجع أوما تلوموني
غمضت عيوني خوفي للناس يشوفوك مخبّا بعيوني
وهب الهوى وبكاني الهوى ولأول مرّه ما منكون سوى
طال من الليل قلبي ذوبلي لا قاني الليل وطفّى قناديلي
ولا تسأليني كيف استهديت كان قلبي لعندك دليلي
وبلي اكتوى بالشوق اكتوى ولأول مرّه ما منكون سوى •

•• / •

٨٦ ساحة سيلينا

رايحين من ساحة سيلينا رايحين والجهد بسيلينا
بكرا بقعد عا بابي بحكي القصه لصحابي
وبيقولولي كذابي ما رحتي عا سيلينا تامي يا حلوي تامي تا نقيلك أسامي
شفت مبارح بمنامي مدينة إشطاسيلينا خطرت عابالي فكره إبعت بيي بكرا
يقصد يسكرلو سكره هوي وملك سيلينا

٨٧ سجره على مفرق طريق

هونيك في سجره ورا النبع الضميق محفورلي صوره على كعبا العتيق
وضاع الهوى وتغيرت فينا الدني وبعدا الصوره ناطرا حد الطريق
ومره بفي غصونها قلبي بكي ورجعتلنا حكاية الشال الليلكي
وتفه وتطليعات وشهقة حكي وعصفورة الحالنهر ما عندا رفيق
يا شجرة الأيام غمرنا الهوى فرقطلنا الورقات وعربنا سوى
يا ناطره وحدك على مهب الهوى مثلك أنا سجره على مفرق طريق .

٨٨ سعيدي

سعيدي يسعد مساكن سعيدي وميّة سعيدي يا ألف يسعد مساكن
كان بفي الزمانه في بنت مختاره وتضل متل التبانه ولا تبوح بسرارا
وكان في بلبل عاشقها يحكيلا حكايي وتنطر بالحاره وتعقد زنارا
وما تعرف شو في عابالا
بكير حبينا بكينا وغنينا قول دخلك قول يا ضو عينينا

٨٩ سمرا يم عيون وساع

سمرا يم عيون وساع والتنوره النيليه مطرح ضيق ما بيساع رح حطك بعينيي
يا عيني عاهاك العين العادتية ورد انفتحو
وكيف ما التفتو عالميلين قلوب قلوب بينسد بحو
في نجم بلفتاتك ضاع حكيت عنو غنيه وسحرك يللي ما بينباع مبكي الوردي الجوري
لم بتكوني حدي بشوف الدني مزارع ورد وفل
جوانح تنبانه ورفوف حساسين تزقزق وتطل
ولما الأسرار بتنزاع وبزعل من شي غبريي
بتقوليلي ارجاع ارجاع ومدري شو بيصير فيي
جلسة هنا وعالحب مجتمعين وتنبنا عالمقعد مجانين
وك قربي صوبي تنحكي شوي عيونك وقلبي وسرها الحلوين

. . / .

مبارح كانت عم بتقول ... عصفورا لإختا بالسر
شالك يساسموا منزول ... من لون الزهر المخضر
قلبي بعينيك شراع ... تا صيد مينا منسيه
وان شي مره الزنبق شاع ... خبيلي منو شويه

١٠ ## سمعت الجيران بيقولو

سمعت الجيران بيقولو ... مم يمكن يكون عم يكذب عليها
وعينك تشوف الليل بيطولو ... ما نشفت الدمعه بعينيها
بحسدها بعمر الولدني زغيري ... وقلبها بالحب طفله زغيري
مش عارفي كيف الدني غيري ... وحست بصدرا شي عم بيطير
جربت تنفسي عدماتا ... لا غفيت ولا عرفت الاحلام
وتذكرت حكايات رفقاتا ... إنو اللي بيحب ما بينام
يا ريت فيها تحطك وتروح ... عبلاد ما تتشح حدا فيها
وهونيك شو بدا بإشيا تبوح ... وشو عندها حكايات تحكيها
بدا تقلك هون خليني ... عايشي عالحب والألحان
وحد قلبك هيك خبيني ... ويخبرو بنيات عالجيران

١١ ## سمعنا

سمعنا سمعنا شو سمعنا ... سمعنا حكي ما في إلو معنى
سمعنا بإنو عهدنا تغير ... وما عاد رح يحكي الحلو معنا
شو يا حلو زعلان منا كيف ... ومنحرفو قلبك وفي ونظيف
وما دام ما في بيننا تكليف ... عالقليله مرق ود عنا
تنتة زعل عم تنحكي وتنقال ... وبيتنا مزوعا حكيها العزال
ما عاد بدو يزورنا وشو قال ... قال الهوى ما عاد يجمعنا
صرنا غرب نحنا الكنا قراب ... وأحباب ما في متلنا أحباب
بعيونك قلعنا زهور الشباب ... وبوابنا الحب شرعتنا
بكرا بترضى والهنا بيتم ... وبترجع تقطف ورد وتشم
لولا زعلت ورجعت شو بيهم ... نحنا زعلنا كتير ورجعتنا

١٢ ## سميره

يا سميره يا سميره يا أميره يا أميره ... حرقتنا الغيره يا يا سميره
يا سميره جينا ننشد أغانينا ... ليلة أمانينا بتمر قصيره
للحب تنتشو أفراحو تهنو ... حكيو لنا عنو حكايات كتيره •

••/•

٩٣ سِنِي عَن سِنِي

سِنِي عَنْ سِنِي سِلِي عن سنــــي   عَم تِخْلى عا قلبي يا عَهْد الوَلدَنـي
يا حِلُو يا حَبيبي الْمَابيِّعَك بالدّنـي   وْكِلْ سِني بْحِبَّك أكتَر مِنْ سِنــي .
عَم تِهْدُل اليَمامِه وغَرِّقني الحَنيـن   حِبَّك وْلِيَّامي وِحْكَايات السْنِيـن
يَا وَرد يَا نِشْرين يَا تَلج عا صَنِّيـن   يا أَوَّل الجَنِي يا خَير السِّنـي .
وْنَطرتكْ عَلى بابي بِلَيلِةْ العيـد   مَرَقُو كِلْ صْحابي وْوَحْدَك اللّي بْعيد
شُو نْسيت الْمَواعيد وْهَدِيِّة العيـد   سْألني شُو بِني بْأَوَّل هَالسِّنـي .

٩٤ سْهَـــار

سْهار بَعد سْهار تا يِحرز المِشْوار   سْهار هَوْ زُوّار شَوَي وبيفِلُّــو
وْعِنّا الحَلا كِلُّو وْعِنّا القَمَر بالــدّار   وَرد حَكّي وأشعار بَس سْهــار
بَيتَك بْعِيد ولَيل ما بْخلّيك تِرْجَـع   أحلى الناس نِحنا فيـك .
رَح فَتّح بْوابي واندَه عَلى صْحابـي   قِلُّن قَمَرنا زار وْتِتْلِج الدِّني خْبار بَس سْهار
وِنّام مِين بِينام غَير الـولاد   بْيِخفُو وْبيروحُو بْيِلْمُو اعْيَـاد
مَدام إنَّك هَون يا حِلم مَلّو الكَـون   شُو هَم لَيل وْطَار وْبِينقُص العِمر نْهَـار .

٩٥ سَهْرِتْنا عَدْراج الوَرد

سَهرِتْنا عَدْراج الوَرد انْزَرِعِتْ بِغْنانِينا   بَدنا بَعد نْغَنِّي بَعْد نْضَوِّيها لْيَالينا
سَهْرِتنا عَخْدود البَال حْكَايات الدَّوالي   وْضَايِع مَجْروح المَوَّال وْحِبَّك عَلى بالـي
يَا قَمر لاقِينا وْلَوِّن ليَالينـا   صَوت وْغِنّيه بِتْقول يَا بْلادي الهَنِيـه
عَاطول بْحِبَّك عاطُول بْخَبِّيك بْعينَيّـي   عا حِبَّك رِبينا وْبيعِزَّك غْنينـا
عِيد عَسْطوح ضَيعِتْنا لَيل وْنجوم عِشْقِتْنا   وْضَاع بِاللَّيل مَوعِدْنا ضَاع وْبَعْـدْنا .

٩٦ سَوى رْبينـا

سَوى رْبينا سَوى رْبينــا   سَوى قَضّينا لْيَاليـنا
مَنْقُول الفِراق يِمْحي أَسَامينـا   وْنِحنا سَـوى سَـوى رْبينـا
إنـتِ وْأنا دِرْنا عا كِلّ البْواب   حَبَّينا وِكْبِرنا بِمَوسِم الشَّبـاب
وْنَطّرنا الجَنى بْأيام الجَنـى   وِقْطفنا الفرَح مِـنْ عَـلالينـا
قُولك بَعد الرِّفقه والعِمر العَتيـق   مْنُوقَع مِتِل وَرْقه كِلْ مِينْ عا طَريـق
وْبِنْسَانا السَّهر بِلَيـل السَّهـر   وْيِسألُـو عَنّـا أَهالينـا .

حرف الشين

٩٧ شَـادي

مِنْ زمان أنا وزغيرة كان في صبي يجي من الحراش كان إسمو شادي
انا وشادي غنّينا سوى لعبنا على التلج ركضنا بالهوى كتبنا عالحجار قصص زغار
ولوّحنا الهوى

ويوم من الإيام ولعت الدني ناس ضد ناس علقو بها الدني
وصار القتال يقرّب عالتلال والدني دني
وعلقت عطراف الوادي شادي ركض يتفرج خفت وصرت إندهلو وينك رايح يا شادي
اندهلو ما يسمعني ويبعد يبعد بالوادي ومن يومتها ما عدت شفتو ضاع شادي
والتلج إجا وراح التلج عشرين مرّة إجا وراح التلج
وانا صرت إكبر وشادي بعدو زغير عم يلعب عالتلج .

٩٨ شايف البحر

شايف البحر شو كبير كبر البحر بحبك شايف السما شو بعيدي بعد السما بحبك
كبر البحر وبعد السما بحبك يا حبيبي يا حبيبي بحبك
نطرتك أنا ندهتك أنا رسمتك على المشاوير
يا هم العمر يا دمع الزهر يا مواسم العصافير
ما أوسع الغابه وسع الغابه قلبي يا صور عابي وصور بيقلبي
نطرتك سني ويا طول السني ولسأل شجر الجوز
شوفك بالصحو جايي من الصحو وضايع بورق اللوز
ما أزغر الدمعه أنا دمعه بدربك بدي إندر شمعه وتخليني حبك .

٩٩ شتّي يا دني

شتي يا دني تايزيد موسمنا ويحلا وتدفق مي وزرع جديد بحقلتنا يعلى
خليلي عينك عالدار عسياج اللي كلو زرار بكرا الشتويه بتروح وبتلاقي بينوار
يحلى عيد ويضوي عيد ونقطف ونلم عناقيد وانطرني لا تبقى تفل وتتركني وحدي يا مدلل
تتبتلك جرح زهورياسمين ومنتور وفل زهر بايد وقلب بايد ويا خوفي لا تبك بعيد .
وانطرني بحقول الريح بدنيي عناقيد ا تلاويح
تبيني بفيئة عينك جرحني حبك تجريح قول وزيد وغني وعيد ونزرع هالأرض مواعيد .

١٠٠ شط اسكندريه

شط اسكندرية يا شط الهوى رحنا الإسكندرية رمانا الهوى
يا دنيا هنيا وليالي رضيه إخطها بعنيه شط اسكندريه
البحر ورياحه والقلب النريب تخطها جراحه من خلف الغيب
يتمايل شوية يتودع شوية وتعانق الميه شط اسكندريه
ليالي مشيتك يا شط الغرام ون أنا نسيتك ينساني الغمام
والشاهد عليه غنوه قمريه والنسمه البحريه وشط اسكندريه .

١٠١ **شمس الـدار**

يا شمس العلى سطح الـدار ... صبحيـة بتعمل مشوار
يحنا وضوك ياما لعبنا ... يوم الكنا ولاد زغار
يا شمس البتطل بعيد وبترشد وايد ... يا صبح ويا يوم جديد طاير بالبشاير
ويا جاري يا أغلى جار يا نايم والفرح دار ... عا شباكك في عصفور وشمس تقلك صار نهار
كل يوم بشرع هالباب تا تفوتي تزورينا ... وبقلك متل الأصحاب ارتاحي عكراسينا
أنا زهره بسياج النار صار عمر بالحب نهار ... انا بحبو لحبيبي وحبيبي عليّ بينار .

١٠٢ **شمس الضحى**

عالّلا لا ولا لا ولا لا عالّلا لا ولا لا ولا لا ... شمس الضحى ميـالا

عيني يا لا لا شوقي يا لا لا

غربو صـوب العالـي ... وضو القمر ناطرهـن
وانا لقعـد لحالي ... بالليالي إنطرهـن
اني لا شرف عالوادي وقلا يا شمس غيبي ... يا خوفي نورك يحرقني وما يعرفني حبيبي
تحت الشجر سهرانه ... وفتح بالزور عيونـي
يا خوفي النعس ياخدني ... وانتو تروحو وتنسوني

١٠٣ **شمس المساكين**

بيتي أنا بيتك وما إلي حدا ... من كتر ما ناديتك وسع المدى
نطرتك عبالي وما كل البواب ... كتبتلك عذابي عا شمس الغياب
لا تهملني لا تنساني ... ما إلي غيرك لا تنساني
بلدي صارت منفى طرقاتي غطاها الشوك ... والأعشاب البريه
بعتلي بهالليل من عندك حدى ... يطل عليـي
لا تهملني لا تنساني يا شمس المساكين ... من أرض الخوف منندهلك

من إيام الظالمين

أنا زهره من زهورك ... باركني وساعدني
بالدم بتزرعني بالفرح بتحصدني ... ناديتك من خوفي عرفت إنك معي
وحدي يا مطارح ويا أرض اركعي ... عدلك قاضي عليّ كرمك سقاني
إذا كلن نسيوني ... وحدك ما بتنساني

١٠٤ **شو بيبقى**

شو بيبقى من الروايه ... شو بيبقى من الشجر
شو بيبقى من الشوارع ... شو بيبقى من السهر
شو بيبقى من الليل ... من الحب من الحكي

مْن الضّحك مْن البكي   شْو بيْبقى شْو بيبقى يا حبيبي   بْيبقى قِصَص زْغيره
عَمْ يتْشرّد ها الريح   شو بيبقى من المَلاهي   مِنْ رَصيف القمر
مْن النّاس اللّي حبّو   من اللّوعه مْن الضّجر   شْو بْيبقى مْن البَحر
من الصّيف المضى   من الحزن من الرِّضى   شْو بيبقى شو بيبقى
يـا حبيبي

بْيبقى قِصَص زْغيره   عَم يتْشرَّد هـا الرّيح
مْسح قِصص الريح غْريبي   عَشْطوط البحر غْريبي
واكتبني كْتبني عالوَرق كْتبني   عالحزن وعالزهر عالصيف وعالبحر
عالشجر وعالفجر وعالسفر اكتبني اكتبني .

١٠٥   شـو صـار

شو صار عم يسأل الأزهار   شْو صار جينا لْفيّة هالـدّار
فيها غْناني حلوي ودْوالي مخضّره   نحْنا عم نسأل عاعنباتو المْخمّره
شْو صار سلّملنا عاالجار   شْو صار قال شويّة أشعار
ليش تاحكيو حكايات   عليْنا وْعطيو سهْرات
زَهره حمّه بفيّة الدّار وشو صار   وما دام قلْبو إلي وغنّيتو بْتنْعاد
يا بنت لا تسألي شو همّا الحسّاد   ما دام بسْياج الدّار مْفتّح زْرار زرار
والحبّ عم ينْدهلْنا وعم يرويلنا أسرار

١٠٦   كان عنّا طاحون

شْو كانت حلوي اللّيالي   والهوى يبْقى تاطرنا
وتجي بْلاتيني ويا هندنا مشوار   هَدير المي والليل
كان عنا طاحون عانبع المي   قدامو ساحات مزروعه فيّ
وجدي كان يطْحن للقي قمح وسهريات   ويبقو النّاس بْها الساحات
شي مْنهن كياس شي عربيّات   رايحين جايين وعا طول الطّريق
نهدر غنيّات

ياي ياي ياي يا حلوي على بالي   تْغنّي تغني تغني على الطّرقات
وراحت الإيام وشوي شوي   سكت الطاحون عاكتف المي
وجدّي صار طاحون الذكريات   يطحن شمس وفي

١٠٧   شيخ المشايخ

مسحوره أنا   أنا هالصبيّه   الزهره المستحيّه
سحروني أنا   بليليه قمريه   زرعوني عالطريق
عاجسر القمر   عالفرق العتيق   وما عاد لي خبر

وبتشتح الناس عم يمرقو حدي — وبدّي أنا بدّي
حاكين لا تمن مدّ ما إيدي وسلّم عليّن — وما فيّي حاكين ولا سلّم عليّن
قبل ما أنا صير حكايي — كان بيتنا حد القنايي
ما سطحو عريشي قدّامو ليموني — كانت حلوي العيشي قبل ما سحروني
وحابّي إرجع عيش، متل الناس — عالدّني إتطلّع واحلم بالعراس
ومسحوره يا شيخ المشايخ — خلّصني يا شيخ المشايخ

١٠٨ صوت العيد

عيّد الليل زهّر الليل — صوت العيد ضوّا العيد
موجي يا سما بالعناقيد — هلّي بالحلا بالمواعيد
زار الليل بسّوع لوّن الليل بسوع — رايحه تزور كوخ مسحور
دربها قطار تلج وزهور — والعصب طايره وبيضحكو ولاد
أرضنا ناطره والسما عباد

١٠٩ صيف يا صيف

وكرومكن عا كيل مدّ تزيد — تغزّل محبّه وشهر وعناقيد
والعنب يغزّل عوافي وعمر — ويقطر السّكّر لهموم العيد
صيف يا صيف عاجبهة حبيبي — ولوّح يا صيف رجعتنا قريبي
من حي لحي عم توصى البشاير — وبلاد الفيّ فيها الفرح داير
خلّيك خطّي ضوي على الدّاير — يا شمس المي حلفتك لا تغيبي .
دايم عالدّوم عتبانه الصبيّي — والعتب لوم والزّعل غنّيه
ومرقت اليوم ما بتسأل عليّي — يا طير النّوم أنا متلك غريبي .
ميل ميل ميل يا غصن الهوى ميل — قناطر مضويّه وسراج عم يتميل
لوح لوح لوح يا غصن الهوى لوح — شمس الهنا جايي والليل عم بيروح
طير طير طير يا غاب العصافير — هربو التعالب من وج النّواطير
قول قول قول بلكي الحكي بيطول — طلّت من جبالها عسهول خلقا سهول
غيب غيب غيب بالملعب الغريب — صوتك اللّي حاضر تقصف تياب الدّيب
عيد عيد عيد موالك الوحيد — ضحكت الصبيّه وحليت العناقيد .

حرف الضّاد

١١٠ ضحك اللّوز

ضحك اللوز وخلص اللوز — وحبيبي ما لفي
ولِّع الصّيف ودبل الصّيف — وحبيبي ما لفي

../.

وَحْدي أنا والحِيره والتّعب والغنيّه — لَفَحِتْني نار الغِيره والريح الجبليّه
وْبَقْلي تتلاقى إنتِ وْأنا نِتــلاقى — نِتلاقــى تَحْــت اللــوز
وَرَق الأصفر طاير عالطّرقات المَهْجوره — والنّاطر بَعّد و ناطر والصّبيه مَقهوره
بِغْيونك شْبهني قبل الشّتي خبيني — خبينــي تحــت اللــوز

١١١ ضَـوّي الهـوى قناديلـو

ضـوّي الهوى قناديـلو — وطِلـع القمــر وتْشوّقنــا
كتب السهــر مْواويلــو — وَرَق الشجــر رح يِسْبقنــا
وَرد اللّي مايــل عاغْيـابْـن — يا ورد العتــب المايــل
تركــو الرسـايـل على بابـن — تركــو وَرَق الرّسـايــل
كِنّـا سـوى نِسْهـر سـوى — ويمحي الهوى تعـب الهـوى
ونِبعث للحلو نِشكيلو ويبعت لِنا مراسيلو — أخذ والدّفاتر بإيدَيْهُن واكتبو بالدفاتر
والحب مسافر بعينيهُن والعمر شراع مْسافر — ويبقى الحكي بجنـب الحكـي
ونِسْهر على حدود البِكـي
وْدَيلو قِصـص وديلــو — من هـمّ الهوى واحكيلـو .

١١٢ ضَـوي يا هالقنديـل

عَشبابيك الحَبايب عاطرقات القرايـب — عالقمر هَوّي وغايب ضوي يا هالقنديـل
عالبيت الناطر غِنّيه عاغربة قلب الصّبيـه — عَضْياع الليل المنسيّه ضوي يا هالقنديـل
وضوي يا هالقنديل عبيوت كِلْ النـاس — عالليل كل الناس عَسْطوح حِلياني دْواليها
عَضْياع مابْتعرف أساميها وقبل الحِلو ما يْضيع — وتْجرّح مْواويل ضوي يا هالقنديــل .

حرف الطاء

١١٣ طايـر بالشـوق

طايـر بالشّوق يا رف الحَمايــم — وَدّيني لْفوق عَجْناح النّسايــم
جايي بْكِبْـر والطّريق بْعيــدي — والورد زغير شو طالـع بإيـدي
عا مَهلك طير يا طيـر الحصيـدي — لا تنتق كْتير خلّـي الحِلـو نايـم
طِلْ من بْعيد مِنْ أرض الغريبـه — يومي بالإيد وبْقلـي تصيبــي
ويوم البِتْرِهـد تِرْجـع يـا حبيبـي — تْعيّد عيد وإعزطـك غَرايــم

١١٤ طريــق النحــل

إنْـت وأنـا يامـا نِبقـى — نوقـف على حـدود السّهـل
وْعلى خـط السّمـا الزرقـا — مرسومه طريـق النحــل .
أنا وْمِتليّه عَبابي مَرقة نَحله بكّيـر — غَلّت بزهور النابي وصارت تحمل مشاوير
../.

وِتْبِين السّنين حَزين وْمُش حَزيـــن — وبسكوت الظّهرية بتكسّر الدنيـــن
إذا رَحْ تِهْجرني حَبيبي وْرح تِنْساني حبيبي — تْال تذكّرني وِتْذكر طَريـــق النّحل
طَريق النحل الطّاير فوق بْيوتن وِيْدور — ويصير يرسْم دَوايِر يكْتُب عالهوى سْطُور
مِنْ فوق القصور أعلى مِن القصـــور — أعلى مِنْ قبب العالي عم يكْتب سْطور .

115 طَـــل القمـــر

طل القمر عالجبال نِحْنا بضَـو القمر — إلنا لَيالي طْوال وْايام زْهو وسمَـــر
يا سَمره يا سمره جْبال التلج بيْضـا — يا سمره يا سمره لا تْخلّي لَيلي يمضى
مِنْ غيــر ذِكــرى
ننشــد أغاني وِنصيـــح بين الشجر :
يا زايرين أرضنا يا عابريـــــن — شوفي لِكْن مِنّا مين قاصْـــديـن
لا أرى وِصْلِتْلنا مْنكّـــس رَنيـــن — وْرقْت على روضنا أسى وحنيـــن
وْرِبيت أشواقنا بْـــا مِنْشديـــن — ولو انتم أحلا مِنّا فين أنتم فـــبين
نحنا أحلام العذارى باللّيل منســـر — ونزورهم عند طْلوع الفجــــــر
بْين اليقْظه والنّوم يِتْمايــل خْيـــال — بالحِمِر تمـــرق يحـوم بالصـــر

116 طلـــع القمـــر

طلع القمر غِيـــي حَبيـــــــي — غاب القمـــر وِعـــي حبيبــــي
وْحلّيت لَيالي السّهر يلّا يغيب القمـر . — نِحْنا قصدنا الهوى وانْكتبنا عَدْموعـــو
شْقينا وِسْهرنا سَوى وْراح وْنطرنا رْجوعو — كِنّا سَوى نِلْتقي وما عاد سَوى نِلتقِـــي
وضاع الهوى وما بقي إلا القِصص والصّـور . — بآخر طَريق المسا في شجرة ليْلكيـــه
يا عِمر ما بيْنتسى ضلّك فايق عليـــي — بْيبقى لِنا وشو لِنا غير العتب شو لِنـــا
غصن المحبّه انحنــــــــى — واخضــر لَـــون الشجّـــر

117 طَيــر الورْوار

دَخْلك يا طَير الوروار — رِحْلك مِنْ صوبُنْ مِشْوار — وسلّملي عالحَبايـــب
وخبّرني بحالُن شوصار — عاتْلال الشّمس المنسيّـــه — علَى وَرق الدّلب الأصفــر
تْطير وتعلّي شويّه شويه — وِتْصير الدّنيي تِزْغـــر — وبكرم التين يِنْده تِشْريـن
يا حَبيبـــــــي — ياما بِسكوت القمريّـــه — اسمع صَوتك ينده هلــــي
ليلية وْخوفي ليليّتــه — يُوعو شي مرّه أهلـــــي — وتتعب أسرار وتِحزّن أسرار
يَـــا حَبيبـــــي

./..

١١٨ طيري يا طيّاره

طيري يا طياره طيري يا ورق وخيطان
ويِنسّاني الزمان على سطح الجيـــران
أنّدوني مضهم لولاد وردّولي الطفولــي
ردّتلي كتبي ومدرستي والحمر اللّي كان
تايكبر بعدْ بكّير شو صاير شو صــــاير
تايتسلّو زغار الأرض ويحلو الزمـــــان

بدّي ارجع بنت زغيري على سطح الجيران
علّي فوق سطوح بعاد عالنسمه الخجوله
وضحكات الصبيان وغاني زمـــــــــان
لوفينا نهرّب ونطير مع عالورق الطايــر
ويا زهر الرّمان ميل بها البستـــــــان
ويِنسّاني الزمان على سطح الجيـــران .

١١٩ ذالو تذكرونا (الله معك يا هوانا)

الله معك يا هوانا يما فارقنــــــا
ويا أهل السهر يلّي نطرونـــــــا
يا حزني السّعيد انتهينا وتودّعنـــا
تبقى سوى وصوتك بالليـــــــل
بحبّك حتّى نجــوم الليـــــــل
وخلّص الحب وسكتـت الكلمـــــه
ما تاري الكــــلام بيخلّو كـــــلام

حكم الهوى يا هوانا وتفارقنــــــا
بكرا إذا انذكرو العشاق ذالّو تذكرونا
ما ينسى شو بكينا وصلّينا تاتذالك معنا
يقلّي وانـــا عم إسمــــــح
نجمه نجمــه توقــــــــــح
وتسكّر القلب وما وقــع ولا نجمـــه
وكل شي بيخلص حتى الاجــــــــلام

والإيـــــام بقحي الإيــــام .

حـــرف الغين

١٢٠ عا إسمك غنّيـــــت

عا اسمك غنيت عا اسمك رح غنّــــي
عاتلالك عاجبالك ركعت وصليــــت
عابي اتكيت عابال الليالــــــــي
عاتلالك عاجبالك ركعت وصليــت
لسهولك اللّي بتتبّت سنابــــــل
لناباتك المزروعه بــــلابــــل
لضياعنا الخجوله ركعت وصليت
لسيوفك البدلوله وعيونك بيندّ هولــي
بمجدك احتميت بترابك الجنّــه
ولاحمل بأيدي كاسك الطيــــان
لملح اللّي بيوقف الســـــوّمان

ركعت وصليت والسما تسمح منّـــي
هون السما قريبي بتسمعنا يا حبيبـــي
عليّي طليت ، من برجك العالــــــي
هون السما قريبي بتسمعنا يا حبيبي .
ورجال وهيايــــــــــل
وزهـــور ومعـــاول
للحلا للطفوله ركعت وصليـــت
هوني السما قريبي بتسمعنا يا حبيبي
عا إسمك غنيت عا إسمك رح غنّــي
وارقصو لفوق لفوق لفـــــــوق
واسكر باسمك مجد يا لبنـــــان .

٠٠/٠

١٢١ عالـــــروزنـــا

عالرّوزنا عالروزنا كِلّ الهنـا فيهـا — شو عِملِت الرّوزنا اللـه يجازيهـا
يا رايحين عا حلب حبّي معاكم راح — يا محمّلين العنب جنب العنب تفّاح
كِلّ مِنْ حبيبو معو وانا حبيبي راح — يا ربّي نسمة هوى يجبي الحلو فيها ٠

١٢٢ عالزّينـــو

إيدي وايدك عالوادي يابا تانحيل مشوار — بدنا نعبّي الزّوادي يابا والتّينات كتار
عالزّينو الزينو والزّينو يغمزني بطراف عينو — محبوبي مِنْ طول عمّو ناطر ما بنام عينو
مرّت نسمه عاخدودك تتغنّى بنفحة عودك — طالب ورده من ورودك قوليلو تكرم عينو
جارتنا السّمرا الدّاريفي بتتمايل حلوي نحيفي — هاتيلك نغمه لطيفه بتتغزّل بسواد عينو
بحياتك بحيـــاة عينـــك — وعدك بالإخـــلاص وبدينـــو

١٢٣ عالطّاحـــونيـــه

عالطّاحوني شفتـــك عالطّاحونيـــه — جرّحونـــي عيونـك جرّحونـــي
كنت مارح عالنّبعـه القريبـــه — إنتَ ورايح شفتـــك يا حبيبـــي
شفتك سارح بفكـــار الغريبـــي — وزاغو عيوني والدّمعـه بعيونـــي
نازل نازل عن طريـــق الحـــاره — شفتك نازل وعيونـــك محتـــاره
والتّوازل مِـنْ كاس المـــراره — لوعوني وبايدن سقونـــــــي
عالدّوره عالدّوره يا حلوي يا زغيوره — بكرا بتجي العصفوره وبيزهّر الصّفصاف
لافي ومش لافي بكرا حبيبـك لافـي — عافيّة الصّفصافي رح بتروحو مشــوار
عالميّه عالميّه لمّن شفتك عالميّـــه — والزّهره اليستحيّه مشلوحه عالصّفصاف
والطير العاليه طالع نازل يوميّـــه — بيدّــــر النيّه وما تسألو شو صـــار

١٢٤ عالكـــرم انـــزلي

عالكرم انزلي يا جارتنـــــا — عنقود وحلـي بمـا جارتنـــا
سهروك كتيـــر وغمروك كتيـــر — وتالهيت إلي بمـا جارتنـــا
إيّام البيادر عنّينـــا ســوى — كان الحكي دايـــر عاقلب الهـوى
والتّينا واشتكينا واشتلقوعلينـــا — يمــا جارتنــــــــا
تنبيت الرّسايل مِنْ جنّـــر البكـــي — يا زهر الجدايل لونـك ليلكـــي
وين بخبّي هالمحبّـــــــه — وبتذلّي بقلبـــي يا جارتنـــــا
وبعدا هاليمامه عالسّطح بتجـــي — بحطّها سلامي وبقلّا كرجــــي
أنا لافي من الحفافـــــــي — تاتلك عوافـــي يا جارتنـــا ٠

١٢٥ عالــــي الشمايــــل

جايين عالدار دار العز كلهـــا — والدار بالعيد مضويه منازلهـــا
وانقصفت الريح بحنا بوجها للريح — ونطلت الخيل طلينا بأولهـــا
عالي الشمايل حلـــو الخصايـــل — يا برج الصامد يا سيــف الطايـــل
يا عيدك الله مخصول وغلـــه — سكرانه التله والشجر مايـــل
صوت الغنيه عالدنيي فيــــي — وتضحك صبيــه وترخي الجدايـل
والدهر القارس أرزاتـك حارس — كللو الفوارس صهليــت أصايـــل .

١٢٦ عالــي عالعالــي

عالي عالعالي دارك بتلوح قبالــي — طرقات الليل بعيدي لا تتركني لحالي
رحت تغيبت بداري لقيت الحب منبالي — يا إيدك بأيدي وبقلك سعيـــدي
خلينا نتلاقي ببيوتنـا السعيـــدي — ندهتنا الليالي وسطوح العلالـــي
ضيعتنا ببالي وطريقـك ببالـــي — وقناديد العريشي حلياني ببالـــي
وجبلنا ببالي وسمانا وجبلنا ببالـي .

١٢٧ عاللالا ولالا

عاللالا ولالا ولالا عاللالا ولالا ولالا — ليش الزعل يا خاله عيني يا لالا شوقي
يــا لالا
نزلو يرعو غنمهن حد النبعه القريبــه — لا نزل النبعة وإسرح مع قطعانك حبيبي
شعلو النار وسهرو والقمر نورو غايـــب — ونسم ريح الشمالي وانتو وبحنا حبايب
يا ديب اللي عالعالـــــــي — ولونك من لون عينهـــــن
روح بسود الليالـــــــي — وسلم سلـــم عليهـــــن.

١٢٨ عاللالا اللالا

عاللالا وعين اللالا حلوي وساحرني جمالا — اسألوها عن حبي ان كان خاطر عبالا
يا سمره عودي وغني قلبي بحبك متهني — أومي بحبي تاني إنت الروح ودلالا
حلوي تنشـــد نغمتهـــا — قدليـــت قلبـــي بمرجتهـــا
عزفتنـــي علــــى غيمتهـــا — سمحتنـــي موالا ،
مرت بالمرجه الخضرا تكرج وتميل بخصرا — قلبي عشقان السمرا ما راح يعشق بدالا .

١٢٩ عالهدى مشية حبيبـــي

عالهدى مشية حبيبي عالهـــدى — مشي معي عالعين ولا تخبر حدى

٥٠/٠٠

عالهدى تحكي الحبايب عالهدى . لا يعرفو الحساد ولا يهتدو اليدى
زور دنيتنا سمنا الألحان واسأل عالحلوين والجيران
عالهدى شم البنفسج عالهدى زهره بأيدك أوما تعطيها لحدى
عالهدى رقص الغزلان عالهدى تطلعت الرمان
عالهدى حكايات الحب البيقولو ما أشهدا في حلوي ما كان يعرفها حدى .

١٢٠ عالبادي

عالبادي البادي البادي يم الغبادينا وحياة عهد الهوى لرجعك ليهنا
يا حلوي يلي التمر بيذال ناطورك عشقان غاوي السهر بهفية زهورك
والليل ياخذ صور والنجمات تزورك بكرا بيطيل السحر وبترجعي لينا
عالبادي البادي البادي يم الغبادينا عشقان ومحب الهوى من صوب البنيها

١٢١ عالبادي

عالبادي البادي البادي فيّا الهوى فيّا طل الحلو واتكى عابابنا وحيّنا
فايق عالليل الهني ونجومو السعيدي وورد اللكم منحني ومقطفو بأيدي
والقلب عم يغتني ويحلو مواعيدي وترقص وتطير الدني ماشال لبنينا
بعدك حلو يا حلو ويحدا لياليتا والهوى بياولو لون غنانينا
قصدنا الحلو نسألو صحيح ناسينا وضحكت زهور اللنا ورد ورجع ليّا

١٢٢ عادت ليالي زمان

عادت ليالي زمان يا حبيبي عاد الهوى اللي كان عذوبي
وعاد الأمان والحنان وعادت ليالي زمان
عاد الحديث الطويل في الليالي وضو السراج النحيل يتهالي
ولونو الذليل للنخيل يحكي حديثو الطويل
يا حبيب العيون في ليالي الشجون
الأماني تعيدون في بريقك المسجون
ترجع ليالي زمان بهنا هنا نحكي بفي الأمان عن هواها
وبندى المكان بالحنان وترجع ليالي زمان

١٢٣ عتاب

عاجي تعاتبني يئست من العتاب ومن كتر ما حاكيتني هالجسم داب
عاجي تعاتبني وإذا بدك تروح روح وأنا قلبي تعود عالعذاب

٥٥/٠

علمت قلبي من الطفوله عا هواك … وما تطلعت هالعين إلا عا جمالك
والله بيشهد ما ضحكت مره لسواك … وليش بتتألك تفتحلي بسواب
عايش بعيدي عن ليالي الصفا … عيشة بجفا وبحكي مع الناس بجفا
يا ترى منك حبيبي بيكون الوفا … وكيف بيكون الوفا عليني جواب
ان كان غيرت عالجدال والشكوك … أغنيتي بقا بقا يرحم أبوك
ان كان غيري حباب عم بيعلموك … الله يباركلك يا ولفي بها لحباب
كل ما عم زيد في حبك ولوع … كل ما بتزيد في عيني الدموع
ويا ريت عن حبك الضني لي رجوع … رح تهرب الإيام ويعبر الشباب
وين بتلاقي متل قلبي قلوب … شو صار صافيلك وغافرلك ذنوب
وقديش عن حبك قلت بكرا بتوب … ما تبت يا ولفي ولا عالقلب تاب

عروستنا الحلوي ١٣٤

عروستنا الحلوي يا نيسانه حلوي … يا مشوار من دار لدار يا حلوي
تتبارك حجار البيت تتبارك العتبه … والخوابي نبيد وزيت وتفيض المحبه
كوني قمح وسكر كوني ورد وعنبر … وقنديل الزوار اللي متو بالدار يا حلوي
كبرو زهور البساتين ومتل الكذبه كبرت … وحليت بين الحلوين ولعريسك صرت
عالحب تلاقيتو وعمرت قصة بيتو … ودار الهوى دار من دار لدار يا حلوي.

على مهلك ١٣٥

على مهلك يابا على مهلك قدامك عيد … ليل السهر بيند هلك والصبح بعيد
على مهلك نحلك وطل من شباكو الفل … يا قمر علينا بيهل وما تطالو الإيد
على مهلك مرقلك مشوار … سمعتني شو في أخبار وشوفي مواعيد
روح دخلك روح لا تجي يا حبيبي … عالحكي المجروح تحبني يا حبيبي
قول دخلك قول بكيني يا حبيبي … حكيك المغزول بالشقا يا حبيبي
ومتل ما قلنالكن هيدي كانت قصة ضيعه
لا القصة صحيحة ولا الضيعة موجودي حكايي حكايي

على جسر اللوزيه ١٣٦

على جسر اللوزية تحت وراق الفيه … هب الهوا وطاب النوم وأخذتني الغفويه
وسألو كتير علي على جسر اللوزيه … هب الهوا وطاب النوم ندهونا وما وعينا
لامونا وشو نفع اللوم غضبن منا غفينا … يا حبايبنا خدليه لا تلومونا خدليه
كل يوم بينطرنا يوم … على جسر اللوزيه

يا حبيبي اتنينتنا غرب وليل ودرب بعيد بي رح يسرقني عتم الدرب قديش يا بدي
تاخذنا سهريه ترجعنا سهريته وهني يروح ونحنا نتل على بحسر الدوزيه .

١٢٧ عللي عللي

عللي عللي طير وعلي عللي فرسو قمر التلي عالمنقود عيد الفلي أوف أوف أوف عللي
عللي عللي بلد ومروج والهوى شجره عم بتموج سبقتنا قصتنا وانشتل الورد بحارتنا
وعيونك قمريتنا وسال شال سال علني علي طاير بالمواويل والهوى شجره عم بتميل
غنيه منسية عادروب الأرض الجبليه ومكتوب على عينيي واسال شال سال علي
جايي جايي وتكي عالبساب يحكي عتبو للاحباب
حنينا وجنينا وبليالي الشوق تلاقينا وايامك تسب علينا واشال سال سال علي .

١٢٨ علموني

علموني ريتني علموني على حبك فتحولي عيوني والتقينا وانحكى علينا علموني حبك ولاموني
عا إيام الورد قلبي دايب كيف كنا وكان الهجر طايب
شو جرى شو غير الحبايب مرقوعا بالي وما حاكوني
يا عصفور الشوك أهلك دارو بها السما وما بعرف وين صارو
دلوني عادرب الحب ودارو وعا درب الصبر ما دلوني

١٢٩ عم يتندى الشمس

عم يتندى الشمس عالارض المزروعه عم يتندى الشمس والدنيي عم توعى
كعاب الزيتون السمرا يا سمرا يا مضبرا عحفافي خلفا حفافي خلفا حفافي مشلوعه
غمار القمح المدريه غنيه وشو غنيه ومزارع خلفا مزارع خلفا مزارع ونبوعا
وبالقلن الحلو شو اغتنينا يا تلج ازرعناه بايدينا
يا حمام الفينا يا غنيه بينا يا تلج ازرعناه بايدينا
وشو بحبك يا ارض السخيه يا تلج الايدين القويه
يا مدارج دوالي يا رمان العالي يا زرع الايدين القويه
وهبت ريح لاقوا الريح شيلوا محاولكن هزوها بوج الريح
لاقوا الريح برقصه حلوي وغنو مليح والسهره الزنيه ببيوت الهنيه
خبوا غنيه غنيه .

١٤٠ عم يلعبو لولاد

عم يلعبو لولاد عم يلعبو تحت السما الزرقا عم يلعبو الولاد ملهيين بالقصب الحلوين
وبيركضو ما بيتعبو وعم يلعبو بيدليرو بها السما دلايير وبالساقيه بيسفرو شخاتير
وبايد بيهن غمر وراق بيض وحمر وبيلونو هالعمر لولاد من نهر الورد عم يشربو
وعم يلعبو . ويا ولادنا اللي بتركضو بالعيد وكل عيد بتبعد ولبعيد
ياما بلياليكن نسهر نقدليكن نفرح نوعيكن .

لولاد من نهر الستورد عم يشربو وعم يغمسو
ويا ولادنا اللي بتركتو بالعيد وكل عيد بتبقد ولبنيسد
ياما بليالين نسهر نتدايكن نفرح نوعيكن
وبس توعو من ايدينا بتهربو تا تلعبو

١٤١ عمري الأولاني

عمري الاولاني حبي للاولاني على بوابتنا بالفي ربيتو وربانـي
يا خجوله ويا سهره طويله رجعو من بعيد صوبك ينده حولي
وبخاطر الشهيد قنديل الطفوله سهرني وبكاني يا عمري الأولاني
بين حبك وحبي يشرد فيي دربي وبليلة خريف يحكي وأنا خبي
وأنا ما بعرف كيف قمت عطيتك قلبي وما عندي قلب تاني يا عمري الاولاني
أنا وياك والدني رفيقه وايام اللنا تسرق هنيه
أنا وياك جمعنا الطفوله زنابق والمحبه مزهريه
بحبك قد ما بتتلج الدنيي تلج وبرد عجبال العليه
إنت بدمعك وحزنك غالي كتير يا غالي عليي
كلمه بتراضينا وكلمه بترحل فينا واذا بكرا الزمان فرق لياليــنا
وعلى ورق النسيان انكتبت أسامينا انساني ولا تنساني يا عمري الأولاني .

١٤٢ عنبيه القمطه

عنبيه القمطه عنبيه من عشيه لبستها الصبيه وغمزة الصبيه عنبيه
راحت عالمزارع والمزارع فيها الزهر والسح بالمزارع
من حقلة الزنبق لقيت قمر أزرق وشكلته بالقمطه العنبيه
وقفت عالمفارق والمفارق فيها الهوى مارق عالمفارق
وقالتلو بأيدي كتبت القصيدي بوراق المحبه وبتمنيه
مرخيه الجدايل والجدايل يا لون السنابل عالجدايل
وللي علموا عالهوى ربوا وزرعوا ورده على ميه .

١٤٣ عودة العسكر

لا تخافي سالم غفيان ومش بردان
نايم عاتلي بتطل تصلي وناطر زهر اللوز بنيسان
بقلبو الايمان ومغطى بعلم لبنان
بتتلج الدني بتشمس الدني ويا لبنان بحبك تاتخلص الدني
بخبيك بعيني وبقلبي غنيه تلجك المحبه وشمسك الحريه

وَدلني يا حْكايي بالعِزّ مْتْوايــــــه | ليش هالقد بْحِباه يا غايةَ الفَارســـي
بْحِبّا يا عيني لان غِنِيــــــــه | تَلجاه المَحبه وشمســـاه الحريــــه
وتِنْلاه عَالــــــــي ومْعمّـــــر | وتِتْحَـــلاه لِبْنَــــان الأَخْضَــــر
شَعبـــاه كِلّو جَيشـــاه كِلّـــو | واحد ودلاه يُوقـــافــو عَسْكـــــر

حـــــرف الغيـــن

١٤٤ غَالـــي الذّهــــب

غَالي الذّهب غالي ضِحكِت عناقيـــد و | عَالي الورد عَالي وشُو طَالِع بإيـــدُ و
غَالي الذّهب غالي عالي الورد عالـــي | وْيَا حبيبي يا حَبيبي يا ذَهــب الغَالي
ما سْألتو علينـا عْتِبْنا كتيـــــر | وعَا قــد المَحبه العتـــب كْبيــــر
يا أهل الدّلال يا ساكنيــن البّــال | قَلبي عَبْواب الحَبايب عَمّ مواعيـــد و
فِسْتان وْإسواره وْعِقد جْديــــد | والحَلَق الفِضّـه لِيَـــوم السّـــعيد
ويرجَعلي الزّمان والهوى اللّي كــان | يَا حَبيبي يا حَبيبي وعهد اللّنا نعيــد و.

١٤٥ غِمـــر الغَـــدايـر

وْتمرق صَبيّه تْمشور دْفوش النِيــــاب | تْرَندِحْ قصيدِي غَيّتْها مِـن كتـــاب
وْيا شَعِرْها النّاطِر شِي إيــد تْجدّلـو | بَعْدَاه زْغير عالمَحبّه والعـــذاب
غِمر الغَداير طَايـر عالـريح طَايـر | يا شَعر مِنْ لَيل وْبكي بالبَال ظَلّاه طَاير
قدّاســر النّدي حَــب النّـــدي | نَقّط على الورد وْجِــــــدي
يا طَيــر عالنّبـــه غيـــــدي | غَنّــي لَهـــا البَشـــاير
وين العَســل شهد العَســـل | لِمّا بَـرق شَالا وْهِــــدل
وْميّة بإيدا عالجَبل وْتَملّت القَمايــــر | يِكْتِب صَلا يْودّي صَلا لْعيونها وْيحلا الحَلا
تِتْلفّت وتنوي على لفتاتها المَنايـــر

١٤٦ غَنّي يـا حِلْــوي

هَيْهات يا بُو الزّلف عَيني يا مُوليّـــا | مْحَلا الوما بالوما ومْحَلا الجَزْويّــــا
رِحْت أنا لْعِيدِكْن قَبل العشا بْتِنْقيــه | وْلقيتكن نَايمين وسْراجْكـــن مْطْفـــي
مدّيت إيدي عالحَبق لاقْطف آني قَدْلفي | صَاحِت بِنْت اللّكُن يمّا يمّا حَراميّــــه •
غَنّي يا حِلوي ميلي تَاللّيل يْـــرُوح | يِحْكي بدِنْي بْعيدي وْقلبــو مَجـرُوح
وشْبابيكْ التّشبابنه ومِشْ نَعسانـــه | يِشّع الشّوق غْناني والْورد يْفـــوح
والحِلوي البَدّا تِحْكي ومِشْ عَمّ تِحكـي | بابا مَنْ كِلّ شي يِحكي بابا مْفتـــوح
بُلبل حدّ اليَاسْميني وعامِل زينـه | يقلا عِنْدا حَبيبي بتْلـــو بوح •

١٤٧ غيبي ولا تغيبي

غيبي ولا تغيبي يا نجمة كفرغار — يا قمر حبيبي زهو عتاب الدار
غيبي ولا تغيبي يا جارتنا الغريبه — يا بعيدي يا قريبي يا نجمة كفرغار
نامي ولا تنامي يا زغيرة الربيع — نامي بالسلامي قبل الدني ما تضيع
نامي ولاتنامي يا مخدة السلامي — عجوانح الحمامه يا زغيرة الربيع.
طلّي واندهيلي بالليله الطويلي — ونمرق عالهنا والضنا والساعات الجميله

١٤٨ غيب يا قمر

غيب يا قمر روح نام بالشجر — ما منحب السهر معك يا قمر
منكون بدروبنا ماشيين مع حبيبنا — شاردين تايهين في رؤى الأحلام ضايعين
جنابك بتطل وعلينا بتدل — بتكشف الصور وبتلفت النظر
يا قمر غيب غيب
منكون بربوعنا غارقين بدموعنا — شاكيين باكيين وبقرب الشباك ساهرين
بتشرف عالربوع بتفضح الدموع — بتظهر للبشر آلام وذكر
يا قمر غيب غيب

١٤٩ غيرو

غيرو غيرو أهل الهوى غيرو — راحو على حيّ بعيد وغابو والحيّ بعيد
بدلو وتبدلو وحيرو وتحيرو — أوف غيرو أهل الهوى
مايل ورق الصفصاف — وطاير ورق الصفصاف
غربو وتغربو تذكرو وما تذكرو — أوف غيرو أهل الهوى.

حرف الفاء

١٥٠ فايق عليّي

فايق عليّي فايق عليّي — نحنا اللي كنا بها الليليه
ونبقى نلعب بالقناطر — وقت الشتويه
من زمان وزمان نحنا كنا جيران — تبقو تجو لعنا نلعب سوى ونتمنى
ونصور عالحيطان ونقلك يا شيطان — وقعت المزهريّه
بعدتنا الطريق عن طريق العتيق — ومدري كيف التقينا صدفة وتحكو عينينا
ونحكيت على الحيطان صورنا من زمان — صبي ناطر صبيّه

١٥١ **فايق ولّا ناسي**

قايق، ولّا ناسي عالمفرق، شو حكينا
يا حبيبي يا قاسي يا ناسي ليالينا
فايق شو تمشّينا بالليل عالطرقات
شو رحنا ومشينا بضو القمر سهيرات
وعلى أحلى الأماسي فايق، ولا ناسي
فايق عالتنزيهة بالقهوي اللّي عالعتق
نبقى نقعد فيها وستاير زرقا شوي
وعالحمر الكراسي فايق ولّا ناسي .

١٥٢ **فايق يا هوى**

فايق يا هوى لمّ كنّا سوى
والدمع سهّرني ووصفولي دوى
تارى الدوى حبك وفتّش عالدوى .

فايق لمّا راحوا أهالينا مشوار
تركونا وراحو قالو ولاد زغار
ودارت فينا الدار نحنا ولاد زغار
والهوى جمّعنا وفرّقنا الهوى
طير المسا جايي من سفر طويل
وعلى باب الشهر تبكي المواويل
ينطفي القناديل وتبكي المواويل
ونسهر على العتمة تنبيتنا سوى
فايق عسهره وكان في ليل ونـدي
والنار عم تغفى بحضن الموقدي
والمكتوب مسافره وما في كلام
ولا هدي قلبك ولا قلبي هدي
ونام الحكي والناس وانهد السراج
وتكّيت غصون الورد عاكتف السياج
وقل القمر عا قيختو وقلو الـدراج
وقلّك بقش بكير وتقلي قعدي .

١٥٣ **في قهوى عالمفرق**

في قهوى عالمفرق في موقدي وفي نار
نبقى أنا وحبيبي نفرشها بالأسرار
جيت لقيت فيها عشاق تنين زغار
قعد وعلى مقاعد نا سرقو منا المشوار
يا ورق الاصفر عم نكبر عم نكبر
طرقات البيوت عم تكبر عم تكبر
وتخلص الدني
ومافي غيرك يا وطني بتظللك طفل زغير
مثل الشهم الراجع من سفر الزمان
قطعت الشوارع ما حكيلي إنسان
كل صحابي كبرو وتغير اللي كان
صارو العمر الماضي
صارو نهب النسيان .

١٥٤ **في لنا يا حب**

في لنا يا حب خيمي عالجبل
ناطره لنزورها بليلة غزل
رافعه النجمات عند حدودها
وتاركي النجمات عاسطحا قبل
في لنا يا حب خيمه عالجبل
ومزدريه وورد أحمر عند نّا

وْوحْدنا بْهالجزْ عاحْد ودِ السَّما ... وْنِحْنا وإنت وْغنانسي والهمسو

حرف القاف

١٥٥ قال القوال

قال القُوال وْغنّى قِلْنا شُو قال ... السّاحة ولْعانه عِنّا بْصوت القُوال
ردّ و خوالتي ردّ و القَول المَرصود ... المَرصود الكاتِب حدّ وعالنيم حْدود
ولما الفرسان احْتدّ و وضَجّ البارود ... اهتزّو الإشيا ونِهدّوا والصَّخر انشال .
شعراته زَهره مَحْروقه بحْراش اللّيل ... اللّيل الطّاير عَنْزوقه مِنْ مَيل لْمَيل
ويا سمرا يا عَيْوقه بْصهّالات الخَيل ... إنت النّبله المَعشوقه بْأيد الخيّال .
قادِر يا صوت القادِر بالمَجد تْجِن ... تْجن وبالرّدي تْبارِد تالرّدي تمن
عم يهدُر نهر الهادِر والصّنج يْرِن ... ويْهِدر مزروع بْيادِر مزروعه رْجال .

١٥٦ قالتلي المرايه

قالِتلي المرايي تْغيّرت عْليّه ... كْبِرت مِتْل الحكايه وشغفنالي صَبيه
تاري البنت مْخبّايه مخبايه بالمرايه ... بالأوضه الزّرقا فِسْتان جديد
بْعد و بالورقه حا إسم العيد ... والبنت العَمّ بِتساوى، ترخي شعر وتْتْغاوى
وتِتمايل رايح جايي وتْطلّع بالمرايه ... غيبي وْلا تغيبي لا تْقوليلي وين
مراية حبيبي لَون العينين ... ولما قلّا يا زْغيري تْخلّيتِ وصرتِ كْبيري

صارِت تِبْكي الحِلوايه وتِضحك تِضحك المرايه .

١٥٧ قالو العدى

قالو العدى قالو شو خَبّرو وقالو ... وعْد و الصّبايا وْما إجو حَلّو الحِلو بْحالو
وعالعين لا قيتو ملّيت وْسقيتو ... قِلتلّو تِتهنى قلبي يا ماشالله

يلا كبرى بلا تانجيبلك لْعِنّا

وفي سيان عاشمالو مْزهّر على شمالو ... جرّ إيد يه الحِلو لما إجا يْقالو
كان الهوى وْكِنّا وكنتو تجو لْعِنا ... شو هلّلي غَيّرنا صارو يْلومونا
بِدّل ما تْزورونا ... يا ريت ما كْبرنا
وْردّاتنا مالو بخصورهُن مالو ... وعالقلب لولا الهوى شو كان عا بالو

١٥٨ قالولي كِن

قالولي كِن وانا رايح جِن ... حْبابي يمّه يا يمّه النّار بْروس الرّيحان

٥٥/١

حبابي يمّه تركوني راحو بعيد ونسيوني   وبعد وحبّن على بالي النار بروس الجبال
لاقصد جبال بعيدي أوقف لوّح بإيدي   وشوف خيالن عالعالي النار بروس الجبال .

١٥٩ قديش كان في ناس

قديش كان في ناس عالمفرق تنطر ناس   وتشتي الدني ويحملو شمسيّه
وانا بأيام الصحو ما حدا نطرني
صارلي شي ميّة سني مشتوفي بهالدكان   ضجرت مني الحيطان ومستحيّه تقول
وانا عيني عالحلا والحلا عالطرقات   غنّيلو غنّيات وهوّي بحالو مشغول
نطرت مواعيد الأرض وما حدى نطرني   صرلي شي ميّة سني عم ألّف عناوين
مش معروفه لمين وودّيلن أخبار   بكرا لا بد السما ما تشتّي عالباب
شمسيات وأحباب وياخدوني بشي نهار   واللي بيذكر كل الناس بالآخر ذكرني

١٦٠ قعدت الحلوى

قعدت الحلوى تغزل بمغزالها   وتراجع حساب العتيق ببالها
عمر الهوى حكاياتها عهد الصبى   وكيف غنّت للحلو موالها
مش فايقه حكيت معو من أيمتى   مش فايقه يمكن بأيام الشتي
سألت إذا بيحبها وقالا اسكتي   وقرّب ومدري شو تراه عاشالها
قدّيش يوما انقال وتألّف حكي   وقدّيش وعيت عالمخدّي عالبكي
شو تغار شو تختبي ولا كانت تشتكي   وغير القمر ما كان داري بحالها
واليوم حلما زهّر وعاشو سوى   وبعدا ظنّونا كرم بمهب الهوى
وبروح ليش تعدّها جروح الهوى   ما زالها تركت بحقلو غلالها
راسي بفيّة عيونو راضيي   وناسي كل الجروح الماضيي
وبدموعها البيضا عحبّو ماضيي   حبّو سماها وأرضها وتلالها .

١٦١ قمره يا قمره

قمره يا قمره لا تطلعي عالشجره   والشجره عاليي وانتِ بعدِك زغيره .
والشجره عاليي ما بتطالا الإيد   كيف بتمشي حافيي وفستانك جديد
بتقومي تتمرجحي وبيصير بدّك تستحي   ان شفتِ حالِك منيره عاحبيبك يا قمره
بدّك لحبيبك تقطفي قمر   تَ يوصل حبيبك بكرا من السفر
وجيرانك يحكو معو كيف الصبايا تجمعو   لمّا كنتِ بالشجره وصرتِ تغنّي يا قمره
حبيبك وتّاك تاتظلّي بالبيت   ومين ما حاكاك ما تتركي البيت
ما بدّو تشوفي حدا ولا تردّي عاحدى   وكل البواب مسكّره تحبك الهوى يا قمره .

١٦٢ كان الزمان

كان الزمان وكان في دكاني بالفي وبنيات وصبيان يجي يلعب عالمي
ويبقى حنا السكران قاعد خلف الدكان يغني وتحزن بنت الجيران
اوعى تنسيني أوعى تنسيني وتذكري حنا السكران
بعنا والعصافير كنا بالحي ندور صوب الدكانه نطير حاملين غمار زهور
ويبقى حنا السكران يلهي على الحيطان عم بيصور بنت الجيران
حلوي بنيت الجيران راحت بليلة عيد وانهدت الدكان وتعمر بيت جديد
ويقعد و حنا السكران على حيطان النسيان
عم بيصور بنت الجيران

١٦٣ كانو يا حبيبي

كانو يا حبيبي تلج وسهيل وخيل مطرق عباب الليل
وكانت اصواتن تاخدنا مشوار صوب المدى والنار
حلفتك يا حبيبي لا تنسى يا حبيبي لما بتسمع هالغنيه فكر فيي يا حبيبي
راحو الخياله والسهل عا مد العين ضاعو ما بتعرف وين

١٦٤ كان ياما كان

قصه انا بالدمع مكتوبي ما بتنحكى الكلمه بتجرحنا
كانت بنت للحب مغلوبي والبنيه كسرلا جوانحنا .
كان ياما كان في بنيه تقصد وتتفيه بتنهية الزمان
وبهوني قمرته تجمعو عليي من البيت خطفوني وعالجسر رصدوني
قلتلن عالبيت ردوني اشتقت شوفي البيت تدللو فيي وما حاكوني
وبقيت وانهميت وسمعتن عم يبيغو وبحزن وتفرقوبها الكون وهوني حبسني عالجسر
يغني
ورن دال وخدي هون تالحب يجمعن ولبي يرجعن
ومامره شي إيد تلتق تقلي الله معاك فلي
نحنا وتقنا لبعدنا من جديد

١٦٥ كتبنا وما كتبنا

كتبنا وما كتبنا ويا خسارة ما كتبنا كتبنا مية مكتوب ولهلق ما جاوبنا

كنا نبعتلو مكتوب يبعت مكتوبين — شو قالولك يا محبوب صاير بين شهرين
آخر مرة تلاقينا تصافينا وتراضينا — انكتب زعلان علينا عالقلبين عاتبنا
بتتذكر لما عالدار غدو بيّي بالبيت — ما بعرف كيف قلبي طار وصار يطير البيت
ولما قلتلي سقيني صارت تبكي الياسميني — وقالتلي يا مسكيني قلنا تبنا وما تبنا
يا مالكين القلب لما النوى مالكن — قلنا حباب اللي لنا مين يا ترى مالكن
عود وقبل ما الجفا يقصر ليالي العمر — غير الأحبة القدامى عالوفا مالكن .
يلمع شباكو من بعيد — عالوادي المفتوح .
وتزيد الغصة وتزيد — بها القلب المجروح
الهيئة حبك مش صافي — ولنسك عالجيري لافي
رجعو طيور الصفافي — وما رجعو حبايبنا .

١٦٦

كرمالك

انا عادينيتك عصفور لافي — على لحن الهوى والحب غافي
غاطل عشباكك ينتشي — حتى تطل ويقلك عوافي
كرمالك كرمال عيونك — كرمال الفي والدار والعشري
كرمالك عاطل غصونك — هالعين بتشوح واسأل يا عمري
شو آل شال يا عمري — كرمال الفي والدار والعشري
طلينا عالربوع ديارك — شو لون شو غيم شو كروم عم تلمع
طلينا ولقينا دارك مفتوح — عا كل الخير ومشرّع
دارك هيك مفتوح ومشرّع — شو لون شو غيم شو كروم عم تلمع
بيلوح رسمك في بالي — وسطوح مليانه دوالي
والقلب يحن والشوق يحن — وعالبال تمر هاك الليالي

١٦٧

نفس يا قلب

نفس يا قلب يشرد في ربوعه — ومثل الطفل يسأل عن جروحه
نسي ليلاتك وشرد عيونك — ومعا صورة غرامك من ضلوعه
تركو بكرا بتتحرك شجونه — وعلى هالدرب بيرد و ولوعه
ما في غيرنا يروي حنينه — ما في غيرنا بيمسح دموعه

١٦٨

كيف حالك خبرنا

كيف حالك خبرنا هجرانك حيرنا — بتفارقنا وبتحرقنا والله اشتقنا هاجرنا
حنينا للأيام وذكرنا حبك — واشتقنا للأحلام وليالي قربك

نحنا بعدك منّا جعدا … يا ترى قسم تتذكرنا
هجرانك أنّى الروح حبنا بتمتني … رلو تعرفي ح تروق بنا توعدنا
مين اللّي شغلك مين … عن أصل رجوعك
وما حلالك حنين ونسيت رجوعك … بعد والشادي عم بينادي
بعد والوادي يستنظرنا … باليالينا على ماضينا يا ما بكينا وتحسّرنا

١٦٩ كيف حالك يا جار

كيف حالك يا جار لو تعرف شو صار … سرقنا من ورداتك ورد … الزنبقا
انت بتحرجنا ومنحبك يا جار يا جار … ومنعرف انو قلبك مليان اسرار
يكفي تلوّعنا وتهجرنا … وعاد دروب الحب مسيّجا
ظلك ناد منلو وسامرنا وغنينا أشعار … مهما تنسانا ما منِنسى يا جار يا جار
مهما تنسانا ما منِنسى والقلب يهواك … دايما منشوفك خايفا
وعا درب العين ملاقينا … دايما منحب تهادينا من روضك أزهار

حرف اللام

١٧٠ لا إنت حبيبي

لا إنت حبيبي ولا ربينا سوى … قصتنا الغريبي شلعها الهوى
وصرت عنك غريبي … انساني يا حبيبي
مبارح تلاقينا قعدنا عا حجر … برد وروحوا بنا عزيتانه الشجر
خزقنا الصور ومحينا القمر … ردتلو مكاتيبو وردّ لي مكاتيبي
كل مين طوى شراعو وراح بها المدى … ولمّا بين وناعو عا جسر الهدى
اقترنا بهدى والدني هدى … بخاطرك صلّيلي تسعد يا حبيبي

١٧١ لالا يابا لالا

لالا يابا لالا أنا إسمي هالا … وجايي عالمدينه بيع وجوه الزينه
والزينه باعت حالا
وين إنتو يا ها الناس … طلّوا اشتروا منّي
وين الفن والحرّاس والصوت البيغنّي … بعد الليل ورجع الليل ويعطا اللولو لالا
إذا بعت الليلي كتير باخد كم هدية … لأختي فستان زغير وشي لإمي لإمي
بكرا الورد بيفضل ورد … بيلهي الصبيّه بحالا

١٧٢

لا تجي اليوم

لا تجي اليوم ولا تجي بكرا ... مشْ لنا الزينه وبيارق المدينه
نحنا لنا ورق الخريف ... الحمْ بيذهب مواكب الرصيف
وغير إنتَ وأنا يا حبيبي ما لنا ... لا تجي اليوم ولا تجي بكرا
خوفي لتنسيني بالعيد ما تشحني ... تعالا نبيّنده الحنين موسم الناس المنسيّين
إنتَ المدى، لا قبلك ولا بعدك حدى

١٧٣

لا تعتب علي

لا تعتب علي اخرني القمر ... قعدتنا هنيّي وطالعلا السهر
يا خجلة عيني لو يعرفو فيّي ... لومك مش علي لومك عالقمر.
وقلتلك يا جاري اخميني من الهوى ... نحنا بالبراري تربّينا سوى
ما تاري سوى إنتَ وهالهوى ... اتفقتو علي وما عندي خبر.
حلفتني إمي ما حاكي حدى ... قالتلي يا إمي إياك العدى
إنتَ مش حدى، ولا إنتَ العدى ... انتَ البيتي رابي من الزغر.

١٧٤

لبنان الاخضر

منْ وين الحلوه الحليانه عالورد وأكتر ... بتتموّج متل النيسانه بجبال العنبر
بيها الصحو ترش غناني وتقول وتسكر ... حلياني الدّني حليانه بلبنان الاخضر
لبنان الأخضر لبنان لبنان الأخضر ... لبنان
عالي عالي بيها الليالي ... ودّولي حبّه من ترابو الغالي
يا براج وأكبر من كل شي تعمّر ... حليانه الدّني حليانه بلبنان الأخضر
طلّت صورا عيد قصورا ... وقمار تسافر عجسورا جسورا
ويدوب السكر بينهر الكوثر ... حليانه الدّني حليانه بلبنان الاخضر .

١٧٥

لبنان يا أخضر حلو

لبنان يا أخضر حلو عتلال ... يا حكاية القلب وحنين البال
يا نجوم سهرانه وكروم حليانه ... يا سهول مليانه ودنية جنا وغلال
والضيعه مزروعه بحلوي رماديّه ... فيها الفجر بيوعى كل يوم بغنيّه
بدايات بيها الفيّات حكايات ... للحب حكاي وللعز حكايي
يا دنيتنا يا غنيّه بتشرح قصّتنا ... يا دنيتنا يا عليّه فيها سهرتنا
دنيتنا السوسر الضمر ... السوردات حكايتنا
الأرز العب حكاية نغمات ... فيك زرعنا محبتنا وحليو الكرمات
والليل السالي سرارو مع سوي قارو ... نزلو بضيعتنا قمارو يحكو حكايات .

٠٠/٠

١٧٦ **لَشْنا عْلَيِّي بْتِتْمالا**

قِلْتِلِك شي لالالا زْعِلْتِك شي لا لا لا — ولَيش تَا عْليي بْتِتْمالا وبْتِدْلِل تِقْلِّي لالالا
قالولي كْتير قالولي وفتَحولي بْواب — ويا ما الجيران حِكيولي وقَلْبي ما تاب
يا طير لْفوق ودّيلي مِنْ زَهر الشوق تِشْكيلي — والوردِه تْقول لحالا عليانه وما فيك تطالا
شِفْتك عالبير ناطِرني وِقْصَدْت البير — مِتْل اللي الحب غيرني وفزعت كتير
بِنْت الجيران زعلانه قَلْبا غيران عْتبانه — وما بْتِسْأل كيف حْوالا والحلوي تودّي رْسالا ٠
يا شغْل البال يا حِبّي يا هم البال — واسأل شال يا قلبي عالولف اسأل
عباب البيت عم غَنّي انكنّك حبّيت طَلَّتي — والما بْتِحب نيالا بِهالْكَوْفاضي بالا ٠

١٧٧ **لَشو الحَكي**

لشو الحكي طالِل علينا قمر — خلّي النّار لِلنّار — يِشْرح هواه ويِشْتكي
لشو الحكي عِند التّلاقي سوى — أهل الهوى عالهوى — يِتْفاهَمو مِنْ دون حَكي
بيني وبينك يا حِلو شو صار في حكايات — ما في كلام يْساعها مِنْقولها لْفتّات
كنّا نْراسِل بِالوَما ونْقول شَرح يْطول — ولَما اجْتمعنا لْحالنا نْسينا شو بَدنا نْقول ٠

١٧٨ **لَشو تِطْلَع يا قَمر**

يا قمر يا قمر ضَوي عالشَّجَر — يا شجر بالسّهر لَوّح لَوّح لِلقَمر
يا قمر يا قمر لشو تِطلع يا قمر — لَولا بْتِقْعُد تِتْسمّع من خلف الوراق
مش احسن ما تْقوم تِطْلع وتِفْضح العِشّاق — وتضوي وتكشف صُور ونِبْكي ويْشيع الخبر
أحلى تدلّك قَمر زغير لشو تِطلع يا قمر — سافرت كْتير وضَوّيت عمرك كلّو راح
لَولا بْتِلْقيلك شي بيت وبْتِقعُد تِرْتاح — وهالعيشي الكلّا سفر بكرا بِتْجِبلك ضَجر
خلّينا نِشْتاق عليك غِبلك سِني يا قمر

١٧٩ **لَمين الهديّه**

لمين الهديّه اللّي جِبْتها مْشِيه — فِسْتان المطرّز وبْلوزي مْخَمليّه
لمين الحرايِر لا تْقولي — بْمنازل الخاطر مْشْغولي
وِتْخبّي تِخْبي وبِتْهِبْني حِبّي — الغِنّيه بْقلبي والهوى بْعَينيّي
يا حلي المواسم مَزروعه — عالصْباح الحالم عَمْ تُوعى
وأساوِر وعْقود بِلْحلا مرْصود — وشْريطِه مَعْقودِي هالغرّة التّسليّه ٠

١٨٠ **لوين رايحين**

لَوين ؟ رايحين لوين ؟ مْسافرين ولَيش مسافرين

٠٠/٠

شو عم تحل هون   قم نفرق عم نتعب   بالشمس منتعذب
بدنا نسافر ونهاجر   لشي مطرح تاني بهالكون
والأرض لمين منتركها ؟ منتركها للديب   منتركها للريح للشح اللي ما بيتركها
شو إلنا عم نحارك شو إلنا عم نتأمل   لا الموسم الله يبارك لا كرم إلا لنا حامل
وصخور بتبدا صخور خلا تلالا عريانه   مثل التينه العطشانه ومافي إلها ناطور .
بيظل فيها اتنين عيون حلوين واحد   يعمرو من جديد ضيعتي الخضرا عمد العين
وزغيرا ومشيرا عالغيم   بتزوغ وبتحكي عصافيرا
شو بيمرق عليها رياح وضيم   وبتدالها تلاقي نواطيرا

١٨١ **ليلة عيد**

ليلة عيد ليلة عيد الليله ليلة عيد   زينه وناس صوت جراس عم يرن بعيد
صوت ولاد تياب جداد وبكرا الحب جديد   عم يتلاتو الأصحاب الهديه خلف الباب
في شجره بالدار وبدورو ولاد زغار   والشجره صارت عيد والعيد سواره بأيد
والأيد تعلق عالشجره غنيه وعناقيد   يا منارة كلا بيوت تلمع مثل الياقوت
كيف جيت عالدار تلج شرايط وقمار   ومن اللي جايي بعيد وعم يرش مواعيد
يدق بواب الناس وبمشي   والخير علينا يزيد .

١٨٢ **ليالي الشمال**

ليالي الشمال الحزينه   ضلي اذكريني اذكريني
وبسأل عليي حبيبي   ليالي الشمال الحزينه
يا حبيبي وبحبك عطريق غياب   بعدي لا بيت يخبينا ولا باب
خوفي للباب يتسكر شي مره بيهوا الأحباب   وتظل تبكيني الليالي الحزيني

١٨٣ **ليليه بترجع يا ليل**

ليليه بترجع يا ليل وبتسأل عالناس   وبتسقيهن يا هالليل كل واحد من كاس
غيلك شي ليله ياليل وانسانا ياليل .   ليليه التنين السود بيطلو بيكوني
قولولي على صوت العود غنيه وغنوني   قلتلي خبيني بقلبك وانسيني
يا زهر القناطر فتح هالميل وهالميل   أنا مش سودا بس الليل سودني بجناحو
مرقو الخياله عالخيل تركوني وراحو   تدهتن راحو لا وقفو ولا ارتاحو
ومنهن حبيبي ما سميني   وبعدو بعد الخيل .

حرف الميم

١٨٤ **ما أحلى الرجعه بكير**

ما أحلى الرّجعه بكبير — والدّنيي رفوف عصافير
وعالدّرب اللّي منعرفها — شو النسا عليها مشاوير
هلّق عالضيعه منطل — ومشوف سطوحا القرميد
والدّوري يخرج ويفل — متشمش عالشبّاك جديد
ويا نسيم شغلور وهيل — بيت الحلوي منّو بعيد
سهرنا عندا وما منفل — تا تشرف الليلي وتطير
يا ريتنا نحنا سهرانين — وعتم وتلسج تعطي حقول
وأنا وانت منسيّين ونتبّك بقلبي عاطول — وبدقو يدقو هالحلوين عاقلبي وقلّن مشغول
روحو نحنا تقابلين حبّينا وبعدنا كتير .

١٨٥ ما بنساك

ما بنساك والليل حلو النّدابير — ما بنساك والبلبل عمّا يطير
والطّير يغني وتتفتحو الأزهار — راجعه تنام عافيّات السّدّار
ما بنساك مهما طال الهجران — ما بنساك لمّا بترجع حيران
وبنتشد لحن جديد بنشد لك حب جديد — يللي بهواك ما بنساك .

١٨٦ ماريّا

يا ماريّا يا مسوحة القبطان والبحريّة — يا ماريّا يا طالعه من البحر
ردّي علي يا طالعه من البحر — قالو بيتن عيونها نيسان
عم يتفيّا بعيونها نيسان
جنّنتيني يا بنت يا سمرا — وجنّنتيني يا بنت يا سمرا
لا تنسيني بحبكن سهران — لا تنسيني بحبكن سهران

١٨٧ مراكبنا عالمينا

مراكبنا عالمينا يا رجعة الصّواري — وقلبي ناطر عالمينا وحبيبي منّو داري
ضحكتلك شواطينا يا مراكبنا العالمينا . — نطرني عالرّمل وقال بكرا أنا جايي
لوّحتلو بهاك الشّال والدّمعه مثبايي — ما تاري حبيبي حد الشّمس الغربي
يكتب أسامينا يا مراكبنا العالمينا .
ياما صلّيت وطلّيت عالبحر قدّامي — حتّى شوفك صوب البيت راجع بالسّلامي
مش عالي هديّه من جزيره منسيّه — ردّ يلي ليالينا يا مراكبنا العالمينا .
رجعوا البحاره والريح مربوطه عالياطر — والبحر مريّح ترييح وقلب النّاطر ناطر
يا خطره وسلامي يا جوانح الحمامه — يا زهرة شواطينا يا مراكبنا العالمينا .

٥٥/٠

١٨٨

مسيكن بالخير

مسيكن بالخير مسيكن بالخير
مسيان بالخير
الليله بيطلع القمر والكنز بيطلع معو
يتلون هادكن وبيفرحو ولا دكن
— الليلي رح يظهر الكنز ويتو الكنز
كل واحد بيهمس عندو
— كيف منبحش كيف منكش
شو لو بتلبسي بايدين
طيابيسي هالأرض مصاول
يا شيخ المشايخ رح تلك هالكلمي
والرضى أحلى من الزعل

ما تردو الصبا والمسا لألف
— مسيان بالخير
ولتمن بيظهر الكنز رح تفني ضحكن
وبيصير ينزل القمر يتمنى ويسهر معكن
وبنسو الكنز .
يمكن يلاقي الكنز عندو
نحنا ما في منا مصاول
وتطلعو حواليكن
والكنز بيظهر عليكن
صوت المعول أحلى من رنين السيف
والسلام كنز الكنوز

يا شيخ المشايخ إنت اليتخلصني

١٨٩

مش كل يوم تمر

مش كل يوم تمر عم يسألو الجيران
مش كل يوم تمر تتطلع وترمي زرار
تليست تا أسمع النتيجه
ولا عدت فيي شيل منيي
مش كل يوم تمر من فوق ظل وروح
بدينا الحب وبديت الأشعار
بكرا الحكي بيزهر على الأشجار

من هو شو بدو وشو قصتو جيران
مين إنت لا عرفو ولا جرحو الأسرار
عمري أنا ما بطل
ولا عمدت إنت تقبل
وعالسر خليه سر بيذبل إذا بتبوح
يا ذلنا نعرفو هالقصافير
ما بيختفي إلا الما بيدبر .

١٩٠

يمشي اللي عم بتلوح

يمشي اللي عم بتلوح
مشلوح قلبي من تحتا
يا يمشي اللي عالعين
اندل عليكي بها ليشوفين
وانحن وصار بدو يروح
روح ليندن قوليلو ليندن قوليلو روح
يتطلع حدد كروم التين
وبتولو قلبها مجروح
تشوف عليه من عينيي

قلبي من تحتا مشلوح
من تحتا قلبي مشلوح
اكذبيلي ما محبوبي
بتقوليلو مخطوبي
قوليلو ليندن روح
وبمواسم الحصادين وبأيام الحنيه
والناس بيدلو عليي
وعليهن عينيي تشوح
وعليهن عينيي تشوح .

٥٥/٠

١٦١ ما في حدى

ما في حدى لا تندهي ما في حدى   عتم وطريق وطير طاير عالهدى
يابن مسكّر والعشب غطّى الدراج   شو قولكن شو قولكن صارو صدى
مع مين بدّك ترجعي بعتم الطريق   لا شاعلي نارن ولا عندك رفيق
يا ريت ضوينا القنديل العتيق   بالقنطره يمكن حدى كان اهتدى
يا قلب آخرتا معك تعبتني   شو باك دخلك صرت هيك وشو بني
يا ريتني شجره على مطل الدني   وجيرانها غير السّطا وغير الصدى

١٦٢ مضويه

مضويه مضويه بالعز وبالأشعار   بتموج ومتكيّه عالزنبق ليل نهار .
يا بيوت البتلالي عتلال وخلفا تلال   عالي وردك عالي وزرارو ما بتنطال
وصّلني وصلني خدني لا تسألني   عا شي نسمه حطني وشلحني بهاك الدار .
حليانه وغرقانه بالخير وبالشربين   يا بنيه تعبانه بيعينيها الحلوين
بكتني إيامو بيت الحلوي خيامو   هالباب القدّاموفي ورده وبنك جرار .
كرمك الله بزيد و اللّي مشمشهون وهون   الخير البشاتيد و عم بيفيّي عالكون
فتحت لحالك طاقه عالأرض المشتاقه   يللي قلبك باقه حب والفه وقمار .
لاقونا يا أهل الدار جبنا الورد غمار غمار   جمعنا هانجوم الليل وسهجنا دايرمندار
دنيي ترفرف عالملين   وطير مشوّح مدري لوين
وبعدك يا لفتات العين   توديملا وترتّي غبار .
ومضويه مضويه ومضويّه ليل نهار .

١٦٣ معافى يا عسكر لبنان

معافى يا عسكر لبنان   يا بو زنود المتنيّه
وتتفاوى أرزة لبنان فوق جبال الحريه   يا خضرا ترقص عا مطل وبحكايات العز تطل
وتمد شلوحا للكل وعابيوت الكل تفيّي   ويا خضرا ترقص عا مطل وبالخير وبالحب تهل
شمسك هالمضويّه تال بيهالدنيي مضويّه

١٦٤ مع ليلى

بتذكر لمّا كنّا ولاد زغار   كنّا نطلع مع ليلى مشوار
نشرد بالغابات نتمشى   ونتحاوبنا من الوادي الأطيار
لكن لمّا صرنا ولاد كبار   صرنا ننشد للحب الأشعار
ما عادت ليلى ترافقنا   لا بنزهات ولا حكايات
يا ترى ليلى شو صار

./..

يا تـرى ليلى كبْرت والأيـام — أهدتها أحلام مـن المـاس
ما عادت ترافقنا نشرد بالاكــام — صارت تخاف مـن كلام النـاس
يا هالترى منرجع ولاد زغـار — ونعود نطلع مع ليلى مشـوار

١٦٥ **مقليش يا قلبي**

مقليش يا قلبي درب الهوى صعبي — نحنا اخترناها وبالدمع سقيناها
ندمان مش ندمان زعلان مش زعلان — درب الهوى صعبي مقليش يا قلبي
بتتذكر الأيام يا قلب والأنغـام — وما كان عنا سر نخبيشو منـنـا
دخلك شو كان العمر إلو معنى — واليوم رح تهلك وبدّلني قلبك
درب الهوى صعبي مقليش يا قلبي — ولو غيرونا نعيد أعمارنا من جديد
وعادوا الصبايا سرب ينسجوا أحلام — ولا حتلنا هالدرب كلها آلام
منرجع نمشيها ونوشوش فيهـا — درب الهوى صعبي مقليش يا قلبي .

١٦٦ **مغـرور**

مغرور قلبي كيف بدي فهمو — إنو الهوى بيعذبو وبيندّمو
لا كان يتعلم من ليالي البكي — ولا كانت جروحو القديمه تعلمو
تشبت قصور الورد من لمّ الندي — والطير وعي الزنبقه البيضا وهدي
وإنت يا ضايع أيامي رح تهتدي — دار الحكي والناس عم يتلوّمو
مشيتني عا درب وعره بالشباب — ونحنا ورا عينين بيجيبو العذاب
وياما لحقنا الريح عا كلمة عتاب — وياما نطرنا ويحرقو وما يسلمو
تاريك مش وحدك تنيتنا سوى — مجانين مخلوقين طيرنا الهوى
ومش رايحين ناخد لهالعله دوى، — الحاذقنا منحلّو ومنحرمو .

١٦٧ **من عز النوم**

من عز النوم بتسرقني — بهرب لبعيد بتسبقني
يا حبي صرت بآخر أرض — عم إمشي وتمشي في الأرض
لوينك بتضل لاحقني
كنا نودعنا وصوتك غياب — ونادا لي القمر العالي
ولما عا حالي سكرت الباب — لقيتك بيني وبين حالي
مشلوحه على بحر النسيان — فارقني النوم وكل شي كمان
ووجهك ما كان يفارقني — وجرب إسبح ويغرقني
رنة ضحك وسهرية عيد — وكل صحابي حواليّي
وعم فتش أنا على حب جديد — والناس عيونا عليّي

٥٥/٠

وبْتِطِل بْمَوقَـــعْ مِتْـــي الكَـــاس ... وَحْدي اللّي بْشوفَــك مِنْ هالنّاس
مِنْ بَين الكِـــل بْتِسْرِقْنـــــي ... وبْتِلْـــع الماضـــي بْتِحرِقْنـــي .

١٩٨ مَـــوّال

مَوال حَبّي إلَك مَـــوّال ... ما مَنزلَك مهـــــال ... مِحتار ما بِتْنام رِقاتـــو
مَوال هاللحن بْمَلّي مال ... بِحول هَوى وْآمـــال ... مبدا لحن قَلبي وْرِغاتو
شو قالِتْ الأطلال هاليبت هامِتْ فيه ... وبْقَلبها مَوّال وبْقَصِدْ ها تغنّيـــــه
مَوال وبتجبر الشّجرات ... وبْتُوشوش الزّهرات ... إنّو الهوى بهأرضنا موّال .

١٩٩ هيج يا بُو الهيج

هيج يا بُو الهيج يابو الهِجّانــــا ... أعراسنا غنابي وْهَوى وْحُب وهَنا
عقبالْهُن بتجوزو كِل الأجنـــــو ... وبْحرسْهُن يِتْفرجو ما رقصنـــــا
يا لَيل تسم بالهوى مَهْد الهـــوى ... يِسْهر سَوى ونِحكي سَوى يا حبابنا
هَب الهوى ومَل جَنـــا أعراسنـــا ... وناد ولنا تْواطيرنا وْحِرّاسنـــــا
ما أحلِك بالحب يا ليالي الجبَـــل ... زيد ي عَزِيمات الدّني أعراسنــــا
مَنسا بْليل الهنا يِبقـــى لِنـــا ... وتِبقي لِنا يا أرضنا وبْلادنــــــا

٢٠٠ ميلو أهل الهوى

ميلو أهل الهَـــوى ميلـــــــو ... سَهْرونا وعاتبونا والقناطر ميلــو
سَهَر وْلَيـــل وْضَـــو شحيــــح ... يا أهــــل الشّتـــي والرّيــح
غَمْرو غَمرو حبايبنا غمـــــرو ... واللّي غايـــب قَلبـــو دايــب
واللّي حبـــو غمـــــــرو ... وَعْد يْطول وشَـــوق يْصيـــــح
يا أهل الشّتي والرّيـح .

٢٠١ مَيلـــو الحبايب

يا طَيـــر البَراري وَيـــن حلـــو ... حبايبنا ومر النّهـــش حلّـــو
وْيا شعر النّبيهـــه ويـــن حلـــو ... طَويل وبْجرح قلـــوب الحبـــاب
ميلو الحبايب علينا ميلو عالدّار يا هلا ... صِفيتْ الإيام والتقينا بقدوم الحِلوين يا هلا
لِبْسِت الفِسْتان خصرو مايـــــل ... والزّهر مْنزول عالجَســـد ايـــل
لوّحِتْ بالشال يا نيالـــــــو ... وتمّها مْحْسوب يِلــي قالـــو
واسألو المَوجـــو كيف حلوالـــو ... داب قلبـــو داب عالحَـــــلا
بدت المَنديل مِسْتحيّـــــــه ... وْرتجيت وما تطلّعت عليّـــــــي
وْرِمْشك النّعسان يَـــا صبيّـــي ... جَوهره يْشِين الضّـــــــــلا .

٠٠/٠

٢٠٢ **مين ما كان يتمرجل علينا**

ميـن ما كان يتمرجـل علينـا — مين ما كان يتمرجل علينـا
بدنـا تعرف شو سوينـا — لا مرّه اشتكينا ولا مرّه احتجينـا
ولا مره سبّينـا ولـوه — ليش ليش هالقسـى علينـا
جابونا عا ساحات البرد وقالو تفو وقفنا — ندهونا من راس الجرد شوفونا القمر شفنا
صرخو جايي صرختنا جايـي — وخلصت الروابي وما حسّينـا
عالبـاب اللي ما الـو بـاب — قالو انطـرو نطـرنـا
عنب وزهـر وأغلـى تيـاب — والتعـب كـسرنـا
هتفو عالي هتفنا عالـي — دبلت الليالـي ودبلو عينينـا .

حرف النون

٢٠٣ **نبـع الينابيع**

ساعدنـي يا نبع الينابيـع — يا سيّد العطايا ساعدنـي
ودّيتلي جيت قطعت الليالـي — عن حبك حكيت وكرمك ببالـي
والعصافير بتلعب وبحقولك بتطير — واليمامه بتشرب من نبعك بكيـر
الراعي الشمدي غنّى من عينيك — والحوره الوحيدي عم تتطلع عليـك
الناس الموعودين ضيّعهن الضباب — وعيون المقهورين سهرانه عالبـواب
من غيرك أنـا وحيـدي — غدني بإيـدي
واجعلني أنا قصّة الموعوديـن — قنديل التمانيـن
وفوق البيوت المهدّ وميـه — ضوي فجـر الناطريـن .
خبر الرساله وابـح ببالـي — خبر الرساله أمانـي ببالـي
يا سيّد العطايـا — يا نبـع الينابيع ساعدنـي .

٢٠٤ **نجمـة العيـد**

ضوي بليالـي سعيـدي — يا نجمـة بيتنا قريـب
جايي من دنيـي بعيـدي — تتلـج عا هالكون طيـب
يا سما وتتلج أشعار وسـلام
حكيولي حكايـي غريبـي — والأرض عيونـا دمـوع
قولي قولـي يا حبيبـي — جايـي لعينـا يسـوع
يا سما وتتلج أشعار وسـلام .

٢٠٥ نِحْنا والقمر جيران

نِحْنا والقمر جيران بَيتو خلف تلالنا — بيطلع من قبالنا يسمع الألحان
نِحْنا والقمر جيران عارف مواعيدنا — وتارك بقرميدنا أجمل الألوان
وياما سهرنا معو — بليل الهوى من النهدات
وياما على مطلعو — شرحنا الحب وحكايات
نِحْنا والقمر جيران لما طل وزارنا — عا قناطر دارنا رشرش المرجان

٢٠٦ ندهتني النسمه

ندهتني النسمه الغريبه — لفحتني ريح السفر
عم تمشي الجبال — وتبعد الكروم
والبيوت تهاجر فرح الرحيل غمر الدني — عشلوط البحور البعيدي
مراكب ليالي عشاق
والأيدين الضبيه تقطف زهر الحب من موج البحور
ندهتني النسمه الغريبه — ولفحتني ريح السفر
والبيادر راكضه بسنابل القمح — قرب موسم الحصاد وقرب طفلنا
وزن الحور عم يهلوح — أرض الشند يسان عم يتلوح
منين الأحبه عم يتلوح
انطرني على روس الجبال — أنا واصله واصله لعندك
علق على صدرك نجمة الحب الغريبه .

٢٠٧ نزلوني على البير

نزلوني على البير وطلعوني من البير — القي ما بللتني بس خفت كتير
كانت ايديكن حاملتني — وحاشه اني وحيدي
كانت قلوبكن شايلتني — وحاشه اني وحيدي
بس لما رجعتوني من عتمة البير — شعرت اني مش وحيدي
وانو حب الناس بيحرس الناس — واللي بيعطي السعادي بينسى
بترجعلو بميه كاس
ريت السعادي للناس — زهرت بايدي .

٢٠٨ نسم علينا الهوى

نسم علينا الهوى من مفرق الوادي — يا هوى دخل الهوى خدني على بلادي .
يا هوى يا هوى يللي طاير بالهوى — في منتورا طاقه وصورا خدني لعندن يا هوى .

../..

فزعاني يا قلبي إكبر بها الغريبي — وما تعرفني بلادي يخذ ني يخذ ني على بلادي
شوينا شوينا يا حبيبي شو بينا — كنتو ونّا تذلّونا وافترقنا شو بينا
وبعدا الشمس تبكي عالباب وما تحكي — ويحكي هوى بلادي يخذ ني يخذ ني على بلادي .

٢٠٩ نطّرونا كتير

نطّرونا كتير كتير على موقف دارينا — نطّرونا كتير كتير هالموقف دارينا
لا عرفنا أساميهن لا عرفو أسامينا — عاموقف دارينا
عالموقف ركاب وليل وبيّه مهيوبه — وشب بقلاصيف وليل وتقلّو منطوبه
ويا نسمه خدينا ويا نسمه جيبينا — عا موقف دارينا
سياره زغيري والليل والغيري — والعشاق تنين تنين ما حدى عارف لوين .

حرف الهاء

٢١٠ هب الهوى

هب الهوى وماج الهوى من جنوبي — ويغلى على شيبن الفلا محبوبي
هب الهوى وتمايلو القناطر — لا كان لا عالبال لا عالخاطر
ولّي نزع هم الهوى شو ناطر — طاب الجنى وبنت اللنا مطلوبي
دار اللهن يا دارة العليّه — عالعز وليالي السعد مشيّه
ويا بنيّة الكتابها طهيّه — انتي على اسم الحلا مكتوبي
ينسى الشفى عيوني إذا بنساكن — عمر الصفا عمري أنا ويّاكن
ون كان ذنبي يا هلي هواكن — روحي وتحيي وعيشي معي يا ذنوبي .

٢١١ هلّي عالريح

هلّي عالريح يا رايتنا العليّه — عز وتلويح أرزتنا اللبنانيّه
يا عشّي الراجح أهلا — يا غالي وغالي أهلا
صارت سمانا أحلى — وبال المنى أعلا
شفتك والدنيي قبالي — وليام تمن عا بالي
ويا تلج تلوح عالعالي — ويا أرز العالي تعلا
عالدني كلا كلا — عالدني كلا كلا .

٢١٢ هلا لالا ليا

هلا لالا ليّا هلا لالا ليّا عيني يا موليا — طاب الهوى يا حلو عامهلك شويا
هلا لالا ليّا هلا لالا ليّا عيني يا موليا — بفيّة خيام الهوى يا عاشق تفيّا

/ . . .

لاقصد ربوع الوليف واسأل على دارو — وقلّو هواك اللطيف ويمن لنا زرارو
طلّ النسيم الخفيف من صوب أزهارو — يشرح هواه الذريف عمكاسر الميّا

٢١٣ هيك مشق الزعرورة

بالضيعه يلّي عاشقه النجمات — بيسهرو بيضو القمر سهرات
وبيرقصو رقصات بحيها كتير — عاغني الحلوين والحلوات
هيك مشق الزعروره يا يمّا هيك — هيك بتمشي القموره يا يمّا هيك
هيك مشق الزعروره يا يمّا هيك — وهيك بتغنّي العصفوره يا يمّا هيك
بحدنا بحليه خضرا عطلنا سهرا — وجناح النسمه وعطرا تشوقنا ليك
هيك مشق الزعروره يا يمّا هيك — وهيك الحلوي وزهورا بيميلو هيك
والحب اللّي مضيه بليل غنانيه — عم تسألنا لياليه وتخمزنا عليك
هيك مشق الزعروره يا يمّا هيك — وهيك الأحلام قصورا بتتعمّر هيك .

٢١٤ هيهات يا بو الزلف

هيهات يا بو الزلف عيني يا موليّا — عدنا عا أرض اللّنا وعاد الهنا ليّا
يا جبال يلّي الهوى شبّاكك العالي — انت وأهلك سوى إيّام عا بالي
ويا ما تربّى الهوى عاترابك الغالي — وها القلب بعد النوى بيبوتك تفيّا .

٢١٥ هيلا يا واسع

هيلا يا واسع مركبك راجع — بشقك ليله وعشتك ليله
سافر بليلية ربيع — ودار الدفّه جنوبيّه
حنّت عليه الريح — وصل على المينا الفجريّه
وانقضت ليله واشرقت ليله — شد الشراع وسيربلد الحبايب ماهي بعيده
بحر وطول يا كبير وتبقى سفرتنا سعيده — والسعد ليله والهوى ليله .

حرف الواو

٢١٦ وردة الوردات

كان ياما كان بعت وقمر أخضر — يلفي عليها وكان بالنطره يسهر
شيلني بأيديك لبعيد بعدني — مشغول بالي عليك حبّك بيحصدني
وبعدك بقلبي وردة الوردات — وفتّحه ورشّه على ورقه

٠٠/٠

لا نقش على ترابك الشنيات   علق عا بابك خرزتين الزرقه
حبيتك وغنيت صوتي نذرتلك   عا كل تله وبيت قصه كتبتلك
عا كل سطح ودار عا كل تفريشي   لا خليت الأشعار ولا تعبت الريشي
إنت الزهر البحر ولما الهوى بيهب   بيهب فيك الشعر إنت الشعر والحب
تمرك يا برج التكي عالعاصفه والريح   وقبابك اللي مشكي عالغيم رشيت ريح
يا دراجك اللي منوره بنصور مشاوير   يا ألف درب مدوره تلفا الدني وتدلير .

٢١٧ وطنـــي

وطني يا جبل الغيم الأزرق   وطني يا قمر الندي والزنبق
يا بيوت البيحبونا يا تراب اللي سبقونا   يا زغير ووسع الدني وسع الدني يا وطني
وطني يا ذهب الزمان الضايع   وطني من برق القصايد طالع
أنا على بابك قصيدي   كتبتها الريح العنيدي
أنا حجره أنا سوسني   أنا سوسني يا وطني
جيراني بالقنطره تذكروني   وبلابل القمره بيدهموني
شجر أراضيك سواعد أهلي الشجرو   وحجار حفافيك وجوه جدودي الحمرو
وعاشو فيك من مية سني   من ألف سني ومن أول الدني
وطني وحياتك وحياة المحبه   شو بني عم إكبر وتكبر بقلبي
وأيام الجايي جايي   فيها الشمس مخبايه
إنت القوي إنت الغني   وإنت الدني يا وطني .

٢١٨ وطى الدوار

بعدك بتذكر يا وطى الدوار بتذكر حكايتنا   ولدين بالإيام كانو زغار يلفو عا جيرتنا
يبنو يجو قبل الظهر وسكوت عا هالطرق وفي   يعمرو حد التنايي بيوت يلعبو بالمي
وخلف السياج اللي إلو داير من شوك الحقالي   يا الو يتنو شعرهن طاير وحالتن حالي
وشو قعد وساكتين بكرا وحجار بأيديه   تازل يزيح عا كعب شجره وحيي عيونا عليه .

عالزغار فلو صارو كبار نسيو جيرتنا   وحدك بتذكر يا وطى الدوار وجدك حكايتنا

٢١٩ وعدي إلك

وعدي إلك وعد الصوت   غنيلك وخلي الدني تغنيلك وندروني إلك
مين عطني سيف وقلي قديمه   وشو قلي بالي تا إحكي يمكن لو سكت
يمكن لوما إحكي كنت علق فليت   كنت علق بالبيت
يا إمي لا تتبلري قدام البوابه   معك بترتيب الدار لا تحسبي حسابي
ويا خطيبي صالح لا تنطرني لها السهره   ولا بسهرة بكرا ولا بهايا سهره .

../.

أنا كتبوني عَ ـاورَق النـ ـار — أنا حطوني هموم كتـ ـار
ولازم إمشي بالقمع الـ ـرب — مِن بيت لبيت ومن درب لدرب
ويا صالح خطيبي حكايات الليالي — وقساتين الجرس الهيدلن بيالي
بندهن وقطيهن لشي بنيه تانسي — تقدر تشد منها ونساني ولا تنساني
انا إلو للواقف بالـ ـزمان — بِنذر موتي حياتي وموتي
لمجـ ـد لبنـ ـان .

٢٢٠ وقف يـا أسمر

وقف يا أسمر في إلك عندي كـلام — قصة عتاب وحب وحكاية غـرام
هالبنت يلّي بيتها فوق الطريـق — حطتني اليوم لعيونك سـلام
استخلصتني وخبرتني شو بهـا — حدثتني عن هـواها وحبها
قالت إنت كتير حارق قلبهـا — مشتاقه إلك وبتخـاف الملام
قال لما بتلمحك بين الشباب — بتحس برعشه لذيذة الإقتـراب
بتحرقك لو كنت ماشي بالذهاب — بتلمحك لو كنت حاضر بالسلام
يا شريـد القلب عم تسأل كتير — لا بد ما تتعب وبضنيك المسيـر
تلمح جناين حبها الزاهي النضير — وتزورها بربيعهـا تلقى السـلام .

٢٢١ وين بدو الديب

وين بدو الديب يهرب من وج الشمس — وين بدو العصفور يهرب من وسع السما
وين بدي هاجر وين بدي سافـر — وين بدي غيب من هالشمس الما بتغيب
تمرق ساعه ورا ساعـه — والحجـر يدل عليـ ـي
والساعـه تـراقب ساعـه — وصوتا يتكسـر فيـ ـي
يا الموقفي وعينيهن شمـس — غابت الشمس وعينيهن شمـس
نزل الليل وعينيهن شمـس — فاتو البيوت وعينيهن شمـس
وانا برجع عالزمان الغريـب — عالسؤال الغريب عالحكار الغريـب
البير البير ما اغمق البيـر — يا هالختم يلي عليك حبر الظالـم
حبـر العتـم
حبر الضحايا العتيقه حبر الـدم — انزال على البير ونام بالبيـر
ولاك اللي نايم شهر نايم عا حرير — ومن هلق للشهر الجايي للقمر الجايي
ما حدا بيعرف شـو بيصيـر — واللي بدو يصير يصيـر .

٢٢٢ وينـن

وينن وينن وين صواتن وين وجوهن — صار في وادي بيني وبينن وينـن

../..

ركبو عربيات الوقت وهربو بالنسيان — وتركو ضحكات ولادن منسيه عالحيطان
تركولي المفاتيح تركو صوت الريح — وراحو وما تركو عنوان
عشاق الطرقات افترقو لا حكي لا مواعيد — أنا وحدي صوت الشوارع أنا طير الترميد
هربت بيها الليل من مرابطها الخيل — وأنا قنديل الحزن الوحيد .

حرف الياء

٢٢٣ يا أنا يا أنا

يا أنا يا أنا أنا وياك — صرنا القصص الغريبي
يا أنا يا أنا أنا وياك — وانسرقت مكاتيبي وعرفو إنك حبيبي
يا أنا يا أنا هرب الصيف — هربت مناقيد الزينه
وإذا ضيعني الهوى شي صيف — بيقلبك بتلاقيني وتخبيني ولا تخبيني
تركو تركو سهر الباب والعاشق لمجناحو — تركو أساميهن عالباب على كتب الدمع وراحو
نسيو بعضن وارتاحو

٢٢٤ يا أهل الدار

يا أهل الدار طلو طلو الحبايب — شعلانه النار والسكر قلبو دايب
يا أهل الدار دارت فينا العليه — والورد زرار جنو عالورد خطيه
ويا بنت الجار لا تجوري كتير عليي — صار اللي صار والعمر الطيب طايب
حبك غلي يا دار عا قلبي غلي — عقودك الغاوي على إمو حلي
إنت ببالي بيموت حلوي مشرعه — وإيدين تغزل نار يوم المرحلي
باعت مرسال يسأل عن بنت زغيري — قال يوما قال كان ينطرها بالجيري
يا ماضي البال ماتذوق انشالله الغيري — حمل خيال وانخطبت إنت وغايب

٢٢٥ يابا لالا

يابا لالا لالا بتريدي تحاكينا أم لا — يابا لالا لالا رح بتردي علينا أم لا
يعني ما بتحبينا ؟ لا ، ولا بتحبي غانينا ؟ — لا ، ولا راح بتردي علينا؟ لا يابا لالا لالا
يما طيري يا طاير يا طاير — يا طاير صوب إم جدايل
سلم وزيد السلام — يابا سلم عالخصرا مايل
وإن شفت الحلوي الميّالا — اللي عيونا عيون الغزالا
خبرها إنو منحبا وعلينا لا تقشع حالا — يا طيري يا طاير يا طاير يا طاير صوب القموره
سلم وزيد السلام — يابا سلم عالحلوي وزورا
وإن شفتا زادت دلالا — قلي بيحبو جمالا
قلا منتركها منهجرها — لكن ما منقشع بدالا .

٢٢٦ **يا بنت جارتنا**

يا بنت جارتنا ضلّي بجيرتنا — هالأرض سقّدتنا وأحباب غرفتنا
ما في ولا بيحكي متل هالجيري — فيها هدو وفيّ وملاعب كتيري
وفيها قناية مّيّ متهاديه بجيري — وفيها شوي شوي ربيت محبّتنا .
إلنا معك تذكار من عهد ماضينا — إيّام كنّا زغار وكنتي تلاقينا
عا فيّة الأشجار حتّى تشوفينا — ونروح سوى مشوار عادروب بلدتنا .
ومرّه بصبحيّه كنتي معي بقرسي — وطليت خبريّه رفّ ارتعش قلبي
وحكيو عينيّه حكيو عن حبّي — وصرنا يومي نراجع حكايتنا .

٢٢٧ **يا ترى يسينا**

يا ترى يسينا قمر ليالينا — يا ترى يسي حنابيه بدواليتا ؟
يا ترى جفانا وما فتر هوانا — وسامر الورود البيض في ملهانا
وردي عالشباك مزروعه — بتنسام عالتنهدات
نجمي عادرب الليل موجوعه — بتقول للتسالات
قمر لياليتا يا ترى يسينا — والهوى جنى الأحلام عم يدّعينا .

٢٢٨ **يا حجل صنّين**

يا حجل صنين بالعلالي — يا حجل صنين بالجبل
خبّر الحلوين عن حالي — خبّر الحلوين يا حجل
يا حجل عالمي إنت ورايح — زورهاك الحي رايح رايح
جيب خصلة في عالجوانح — لها الراعي خطي يا حجل
يا حجل وانزال عالبيادر — سابق الخيال انت وطاير
وانّ أنا عالبال خاطر — قول صرت خيال يا حجل
بيتن عاطل هاك القاطع — عالذي بيهمل بابو الواسع
أنا بدّي فل صوبن راجع — وانت وحدك ظلّ يا حجل .

٢٢٩ **يا حلو شو بخاف**

يا حلو شو بخاف إنّي ضيعك — نمرق على الجسر العتيق
ونروح منّي بها الطريق — لوين لا تقلّي ولا تاخذني معك
يا حلو شو بخاف إنّي اسألك — كنّو بعد بتحبّني قد البحر قد الدّني
وبفزع لتضجر من سؤالي وزعلك — يا حلو شو بخاف ليله عاصفه
يخطر عا بالك شي نجم — وتقوم تمشي بهالمتم

٠٠/٠

وانطر أنا عالبـاب انطـر خايفـي ... ساعة إذا مرّقيت وما شفتـك فيـا
شو بشوف حالي زغيـــره ... ووحـدي يهونـي قنطـره
وعالذي ينزل ضباب ويمحيـا ... اعطلني متل خاتم ذهب بيأصبعك
اتركني حاكيك واسمعـك ... خدني على قلبك معك
دخلك بخاف بخاف إني ضيعك

٢٢٠ يا حلو يا جارنا

يا حلو يا جارنا يا ساكن بيدارنا ... دارنا دار القمر شو بيحلى فيها السهر
يا جارنا يا ساكن بيدارنا
ضحكو البنيات للمواعيـد ... وانتلو الفيات بالعناقيد
هالحكي لا لنـا والزعل زعلنـا ... والسرار سرارنا يا جارنا
وصلو النحلات للنواطير ... قصة الحلوات والمشاوير
بتقول الصبيه للقمر ليليه ... مشوارك مشوارنا يا جارنا .

٢٢١ يا حنينه

يا حنّينه يا حنينه يا حنينـه ... أهل الهوى بليل الهوى شهّد ولنـا
رايحه تاتزور زوري وارجعـي ... وقبل ما يغيب التمر وتفزعي
وإن كان بتذالّي معي ذلّي معي ... بيمت لأهلك تا يجو لعندنـا
لمّا التقينا والهوى بيأولو ... مرّقو الصبايا عالهدى وما ميّلو
ولما سألتك يا حلو لشتا حلو ... نسّم هوى الصفصاف والورد انحنى
يا ليلة الفيها الأحبّه تجمّعو ... قعدو سوى يتوشوشو ويتسمعو
من صوبنا لصوبكن سافر قمر ... يا ألف دمعة شوق ودّينا معو
لفيو الحبايب والعمر رايق هني ... والقلب يتذكر الماضي ويغتني
يا حلوة اللي شالها غزل الهوى ... خايف يطير الشال وتطير الدني .

٢٢٢ يا دارة الدلالي

يا دارة الدلالي يامسوره بالغضب ... عاجبهة الليالي إسمك ضوي وانكتب
يا بنيّة الفرس ومشنشله بالحلى ... ينده عليك العرس لا تجرحي بالحلا
تاطلورنا اللي غدي عالكرم قبل الندي ... قلبو حكي عالهوى واهتز نهر القصب .
يا مزنره بالخطر صوب السما تلفتي ... عابيادرك والشجر يربى هدير الشتي
أهل الوفا ميلو عابيوتك اللي علـو ... يا خصر دايب غوى تحت الحكي والعتب
من فوق راس الجبل طلو وعيد وحدا ... وشعر الصبيه انجدل رايه عا وج المدى
كاب الرنين وغلي وصوت البشاير علي ... واللي انكتب عالمجد بيكل سيف انكتب .

٥٥/٠

٢٢٣ يا داره دوري

يا داره دوري فينا ضلّي دوري فينا — تا ينسو أساميهن وننسى أساميهنا
تما تا نتخبى من درب الأعصار — وإذا حتى كبرو ونحنا بقينا زغار
وسألونا وين كنتو وليش ما كبرتو انتو — منقلّن نسينا
واللي نادى الناس تا يكبرو الناس — راح ونسينا
يا داره دوري دوري وتسمّنا عالعيد — تا يكبر الدوري ويخمّر القرميد
ويا هالصبح الناطر قاعد بالقناطر — يحسّنا هلّق جينا
حبيبي والليل راحو ببحر الليل — ونسيوني عالمينا .

٢٢٤ يا شاويش الكركون

يا شاويش الكركون وحياتك لا تأخّرنا — إم الأصفر عالبلكون قالت بدّا تنطرنا
ردّت ردّت قمطها عالنّو التسليمه — والشوق اللي بلفتتها من الأيام الصيفيّه
ولما طارت غرتها والهوى لوّح جبهتها — غرّبتنا بجوز عيون
شدّت شدّت زنّارا عازهور القصر الطايل — والياقوته المحتاره مشكوله بالجدايل
ولما بهاك الأشاره قلتلا بحبك يا جاره — قالت حتى تطلو جنون .

٢٢٥ يدور الدوري

يدور الدوري ويحاكي يحاكي المنتور — المنتور الماشي حاكي شباكي يدور
بعد والأسمر ناطرنا ناطرنا بعيد — بعيد وتضوي قناطرنا قناطرنا عيد
تلوّعنا وتحسّرنا والشوق يزيد — ونحنا وماقصّرنا محكي وزهور .
قلّي انكان بعدك قايق قايق عالصين — الصين اللي نيما راية رايق يا عين
وتحكي وشو حكيك عايق حكيو القلبين — حكينا بخمس دقايق من خمس شهور .
أهل الحلا ما يسألو عنّا — زرقو قطفو ورد من عنّا
وكل يوم بيبعتولو مرسال — بلكي منرجع متل ما كنّا
ميّل عالبيت العالي عالي عدراج — دراج تزنّرها دوالي ود والي سياج
قالي ما قلبي غالي ويا قلبي حاج — عمّرلك عالعلالي علالي وقصور .

٢٢٦ يا ربح

يا ربح لي في جناك الغض عشق وصبا — غنّيت في واحتك ألحان حب وصبا
بتذكر ينسّم علينا من رياضك صبا — بذكر ملاعبك يللي العشب فيها ورد
بذكر غدير الهوى بيطيب منّو ورد — يا سالب القلب اسمع ما تغنّى ورد
ورد لعيونك النسوم — يلي القلب نحوك صبا .

٢٢٧ يـا رايح عكفرحالا

يا رايح عكفرحالا امرق بسوق الحتاب … في بنت بتنسى حالا هيّي وعلى هاك الباب
خبّرنا كيف حوالا يا رايح عكفرحـــالا … عاشمالك في دكانه بتبيع منازل حــوف
وبنت بتقعد سنهايانه تنطرتابيعها ضيوف … حلوي والنصر بيلوي وما بتعرف إنّا حلوي
لا تفوتها على حالا بلكي شغلتلا بالا … بتعرفها من عينيها البيضلو تضبا نيـــن
وتتطلّع أيديها وعاخواتها الحلوين … قرّب خبّرها عنّي بلكي زعلاني منّـــي
واشرقلي وانتقبالا خيط زنّر من شالا … وإن كان حالتها حالي وعاريفا شفتو دموع
تلا عينيها تبالي وهمّا بوجّي مزروع … وتحرقني هاك الضحكي البدّا تحكي وما
بتحكـــي .
يا خوفـــي يهمـــل خيـــالا … والبعـــد يقهـــر حـــالا .

٢٢٨ يا رايحين مشرّق

يا رايحين مشرّق لا تطوّلون الغيبه … وبلاك يا محبوبي هالدّار مالو هيبه
حط الشمالي بوجهكايازين لا تنساني … وقلبي بلون عقالك أسود من القطران
يا ربعنـــا الغالـــي المـــروح … في عيشتــك عـــز ومنـــا
والمجـــد في أرضـــك يســـروح … يا ربعنـــا يا ربعنـــا
يا بنت يلّـــي عالسّطـــوح … اللـــي وشوفـــي خيولنـــا
والعـــز مـــا عمـــرو يـــروح … عن ربعنـــا وسهولنـــا
يـــا مهـــرة الخلـــف الجبـــل … خيـــل العـــدا ما تطالهـــا
تنظـــر وراهـــا البطـــل … جالســـن بغنّـــي قبالهـــا
يـــوم الفاخـــر ديرتـــي … لحـــن الإبـــا موالهـــا
يـــا ربّـــي تكبـــر مهرتـــي … تكبـــر وأنـــا خيالهـــا
ريح الشمالي زور العـــوالـــي … وقلّن عبالي طيـــف محبوبـــي
بقعد لحالي اذكر ليالـــي … يوم الحكالي وتاه عدروبـــي .

٢٢٩ يا رعيان الجبال

يا رعيان الجبال إذا طلعتو عالجبال … قولو لحبيبي رجع زمان الهـــوى
يا قطافين الكروم إذا قطفتو الكـــروم … قولو لحبيبي عادت إيـــام الهـــوى
قولو الزعل راح والهوى عميقطف قمرو … واللوم انتهى وارتاح هالقلب وقبل تسهرو
قولولو الناطر ناطر والمشتاق اشتاق … ورجعت القناطر نجمـــة العشـــاق
وقولولو قولولو لحبيبي إنّـــو حبيبـــي
عاصوات العصافيـــــــــــر … عم يكتـــب حبـــي وعتبـــي
دلّوعليّي النواطيروالغربا عرفو بتعبي … قولولو العمر قصير وشمس العمر خيال .

٥٥/٠

٢٤٠ يا ريت

يا ريت إنتْ وأنا بالبيت — شي بيت أبعد بيت
ممحي ورا حدود العتم والريح — والتلج نازل بالدني تجريح
ينسى طريقنا ما تعود تفل — وتظل حدي تظل
ويزير ويذبل ألف موسم فل — وتظل حدي تظل
وما يظل بالقنديل نقطة زيت . يا ريت

٢٤١ يا ريتني بقسى

لما على المفرق لمحتا ملتهي — بتتطلع عليها ولفتاتك تدلّ
وحاكيتها وما عدت تعرف تنتهي — شو غرت وبحالي صرت احكي وقول :
يا ريتني بقسى تا كل ما تزيد — خليك وامرق وما حاكيه
يا ريتني بقسى تا كل ما بحبّ — وبصهدي شيخيت وإشفى فيه
لكن أنا بهواك يا محبوب مهما عملت — لكن انا بهواك شو ما حكيت شو ما قلت
وبترجع وبقسى ويتطل توميلي — تبتسم وتحكيلي بنفرلك وبنسى

٢٤٢ يا زنبق

يا زنبق يا غاوي بسياجو — ومفيّي بوراقك عاد راجو
عالزهر الهني الليلكي — بيجي يتكي ويطول الكلام
يا بلبل بخيال عناقيدو — بتقلو ما ينسى مواعيدو
وديْنا لقيناك يا تو يتمام — ولقلبو سلام ولعيونو سلام .
ميل يا شتار وتيه عالدار — لوح للعينين جنسات وزوار .

٢٤٣ يا ساكن العالي

يا ساكن العالي — طل من العالي
عينك علينا على أراضينا — ربّع إخوتنا وأهالينا
من السهل الواسع — المحمي بصوت المدافع
إيدينا مرفوعة صوبك — اللي ساجد بالبراري
مثل الشجر العاري — يا رب يا ساكن العالي .
عن عتبات بيوتنا — مند غلك تحمي بيوتنا
عينينا تعن عتباتك — وكعنا بها للبالي
وصرنا دمع الليالي — يا رب يا ساكن العالي
يا ساكن العالي طل من العالي — وتير الحمام عا راس الأيتام
وقدرنا ننام عا أيدين السلام .

٢٤٤

يـــا طَيـــر

يا طير يا طاير على طراف الدّنيـــي   لو فيك تحكي للحبـــايب شو بنـــي
رُن اسألن علّي وليفو مِش مِحبّـــو   مجروح بِجروح الهوى شو بيِنفعـــو
موجوع ما بيقول علّي بيوجعـــــو   وتعِن عبالو ليالـــي الولدنيـــــي
يا طير واخِذ مَعك لون الشجـــــر   ما عاد فيه إلا النطـــره والضجـــر
بنطر بعين الشمس عا برد الحجـــر   وملبكي وايد الفـــراق تهدّنـــــي
وحياة ريشاتك وإيامي ســـــوى   وحياة زهر الشوك وحبوب الهـوى
انكنت لعِندن رايح وجن الهـــوى   خدني ولَو شي دقيقـــه ورِدنـــي .

٢٤٥

يـــا طيره طيـــري

يا طيره طيري يا حمامـــــــــه   وانزلـــي بدمّر والهامـــــــه
جيبيلي من حبّـــي علامـــــه   عالأسمر أبـــو الخـــــــال
يا طيره طيـــري لوادينـــــــا   وحكيلو على مبكينـــــــا
قوليلـــو حبّك كاوينـــــــــا   يا أسمـــر يا بو الخـــــال
انا على ديني جننتينــــــــــي   على دين الرشق حـــرام والله .

٢٤٦

يـــا عـــود

يا عود يا رفيق السّهر يـــا عـــود   تِبكي على المخنق بتوجّـــــع
وترون عا آخر الدّنــــي وترجـــع   تكتب وتمحي خـــدود يا عود
اشيلـــي عا سهريــــــات   بقصـــور كـــلا رنّـــام
حـــول كل أنغـــام الوحـــدي   وتشحشيـــح الكاســـات
عا شعور تتلـــوّى وحريـــر بطيـــر   حيـــران ما بتنـــام
وصوتك بيشتي قمار بيشتـــي حمـــلا   غيم وزنابق سود يـــا عـــود .

٢٤٧

يـــا غزيـــل

يا غزيّل يابو الهبا يا غاوي يا معزّبـــا   يا ام القامه الممشوقه تشبه غزلان الربى
يا غزيل يابو الهبا مرحبتين ومرحبـــا   شربة ميّه من إيدا يا عيوني ما أطيبـــا
يا غزيل قلّو قلو برحل يمشّا بلاللّـــو   لو طال الزمان قلّو غيرك منّي مصاحبـــا
يا غزيّله الحالمه في رفّي بالأحلام رقـــي   رقّه ولطافه ونقه يا جبينك رمز الإبـــا
يـــا غزيل أوعا تجافـــــــي   وخلـــي عهـــد الحب صافـــي
بفيّـــة شعـــراك غافيـــــــي   عطـــر الورد الطيبـــــا .

٢٤٨ يا قلبي لا تتعب قلبك

يا قلبي لا تتعب قلبك ... وبيدّك تضل طول بحبك
بتروح كتير وبتذبل كتير ... وبترجع عاد راح بحلبك
ماشي والقمر ماشي تبحث مراسيل ... يا قلبي اللي متل فراشي حول القناديل
لا بتحرف وهج النار ولا بتكفي المشوار ... وطلبك بالحب طلبك وتروح وترجع عابتلبك
أنا مين اللي صحاني من عز النوم ... وصوب عيونك ودّاني من أول يوم
أنا مين وإنت مين يا نحنا المنسيين ... ودّربي تبعدني عن دربك

ولندهلك يا حبيبي بحبك

٢٤٩ يا قمر أنا وياك

يا قمر أنا وياك صحبي من زغرنا ... حبينا قمرنا وعشنا أنا وياك
ويا ما أنا وياك لونا سمانا وزرعنا هوانا ... خطر الهوى عالعين والحلو ناطرنا
ضحكو قناطرنا بالورد عالمليين ... والحكي حكي وعالبال قصص الهوى تنقال
خطر الهوى بالدار قالولنا أوعا ... بكرا الدني بتوعا عاشرار منا سرار
قصص وقصص تنقال ... حلم ولفي عالبال •

٢٥٠ يا كرم العلالي

يا كرم العلالي عنقودك لينا ... يا حلو يا غالي شو بحبك أنا
عالنهر التقينا وما قلنا لحدا ... وتركنا عينينا تحكي عالهدا
سمعني حكي وقلي شو بكي ... وطلقلي البكي با دلي من كتر الهنا •
عالدرب الطويلي مشاني الهوى ... بإيدو وميلي تا نمشي سوى
صرت بلا وعي شي يقلي تعي ... وشي يقلي ارجعي والدني عرفت شو بنا
واعدني حبيبي لم بدو يجي ... باسواره غريبي وعقد بنفسجي
واعدني بقمر وشوية صور ... وباعتلي خبر بيقلي الموسم عالجنى

٢٥١ يالا لالا

يالا لالا يالا لالا ... ويا خالي سلم على حالا
يابا طاير طاير طاير عصفور العصافير ... يابا طاير طاير طاير تضحكلو المشاوير
وفي حلوي عبالا تبعت للحلو رسالا ... أنا لاكتب عالقناطر إسمي وعمري من وين
أنا لاكتب عالقناطر وإمشي ما قول لوين ... وفي حلوي لحالا وقم يسهر بالليل خيالا
مارقه بنت الجيران مارقه بنت الجيران ... مارقه بحي الصبيان مارقه بحي الصبيان
قال نسيت حالا قال نسيت حالا ... ولالا يابا لالا ولالا يابا لالا •

٥٥/٥

252 يلا تنام ريما

يلا تنام ريما يلا تحب النوم   يلا تحب الصلا يلا تحب الصوم

يلا تجيها العوافي كل يوم بيوم

يلا تنام يلا تنام لا دبحلا طير الحمام   روح يا حمام لا تصدق بضحك عاريما تتنام
ريما ريما الجندقه   شعرا أشقر ومنقوشي
اللي حبك بيبوسك   اللي بتغضك شو بيترقي
يا بياع العنب والعنبه   قولو لأمي وقولو لبيي
خطفوني النوَر   من تحت خيمة مجدليّي
تشتشي وتشتشي والخوخ تحت المشمشي   وكل ما هب الهوى لا قطف لريما مشمشي
هي هي وهي لينا دستك لكنك عينا   تا نغسّل ثياب ريما ونشرهن عاليا سمينا .

253 يلا نلم زهور

يلا نلم زهور من الغاب المسحور   نرقص بالحقلي وندور عاصوت العصفور
يلا يا بنيات عا غابتنا   نسمع الزهرات غنايتنا
ولما الفجر بينصيع نور   عالغاب المسحور
منتزل عالكروم نـدور   عاعـزال الناطور
حلوي الصبيات بمرجاتنا   وليالي السهرات عاصيحاتنا
وعالحلوي يلي العصفور ينشد لها مسرور   وبيتها حولو مبذور من ورد ومنثور
يلا نلم زهور .

254 يلبقلك شك الإلماس

يلبقليك شك الإلماس   ذ روب ذ روب
أخذو حبيب قلبي مني   وخلوني أذوب
يلبقلك شك الإلماس فوق الشره   وحبيبك يسأل ويشوقك أول مره
عوازل لا تلوموني الفرقه مره   وهجر الحبايب والسهر كلو مكتوب
خبروني تغيرت صرت كبيره   وحبيبك سافر من جمعه وكنت زغيري
عوازل لا تلوموني صحبي النيري   قولولي الواقع بالهوى كيف بدو يتوب .

255 يا مايله عالغصون

يا مايله عالغصون سمرا يا حوريا   ورد الهوى عندنا بيموج عالميا
نسم علينا الهنا الحان سحريا   نحنا معانا الهوى تا يلتقي بعيدو
ونحنا في ليلة غوى نقطف عناقيدو   بعدو الحلو ما ارتوى وطايت مواعيدو
وتقنا نغني سوى   بليلات قمريا .
يا مايله عالغصون

٢٥٦

يا مكحلي ليالي الهوى

يا مكحلي ليالي الهوى   يوم اللي التقينا ستوى
والمخمي عالعالي عالعالي   كان راح يطيرها الهوى
يا كميز اللي عمرا بالبنفسج زترها   وبالشجر عاد ايرها علّق مراجيح النوى
يا هاك الصبح لما خصلة الشمس لما   عناقيد الملى إما تقول تقول الكرم استوى
منديل القصب شلتو   من مجروح الهوى غزلتو
ما في الودوى سألتو   جاوبني ما في الدوى .

٢٥٧

يا مرسال المراسيل

يا مرسال المراسيل عالضيعه القريبي   خذلي بدربك هالمنديل واعطيه لحبيبي
عالداير طرزتو شوي بأيدي والأ سواره   حيكتلو إسمو عليه بخيطان الصناره
بخيطان الزرق وحمرونغاني الصبيان السمر   كتبتلو قصة عمر بدموعي الكئيبه
بيتو بآخر البيوت قداموعليه   بتوصل عالبيت وبتفوت وبتسلم الهديه
ولوعنا قال وكتر قلو عليه يتذكر   عاهالمنديل الأصفر بيحتلو مكاتيبي
وبتحبلي منو تذكار شي ورقه وشي صوره   عالورقه يكتب أشعارو واسمو على الصوره
ولما بتبكي المواويل يسأل عن أهل المنديل   يا مرسال المراسيل وسلم عا حبيبي .

٢٥٨

يا مركب الريح

يا مركب الريح خلي البحر وانزل عبر   من طول فرقاه دمعي فوق خدي عبر
حبيت والدهر علمني بحبو عبر   شرع شراع السفر عالهجر قلبو نوى
عهد الهوى يا خلق ما عاد منو نوى   نحنا قضينا العمر صد وحنين ونوى
ولما التقينا لقينا العمر ولى وعبر

٢٥٩

يا منزال

يا منزال الحم تنزل والنزل دايردايبر   حكي تنزل قمح تنزل تنزل حراير داير
للسقوره التموره بدنا نحل تنوره   إلها يقدي زغبوره والكشكش طاير طاير
يا مسلم راز ميزانك عالعيد ويلا   عالجسر بهل وبنياتك حيطو يتملى
وارجاع لوح للسمرا تاتجيب محرمتا الحمرا   وتوديها وتدمن فيها لون سطوح الحماير
يا كرم نطور كرومك عارامي السوادي   حليو عناقيدن يا همومك من هالصيادي
والخوف لما بيدلو والحلوين بدن يتسلو   أوعا تغفل تا ماتسأل بكرا بكرمك شو صاير .
ويا شب اللي عالسن شندك   وقف حاكيني
انا خلصت شغلي دلك لو بتلاقيني   وندور نرقص عالدبكه وكل مين رح يحكي يحكي
إنسحت بسالي ويا نيالي   والهوى فينا طاير .

../.

٢٦٠

يا ميمة مسا

بشهد صباحك والمسا يلّي ما بيترد المسا   يا ميمة مسا عليّ ما بيرد المسا يا ميمة مسا
يا ميمة مسا عليّ اشتكى وعاحفة الباب اتكى   عليّ انحكى وعلّ ما انحكى وعلّي انتسى وما بينتسى
يا ميمة مسا طل القمر يا ميمة مسا   يرقص ويلعب عالشجر يا ميمة مسا
تاري القمر غاوي السهر   عشقان وبقلبو أسى
علّي انحكى وعلّ ما انحكى   وعلّي انتسى وما بينتسى .

٢٦١

يا مين يديني

يا مين يديني يديني ميّه   وبكرا على العيد برد لو ميّي
لو مّي ميّه برد الشربيّي   آخ آخ آخ لو مّي ميّه
بعرف واحد بيدين لكن بفايده كبيره   يضرب بيتو مش هيّن جمّع أرباح كتيره
لولا باليّه مشره كنّا خذنا بهالحشره   لكن صاحبنا ما بيقبل إلا باليّه ميّه .

٢٦٢

يمّي ما بعرف

يمّي ما بعرف كيف حاكاني   وكنت حد العين حيراني
تركتو يتهدّي روح بدّي روح   وبدري شو حدّ الحسين خلاني
يمّي ما بعرف كيف ما بعرف كيف
يحكي ويحكي وصرت اسمعلو   والحكي كيف كان طالعلو
صارو الزنابق حدنا يغلو   ولو ظلّ كان الورد غبّاني
يمّي ما بعرف كيف ما بعرف كيف
وغابت الشمس وخفت واحتديت   وما عدت عاد رب اللنا اشتهديت
وما وعيت كيف ركضت صوب البيت   قلبي يدق وكنت فزعاني
يمّي ما بعرف كيف ما بعرف كيف
مبارح بعتلي محرمه هديّه   سر وعطر أبيض وغنيّه
ومتل اللي زاغو ميّك عينيّي   وحسيت شي بالبال بكاني
يمّي ما بعرف كيف ما بعرف كيف .

٢٦٣

يا ناطور القمريّه

يا ناطور القمريّي بدي وصيك وصيّه   خلّ السمرا تساوي شعرا وتلحقنا عالسهريّه
ولحن عالسهره يتطل   وغرتها الحلوي يتهل
منسّيك عالدبكة وننـدور   بساحات الورد ومنذل
تاتتعب الصبيه وتدبل عينين الصبيه ،   وبتطيب السهره وبتحن لما التطليقه يتجن
../.

دخلك قلّي الضو شحيح   وقلّي صوت الناي يحن
ولّيك مضوّي عليّي   متل اللي بقلبك منسيّي
ومن فرحني الحب وصار   في بيني وبينك اسرار
لا تفرفط قصّتنا هيك   متل اللي بيفرفط زرار
خبّي الورده البريّه   خبيها بشي مزهريّه .

٢٦٤ يا نهورة كوثر

حلو الورد عالصين تيملي   أسمر كحيل العين ملا وراح
شد الحزيه وقال شرفنا   قلتلو منروح بالأفراح
يحلا يخضر عزك يا ضيعه ويتعمّر   تلاتك لوز وتفاح وكرومك هالموج الأخضر
بستانك عالصالحي لاح   ويا ليالي ليالي ملاح
سهرنا طيح رقصنا مليح   وجايين من جبال الريح
ونقطف من العناقيد لمخليها الحب تلاويح   بلبل طار بليلة نار صار بحبّ الحور يصيح
كان الورد براس الجرد   يرفرف ومجروح تجريح
يا قاصدين الحب ومن صرتو   ومنين جبتو جناح تاطرتو
نحنا قصدنا البير تانشرب   شفنا صاحبة البير ناطرتو
يا تلال صنوبر ضيعتنا   يا نهورة كوثر ضيعتنا
يا قناطر مرمر تتعمّر   عالمجد الأخضر ضيعتنا
ونجمه ليليه مضويه بعليه ونسمه شماليه   وقنديل الأزرق يتزوق ومعلّق بسياج الزنبق
بقنا بعضنا وسعدنا ماعدنا الليل بيوعدنا   خيمه مفتوحه مشلوحه بشلوحا صارت مرجوحا .

٢٦٥ ينساني طريقي

ينساني طريقي ينساني الربيع   تنسى الشمس بابي وبالليالي ضيع
إذا هجرتك يا حبيبي إذا نسيتك   يا حبيبي ساعة دقيقه ينساني الربيع
ودّعني حبيبي وندهتنا الريح   نحنا ومطارحنا والعمر الجريح
عنك تسأل الغنيه   وتبكي بالشمس الغنيه
صارت سود اوندهتنا الريح   سهل الواسع واسع أنا زهرة النيسان
نجمة الطريق الضايع بالبكي والزمان   ونسيني النيسان .

٢٦٦ يا ولف مهما صار

يا ولف مهما صار لا تصدّق حدى   قلّي وداك فوق ما خلّصو المدى
قلّي باللي كتبتو إلك باقي إلك   ما تحلفو الأيام عاطول المدى
بيني وبينك يا ولف مشرة صبا   وعهود مكتوبي عاتوب الربى .

٥٥/٠

قلبي لقلبك حن والريح بصبا — وشوقي إلك شوق البنفسج للندى
بدنا قدنا الحب وما حسبنا حساب — لا للشقى ولا للبكي ولا للعذاب
وما حصل في حبنا لوم وعتاب — منذال نتفاهم ونحكي عالهدى .

٢٦٧ يوم ويومين

يوم ويومين وجمعه وشهر وشهرين — بقيت بيعيني الدمعه وين غايب وين
شهر وشهرين وبعدك بعدك بتقول — تقول معافاً عاوعدك والوعد بيطول
وقلب الناطر عا بعدك صاير ليلين . — عالعالي طارو وعلو جوز حساسين
حساسين وراحو علو بجيب الشربين — ويسأل وين ويقلو راحو الحلوين
الحلوين الكانو يملوين راس التين — زهر شباكك زهر شباكك فل
الفل الما بيبنك نور نور عالكل — جينا لعندك تاتسهر ما كنت تطل
وطل الشوق اللي سهر — دمعات العين .

الأغاني الفصيحة

حرف الألف

٢٦٨ انا وبلادي

أنا وبلادي هنا — وشمس بلادي ضياء
هنا والصفاء — يزيد العطاء عطاء
أنا وتلالي تلال — ونجم أليف يطل
كأن الجمال — نشيد يقال يقال
يقول لي الطير عودي — اعد للغناء والنشيد
أنا يا سمري بحضن العبير — الملم بحضن وعودي
يقول لي الحلو هيا — عتبت زماننا عليا
وفي البعد بيتي يحن لصوتي — وبضحك طلوق المحيا
أبعد ربوعي ربوع — وبعد ربيعي ربيع
هنا كل لحن يطل بلون — أقول اهدأي يا ضلوع
أنا عن هنا لا أغيب — وأنت من الورد طيب
يموج ربيع ويحلو ربيع — لأجلك أنت الحبيب

٢٦٩ النجمة الزرقاء

من بيتي على الربى — المح في مشارق السماء
عبر امتداد اللون والصفاء — نجمة لليل حلوة زرقاء

٠٠/٠

تومى لي يا مرحبنا   تومي لي أن أعبر الفضاء
يا تجهتي وقبلتي   احب ما في الحب من حنين
لو مرة في العمر تنزلين   وها هنا عندي تسهرين
يا نجمتي في خيمتي   وبعد لا اخال تهجرين
وفي غد ينسج للخاطر   من وحي هذا المنبأ العاطر
أولى حكايات الهوى الساحر   عن حلوة النجمة والشاعر

٢٧٠ اومن

أومن أن خلف الحبات الوادعات   تزهو جنات
أومن ان خلف الليل العالي الأمواج   يعلو سراج
اومن ان القلب الملقى في الأحزان   يلقى الحنان
كلي ايمان ايمان
أومن ان خلف الريح الهوجاء شفاه   تتلو الصلاة
اومن ان في صمت الكون المقفل   من يصغي لي
إني إذ ترنو عيناي للسماء   تصفو الأضواء
تعلو الألحان كلي إيمان .

٢٧١ انت معي

انت معي   سراجنا مضاء   ليلاتنا ملاح   وكوخنا يموج
انت معي   فلتمطر السماء   ولتعصف الرياح   ولتهبط الثلوج
ما أهدأ المكان   حينما تكون قربي
اشعر بالأمان   يملأ الهدوء قلبي
يغمرني شوق لعهد سعيد   ومن ورا دفئي الرغيد أعيد :
انت معي

٢٧٢ الصبح في بلدتنا

الصبح في بلدتنا وثير   والضوء فوق أرضنا حرير
وعندنا الصباح يغرق بالصداح   وجانح الحمام فوق سطحنا يرتاح
الصبح في بلدتنا رجاء   وشاطئ يغسل الصفاء
ولهفة الشراع أسرارها تذاع   في ساعة يكتبها الرحيل والوداع
أغني مع الضوء لحني   وضوع الشذا والتمني
على أمل في القلوب على لفتة من حبيبي   يطير لها الفجر إني أغني أغني
مجنح يشدو بنا خيال   جناحه الحنين والرمال
وقمة الأمجاد في شطنا تشاد   من شاطئ التاريخ من ضبابه تماد .

٠٠/٠

٢٧٣ أحترف الحزن

أحترفُ الحزنَ والإنتظار ... ارتقبُ آتٍ ولا يأتي
تبدّدت زنابقُ الوقت ... عشرون عاماً وأنا أحترفُ الحزن والإنتظار
عبرتُ مِنْ بوابة الدموع ... إلى صقيعِ الشمس والبرد
لا أهل لي ، في خيمةٍ وحدي ... عشرون عاماً وأنا يسكنني الحنين والرجوع .
كَبرتُ في الخارج بنيتُ أهلاً آخرين ... كالشجرِ استنبتّهم فوقفوا أمامي
صار لهم ظل على الأرض ... ومن جديد ضربتنا موجة البغض
وها أنا استوطنُ الفرار ... شُرّدتُ عن أهلي مرّتين
سكنتُ في الغياب مرتين ... وبانتظار العودةِ الكبيرة
أحترفُ الحزنَ والإنتظار .

٢٧٤ إذا كان ذنبي

اذا كان ذنبي أنّ حبّك سيّدي ... فكل ليالي العاشقين ذنوبُ
أتوبُ إلى ربّي وإنّي لمرّةٍ ... يسامحني ربّي إليكَ أتوبُ .

٢٧٥ العيد يروي

العيد يروي ويروي سناها ... يلثم منها المحبّة
غنّ الكويت وغنّ علاها ... ويومها الوطنيّة
مدّ شراعٍ وشطٌّ يموج ... عليه تُبنى البروج
يا وردة طابَ منها الخليج ... يا عطرها العربيّة
بين الكويت وأرض بلادي ... يا طيبة من وداد
نحن وإياكم في الجهاد ... نبني المصير الأبيّة
وفي رُبى الجهراء ... لو تنطقُ الأشياء
لأنشدت قصيدةً طويلة
من الدماء تُهدى ... إلى ترابٍ يُفدى
من امتشاقِ المجدِ والرجولة
يومَ صهيلُ الخيل ... يقصفُ وجهَ الليل ... يا قصّةَ الكويت والتاريخ والبطولة
ليلةُ عيدٍ وعيشُ أمان ... وموطنٌ عنفوان
أبحر وخطّ الحلى يا زمان ... غداً لنا عبقريّة .

٢٧٦ القرى

تلك القرى يا سحرها نغمٌ على شفة الجمال
وقلائدٌ غيد معلقة بأعناق الجبال

ينقُو شُعاعُ الشمسِ في واحاتِهــا الخُضــرِ الظِّـــلالِ
وتموج في الأرجاءِ لامِعــةَ النوافــذِ كالـــلآلِ .
تِلكَ القُرى حيثُ الشبابُ يَـرِفُّ مطلـوقَ الجنــاحِ
وترتـل الأحزانَ والغاباتُ الحِسانَ الريـــاحِ
ويطـل وجه الذكرياتِ الحُلـوِ من كُـلِّ النَّواحـي
العيد والأمجاد والزمـن الخفـي علـى السَّمـاحِ .
وهناك لا يخفى الهوى إن ضجّ فـي قلـبٍ طـروبِ
فالزهر ينقل ما يُوشوشه المُحِب علـى الـدُّروبِ
ولوائف الأطيـار تَسترقُ الحنيـن مـن القُلـوبِ
وتذيعه نغَمـا يهيـم على ممرّات الحبيـبِ .
أنا مـن هُناك مـن القُرى أقبلتُ مرتفـعَ الجَبيـنِ
أُروي لِمن ألقاه عن أرضـي أناشيـدَ الفنـونِ ،
بـي كبرياءُ جِبالِهـا وتواضـع السهـل الأميـنِ
بي من يَناسمِها أهازيـج تمـوج بالحنيـنِ .
أهوى الدُّروب السُّمـر حيثُ تمرُّ أطيـافُ الصبايـا
أهـوى القـرى المتعرِّجات النائمـات علـى الحَنايـا
وأحب ذَيّالِ التُّراب وصمتـه عنـد العشايـا
انا منـه ما طـال البِعـاد وما نأت عنـه خطايـا .

٢٧٧

أقـول لِطفلتـي

أقـول لِطفلتـي إذا اللَّيلُ بـردْ وصمتُ الرُّبـى ربى لا تُحِـد
تَعالي نُصلـي فأنتِ صَغيـرة وإنَّ الصِّغـارَ صلاتُهم لا تُرد
أقول لِجارتـي ألا جئتِ نَسهر فعندي تيـن ولَـوزٌ وسكـر
تعالي نغنـي فأنـي وحيدة وإنّ الغِنـاء يُخلي انتظارِك أقصر
عندي بيـت وإن صغيـرة فانـي الآن يسكنـي الامان
لا أبيع أرضـي بِذهب الأرضِ تراب بـلادي تراب الجِنـان
وفيه يَنام الزمـان، أقول لِبيتنـا إذا ضِرتَ وحدي وشُبّت ليـال
بثلـجٍ وبـردٍ لَيالي وبيتي دفءٌ ويمضي الشتاء رفيعاً كزهرةِ ورد .

٢٧٨

الـى راعيـة

سَوقي القَطيع إلى المَراعي وامضي إلى خُضـرِ البِقـاعِ
مِلءُ الضُّحى عَينَيكِ بالأطيافِ مـن رقـصِ الشُّعـاعِ
وتَناثـرت منسـابةً شعراً للنُسيمـات السِّـراعِ

سَمراءُ يا أُنشودةَ الغاباتِ يا حُلم المراعي .
من فتنةِ الوديان لوَّنتِ مراميكِ الخضابا
وملأتِ هذا المرجَ الحانياً وأنغاماً عِذابا ،
بين المرابعِ تشردين كَآبيةٍ تهفو اقترابا
تتعشّقين النسماتِ أشجاراً وتهوين الرحابا .
يحكي الغدير صدى شواهِ إذا مررتِ على الغدير
ويصفق الشحرور حين ترفرفين على الصخور
تهوين قمات الجبال الشم أوكار النسور
وتسامرين معاطف الوديان في الصفع النضير .
وعلى مصب النبع في الحنوات لاح خيالُ راعي .
كونيكة بيضاءُ تسبح في المرابع كالشراع
يشدو ويقول وصوته الداوي يهيم بلا انقطاع
سمراء يا أُنشودةَ الغاباتِ يا حُلم المراعي .

٢٧٩ ## أمس انتهينا

امس انتهينا فلا كُنّا ولا كانا	يا صاحب الوعد خلّ الوعد نسيانا
طاف النعاس على ماضيك وارتحلت	حدائق العمر بكياناً ونهدانا .
كان الوداع ابتسامات مبللة	بالدمع حينا وبالتذكار أحيانا
حتى الهدايا وكانت كل ثروتنا	ليلَ الوداع نسيناها هدايانا
شريط شعر عبيق اللون محرمة	ونجمةٌ سقطتْ من غُصن لقيانا
أسلمتها لرياح الأرض تحملها	حين الهبوب فلا أدركتُ شذآنا
يا رحلةً في مدى النسيان موجعةً	ما كان أغنى الهوى عنها وأغنانا .

٢٨٠ ## أُمـي

نداء الحنان	وصفو الأماني	وأسعد حلمٍ أمي
في شجن الفؤاد	وليلة السهاد	اعذب من اناديَ أمي
وحين أشدّ لحني	في رعشةِ التمني	أجمل ما أُغني أمي
الغاب والسهول	والطير والحقول	جميعها تقول أُمي

٢٨١ ## أنت لي

انت لي	كالنسيم للجدول	كاللحن للبلبل
	ومشتهاي هواك	
أنت لي	وللهوى منزلي	وفياة المثلي
	وكل دليلٍ فداك	

مَنزلي بَينَ الصَّنوبَرْ — موطنُ اليَمام الأليف
منزلي دُنياهُ كَوثرْ — جنةُ ظَليلةٌ الوريف
وحين مَرّ النَّمام — مُظلّلاً كُلّ غُصن
راحتْ طيُور اليَمام — في كُلّ صوب تُغني : انتَ لي

حرف البـاء

٢٨٢ **بعدنا**

بعدنا مَنْ يقصدُ الكُروم — من يملأ السّلالْ من يَقطف الدّوالي
بعدنا هل تَنزلُ النُّجوم — تلهوعلى التّلالْ في غداة الليالي
وفي سفحِنا المِزّال — يَرفُّ سحريُّ الغُصون
وساحةُ الأطلال — في شجوِها طيبٌ حَنون
أرضُنا هَنا وربعُنا — حيثُ هِمنا وانتشَينا
سِحرُها لنا وحلمنا — فإنْ رَحلنا ومضَينا
بعدنا من يقصدُ الكروم .

٢٨٣ **بلدتي غابة جَميلة**

بلدتي غابةٌ جَميلةٌ — حُلوةُ التّلال
حُبها نَغمةٌ طويلةٌ — أرضُها جَمال
بيتُنا هُناك — وحقولُ الزُّهور — وهدوءُ السَّكينة
تُورقُ الأراك — وتُغني الطيُور — في رُباها الأمينة
غَيمُها ربيعٌ فائت الدّلال — غابُها منيعٌ في ذُرى الجبال
كلّما أطوف — بين تلك التّلول — والجِنان الأليفة
ترتمي رُفوف — من طيور الحقُول — في المُروج الوريفة
هذه الوِهاد — منبتُ الخَيال — مَوطن الفُؤاد — هذه الظِّلال .

٢٨٤ **بلّغه يا قمرُ**

بلغه يا قمرُ إذْ يُنشر الخبرُ — أني غداةَ غدٍ يغتالني السَّهر
يا ليتَ يجمعُنا للحبِّ موعدُنا — فالشوقُ يزرعنا والبُعد يَحصدُنا
ولهانُ ينتظرُ والشَّوقُ يستعرُ — البيدُ تعرفُه والليل والقمر
إني لأذكرُه والمركبُ ارتحلا — غابَت نواظِره فاشتدّ واحتملا
إنْ فاتَه الزّهرُ باقٍ له العطرُ — أما أنا فندى يمي بالدّمع يَنحدِرُ .

حرف التاء

٢٨٥

تحية إلى المغرب

من وطني تحية الرجوله إلى شواطيء المغرب الأبية
إنهم الأبطال والبطوله تكاد أن تكون مغربية
حدثني الزمان عن السفن إلى تجيء بالمدن
تحمل بين بلدين وعبر قمرين مجداً وعنفوان
شعب أبي يدور في الأوطان يهفو إلى شعب أبي
يقول صوت المغرب تبحر من لبنان
يا قمر النسائم الرسوله طلّي على الأعياد كالأغنية
إنهم الأبطال والبطوله تكاد أن تكون مغربية .

حرف الجيم

٢٨٦

جسر العودة

جسر العودة جسر العودة يا جسر الاحزان أنا اسميتك جسر العودة
المأساة ارتفعت المأساة اتسعت وسعت شملت بلغت حد الصلب
من صلبوا كل نبي صلبوا الليلة شعبي الثائر ينهض النازح يرجع
المنتظرون يعودون وشريد الخيمة يرجع . وبليلة عتم أبيض كالأولى للميلاد
طفل بغموض الآتي وبفرح الأعياد يأتي من صمت الأشجار طفل في سن العشرين
يحتفل اليوم بميلاده
عيده العيد بر شاش فمضى يتصيد ويقيم
في أرض أبيه وأجداده
يدخل آلاف الاطفال من كبروا الليلة في الخان
عادوا كالبحر من الخان
أرجع في العتمة معهم نصمد ونقاتل لا نرحل
ونقيم كشجر لا يرحل
تقفون كشجر الزيتون كجذور الزمن تقيمون
كالزهرة كالصخرة في أرض الدار تقيمون
وسلامي لكم وسلامي لكم يا أهل الأرض المحتلة
يا منزرعين بمنازلكم قلبي معكم وسلامي لكم
والمجد لاطفال آتين الليلة قد بلغوا العشرين
لهم الشمس لهم القدس والنصر وساحات فلسطين .

٥٠/٠٠

حــرف الحـــاء

٢٨٧ حيــــرى

مَــنْ دلّــه علــى طَريقــي   هل باحت الأطيـــــار
بكّرتْ من قبــل الشـــروق   فَنبـــاء فــي الأسْحـــار
علـى طَريقـــي صَـــار   كالزهـــر والأشجـــار
ابحـــثُ مِـــنْ هذا الرفيـــق   مَـــن دلّـه علـى طَريقـــي
يخيلُ لــي أن أراهُ يكونُ حيثُ أكونْ   فما أُريد لِقاهُ وبتُّ أخشى الظنونْ
لكنّه إذ يروحُ أحسّ شيئاً يضيـــعْ   كما تحس الشفوح بَعْد ارتحالِ الربيعْ

٢٨٨ خُذونــي إلــى بيسّان

كانت لنا من زمان بيّارةٌ جميلـــة   وضيعةٌ ظَليلة يَنام في أفيائها نيسان
ضيعتنا كان اسمها بيســان
خُذوني إلى بيسان إلى ضيعتي الشتائية   هناك يشيع الحنان على الحفافي الرمادية
خـُـذونـي إلـــى الظهيــرات   إلى غفـــوة عنـــد بابـــي
هنـــاك مـــدى التمـــلات   أعانق صَمْـــتَ التـــراب
أتذكُر يا بيسان يا ملعب الطفولـــة   أفياءك الخجُولة وكلّ شيء كـــان
بـــابٌ وشباكـــان بيتنا فـــي بيســـان
خُذوني مَـــع الحساسيـــن   إلى الظِّلال التي تبكـــي
رفوفٌ مِـــنَ السائديـــن   علـى حنيـــنٍ لَهـــا تحكـــي .

حـــرف الـــراء

٢٨٩ راجعُـــون

أنتَ مـــن دِيارهـــا مِـــنْ شَـــذاها   يا نسيمَ الليـــل تَخطـــر
حامـــلاً عبيـــرَ أرض هـــواها   فـي حَنايـــا القلـــب يُزهـــر
أنـــتَ مـــن حُقولِنـــا يـــا رســـولْ   مـــن ربـــوع الخَيـــر عِندنـــا
كيف حـــالُ بيتنا هـــل تقـــولْ   أم هجـــرتَ أنـــتَ مِثلنـــا
يا غريبَ الديار نسيم الجنـــوب   هل فيأ المزار غـــداة الهبـــوب
أنتَ من بلادنـــا يـــا نسيـــم   يا عبيـــراً يقطـــع المـــدى
حاملاً همومَ ارضٍ يتيـــم   أهلُهـــا فـــي الأرض شُـــرّدا
يا مُشرديـــن للغـــروب   يـــا هائميـــن فـــي الـــدروب
شاؤكم مـــاج دموعـــي   أذن مـــن جبينـــي وولوعـــي

نحن من الأرض الخصيبة   نحن من الدار السليبة
يا هل ترى بعد الليالي   نجيؤها تلك الحبيبة
في البال تحيا دروبها السمر   سطوحها الحمر في البال زهر التلال
في البال دنيا ترابها الشمس   الحب والقدس في البال رغم المحال
وليلة لا جمال فارقها الجمال   العدل زال واسود لون الظلال
ولم تزل في البال شوق البال دار التلال

من هناك انتم سمعتم رياح بلادي   وبوح الشوادي في غنائكم
من هناك انتم لمحتم ظلال سمائي ولون هنائي في جباهكم
بلادي يمر عليها مع الفجر لحني الوجيع
بلادي أعدني إليها ولو زهرة يا ربيع
وهناك يلثم شراعي جباه الروابي وفوق ترابي أنام وأحلم .

طاف الصمت على الطرقات   وصار ظلام
حل الليل على الفلوات   فأين ننام
لا مأوى لا مثوى هل نرقد في الساحات   لا بيت لا صوت وصدى تمضي الساعات
ذقنا الهول وكفنا الليل بدون طعام   إن البرد قسا واشتد فكيف ننام
هل ننام وشراع الخير حطام   هل ننام ودروب الحقل ظلام
وبيتنا الحبيب يسكنه غريب   ونحن لاجئون في الخيام لا ننام؟
لن ننام والكون أسى وظلام   لن ننام سيعم الأرض سلام
هيا إلى الصفوف مع الدجى نطوف   على الخيام نوقظ النيام
في الليالي في الفلوات يثور نشيد   في الإعصار في الأمطار صداه بعيد
لن ننام وشراع الخير حطام   لن ننام ودروب الحق ظلام
وقوفاً وقوفاً أيها المشردون   وقوفاً وقوفاً يا ترى هل تسمعون
يا نائمين تحت كل شرفة   يا ساهرين عند كل عطفة
هبوا من الخيام هبوا من الظلام   نبني حصون السلام
ديارنا من يفتديها   من غيرنا يموت فيها
فدى لحماها وورد رباها   فدى كل حبة من ثراها
بلادي زماناً طويلاً أذلك الغاصبون   بلادي أطلي قليلاً فإننا راجعون
في هدأة السكون في رهبة الحصون   أصحابنا على الطريق الرحب يهتفون :
في الأمطار راجعون   في الإعصار راجعون
في الشموس في الرياح   في الحقول في البطاح
راجعون   راجعون راجعون
في الإيمان راجعون للأوطان راجعون   في الرمال والظلال في الشعاب والتلال
راجعون .

٠٠/٥

٢٩٠ رجعت تسأل عنّي

رجعتْ تسألُ عنّي من كلِّ صوبٍ تُغنّي　　وعند أفياءِ بيتي تهدمُ وعداً وتبني
أنا انتهيتُ فماذا تُريد عيناكِ منّي　　يوم افترقنا وقلنا للأرضِ يا أرضُ جنّي
ومن كلِّ شِراعٍ في بحرِنا المطمئنِّ　　نحنُ اختصرنا لقاءَ الدُّنيا بيومٍ ولحنِ
كنا كما نتمنى فلم يعُد من تمنّي　　يا راجعاً من شبابِ الأيام يَسألُ عنّي .

٢٩١ رجعتِ في المساء

رجعتِ في المساءِ كالقمرِ المهاجر　　حقولُكِ السماءُ حصانُكِ البيادر
أنا نسيتُ وجهي تركتهُ يُسافر　　سافرتِ البحارُ لم تأخذِ السفينة
وأنتِ كالنهارِ تُشرقينَ في المدينة　　والريحُ تبكي تبكي في الساحاتِ الحزينة
أعرفُ يا حبيبي أنكِ ظلٌّ مائل　　وأن أيامكِ لا تقيمُ وكالمدى تبعدُ ثم تبعد
أعرفُ يا حبيبي وتحتَ سقفِ الليلِ والمطر　　وبخورِ الخوفِ والأسماءِ والعناصر
وكلُّ ما لا اسمَ لهُ في الكون　　أُعلنُ حبي لكِ واتحادي
بحزنِ عينيكِ وأرضِ الزهرِ في بلادي

٢٩٢ رجوع السنونو

تلكَ أطيارُ السنونو رجعتْ بعدَ الغياب　　صوتُها عذبٌ حنونٌ مثلهُ عندَ الذهاب
حوّمتْ ترنو طويلاً وهي تشدو بالرجوع　　وشدتْ لحناً جميلاً للمغاني والربوع
رفرفتْ بينَ المغاني وأفاريزِ السطوح　　تتناغى بحنانٍ وهي تأتي وتروح
ما تراها تتغنّى وأغانيها عذاب　　علّها تسألُ عنّا بعدَ أن طالَ الغياب .

٢٩٣ ردّ يا أسمر

رد يا أسمرُ لمحاتِكَ عن قلبي الفتيّ　　فأنا خائفةٌ من حبِّكَ الطاغي القويّ
إن في همساتِكَ الحيرى صدى صوتٍ خفيّ　　وعلى أهدابِكَ النشوى رؤى حلمٍ شهيّ
أنتَ يا أسمرُ أحلى من غديرٍ في الظلال　　حولهُ الأفياءُ والنُّعمى وألوانُ الجمال
أنتَ شوقٌ غامضُ الأهدابِ مجهولُ الخيال　　رائعٌ كالشجرِ النامي على سفحِ الجبال
قلتَ آتي للغديرِ المتغنّي في الجنانِ　　علّني أدركُ سرَّ الحبِّ في تلكَ الأغاني
هلا ترى ألمحُ في عالمهِ الضاحي أماني　　أم ترى ألقى حنيني وعذابي وهواني
سوفَ أهوى ، أنا أعرفُ آلامَ الولوعِ　　سوفَ أهوى ، أنا ألمحُ أنهارَ الدموعِ
وسأفنى بعدَ أن يهدأَ حبّي في ضلوعي
مثلما تفنى ورودُ الحقلِ في إثرِ الربيعِ .

٢٦٤

ريـــح الجنـــوب

رِيحَ الجنـوبِ مـنَ الخَليج الأسمـر — من دار لؤلؤة "التراب الخيـر"
مِنْ شاطِئٍ غزلَ الشموسِ صباحُـه — ومساؤه مدّ الشـراعِ المبحـر
ريحَ الجنوبِ وكل طيبٍ زائـل — إلاك يا ضوعَ الهوى والعنبـر
يا قصّة الوجدِ القديـم وشعـره — يوم الوجود قصيدةً لـم تنشـر
أرضُ الكويت وما مَررتُ بخاطـري — الا مرور يمامـةٍ بالكوثـر
قَبّتْ وكحّل بالجمال جناحهـا — بالمجدِ بالحُلم الندِيِّ المقمـر
أهلوك يعلـون الحضـارة مثلما — تعلـى القِـلاع على جباه الأعصُر
يبنون في الشطآن في الصحراء في — وهَجِ الشموسِ وفي الزمان المزدهر
من أرض لبنـانَ الصديـقِ تحيـةٌ — بيضاء كالحسناء خلْفَ المِئـزر
من عزم شدّاتِهِ وارتفـاعِ جبالنـا — نُعطي ونأخذ فامرحـي وتكبّـري .

حـرف الـزاي

٢٦٥

زمـــان الحــب

يا حبيبـي كلّما هـبّ الهـوى — وشدا البلبل نجـوى حبّـه
لفّني الوجـد وأضنانـي الهـوى — كفراشٍ ليس يـدري مـا بـه
ضِحْ لقلبي يـا حبيبي كلمـا — من سنـا الصبح وبـدرِ الغلس
لفّني من وحشة العمـرِ كمـا — لفّهـا النسمةَ عطـرُ النرجس
يـا زمانَ الحبّ هل رجعي إلـى — عهد نا والـروض زهـر يبتسم
ننهبُ الفرحـةَ والليـل حـلا — بالأغاني ودعانـا الموسـم
يوم جئناه نأبـدى سقمـا — وتهادى بحريـر الملبـس
اشرقت عيناه سحـرا مثلمـا — يُشرق الصبح بيـومٍ مُشمـس .

٢٦٦

زهــرة المدائــن

لأجلِك يا مدينـةَ الصلاة أُصلّـي — لأجلك يا بهيّة المساكن يا زهرةَ المدائن

يا قدسُ يا مدينةَ الصّلاة أُصلي

عيونُنا إليكِ ترحلُ كـلَّ يـوم — تـدور في أروقـةِ المعابـد
تعانِقُ الكنائسَ القديمـة — وتمسحُ الحزنَ عن المساجـد
يا ليلةَ الإسراء يا دربَ من مرّوا إلى السماء — عيونُنا اليكِ ترحلُ كلَّ يوم وإنني أُصلّـي
الطفل في المغارة وأُمه مريم وجهان يبكيان — يبكيـان لأجـلِ مـن تشـرّدوا
لأجـلِ أطفـالٍ بـلا منـازل — لأجل من دافع واستُشهد في المداخل
واستُشهد السلام فـي وطـن السلام — وسقط العدلُ على المداخـل
حين هوت مدينةُ القدسِ تراجع الحبّ — وفي قلوب الدنيا استوطنتِ الحربْ .

٥٠/٠٠

الطفلُ في المنارة وأمُّه مريم — وجهان يبكيان وإنّني أصلّي
الغضبُ الساطعُ آتٍ وأنا كلّي إيمان — الغضبُ الساطعُ آتٍ سأمرُّ على الأحزان
من كلِّ طريقٍ آتٍ بجياد الرّهبة آتٍ — وكوجهِ اللهِ الغامرِ آتٍ آتٍ آتٍ
لن يُقفلَ بابُ مدينتِنا فأنا ذاهبةٌ لأصلّي — سأدقُّ على الأبوابْ سأفتحها الأبوابْ
وستغسلُ يا نهرَ الأردن وجهي بمياهٍ قدسيّة — وستمحو يا نهرَ الأردن آثارَ القدمِ الهمجيّة
الغضبُ الساطعُ آتٍ بجيادِ الرهبة آتٍ — وسيُهزَمُ وجهُ القوّة
البيتُ لنا والقدسُ لنا — وبأيدينا سنُعيدُ بهاءَ القدسِ
بأيدينا للقدسِ سلامٌ آتٍ آتٍ آتٍ

حرف السين

٢٩٧ سلمى

سلمى حلوةٌ ساحرةٌ سلمى نسمةٌ عاطرة — سلمى وردةٌ زاهرةٌ في رُباها
اللّيل تبسّل شعرَها الرّوض زنّر خصرَها — الحبُّ زوّد سحرَها يا هناها
بيتُها خلفَ السّفوح النّائمة بظلّ الجبال — خيامُها عند السّواقي اللامعة بين التّلال
روحُها روحُ الهوى — بلادُها جنائنُ الغوى
الطّيرُ ينشد نغمته لهناها — الطير يطلقُ حرقته بهواها
من يأخذنا لنواحي خيامها أحلى الخيام — وعن قريب نسمعُ صدى انغامها بوادي الغرام
حولها يرفّ الهناء عيونها تنادي المنى •

٢٩٨ سمراء مَها

سمراءُ مَها والقلبُ لها — ما أجملها آهٍ يا مَها
لِمها السّمرا دارٌ خضرا — يكسوها الوردُ يا نُعماها ما أحلاها
ستّاها رغدٌ سحريٌّ فجرُها — عطريٌّ زهرُها معروق سحرها من سحر مها
لِمها الصدُّ ولنا الوجدُ — نأتي لِحِماها نُغنّيها ونُناجيها
نشدو لهواها نلقاها عاتبة — بجفاها ذاهبة هي دوماً غاضبة
من يرني مَها ؟ يا من تصفو — ثم تجفو لا تثبتُ يوما
هذا الحبُّ ام هو حبٌّ — يتبدّل دوما
مَها جانيتُنا مها عادَ يتيمُنا — أشهى أحلامِنا أنتِ يا مَها •

٢٩٩ سنرجعُ يوما

سنرجعُ يوما الى حيّنا — ونغرقُ في دافئاتِ المُنى
سنرجعُ مهما يمرُّ الزّمان — وتنأى المسافاتُ ما بيننا
فيا قلبُ مهلاً ولا ترتمي — على دربِ عودتِنا موهَنا

يعزّ علينا غداً أن تعود … رفوف الطيور ونحن هنا
هنالك عند التلال تلال … تنام وتصحو على عهدنا
وناس هم الحب أيامهم … هدوء انتظار شجي الغنا
ربوع مدى العين صفصافها … على كل ماء وفى فانحنى
تعب الظهيرات في ظلها … عبير الهدوء وصفو الهنا
سنرجع خبرني العندليب … غداة التقينا على منحنى
بأن البلابل لما تزل … هناك تعيش بأشعارنا
وما زال بين التلال الحنين … وناس الحنين مكان لنا
فيا قلب كم شردتنا رياح … تعال سنرجع هيا بنا

٢٠٠ سيد الهوى

سيد الهوى قمري … مورق الجمال طري
دائم الوجد والنوى … سيد الهوى قمري
وجهه النضير حين لاح … عصف الليل بالحلي
وبكت زهرة البطاح … مذ رأت شعرة الفتي
وأنا اغسل الندى … عن ملاعب الشجر
اكتب الشوق موعدا … في وريقة العمر
للمس الخصر بالهتاف … وحكى صوته الهديل
يا ذراعا على زفاف … من شغاف السنا يطل
سمر الثمر واهتدى … بعد طوله سفري
وشدا بلبل شدا … بالجمال والذكر.

٢٠١ سيوف ورماح

اغنيتي اليك، أغنية الطريق للمغيب … يا فرح الحصاد يا حبيبي عتبت من تلهفي عليك
أغنيتي إليك اشرعة بيضاء كالطفولة … حاملة قصائدي الخجولة تبحر من قلبي إلى عينيك
سألت عن حبيبي رأيت وجهه … يأتي من الغبار كالريح كالإعصار
سمعته حبيبي ينشد في الصحراء … لتنبت الكروم ليخصب العطاء
لمحته حبيبي عند شريط الشوك والفدا … مهللا لساعة الفدا
اغنيتي اليك، على ذرى القدس أنا أصلي
يا رب اذكر وطني وأهلي وأدمع تذكرني لديك.

حرف الشين

٢٠٢ شباكه يطل

شُباكه يطلُّ على شُبّاكنـا — وورده يطل وردَ سياجنـا
حين ارتعاش الوعود أنزلُ نحو السّياج — فتلتقيني الورود تهمُّ لي بابتهاج
ما أحلاه جارنا هذا الصغيـر — ما أحلاه شعره الحلو الوثيـر
ما أحلاه صوته العذبُ المثيـر — والمنى تزدهي حول شُباكه .
شباكهُ الجميل حلمُ طيورنـا — درفاته تميلُ صوبَ زُهورنـا
حين الأماني تلوح على الربى والحقول — يحطُّ فوق السّطوح طير صغيرٌ يقولُ :
ما أحلاه جارنا هذا الصغير .

٢٠٣

شمس الاطفـال

زوري زوري بيوتنا يا شمس الأطفـال — وأضيئيها بيوتنا ، يا شمس الأطفـال
لهم حُبُّ الدّنيا ، لهم لعب الدنيـا — ولهم فرحُ البال يا شمس الأطفـال
بأيدهـا يا حرير هزي هزي سرير — فينام ويحلو لي وينفو وإلى غده يطير
ردّوا ركض النهر ضحكوا ضحك القمر — وانتشرت أظلالٌ يا شمس الأطفالْ
من تمر وسماء ملأوا البيت هنـاء . — عتبات الدّارِ أعياد والأيام صفـاء
في الدرب الموصودْ في الأيام السّود — رفقاً بالأطفالْ يا شمس الأطفـال .

٢٠٤

شهـرزاد

يا شهرزاد غنّي الهـوى — غني اللّيالي فالشوق عـاد
يا شهرزاد وللنّـوى — قصرٌ ببالي رغم البُعـاد
وأعيدي يا شهـرزادْ
ما للأغاني عادت بنـا — صوبَ المغاني التي لنـا
يوم الصّبايا زهر العشايا — وللحكايا عطرٌ يُعـاد
واعيدي يا شهرزاد
انا شهرزادُ القصيدة وصوتي غناء الجراح — انا كلّ يوم جديدة أهاجر عند الصّباح
وكان شهريار يبدّدُ النّسـاءَ — يبدد الاشعار والناس والأسمـاءَ
رأيتُ دموعَ العذارى سمعتُ بكاء السنين — وكيف تضيع العذارى بقصر التّمنى والأنين
وكان شهريـارْ يَسهرُ كلّ ليلـة — مستوحشاً فصار سجين ألف ليلـة
مستوحشاً وصار سجين الحكايـة — فقلت للحكاية ألا حرري السّجينات
انهضن يا سجينات أنـا شهرزاد .
يا حلوة الغزل ميلي على مهـلِ — يا مري لأغنية في اللّيل وارتحـلي
يا لائمي في الهوى إنّ الهوى عتبُ — أجري دموعي النّوى وشفّني التّعبُ
مذ قلت قبّل لي اضنيت من خجلي — ظلّ الظلم على ليلاتنـا الأولِ .

٠٠/٠

يا أُختَ زينبَ لو تدرينَ ما فعلتْ ... عيناكِ بي لتولّى قلبكِ الوجِلُ
غيّرتني فأنا كالريحِ تحملني ... أنّى اتجهتُ إلى أحيائكِ السُّبُلُ
يا جليتي الوردِ من ليلِ الصفا ... رضحَ الوردُ ضفافَ الأنهرِ
كلّما هبّتْ نسيماتٌ هفا ... زمنُ الشوقِ بِسالِ السُّمّرِ
دارتِ الدنيا بمن أهوى وبي ... وافترقنا كيف يا ليلُ البِعادْ
ساكنٌ ما بين قلبي المتعبِ ... وجفوني وجهُها رغمَ ابتعادْ
ما اكتفينا بعدُ والدهرُ اكتفى ... فاقطفي الأحزانَ مثلي واسهري
آهِ يا عيني لو يُشرى الصفا ... من عيونٍ ما اكتنت المشتري

حرف الضاد

٣٠٥ ضفاف بردى

ضفاف بردى مواطن الصفاء ... تموجُ بالأطيار على نجوى النداء
ضفاف بردى
إذا حبيبي جاءَ بين الأفياءَ ... للحبيب موعدا
ومتى يجيءُ صباحٌ يندو اليمام ... إلى الظلال ومتى يجيء
عند انهدال الغمام ... فوق التلال ضفاف بردى
يا سنا دارة الأحلام ... على جبين الشام
تكون المندى .

حرف الطاء

٣٠٦ طالت نوى

طالتْ نوى وبكى من شوقهِ الوترُ ... خذني بعينيكَ واهربْ أيها القمرُ
لم يبقَ في الليلِ إلّا الصوتُ مرتعشاً ... إلّا الحمائمُ إلّا الضائعُ الزهَرُ
لي فيكَ يا بردى عهدٌ أعيشُ بهِ ... عمري ويسرقني من حبّهِ العُمُرُ
عهدٌ كآخرِ يومٍ في الخريفِ بكى ... وصاحباكَ عليهِ الريحُ والمطرُ
هنا الترابات من طيبٍ ومن طربٍ ... وأينَ في غيرِ شامٍ يُطربُ الحجرُ
شامٌ أهلوكِ أحبابي وموعدنا ... أواخرُ الصيفِ آنَ الكرمُ يُعتصرُ
نشتاقُ النّهمات البيضَ ترشفها ... يومَ الأماسي لا خمرٌ ولا سهرُ
قد غبتُ عنهم وما لي بالغيابِ يدٌ ... أنا الجناحُ الذي يلهو بهِ السفرُ
يا طيّبَ القلبِ يا قلبي تحمّلني ... همَّ الأحبّةِ إن غابوا وإن حضروا
شامُ يا ابنةَ ماضٍ حاضرٍ أبداً ... كأنّكِ السيفُ مجدَ القولِ يختصرُ
حملتِ دنيا على كفّيكِ فالتفتتْ ... إليكِ دنيا وأغضى دونكِ القدَرُ

حرف العين

٣٠٧ عاتبة

تَرفَّقنا لينا ولا تُحيينا ... ما جَدَّ يا لينا حتّى تُعادينا
أمسِ التقينا وحكَينا ... عند وردات السِّياج
وكان في عينيكِ أحلام ... وزهوٌ وابتهاج
كنتِ تُغنّينا ، واللحن يُشجينا ، ... فكيفَ يا لينا ، ضاعت أمانينا
وأمسِ أكّدتِ بهدبيك مواعيدَ الوفاء ... وقد حلَفنا أن نَحيا للتصافي والهَناء
وها تمرّينا على روابينا ... غاضبةً حينا عاتبةً حينا
إن كنتِ غَيْرى من بُنيّاتٍ تبسَّمن لنا ... فلا تَخافي مَنَّ جاراتٍ وانتِ حُلمنا
بُعدكِ يُشجينا صَدّك يُضنينا ... بالله يا لينا عودي وصافينا

٣٠٨ عادك النحل

عادكَ النحلُ والرُّؤى الأُولُ ... عند شبّاكنا رفّتِ القُبَلُ
وعلى بابنا الشّد الأنبل ... وبزهر الرُّبى عادتِ الرُّسُل
كلُّ أصحابنا فجأةً وصلوا ... يَمضي بيننا حلوةٌ تذهل
حين مرّتْ بنا ضاعتِ السُّبُل ... قبلَ صوتِها بِشْتَ يا خجل
يلتقونا سألتْ وهي لا تسألُ ... أيُّها القلبُ كم يَخدع الأمل
وبأوهامنا يَغزلُ الغَزَل

٣٠٩ عدنا رأيناها

عدنا رأيناها في يوم أشواقِ ... تقول عيناها إنّ الهوى باقي
ما كان أحلاها عدنا رأيناها ... ترف بالذكرى لاحت من البُعد
أهدابها الحيرى تحنو على وعدي ... واحمرّ خدّاها لمّا عرفناها
عادت لِطلّها يحرسها العصفور ... فكيف ننساها وقد عشقناها
إن تسألي عنّا يا زهرة الوادي ... نحن كما كنّا ، على هوى صاد
كأسٌ ملأناها وما شربناها ، ... يا ساه ياه وما شربناها .

٣١٠ عصفورة الشجن

أنا يا عصفورةَ الشجنِ ... مثلُ عينيك بلا وطنِ
بي كما بالطفل تسرقه ... أوّلَ الليل يدُ الوسن
واغترابٌ بي وبي فرحٌ ... كارتحال البحر بالسُّفُن
أنا لا أرضٌ ولا وطنٌ ... أنا عيناك هما سكني

راجعةٌ من صوبِ أغنيةٍ ... يا زماناً ضاع في الزمنِ
صوتُها يبكي فأحملُه ... بين زهرِ الصمتِ والوهنِ
من حدودِ الأمسِ بالحلمِ ... زارني طيراً على غصنِ
أيُّ وهمٍ أنتِ عشتِ به ... كنتِ في البالِ ولم تكنِ .

٢١١ عند الأنهار

عند الانهارْ دُنيا أطيار ... ضحاها تغني هَواها تطوي
سمّاها نُضار
عند الأنهارْ أرضُ الأزهار ... وبوحُ الجميلة حديثُ الخميلة
وحلمُ الهزار
أُغني لحبي، ملأتُ الليالي ... سقيتُ الدوالي بأحلامِ قلبي
أُغني لحبي ونجوى هَوايا ... غناءُ الصبايا على كلِّ دربِ
عندَ الأنهار حيثُ يشدو هَزار ... جنة للكنار
عند الأنهارْ في الجميل المزارْ ... والسواقي الغزار .

٢١٢ عند حماها

عندَ حماها يا عينُ لم تشردين ... يا روح لم تهتفين يا قلب لما تسألْ
عندَ حماها أليسَ للعاشقين ... ان يعبروا آمنين من غير أن ينزلوا
هذي رباها لكم يطيبُ العبور ... بين الشذا والعطور حيثُ المنى تشرقْ
هذي رباها يا ليتَ دربَ الزهورْ ... يدوم ثم يدورْ فينا ولا يعشقْ
قاربْنا الحمى وافينا الجنانا ... طفنا حيثما طفنا في رؤانا
هذي دارها مهلاً يا هوانا ... في أفيائها نلقى مُشتهانا .

حرف الفاء

٢١٣ فاتر الألحاظ

فاترُ الألحاظِ في الهُدبِ ومَا ... فصفا الحبُّ وغنّى الوترُ
يا مليحَ الوجهِ يا عذبَ اللمى ... قُم بنا فالليلُ حلوٌ مقمرُ
خطرَ الساحرُ غمزِ الفتون ... ومضى يحكي لنا عمّا بهِ
فلمحنا عبرَ لفتاتِ الجفون ... حائرُ الوجه وشكوى حُبّه
وشدا النرجسُ في موجِ الشجون ... حاملاً عطرَ الهوى من صوبه
أيُّها المائسُ في شجوِ الحمى ... من تنادي والشذى ينتشرُ
كلّما ليلُ الجمالِ ابتسما ... عاودتنا من هواكَ الذكرُ

مُدنفٌ تيّمه فرط الهيام — وتعيبُ ليس يشكو الوهنا
يُرسل النّهدة في ليل الغرام — نغماً يحمل طيبا ليّنا
عرفتْ أشداقه خضر النسام — وروت بها عند غصنٍ فانثنى
مرّ يا صبّ علينا كلّما — فاحَ من تلك الرّيا في العطرُ
إننا نشتاقُ فيك الحلما — ويناديننا إليك السّهرُ .

٣١٤

في حمى الشدو

في حمى الشّدو بالمنى لاح — بالهوى الحلو طرفه لاحْ
آه يا ساحري شوقنا طال — منك في خاطري طيبُ أطلال
فالمنى تروى والشذى فاحْ — ومن الزّهر شعشع السرّاح
انت يا فاتني ليلي ولهان — ترى فاتني ألحان
فاهم الخلوة وهو ممران — سحره يغوى كيفما راح

حرف القاف

٣١٥

قمر السماء

قمرُ السماءُ يملأني بالحبّ والرجاء — يُغرقني بالنّور والنّيساء
يلفّني بالرغدِ والصّفاء يا قمرَ السّماء
آه يا قمري الهاوي جمالي — يا قمري إلف اللّيالي
يا حلما ملء خيالي — يا أنوارٌ تزايلُ الأشجار
إذ يرقصُ الضّياء في السوادِ — ويغمر النور سُهادي
كم يملأ الهنا فؤادي — فيغور في مرج مسحور بالنّور
آه يا قمرَ السماء آه وأنت بين الزّهور آه ويغمر السّماء
آه كم يملأ فؤادي بمرج مسحور آه اذ يرقصُ الضّياءُ في السوادِ
آه ويغمرُ النورُ فؤادي يا قمرَ السماء .

حرف اللام

٣١٦

لطمتْ ذكرى لقاء الأمس

لطمتْ ذكرى لقاء الأمس بالهُدبِ — ورحتُ أحضنها بالخافق التّعبِ
أيدٍ تلوّحُ من غيبٍ وتغمرني — بالدّفء والضّوء بالأقمار بالشّهبِ
ما للعصافير تدنو ثمّ تسألني — أهملتِ شعركِ راحت شدّةُ القصبِ
رفوفها وبريقٌ في تلفّتها — تُغيّرُ بي نحوها بعضاً من التّعبِ
حيرى أنا يا أنا والعينُ شاردةٌ — أبكي وأضحكُ في سرّي بلا سببِ
أهواهُ من قال إني ما ابتسمتُ له — دنّا فما تقني شوقٌ إلى الهربِ
نسيتُ من يدهِ أن استردّ يدي — طال السّلام وطالت رقّةُ الهُدبِ

حيّرى أنا يا أنا أنهدُ متعبةً ... خلفَ الستائر في إعياءِ مرتقبِ
أهوى الهوى يا هلاً إن كان زائرنا ... يا عطر شيمٌ على الشباك وانسكبِ .

٢١٧ ليلنا القمري

ليلُنا القمري طائرٌ يهوانا ... فالغناءُ شجيٌّ والصفاءُ دعانا
كلّما لاح ظل في شحوب الدروبِ ... أو رياحٌ تهلُّ جاء ، قلتُ حبيبي
ومكانٌ رعانا يا رعاه مكانا ... فيه نحنُ ربينا وعرفنا الأمانا
يا زمانَ التلاقي يا عبيراً يضوعُ ... أنت عبر اشتياقي نجمةٌ وربيعُ
في الربى من سوانا يزرعُ الأقحوانا ... نحنُ للحب كُنّا ولنا الحبُّ كانا .

٢١٨ لينه

توّج البستانُ ورقّتِ الأغصانْ ... وكبرت لينه ، وأزهر الرمانْ
الطفلة الحسناء صارت غانيه ... والنظرة العذراء صارت غاويه
والبسمةُ الشقّاء صارت حاليه ... وشعت العينان بالسحر والألوان
تعرفُها شاردة في الملتوى ... صغيرةٌ ما عرفتْ بعدُ الهوى
من يا ترى علّمها سحرُ النوى ... والحبَّ والحنان والصدَّ والنسيان ؟

حرف الميم

٢١٩ ماروشكا

في الشاب الحزين هلّا تسمعين ... أجراس الحنين تدوّي يا رتياح
ليس إلا الرياح
ماروشكا في غور السماء في سحر المساء ... حلوٌ كالرجاء نجمٌ لا ينام
ليس إلا الأحلام
أحلامٌ تنمو في قلبك الشرود ... فالدنيا حلمٌ للحبّ والوعود
ماروشكا القلب وحيدٌ والطرفُ شريد ... في الأفق البعيد ما ترقبين
الهوى والحنين
قالتْ الطيور انكِ لن تنشدي الأنغام ... حكتِ الزهور انكِ لن تقطفي الأحلام
جدولُ الربوعِ إذا رأى الدموعْ ... في الجفن الولوع قال للأكمام
أنتِ في أوهام
في الدرب الهادي طيفُ حبٍّ سعيد ... يشدو في الوادي عن شوقه الشديد
ماروشكا ! ها صوتٌ عطاه يحكي عن هواه ... في لحن غناه أطيافُ الحنين
ذاك قلبي الحزين .

. . / .

٣٢٠

سروي السندس

هناكَ المكان حيثُ المروجُ سندسٌ وللهوى حكايةٌ عند الغدير تهمسُ
في مُرتمى أشجاره يَهيم صحْوٌ مُشمِسٌ حكايةٌ عطريّةٌ ظِلالُهـا تلمّـسُ
بُحْنا فلا الوردُ حكى ولا شكانا النرجسُ مكاننا المـوثق ظلال حبّ ثـورة
أغرودة الكنار في أسْحاره تنطـلـق جئنا روّينا خباياهُ ولمّا نــأرق
وحينَ راح البلبل على النّدى يَغتسِل احسستُ أنّي في ذراعي لحن تَوسّل
جَوانح البلبل ارتعاش ينـد مـسل ونحن شوقٌ منسحب على الثّرى يبتهـل .

٣٢١

معا هنا

معا هنا أنا وأنـتَ والجُنـى نعانـقُ الفصـولَ والظـلال
معا هنا انا وانتَ ها هُنـا والحبّ مكتـوبٌ على التّـلال
يا حبيبي ليلة يُنـدي النـوى موسمـنـا الهـوى .
في الدروب يا حبيبي
معاً هنـا وكلُّ شـيءٍ غيرنـا وهْمٌ وجـودٍ كـان ثـم زالْ .

٣٢٢

مُنى

أحلى لَيالي المُنى حين التقَينا هُنا والليل من حولنا دُنيا طيوب لَنـا
والأسمرُ الجميل على الرُّبى يَميـل والمنبأ الذّليل في البُعد يُومي لنا
الليلُ حلو الوعود والرّوض غضُّ الورود وكل ما في الوجود حانٍ على حُبنـا
هذي طُيوبُ الغرام طليقةٌ في الظلام سَهرانةٌ لا تنام بحب طيفنـا

حرف النون

٣٢٣

نجمة الكُتب

كتبتُ اليكِ من عتب رسالةَ عاشقٍ تَعبِ رسائلُه منازلُه يُحمّرها بلا سبب
يعُود إليكِ عند الليل حين تأوّه القصبِ يُسائل كيفَ حالُ الدارِ كيفَ مطارح اللّعبِ
ويمسحُ دمعةً سبقته رغم تمنّع الهُدبِ أنا أعطيتُ هذا الليل أسمائي وهاجري بي
جعلت نجومَه كتبا رسمتكِ نجمةَ الكُتبِ .

حرف الهاء

٣٢٤

هات

هاتْ أنسامَ الرائعـات فالمُنى هامسات والرُّبى حائـرات
قد نسي سحـرا

هدات أيامنا هاربات　　والحب أغنيات والغد أمنيات
والعمر ذكرى
هل نلتقي يا حبيبي على ربى الأغاني　　في مفرق الأماني وتربع العهود
هل نلتقي يا حبيبي نحكي بلا عتاب　　نمشي بلا رقاب فلا سوى الشرود

٣٢٥　هل تهوانا

هل جئت كي تلقانا أم عابر سيار　　تشدو فهل تهوانا أم تعشق الأزهار
يا عابراً من أرضنا يرعى الهوى خطاك　　ما تبتغي من عندنا وما الذي أغواك
الورد أم شذانا الطير أم غنانا　　تمر في حمانا تحيطك الأسرار
تحبك الدنيا هنا يا حامل الدنيوبير　　تحب من علمنا أن نرقص الدروب
فمر يا فتانا دربك في روانا　　وانزل إلى خبانا في ضفة الأنهار
ليس الهوى في شرعنا لوماً ولا عتاب　　فشق إن تعبر بنا الحائك العذاب
نحن كما ترانا لا نعرف الهوانا　　وليس في هوانا ضيم ولا أكدار
هل جئت كي تلقانا

٣٢٦　همـوم الحـب

يا هموم الحب يا قبل　　في بحار الشوق تغتسل
كلما قلنا سقطنا زمن　　رجعت كالريح تشتعل
أيهذا القلب كيف لنا　　هرب من خطوه الطلل
أيدوم الحب تسألني　　حلوة جنت بها السبل
أيها الروض مبتسماً　　ويطول البوح والنجل
وأنا لا علم لي وغدي　　كل يوم بات يرتحل
هات لي عمري فأجعله　　ماثراً في الأرض ينتقل
أنا يوم البعد أغنية　　تأخذ الدنيا وترتحل .

٣٢٧　هيئيها الدنانا

هيئيها الدنانا كرمنا يحصد رباه　　يوم تبكي سمانا نشبع القلب شفاه
حبيبتي زنبقة صغيرة أما أنا فصوسج حزين　　طويلاً انتظارنا طويلاً جلست بين الليل والسنين
وعندما أدركني المساء جاءت مع الفجر　　ما بيننا الخريف والشتاء يا آسف العمر
ما أحيلى رجوعي متعباً أتبع المساء　　والهوى في ضلوعي جن من فرحة اللقاء

حـرف الـواو

٣٢٨　وداع

أمشي وأنت بقربي ويملأ الحب قلبي　　مهما يطل بي دربي فلن أبوح بحبي
../.

وإذا ما الشّراعُ هدأة أو فتـــــورٌ سيكونُ الوَداع لفتةً ونسيـــــــر
وعند ما كلٌّ على طريق يعانق السّكون سيهبطُ الدّمع ويستفيق ويملأ العُيون
أترى يا دموعٌ نلتقي في الرّبيـــــع أترى يا دموعٌ عندَ أيِّ ربـــــوع .

حـــرف اليــاء

٣٢٩ يا بيتــاً لنــا

قـالَ يا بيتاً لنا جاورتكَ الأنهُـــر ليتَ ما كان هُنا من سَنا لا يُهجر
أفلتتْ من غُصنها وردةٌ في معبـــر هتفتْ أختٌ لها لا تروحي انتظري
ذاكرٌ ليلٌ هُنا قلتُ أينَ القمــــرُ جاءَ حتّى بابِنا قمــرٌ يعتـــذر
صاحَ بي عندَ الرّبى في الممرِّ الأخضرِ بلبلٌ ملءَ الصّبا هاتفاً لا تكبـــري
كلّهم قد كبروا أهلُنا والزّهـــــر وأنا في هُدبٍ من أهوى سكونو تعبُر .

٣٣٠ يا جسرا خشبيــاً

يا جسرا خشبيا يَسبحُ فوقَ النّهــرِ ضحكَ الفجرُ وحيّا وصحتْ قممُ الدّهــرِ
لونك فرحُ الماء وبلّ المطرِ يبســنْ أنشابك افياءٌ تحتَ الخطو تئِــــنْ
وبصمتٍ وصفاءٌ يندلــــقُ الأردنْ يزرع في الأوداءِ موسمَهُ القُدسـي .

٣٣١ يا جليسَ الليـــل

يا جليسَ الليل من عهد الوفا قد تباعدنا وكنّــا الأصدقــاءْ
حينَ طابَ السَّمر والعيش صفــا طلَعَ الفجــرُ وعُدنا غُربـــاء
ضاحك العينين صيفيّ الشّـــذا بجراحاتِ الهوى لا يعلَــــمُ
خطوه لفحُ جمال فـــــإذا مرّ في أرضٍ عراهـــا السَّقـــم
وإذا ارتاحتْ على طلعتِـــه أعينٌ والهــةٌ جُنَّ الحيـــاءْ
يا حبيبي نحنُ في ليل غــدُه قصة تُحكى وشجــوٌ وغنــاء
نقلةٌ في الذّكـــل عادتْ بي إلى زمنِ الوردِ وعهـــدِ الغـــزلِ
يوم كُنّا نحنُ والشّـــدوُ علــى موعدِ حُـــب وعيـــش امــــل
يا طريقـــاً صوبَ حـــيٍّ لهـــم أبيض الرمـــل ظليلاً كالهنـــاء
حسْبُنا ما قدّرَ السَّمـــر لنـــا لفتةُ الشّوقِ وحرمانُ اللّقـــاء .

٣٣٢ يـــا حبيبـــي

أزهر النّرجس في الرّوابي يا حبيبي وتغنّى الطيرُ فـــي الهضـــاب
انتَ ذلكَ الحـــب والطيـــوب ورفيقُ اللّيل والـــدّروبِ
انتَ أحلامُ الضّحي الطّروب يا حبيبي في اللّيالي تخطر الأحلامُ بالأماني

. . / .

ويموج القلب بالحنان فيمر الحب في خيالي جنة سحرية الظلال وردها يحنو على جمالي
في الليالي

٣٢٣ يا ربى عمان

يا ربى عمان يا قبل فيك طلاب المجد والنزل
وازدهى بالسيف حاطمه بطل لا مثله بطل
سائلي الدلمنة هل رجعت تعصف التاريخ ترتجل
أمل انت ومقتحم يا ربوعاً زهرها الأصل
فابسمي من طيبها تبسم الحبيب كالشمر مبتهل
من غد فيه ومن شمم فيه فاعصف ابها الجبل
ضج كالأردن مفتتنا بصدى الأقدار تقتتل
بالليالي السمر فارعة في كتاب خطه الأزل
أينعت في المجد عندلة مثل زهر الشوك تشتعل
وجناح الطير مضطرب في هوى من ان حكوا قتلوا
قبل لعمان التي نطت بالعلى ، ما غيرك الثمل
أنت يوم السيف أغنية تأخذ الدنيا وترتحل .

٣٢٤ يا رنين الأجراس

جرس العيد في البعيد يحلو وفي الربى طلائع المعيدين
وأنا من منزلي الوحيد أتلو نشائد الهوى في هيكل الحنين
يا رنين الاجراس من خاشعات القرى تحمل شوق الثرى وجهك المحبب المزار
يا رنين الأجراس لي في السفوح المدى عند ارتماء الصدى رفيقة وانتظار
في البعيد في مكان الظلال الرغيد في البعيد زهرة ومنبر وعيد
يا رنين الأجراس امدد ذراعيك لي خذني من منزلي إلى التي بهاؤها النضار .

٣٢٥ يريد زهرة

يريد زهرة وليس في الروض زهور ووردنا لم يخط بعد الحقل من غير طيوب
يريد زهرة هل تسمعين يا طيور من أين لي زهر وورد وما ترى أهدي حبيبي
سأجمع الشوق بقلبي واقطف اللحن الضمير
وانتقي من روض حبي براعم الحلم الوثير
ومن شذا النسمات ألم كل طيب فأجمع الباقات للساحر الحبيب .

٣٢٦ يا زائري

يا زائري في الضحى والحب قد صحا عيناك أعلنتا أن الربيع صحا

../..

غنّيتُ في سهري حتى بكى الوتــــرُ يا صاحبَ السمر ولّى بنا السمـــر
ما سادحٌ سرحا يستوطنُ الفرحـــا غنّى على حرقٍ في البال وانْترحـــا
سُكناك في الهدبِ ضوءٌ وتنســـمٌ الطّيبُ يرحلُ بي والشّوقُ والولـــح
يا لافحـاً لفحا أرضَ الهوى ومحـــا ما كان من شجنٍ فالحُبُّ قد سمحا .

٣٣٧ يـا ساحر العينين

يا ساحــرَ العينين يـا حلمنـــا تسألُ فــي الحيّن مــن بيتنـــا
بيتّنا قُربَ الحيّن يا ساحرَ العينين على حدود المروج حيثُ السّواقي الكِثار
بيتّنا حُلوٌ يموج على رُوءى واخضرار مُشرعُ البابين يا ساحرَ العينيــــن
يا حبُّ إن زرتنا وهمتَ في أرضنـا تدلّكَ في ريحنا تسكُن في قلبنـــا
ترعاكَ بالجفنين يا ساحرَ العينين .

٣٣٨ يـا لور حبـك

يا لور حبُّك قد لــوّعَ الفــؤاد وقت وحيّتك اليد والســــوداد
ألا تذكرين ليـــالي الصفـــاء وعهداً عاهدناه علـــى الوفـــاء
الليلُ والأحلام والشّاطيء النّاهي والشّوق والأنغام والموطنُ الهادي
يا طيبَها أيام أحلى من الفضـــى وتنثر الأمثال علـــى الوفـــا .

٣٣٩ يـا مَن يحن

يا من يحنُّ إليـــكِ فـــؤادي هـل تذكرينَ عهــود الوداد
هل تذكرين ليالــي هوانـــا يوم التقينا وطـاب رقـــادي
هــل تذكرين غــداةَ الــورود حنتْ علينـا وطابتْ وعُـودي
كانــتْ لنا فـي الغـرام عهودٌ صارتْ حديثَ الربـى والشوادي
يـا مَن يحنُّ إليــك فــؤادي هل تذكريــن عهــودَ الوداد
حينَ الوفا للأغاني دعانـــا طــافَ الجمَال على كـلّ وادي .

٣٤٠ يا نسيــــم

يا نسيم إنْ تصدتَ الطّيبَ في أرضه ولثمــتَ الورد فـــي روضـــه
قُل لـــه قُل لـه كم أهيـــمْ يا نسيم ومن الطّيبات مِن حِمـــاه
مِن شذا الياسمين فـي رُبـــاه هات سِحر الجمـال المقيـــمْ
وتلك العُطور تمر كهمس جنـــاح حبيبي يزور وهذا خفيفُ وشـــاح
يا نسيم مقبلٌ ساحري بالطّيـوب مقبـــلٌ فــي دلالٍ لعُـــوب
لَفّنا بالشّذا يا نسيم .

٥٠/٠٠

٣٤١ يـــــولا

هل تُرى تعرفُ يولا وحِمى يُولا الجميــــلا
هل تُرى زرتَ رُبى يُولا وساتيــــك السُّهـــولا
هل تُرى أمضيتَ في واحاتِهـــا عهدا طويـــلا
وعرفتَ الحبَّ والأحــلام والعيــش الظليـــلا
ليتَ لي في ربع يُولا مسكنــاً حلــواً ظليـــلا
إنهـــا الحسنــاء ذات اللفتـــات المرحـــات
تحمل القلبَ إلى حلــم سعيــد الهمســات
وترىك العمرَ شدواً والهوى حلــواً جميـــلا
ليتَ لي في ربع يولا مسكنــاً حلــواً ظليـــلا
أنا إذ الحمهـــا تشـــرد أحـــلامـــي إليهـــا
وأرى أطياف عيــش هانــيءٍ في مقلتيهـــــا
وأرى قلبـــي يغنـــي حبَّهـــا لحنـــاً طويــلا
ليتَ لي فــي ربــع يُـولا مسكناً حلوا ظليـلا .

القصائد والمقطوعات الاخرى التي غنّتها فيروز لغيــر
الأخوين رحباني من الشعراء الذين عرفت اسماءهــم .
والأغنيـــات العاميـــة أولاً :

٣٤٢ أهلاً وسهـــلاً — رشيد نخلـه

ودَّع وأرمى القلب بعد أن ودَّعـــو وقلّي اصطفل قلبك رجع لا موضعـــو
قرَّبت من قلبي حِفِل منّي ونفـــر وقلّي منك ما بروح رح برجع معـــو .
لا في روحي ولا بقيـــت معـــك طارت ورفت عا حواشي مضجعـــك
وكل شي في الكون آهات وبــروح كانوا بقلبي واسألك شو بيوجعـــك
اهلاً وسهلاً فيك يا رفيق النـــوى هالقلب بيناديك من بعد النـوى
أهلاً وسهلاً فيـــك

هالربيـــع والجنّــات طيب لأحـــلامـــك يا طيـــب إيامـــك
في إلك بهالفيئــــات أطلال من ماضيـــك أهـــلا وسهـــلاً فيـــك
بتنســب هالوديـــان في إلك أمـــل فيهـــا عيـــش بنواحيهـــــا
لا تذكـــر الهجـــران وفي ربعنا تكليــك أهـــلاً وسهلا فيـــك
يا ولفي شو بتقـــول فـــي بنت بتحبّــك ودع لـــي هـم قلبـــك
بترافقك على طـــول وبتسعـد لياليـــك أهـــلاً وسهلا فيـــك .

../..

٢٤٣ **بحبك ما بتعرف** — سعيد عقل

بْحبك ما بعرف هين قالولي ... ومن يومها صار القمر أكْبر
عاتلالنا وصارت الزغلولي ... تاكل عا إيدي اللوز والسكر
بْحبك ما بتعرف حب لا تشدني بإيدي ... لا تهرب دنية هنا جديدي
ونشب
لأ ، دخلك هيئتي رح طير ... ترجعني بقلبك
تركني بحد بكير ... تركني .. بْحبك يا حلو بْحبك .

٢٤٤ **بكوخنا يبني** — ميشال طراد

بكوخنا يبني بهالكوخ الفقير ... والتلج ما خلى ولا عودة حطب
والريح عم يصفر فوق منو صفير ... وتشرق بهالليل منجيرة قصب
وقفوا عشباكك يدقوا الصافير ... بجوانحن يا جوانحن المنشرين
جايين يتسلطو ما كتر الزمهرير ... ورفيقك البلبل شو مشتقلك كتير
مشتيلك بحبو شي ميمة سوسني ... علواه لو فيي يا عينيي لطير
إتفقدك يا ربيتي بعدك زغير ... وعمرك وعمر السطر ما كفو السني
وشو الدني يبني وشو طعم الدني ... ان ما هبشت وبني بإيديك الحرير
شو الجرس هالحامل بشارة العيد ... شو ألف عيد وألف قنينة نبيد
صوتك ليتدحرج بقلبي وقم يضيع ... نازل عن التلي بهالوادي البعيد
حامل بإيد الصبح وبإيد الربيع . ... ومن يوم هالغيبه والله يسامحك
عم فرفط بهالفل عم قطف ريحان ... عم يستتير من السطح أجمل السوان
وترطش عهالحيطان لنشو ملامحك ... وهالقلب عم حفو على جرين السرير
عم مرشو بيلمحك بمطارحك ... بفراشك بريحة ريشات جوانحك
بخبرة خوافر حصانك هالزغير .

٢٤٥ **تنعمين** — ميشال طراد

تنعمين راحت حلوة الحلوين ... وما ظل في غير الحبق
تنعمين هالقلب انطبق ... وما عاد يرجعلي بعد تنعمين
وغاب القمر من فوق بيتن غاب ... وما عاد رح يطل واسود لون الفل
والزنبقة البيضا الحد الباب . ... بآخر كل بستان في مصطبة
بيجيب عا بالي البكي ... تمطشوح ما كانت تتركي
مفتح على شفافن عشب أزرق ... والالح وريشي مششي فيها الطيور
تطلع ما صرت دمعتنا ... وبتدن بيحكو حكايتنا
هونيك كم بتفتشي خلف الشحرور .

٥٥/

٣٤٦ جلنـــار — ميشال طراد

يا صبح طولت ليلك خليت قلبي نار بلكي بتجي إختك تنشيلك بلكي بتجي جلنار
صرخات عم بتموج بالوادي مفترق عليها ضباب
لبعيد عم بتروح وتنادي بيدلهر حبيبو غياب
راعي بكي ومنجيرتو ملو بكيت تايتسلى شو قولكن عالسكت قالتلو شو قولكن قلا
عليك حدي تايروق الجو وتدبح وسمعني ولعن بيطلعليا راعي الضو تبقى تود عني
وتقت قلبي عالدرب تاطور كفى ألف نهار وعيت الشمس وزقزق العصفور وما إجت جلنار .

٣٤٧ دقت على صدري — عبد الله غانم

دقت على صدري وقالتلي افتحو تاشوف قلبي ان كان بعد و مطرحو
وان صح ذاتي وشفتلو عندك رفاق بشترجعو وما بعود عليك تلمحو
وان صح ذاتي وشفتلو عندك رفاق بسترجعو وبنسى لياليها العتاق
قلبي ان هجرتك بيذبحو مره الفراق وان ظل عندك كل يوم بيذبحو .

٣٤٨ دقيت

سعيد عقل

دقيت طل الورد عالشباك "وينها" قلبك ما كان يحكي
ماتت ؟ لشو تخبر .. انا وياك وحدنا يا ورد رح تبكي .
انت وانا يا ورد وحدنا بهونيك ليلة برد حكيتلنا حكاية الحلوايي
فاية شو قالت قالت : حلوي أنا وخلصت الحكايي
دقيت عالشباك بعد سنين شفتو انفتح كيف شكل بعدك هون ،
قال عليتني حلوة الحلوين تقلبت اترك عطر بهالكون .

٣٤٩ زوروني

سعيد درويش

زوروني كل سنة مره حرام تنسوني بالمره
يا خوفي والهوى نذر ه تغيب وتروح بالمره
حبيبي فرقتك مره حرام تنسونا بالمره زوروني حرام تنسوني حرام
حرام تنسوني بالمره .

٣٥٠ يللي يا محلى نورها — المطلع لسيد درويش والباقي للاخوين رحباني .

يللي يا محلى نورها شمس الشموسيه يلا بنا نملي ونحلب لبن الجاموسه
قاعد عالساقيه يا خلي أسمر وشليته فوق الطاقيه وقلي غنيلي غنيوه

قلبلو بقلبي يا خلّي أسمر يا حليوه　　قدّملي ورده وقلّي حلوي يا عروسه

٢٥١ **فتحهن عليّي** — سعيد عقل

فتحهن عليي القمر شو إلو　　عيون ألف غنّيه لعيونك بما حلو
جابتلي العصفوره علبه فيها لعب　　وبوتعو بيجوره بنت وصبي ذهب
واسأل انا قلبي كيف الذّني بزورا　　تبكي وعا علبه تنمز العصفورا
تصيح رح حبّك حبياك وحبّي　　وما يوجعك قلبك لا يوجعك قلبي
إلك أنا ومن قهر الورد يسألك　　شو الزهر يفنى الزهر وبقى أنا إلك .

٢٥٢ **مرجوحه** — سعيد عقل

بتمرجح بقلبك قلك أنا بحبك　　قطّف نجوم وقطّف ازرعهن بدربك
مرجوحتي تودي وشوف القمر حدّي　　تقلّي إنت لا تخلّي قلّك بعد بدّي
يا بيلو قلبك طاير فيّي وإنت طاير　　شو العمر تا نرجعلو محسود منّا وغاير
وقلبي هالملبّك يسافر على دربك　　ومخيال شي غنّيه قلّك أنا بحبك .

٢٥٣ **مشوار** — سعيد عقل

مين قال حاكيتو وحكاني عا درب مدرستي　　كاين عمر تشتّي ولولا وقفت رتّبت فستاني
وشو هم .. كنّا زغار　　ومشوار رافقتو أنا مشوار
وقالوا شلحلي ورد عا تخيتي　　وبيّاتنا بيغلي
وشو عرفو أيّاه تختي أنا وأيّاه تزنرّ تختي　　شو بيلفقو أخبار ومشوار يا عيوني مرق مشوار
وقالو غمرني مرتين وشد　　شوفو الكذب لا وين
مترا ميح اتنين ؟　　ولا رد تو إيدي ولا هو ارتد
شو بيفضحو أسرار　　ومشوار شفتو وما رجع مشوار
كذبو يمين بيقول كذبو مين　　ومابين بنومي بصرت إني عا زند وطرت
والآ ربي مفروشتلنا ياشيّين　　وصح الحلم شو صار ؟
ومشوار جينا عالدّني مشوار .

٢٥٤ **مين دلك** — اسعد سابا

مين دلّك يا الهوى عا بيتنا　　من الهوى بكاس العذاب سقيتنا
وما ربحنا بحبشرتك غير الألم　　حبّيتنا ويا ريت ما حبّيتنا ،
ترشّنا طاريقه ورد ينعشك الدلال　　وقلنا جمالك ما انخلق متلو جمال
وعيلتنا زهرة غرامك والخيال　　وزميتنا من بعد ما شمّيتنا
الله شو حمّلتنا قهر وتنا　　ان كان ابن ... يا اوهم ها القلب اغتني

ما عاد مرق عابالنا طيف الهنا   من ليلة بنهو القمر حاكيتنا
علينا ان كنت عتبان لا تخفي العتب   من هالتداوه ما بيجي غير التعب
دليتنا عادرب حبك شو السبب   شيتنا من بعد ما دليتنا
ليش تقهر قلب بيرفرف معك   شو ولك بينيرنا شو وأسك
لوعتنا بكرا الهوى بياوعك   بتعود تندم قد ما عاديتنا .

٢٥٥   **يارا** — سعيد عقل

يارا الجدايلها شقر الفيهن بيتمرجح عمر   وكل يجي تبوح بسرار يارا
يارا الحلوى لغفي عازندها خيا الزغير   وظلت تغني والدني حدا تطير
والرياح تدوزن وتنارا يارا .   الحلوى الحلوايي تغفو زنود هيا
وتنفي صغير ومد هيا   وبأيد هيا ينسيت الإسوارا
ولمن إجت يارا تحط خيا بالسرير   تصلي : " يا ربي بيروخي كبير "
والسما دبها هاك الهين الحرير   نلمت الشمس وعنت زوارا .

الأغاني الفصيحة

٢٥٦   **ابنة بلادي** — ابو سلمى

أين الشذى والحلم المزهر   أهكذا حبك يا أسمر
أهكذا تذوي أزاهيرنا   وكان فيها المسك والعنبر
الشفة الحلوة ما بالها   تحمل لي الخمر ولا تسكر
أشعارنا كانت توشي الدنى   والليل من أشواقنا مقمر
كيف الهوى يمضي كيف الندى   وفي بلادي مرجه الاخضر
في تلة الفجر على المنحنى   يهفو إليها الكرم والبيدر
في النهر الضاحك بين الربى   تحسده على الهوى الأنهر
في نغم البلبل يشدو على   صنوبر السفح ولا يهجر
في موكب النصر وفي أمة   على ذرى تاريخنا تنظر
وفي أماني أمتي تنتشي   فيها المروءات وتستكبر
أهواك في شعبي وفي موطني   فأنت لا أحلى ولا أنضر

٢٥٧   **أجراس العودة** — سعيد عقل

سيف فليشهر في الدنيا ولتصدع أبواق تصدع   الآن الآن وليس غدا أجراس العودة فلتقرع
أنا لا أنساك فلسطين ويشد يشد بي البعد   أنا في أفيائك نسرين أنا زهر الشوك أنا الورد

سندك ندك الأسوار — تستلهم ذاك الفخار
ونعيد إلى الدار الدار — نمحو بالنار العار
فلتصدع فلتصدع — أبواق أجراس تقرع قد جن دم الأحرار .

٢٥٨ أرجعي يا ألف ليلة — رفيق خوري

أرجعي يا ألف ليلة عيدة العطر — فالهوى يروي غليله من نوى الفجر
إن أشواقي الطويلة أقفرت عمري — وحكاياك الجميلة في مدى الدهر
وخبرتما أن تيماء منزل لليلى — إذا الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عني قد انقضت — فما للنوى ترمي بليلى المراميا .

٢٥٩ اردن — سعيد عقل

اردن أرض العزم أغنية الظبى — نبت السيوف وحد سيفك ما نبا
في حجم بعض الورد إلا أنه — لك شوكة ردت إلى الشرق الصبا
عربت على الدنيا البطولة مشتهى — وعليك ديناً لا يخان ومذهبا
وندت تلالبسي بشر لدنة — سمراء لوحها الملام وذوبتا
من أنت إهل أنت ؟ قالت م الالى — رفضوا ولم تشهد بكفهم الشبا
فعرفتها وعرفت نشأة أمة — عربت على شرف فطابت مضربا
غليتها ، كل الطيور لها [illegible] — ويكون أين فالطيور إلى الخبا ،
إلاك أنت فلا مباح ولا [illegible] — إلا وفي يدك السلاح له نبا
شيم أقول نسيم أرز هزني — وأشد كالدنيا إلى تلك الربى .

٢٦٠ أرق الحسن — الأخطل الصغير

يبكي ويضحك لا حزناً ولا فرحا — كعاشق خط سطراً في الهوى ومحا
من بسمة النجم همس في قصائده — ومن مخالسة الظبي الذي سنحا
قلب تمرس باللذات وهو فتى — كبرعم لمسته الريح فانفتحا
ما للأقاحية السمراء قد صرفت — عنا هواها أرق الحسن ما سمحا
لو كنت تدرين ما ألقاه من شجن — لكنت أرفق من آسى ومن صفحا
غداة لوحت بالآمال باسمة — لان الذي ثار وانقاد الذي جمحا
فالروض مهما زهت قفر إذا حرمت — من جانح رف أو من صادح صدحا

٢٦١ أعطني الناي — جبران خليل جبران

أعطني الناي وغن فالغنا سر الوجود — وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود
هل تخذت الغاب مثلي منزلاً دون القصور — وتتبعت السواقي وتسلقت الصخور

.../٥

هل تحممت بعطر وتنشفت بنـــور
وشربت الفجر خمراً في كؤوس من أثيـــر

أعطني الناي وغن فالغنا خير الصلاة
وأنين الناي يبقى بعد أن تفنى الحياة

هل جلست العصر مثلي بين جفنات العنب
والعناقيد تدلت كثريات الذهـــب

هل فرشت العشب ليلاً وتلحفت الفضا
زاهداً في ما سيأتي ناسياً ما قد مضى

أعطني الناي وغن وانسى داء ودواء
إنما الناس سطور كتبت لكن بماء •

٣٦٢ أقـــول وآنســت

ابن جبيـــر

أقـــول وآنســت بالليـــل نـــارا
لعل سراج الهدى قـــد أنــــارا

وإلا فما بـال أفـق الدجـــى
كأن سنا البرق فيـــه استطـــارا

وهذا نسيم شذا المســك قـــد
أعير أم المســـك منـــه استعـــارا

بشائـــر صبـــح السـرى آذنـــت
بأن الحبيب تدانا مـــــزارا

جـــرى ذكـــر طيبـــة ما بيننـا
فلا قلـــب في الركـــب إلا وطـــارا

حنيناً إلـــى أحمـــد المصطفـــى
وشوقـــاً يهيـــج الضلوع استعـــارا

ولما حللنـــا فنـــاء الرســـول
نزلنـــا بأكرم خلـــق جـــوارا

وقفنـــا بروضـــة دار الســـلام
نعيـــد السلام عليهـــا مـــرارا

إليـــك إليـــك نبـــي الهـــدى
ركبنا البحـــار وجبنـــا القفـــارا

دعانا إليـــك هوى كامـــن
أثار من الشوق ما قد أثــــارا

عسى لحظة منك لـــي فـــي غـــد
تمهد لي في الجنـــان القـــرارا

فما ضـــل من بسـراك اهتـــدى
ولا ذل من بذراك استجـــارا •

٣٦٣ القمـــر

سعيـــد عقـــل

من روابينا القمر جاءه أم لا ، خبـــر
جايلتـــه رند لي ودمى الحسن الأغر

قال ما فاجأته حافياً فوق الزهـــر
مزقت من توهه نزوات لا تعتـــذر

هم ؟ ما هم ومن غزلنا يكسى القمر
العذارى حوله في الربى عقد شـرر

ضحكة ظافرة ونشيد في الأثـــر
والمساء المنتهي بحزن هاتيك الصور

ذاهل شال به صوت ناي مبتكـــر
والروابي نهضت فوق تجواب النظـــر

يا تـــرى القمـــر قمر ؟

٣٦٤ العميــــة — جبـران خليل جبران

وافى المصطفى المختار الحبيب ، الذي كان فجرا لذاته ، ينتظر سفينته ، في مدينة أورفليـــس •

وفي السنة الثانية عشرة في السابع من شهر الحصاد ، صعد إلى إحدى التلال وتذكر صوب البحر ، ورأى سفينته آتية فصلى في سكون نفسه ، وقال في قلبه : كيف أمضي عن هذه المدينة وأعبر البحر من غير كآبة ؟ وعندما دخل المدينة، استقبله الشعب ، كانوا يهتفون : لا تفارقنا فالمحبة لا تعرف عمقها الا ساعة الفراق ، آنئذ قالت المترا : حدثنا عن المحبة فقال :

إذا المحبة أومت إليكم فاتبعوها إذا ضمتكم بجناحيها فأطيعوها ، إذا المحبة خاطبتكم فصدقوها ، المحبة تضمكم إلى قلبها كأغمار حنطة ، المحبة على بيادرها تدرسكم لتظهر عريكم ، المحبة تطحنكم فتجعلكم كالثلج أنقياء ، ثم تعدكم لنارها المقدسة ، لكي تصيروا خبزاً مقدساً ، يقرب على مائدة الرب المقدسة، المحبة لا تعطي إلا ذاتها المحبة لا تأخذ إلا من ذاتها ، لا تملك المحبة شيئاً ولا تريد أن أحد يملكها لأن المحبة مكتفية بالمحبة .

وقالت المترا ثانية حدثنا عن الزواج فقال : ولدتما معاً وتظلان معاً ، حتى في سكون تذكارات الله ، ومعاً حين تبدد كما أجنحة الموت البيضاء كونا فرحين ، غنيا فرحين ، إنما اتركا بينكما بعض الفسحات لترقص فيها رياح السماوات . ثم قالت له امرأة حدثنا عن الأولاد فقال : أولادكم ليسوا لكم أولادكم ابناء الحياة والحياة لا تقيم في منازل الأمس .

وكان المساء فصعد إلى السفينة وقال :

وداعا يا أبناء أورفليس ، الريح تأمرني أن أفارقكم ، وسوف أعود ثانية إليكم ، الريح الريح تأمرني الريح .. وعندما أشار ، فرفع البحارة المرساة وصوب الشرق أبحرت السفينة، أما أنت إذا أحببت فلا تقل : الله في قلبي لكن قل : أنا في قلب الله .

٢٦٥

أمي يا ملاكي

سعيد عقل

أمي يا ملاكي يا حبي الباقي إلى الأبد	ولا تزل يداك أرجوحتي ولا أزل ولد
يرنو إليّ شهر وينطوي ربيع	أمي وأنت زهر في عطر أضيع
وإذ أقول أمي أفتن بي ، أطيب	يرف فوق همي جناح عندليب
أمي بعض قلبي لداي إن وجعت	وقبلتي وحبي أمي إن ودعت
عيناك ما عيناك أجمل ما كوكب في الجلد	أمي يا ملاكي يا حبي الباقي إلى الأبد .

٢٦٦

بروحي تلك الأرض

الصمه القشيري

بروحي تلك الأرض ما أطيب الربى	وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني   على كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع   اليك ، ولكن خل عينيك تدمعا
كأنا خلقنا للنوى ، وكأنما   حرام على الأيام أن نتجمعا •

٣٦٧ **بين النجوم**

عبد الله الخوري

لي نجمة خضراء غريبة الأضواء   لا يراها سواي تظهر في السماء
لتنير السماء
ويلي هذي من نجمة خضراء   لا يراها سواي
يا ليت لي جناح يسلم الرياح   ان تحصر النجوم فتقفر السماء
ويبعد الفضاء
وتنجلي النجوم عن نجمة خضراء   لا يراها سواي •

٣٦٨ **تعال تعال**

شفيق جدايل

تعال تعال كفاك دلال   كفاك زهوا بتاج الجمال
ضلوعي تحن وروحي تذوب   وتذكر يوم حوانا الغروب
فأنت حبيبي نجي القلوب   وأنت الرجاء وأنت الخيال
عيونك فيها الفتون الفتون   حديث العيون وسحر العيون
كفاك حبيبي رفيق الجفون   أراك تجافي وتأبى الوصال
حبيبي كنت ، وحيداً أسير ،   فجئت بلحظك هو الأثير
ملكت هواي فكنت الأسير   رضيت بأسري وقلت تعال

٣٦٩ **تناثري**

ميخائيل نعيمه

تناثري تناثري يا بهجة النظر   يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر
يا أرغن الليل ويا قيثارة السحر   يا رمز فكر حائر ورسم روح ثائر
يا ذكر مجد غابر قد عافك الشجر   سيري لا تعاتبي لا ينفع العتاب
ولا تلومي الغصن والرياح والسحاب   فهي إذا عاتبتها لا تحسن الجواب
والدهر ذو العجائب وباعث النوائب   وخانق الرغائب لا يفهم الخطاب
سيري ولا تعاتبي •

٣٧٠ **جبل الريان**

جرير

يا حبذا جبلُ الريّان من جبلٍ ... وحبّذا ساكن الريان من كانا
وحبّذا نفحات من يمانية ... تأتيكَ من قِبَل الريّان احيانا
هبّت شمالا فذكرى ما ذكرتكمُ ... عند الصفاة التي شرقيَّ حورانا
هل يرجعن وليس الدهر مرتجعا ... عيش بها طالما احلولى وما لانا
أزمان يدعونني الشيطان من غزلي ... وكنّ يهوينني إذ كنتُ شيطانا
حي المنازل اذ لا نرتضي بدلا ... بالدار دارا ولا الجيران جيرانا
تهدي السلام لأهل الغور من ملح ... هيهات من ملح بالغور مهدانا
يا ليتَ ذا القلب لاقى من يعلله ... أو ساقياً فسقاه اليوم سلوانا
قالت ألمَّ بنا إن كنتَ منطلقاً ... ولا اخالك بعد اليوم تلْقانا
لقد كتمتُ الهوى حتى تهيمني ... لا استطيع لهذا الحُب كتمانا
إنّ العيونَ التي في طرفها حورٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللُّب حتّى لا حراك به ... وهنَّ اضعفُ خلق الله إنسانا

٢٧١ حاصل الهوى — ابو نواس

حاملُ الهوى تعبٌ يستخفّه الطربُ ... إن بكى يحق له ليس ما به لعبُ
كلّما انقضى سببٌ منك عاد لي سببُ ... تعجبين من سَقمي صحتي هيَ العجبُ
تضحكين لاهيةً والمُحب ينتحبُ • ... يا غزالاً في كثبٍ ثم في حسن وطيب
يا قريبَ الدار ما وصلك مني بقريب ... يا حبيبي بأبي أنتَ يا كل حبيب
لشقائي صاغك الله حبيبا للقلوب •

٢٧٢ خالقــــه

بدوي الجبل

مِنْ نُعمياتِكِ لي ألفٌ منوّعةٌ ... وكلُّ واحدةٍ دنيا من النُّورِ
رفعتِني بجناحي قدرةٍ وهوىً ... إلى عالمٍ من رؤى عينيك مسحورِ
تعبتُ من حسده عني فإن سكرتْ ... أغفتْ على سندسٍ من أساطيرِ
أُخادعُ النومَ إشفاقاً على حلُمٍ ... حانٍ على الشفقِ الميّاسِ مخمورِ
وزار طيفُك أجفاني فعطّرها ... يا للطيوفِ الخيرات المعاطيرِ
تندى البراءةُ منه فهو منسكبٌ ... من لثمِ طفلٍ ومن تغريد عصفورِ
رشفتُ صوتَك في قلبي معتّقةً ... لم تُعتصر وصهباءُ غير منظورِ
خلقتِني من صباباتٍ مدلّهةٍ ... ظمأى الحنين إلى دلٍّ وتغريرِ
فكيف أغفلتِ قلبي من تجلّده ... لمّا توليتِ إبداعي وتصويري
يا رافةَ الروح حباتُ القلوب فدى ... ذنبٍ لحسنك عند الله مغفورِ
قفي السماءَ على مطلولِ زرقتها ... أو ساحبي ذيلِ ملكٍ منك مجرورِ
عندي كنوزُ حنانٍ لا نفادَ لها ... ادخرتها كلَّ مظلومٍ ومقهورِ

../.

أُعلي بذلّةِ محرومٍ نوالهمو ... لسائلٍ يُندقُ النّعماءَ منهمورِ
جواهري في التعبير الشّعب مخفيةٌ ... من الونى بعد تغليسٍ وتهجيرِ
نادتْ عن العُنقِ الهاني فأرشدها ... إلى سناه حنينُ النّسورِ للنورِ.

٢٧٣ **دمشق**

نزار قباني

هنا قد كتبنا وأرسلنا المراسيلا ... وقد بكينا وبلّلنا المناديلا
قُلْ للّذين بأرض الشّام قد نزلوا ... قتيلكُم في الهوى ما زال مقتولا
يا شامُ يا شامةَ الدّنيا ووردتها ... يا من بحُسنك أوجعتِ الأزاميلا
وددتُ لو زرعوني فيكِ مئذنةً ... أو علّقوني على الأبواب قنديلا
يا بلدةَ السّبعة الأنهار يا بلدي ... ويا قميصاً بزهر الخوخ مشغولا
ويا حصانا تخلّى عن أعنّته ... وراح يفتح معلوماً ومجهولا
هواك يا بردى كالسّيف يسكنني ... وما ملكتُ لأمر الحب تبديلا
ما للدّمشقية الكانت حبيبتنا ... لا تذكُر الآن طعمَ القُبلة الأولى
يا مَن على ورق الصّفصاف يكتُبني ... شِعراً وينقشُني في الأرض أيلولا
يا مَن يُعيدُ كراريسي ومدرستي ... والقمحَ، واللّوزَ، والزُّرقَ المواويلا
يا شامُ إنْ كنتُ أخفي ما أكابدُه ... فأجمل الحبِّ حبٌّ بعدَ ما قيلا.

٢٧٤ **ربّي سألتك** — رشدي المعلوف

ربّي سألتُك باسمهنّه ... أن تفرشَ الدّنيا لهنّه
بالورد إن سمحتْ يداك ... وبالبنفسج بعد إذنه
حبّ الحياةِ بمثليهنّ ... وحبّهنّ بغير منّه
نمشي على أجفانهنّ ... ونهتدي بقلوبهنّه
فرد وسهنّ وبؤسهن ... ببسمةٍ منّا وأنّه
سمّارنا في غربةِ الدّنيا ... وصفوة كلّ جنّه
ربّي سألتك رحمةً ... وبه السّماء ووجههنّه
فامسحْ بأنملكَ الجراح ... وردّ أطرافَ الأسنّه
لتطلّ شمسك في الصباح ... وكلّ أمٍّ مطمئنّه.

٢٧٥ **ردني الى بلادي** — سعيد عقل

رُدّني إلى بلادي ... مع نسائم الغوادِ
مع شعاعةٍ تهادتْ ... عند شاطئٍ وواد
مع [illegible] ... قد ذبلتْ من بعادِ

• • /٠

وارم بي على رفـ ـانِ — بين دفولتي بـ ـدادِ
نهرها لكنّ من أحببت — غير وصـ ـادِ
لم تزل علـى وفـاء — ما سوى الوفاء زادي
حبني هنـاك حبّ الحب — ماليئاً فـ ـؤادي
شيلح زنبق أنا الكرنـي — على ثرى بـ ـلادي .

٢٧٦ سائلينـي — سعيد عقل

سائليني حين عطرت السلام — كيف غار الوردُ واعتلّ الخُزام
وأنا لو رحت استرضي الشذا — لانثنى لُبنانُ عطراً يا شآم
ضفتاك ارتاحتا في خاطري — واحتمى طيرك في الظنّ وحام
نقلةٌ في الزهر أم عندليـة — أنتِ في الصحو وتصفيق اليمام
أنا إن أودعت شعري سكرة — كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام
ردّ لي من صبوتي يا بردى — ذكريات زرن في ليّا قوام
ليلة ارتاح لنا الحورُ فلا — غُصُنٌ إلا شجٍ أو مستهام
وهجت صفصافةٌ من حسنها — وعرت أغصانها الخضرَ سقام
تقف النجمةُ عن دورتهـا — عند ثغرين وينهار الظلام
ظمىءَ الشرق فيا شام اسكبي — واملئي الكأس له حتى الجمام
أهلك التاريخ من فضلتهم — ذكرهم في عروة الدهر وسام
أمويون فإن ضقت بهم — ألحقوا الدنيا ببستان هشام
أنا لست الغرد الفرد إذا — قلتُ طاب الجرح في شجو الحمام
أنا حسبي أنني من جبل — هو بين الله والأرض كلام
قممٌ كالشمس في قسمتها — تلد النور وتعطيه الأنام .

٢٧٧ سكن الليل — جبران خليل جبران

سكن الليل وفي ثوب السكون — تختبي الأحلام
وسعى البدر وللبدر عيون — ترصد الأيام
فتعالي يا ابنة الحقل نزور — كرمة العشاق
علّنا نطفي بذياك العصير — حرقة الأشواق
اسمعي البلبل ما بين الحقول — يسكب الألحان
في فضاء نفخت فيه التلول — نسمة الريحان
لا تخافي يا فتاتي فالنجوم — تكتم الأخبار
وضباب الليل في تلك الكروم — يحجب الأسرار .

٣٧٨ سوف أحيا — مرسي جميل عزيز

كيف لا أحيا وظل الوردِ يحيا في الشفاه
كيف لا أحيا وهذا الآبي يجري في الفلاه
كيف لا أحيا وفي قلبي وفي عيني الحياه
سوف أحيا ، سوف أحيا ، هكذا قال الإله
يا رفيقي نحنُ من نورِ إلى نورٍ مضينا
ومن النجم نزلنا ومن الشمس أتينا
أين ما يُدعى ظلاماً يا صحيح العين أينا
إن نور الله في القلب وهذا ما أراه ،
سوف أحيا سوف أحيا هكذا قال الاله
ليس سِرّاً يا رفيقي ان أيامي قليلة
ليس سراً إنما الأيامُ بسماتٌ قليلة
إن أردت السر ، فاسأل عنه وردات جميلة
عُمرها يومٌ وتحيا اليومَ حتى منتهاه
سوف أحيا سوف أحيا هكذا قال الإله .

٢٧٩ سيوف وجراح — الاخطل الصغير

يا ربي لا تتركي ورداً ولا تُبقي أقاحا
مشت الشام إلى لبنان شوقاً والتياحا
فافرشي الطرق قلوباً ونثوراً وصداحا
غُرةٌ من عبد شمس تملأ الليل صباحا
وحسام يَصرعُ الحدثان ما سلّ الكفاحا
يشرعان الراية الحمراء والحق الصراحا
جمع المجدُ على الأرز سيوفاً وجراحا
نتساويها جهاداً وتآخينا سلاحا
ونشرناها على الدنيا جناحاً وجناحا .

٢٨٠ شال — سعيد عقل

مُرخىً على الشعر شال لِرِندلي هلا هلا ربه بها بالجمال
من يا شباب الكؤوس من جُططك من قصّلك حلوا كحلم العروس
لم ثنية تشتكي ثم تنيب ثم يا حبيبي بلون الليالي
ثم لا تقرب يتدا ثم بالنظر إبرز الأثر ما لم يزل موصدا .

٠٠/٠

يَا طَيِّبَ شالٍ تَلَمْ عَنْهُ النُّجُومْ وَبِي هُمُومْ
لأَنْ يُرى أَوْ يُشَمْ

فَيَضْلِي مَوعِدُ فِي ظِلِّ شَالْ تُرى الخَيَالْ
شَكْوى ومستنجد

مَالِي سَأَلْتُ الزَّهْرْ عن منزلي فَقِيلَ لِي :
هُنَاكَ خَلْفَ القَمَرْ

٢٨١ شام يا ذا السيف — سعيد عقل

شَامُ يَا ذَا السيفِ لَمْ يَغِبِ
يا كَلامَ المجدِ فِي الكُتُبِ
قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمَةٍ
بعدَكِ استولى على الشُّهُبِ
لِي ربيعٌ فيكِ خبأتُه
مِلْءَ دُنيا قلبيَ التَّعِبِ
يومَ عيناها بِسَاطُ السما
والرماحُ السُّودُ في الهُدُبِ
تلتوي خصرًا فأُومِي إلى
نغمةِ الناي ألّا انتحبِ
أنا في ظلِّكِ يا حُبّها
أحسبُ الأنجمَ في لُعَبِي
طابتِ الذكرى فَمَنْ راجعٌ
بي كما العودُ إلى الطربِ
شامُ أهلوكِ إذا هُمْ على
نُوَبٍ قلبي على نُوَبِ
أنا أحبابيَ شعري لهم
مثلما سيفي وسيفُ أبي
أنا صوتي منكِ يا بَرَدى
مثلما نفحُكِ من سُحُبِ
ثلجُ حرمونَ غدًا أنا مصّ
شامخًا كالعزِّ في القُبَبِ
وحّدَ الدنيا غدًا جبلٌ
لاعبٌ بالريحِ والحِقَبِ .

٢٨٢ ضفاف بردى — الاخطل الصغير

سَلْ عن قديمِ هوايَ هذا الوادي
هل كان يخفقُ فيه غيرُ فؤادي
أنا مذ أتيتُ النهرَ آخرَ ليلةٍ
كانت لنا ، ذكرته إنشادي
وسألتُه عن رفقتيه ألم يزلْ
لي فيهما أرجوحتي ووسادي
تلك العشيّةُ ما تزالُ خاطري
في سَفحِ دُمَّرَ والضِّفافُ شوادي
شفّافةُ اللمحاتِ : عِرّةُ المروءةِ
ربّا الهوى أزليّةُ الميلادِ
غيرانُ تمرحُ في الهوى وفتونِه
وعلى خدودِ الوردِ والأجيادِ
ونُحِسُّ بالبينِ المشتّتِ فلا نرى
غيرَ العناقِ على النوى من زادِ
تتناطفُ القُبَلَ الصِّباحَ كتيبةٍ
يتخاطفون هديّةَ الأعيادِ
متواثبينَ كالثائرينَ تشابكا
وتقاربَ المنقادُ بالمنقادِ
بردى هل الخُلْدُ الذي وعدوا به
إلّاكَ بين شوادنٍ وشوادي
قالوا تحبُّ الشامَ؟ قلتُ جوانحي
مقصوصةٌ فيها وقلتُ فؤادي .

٢٨٣ غروب — تبالن مكرزل

حبّذا يا غروب   منك هذا السكون
وارتعاش الغصون   للنسيم الحنون
للنسيم اللعوب   حبّذا يا غروب
هنا ربيع الزهور   مائجاً في الفضاء
في ظلال الضياء   في وداع الطيور
والنهار يدور   حبّذا يا غروب
في أعالي الهضاب   ملعب للنجوم
ليس فيه غيوم   بل أماني عذاب
ما عراه شحوب   حبّذا يا غروب
أتمنى المرام   وتراشي الوثير
وبقرب الغدير   أزهى نزهات
غمرتها الطيور   هدهدتها الحياة .

٢٨٤ غنيت مكة — سعيد عقل

غنيتُ مكة أهلها الصيدا   والعيدُ يملأ أضلعي عيدا
فرحوا فلألأ تحت كل سما   بيتٌ على بيت الهدى زيدا
وعلى اسم ربِّ العالمين علا   بنيانه كالشهب ممدودا
يا قارئ القرآن صلِّ لهم   أهلي هناك وطيِّب البيدا
من راكعٍ ويداه آنستا   أن ليس يبقى الباب موصودا
أنا أينما صلّى الأنام رأتْ   عيني السماء تفتحت جودا
لو رملة هتفت بمبدعها   شجواً لكنتُ لشجوها عودا
ضجّ الحجيج هناك فاشتبكي   بفمي هنا يا ورق تغريدا
وأعزِّ ربي الناس كلهم   بيضاً فلا فرّقت أو سودا
لا قفرة إلا وتخصبها   إلا ويعطي العطر لها عودا
الأرض ربي وردة وعدت   بك أنت تقطف فاروِ موعودا
وجمال وجهك لا يزال رجا   يرجى وكل سواه مردودا .

٢٨٥ في عيونه خبر — الاخطل الصغير

قد أتاك يعتذر لا تسله ما الخبر   كلما أطلت له في الحديث يختصر
في عيونه خبر ليس يكذب النظر   قد وشت به عمري ضاع عنده العمر
حبّنا الذي نشروا من شذاه ما نشروا   صوحت أزاهره قبل يعقد الثمر

عُدْ فمنّاً يؤنسني ... في سمائه القمرُ
قد وفى بموعده ... حين خانت البشرُ .

٣٨٦ في ليالٍ — لسان الدين بن الخطيب

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى ... بالدجى لولا شموس الغُرَرِ
مال نجمُ الكأس فيها وهوى ... مستقيم السير سعد الأثرِ
حين لذَّ النومُ شيئاً أو كما ... هجم الصبح هجوم الحَرَسِ
غارت الشهبُ بنا أو ربما ... أثّرت فينا عيونُ النرجسِ
أحورُ المقلةِ معسولُ اللمى ... جال في النفسِ مجال النَّفَسِ
سدّد السهم فأصمى إذ رمى ... بفؤادي نبلةَ المفترسِ
جادكَ الغيثُ إذا الغيثُ همى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ
لم يكن وصلك إلا حُلُما ... في الكرى او خلسة المختلسِ .

٣٨٧ قرأتُ مجدكِ — سعيد عقل

قرأتُ مجدكِ في قلبي وفي الكتبِ ... شآم ما المجد ؟ أنت المجدُ لم يغبِ
اذا على بردى حورٌ تأهّل بي ... احسستُ أعلامكِ اختالتْ على الشهبِ
أيامَ عاصمةُ الدنيا هنا ربطت ... بعزمتي أموي عزمةَ الحِقَبِ
نادتْ فهبَّ إلى هندٍ وأندلسٍ ... كنوطةٍ من شبا المرّان والقضبِ
خلّت على قمم التاريخ طابعها ... وقلّمت أنه بالفتكة العجبِ
وانما الشعرُ شرطَ الفتكةِ ارتجلتْ ... على العلى وتملّت رفعةَ القببِ
هذي لها النصرُ لا أبهى فما هُزمتْ ... وإنْ تهدّدها دهرٌ من النوبِ
والانتصارُ لعالي الرأسِ منحتمٌ ... حُلواً كما الموت جئتَ الموتَ لم تهبِ
شآم أرضُ الشهاماتِ التي اصطبغتْ ... بعندمٍ نمّتهُ الشمسُ منسكبِ
ذكّرتكِ الخمسَ والعشرين ثورتُها ... ذاك النفير إلى الدنيا أنِ اضطربي
فكّي الحديدَ يواعدكِ الألى جبهوا ... لدولةِ السيفِ سيفاً في القتال رُبي
وخلّقوا قاسيوناً للأنام غداً ... طوراً كسيناء ذاتِ اللوحِ والكتبِ
شآم ، لفظُ الشآم اهتزَّ في خلدي ... كما اهتزازُ غصون الأرز في الهُدُبِ
انزلتُ حبّكِ في آتي فشدّدها ... [illegible] آتا فكنتِ المجدَ في طربي .

٣٨٨ لا تسألوني — نزار قباني

لا تسألوني ما اسمه حبيبي ... أخشى عليكم ضوعةَ الطيوبِ
واللهِ لو بُحتُ بأي حرفٍ ... تكدّس الليلكُ في الدروبِ
ترونه في ضحكةِ السواقي ... في رفّةِ الفراشةِ اللعوبِ

في البحر في تنفّس المراعي | وفي غناء كلّ عندليب
في أدمع الشتاء حين يبكي | وفي عطاء الديمة السكوب
محاسن لا تمّها كتاب | ولا ادّعتها ريشة الاديب
لا تسألوني ما اسمه كفاكم | فلن أبوح باسمه حبيبي .

٣٨٩ لاعب الريشة — سعيد عقل

لاعب الريشة واقف | وانقر العمر ورود
وانهوني من ليس يهوى | لم يزر هذا الوجود
لا هذا الريح عود | والغمامات وتسر
زيح تبدّدك الجرود | ويجمعنك القمر
بي بشعري بالغدائر | بالحلى حول يدي
دار وخل المجد طائر | كسّر القار علي
أنا حبّي سيف ظافر | حمل الدنيا الي
سلب البحر الجزائر | قال شكّيها عقود .

٣٩٠ لبنان — سعيد عقل

من أين يا ذا الذي استسمته أغصان | من أين أنت فداك السرو والبان
إن كنت من غير أهلي لا تمرّ بنا | أولا ، فما ضاق بابن الجار جيران
ومن أنا ؟ لا تسل ، بسمراء منبتها | في ملتقى ما التقت شمس وشطآن
لي صخرة علّقت بالنجم ، اسكنها | طارت بها الكتب قالت : تلك لبنان
توزّعتها هموم المجد فهي هوى | وكر العقابين ترتمى فيه عقبان
أهلي ويغلون ، يغدو الموت لعبتهم | إذا تطلّع صوب السفح عدوان
من حفنة وشذا أرز كفايتهم | زنودهم إن تقل الأرض أوطان
على جنة الله الا حيثما نبأت | عيناك ؟ كل اتّساع بعد بهتان
هنا على شاطئ أو فوق عند ربى | تفتّح الفكر قلت : الفكر نيسان
كنّا ونبقى لأنّا المؤمنون به | وبعد فليسع الأبطال ميدان .

٣٩١ مربي — سعيد عقل

مربي يا واعداً وعدا | مثلما النسمة من بردى
تحمل العمر تبدّده | آه ما أطيبه بددا
ربّ أرض من شذى وندى | وجراحات بقلب عدى
سكتت يوماً فهل سكتت | أجمل التاريخ كان غدا

٥/..

واعدي لا كنتَ من غاضبٍ   أُسرفُ الحبَّ سنًى وهوى
والهوى لحظُ شاميّةٍ   رفَّ حتى قلته نفدا
هكذا السيفُ الا انغمدتْ   غريةً والسيفُ ما انغمدا
واعدي الشمس لنا كرة   ان يدٌ تتعب فنادي يدا
أناجي دمعةً هجرت   ان تعُد لي اشغلت بردى.

٣٩٢ من صوب بيتكم — سعيد عقل

من صَوبِ بيتِكُم يَهِبُّ طيب
الله يا حلو ارتفقْ بيه   مرْ لا يمرَّ الطيبُ قريبه
أو أتهادى في غِوى المغيب.
همتَ بنصري ذات أُغنية
همت أن تلمسَ لِمْ همتْ   هذي أنا لِذكر ما اعتزمتْ
تحملني اليكَ أُغنيه.
ما شعري نتنسة فتنستْ   دارنا لقولٍ فَتَّ من عنبرْ
دارنا أنا وقبلةٌ وأنت   وعقدةٌ والشعر الاشقر.
يلجُّ هذا الطيب هل أُجيب؟
نداء بيتكم بشمعي   مني الهوى وقُبلتي مُعيي
دايبٌ أنا أحمل طي دايبْ.

٣٩٣ من عذب اللمى — لسان الدين بن الخطيب

بالذي أسكر من عذب اللمى   كل كأسٍ تحتسيه وحَبَبْ
والذي كحّل جفنيك بما   سجد الحسن لديه واقترب
والذي أجرى دموعي عندما   عندما أعرضت من غير سببْ
ضع على صدري يُمناك فما   أجدر الماء بإطفاء اللهب
يا أُهيل الحيّ من وادي الغضا   وبقلبي مسكن أنتم به
ضاق عن وجدي بكم رحبُ الفضا   لا أبالي شرقه من غربه.

٣٩٤ ملعب الاحلام — الأخطل الصغير

من رأى النجمة، تهوي،   مِنْ فم الأفق لِفمْ
كلّما رفّتْ على   ثغرك، باحي و ابتسمْ
بعضَ هذا التيه، يا   لُبنانَ، فالدنيا قِسَمْ
ملعبَ الاحلام! ما   أحلاكَ حُلوَ المبتسم
غُرةٌ من مَرحِ الشلال، من زَهوِ القِمم بوركَ اللهُ الذي أعلى جمالا و أتمْ!
../.

وَ إذا مسَّهُ عطَّرَ في أماسي النسَم ،
تنبري الريشةُ و الأوتارُ الحب النَّغَم .

٢٦٥ مواكب الحق — نجيب اليان

مواكب الحقِّ هذا يوم لقيانا إنّا نحيّي بشيرا منك حيّانا
في ذمّة الله ما سالت وما بذلت منّا نفوسٌ غدت للمجد أثمانا
فقبلي السلم الخفّاق فيه ولن تبسّم الأرزُ عن مغناهُ ريّانا
ورافقي أملاً في الصدر مختلجاً يفيضُ نوراً وإخلاصاً وإيمانا
لبنانُ يا معقلَ الأحرار يا وطناً هانَ الزمان على البلوى وما هانا
كأنما الشمس إذ ترمي غدائرها تلمعُ في كلّ سفرٍ منهُ عنوانا
تشرينُ يا صفحةَ المجدِ ما كتبت إلّا وقامَ عليها الحقُّ برهانا
كانَ الجهادُ وكان الحقُّ رائده وكانَ من دمِنا في الساح ما كانا
وربَّ حشرجةٍ في روح محتضرٍ راحتْ تُردّد ملءَ السمع لبنانا
عهدٌ على الدهر نرعاهُ ونحفظهُ والله يحفظنا فيه ويرعانا .

٢٦٦ نسمت من صوب سوريا — سعيد عقل

نسمت من صوب سوريا الجنوب قلتُ هلَّ المشتهى وافى الحبيب
أشقرٌ أجملَ ما شعشت الشمس هوًى طيّرت الريحُ اللعوبُ
شعر أغنية قلبي له وجبينٌ كالسنا عالٍ رحيبُ
أنا إن سألتُ أيّ منّي قالت القامةُ حبكَ لي عجيبُ
مثلما السهل حبيبي يندري مثلما القمّة يعلو ويغيب
وبه من بردى تدفاقه ومن الحرمون إشراقٌ وطيب
وبه ذات تلاقينا على سندس الغوطة والدنيا غروب
قال لي أشياءَ لا أعرفها كالعصافير تنائي وتؤوب
هو سمّاني أنا أغنيةً ليتَ يدري أنّه العودُ الطروب
من بلادٍ سكرةٍ قال لها تربةٌ ناءٌ ونهرٌ عندليبُ
ويداي الحبُّ في تلك الربى مثلما السيف إذا مسّت يذيبُ .

٢٦٧ تشرين — بولس سلامه

تشرين يا حلم الصباح مذ نقلت عن الملاح
الطيب فيك بقية من لمس كف أو وشاح
والوردة الحمراء [illegible] كانت سوى لون الجراح

٠٠/٠

أو نشوة لهتابة   مرفرفت على الحب الصراح
والشعر كم راح الشعو   منه يهل على النواحي
فالأفق وشاح الروى   والجو كالحسناء ضاحي
لولا العيون لما سرت   آي الربيع إلى البطاح
ولما درى الحسون أن الغصن   عرش للصداح
ان العيون الزرق يا   نوار مثلك في السماح
بفناء منهل الندى   وجفونهن كؤوس راح
لبنى السماء وحيها   يسرى بالسنة صحاح .

٣٩٨ هل تستعاد — ابو بكر بن زهير

هل تستعاد   أيامنا بالخليج   ولياليا
او يستفاد   من النسيم الأريج   مسك دارينا
أو هل يكاد   حسن المكان البهيج   أن يحيينا
روض اظله   دوح عليه أنيق   مورق الافنان
والماء يجري   عائم وغريق   من جنى الريحان
أو هل أديب   يحيى لنا بالنفوس   ما كان أحلى
من الحبيب   وصافيات الكؤوس   فاسقني وأملا
عيش يطيب   ومنزه كالعروس   عندما تجلى
عيش لعله   يعود منه فريق   كالذي قد كان
يا ليت شعري   هل لي إليه طريق   أو إلى السلوان .

٣٩٩ وداد — الأخطل الصغير

يا قطعة من كبدي   فداك يومي وغدي
وداد يا أنشودتي البكر ويا شعري الندى
يا قامة من قصب السكر رخص العقد
حلاوة مهما يزد   يوم عليها تزد
توقدي في خاطري   وصفقي وغردي
تستيقظ الأحلام في   نفسي وتسقيها يدي
عشرون ... قل للشمس لا   تبرح وللدهر اجمد
عشرون ... يا ريحانة   في أضلعي مبتدي
عشرون ... هل يا ربيع للصبا وعيد
وبشر الزهر بأخت الزهر واطرب وانشد
وانقل إلى الفرقد ما   تنمته عن فرقدي

٤٠٠ **وشـــايـة** — نزار قباني

أأنتَ الذي يا حبيبي نقلتَ لزرقِ العصافيرِ أخبارَنا
فجاءت جموعاً جموعاً تدقُّ مناقيرُها الحُمرُ شباكَنا
وتَخرقُ مضجعَنا زقزقاتٍ وتغمرُ بالقشِّ أبوابَنا
ومن أخبرَ النَّحلَ عن دارِنا فجاءَ يقاسمُنا دارَنا
ومن قالَ للوردِ حتَّى تدلَّى يُزركشُ بالنورِ جُدرانَنا
ومن قصَّ قصَّتَنا للفراشِ فراحَ يُلاحقُ آثارَنا
سيفضحُنا يا حبيبي العبيرُ فقد عرفَ الطيبُ ميعادَنا

٤٠١ **وطـن النجـوم** — ايليا ابو ماضي

وطنَ النجومِ أنا هُنا حدِّقْ أتذكُرُ من أنا
أنا ذلك الولدُ الذي دنياه كانت ههُنا
أنا من مياهكَ قطرةٌ فاضت جداولَ من سنى
أمن ترابكَ ذرةٌ ماجتْ مواكبَ من منى
أنا من طيورِكَ بُلبلٌ غنَّى بمجدِكَ قُدسَنا
حملَ الطلاقةَ والبشاشةَ من ربوعِكَ للدُّنا
كَم عانقتْ روحي رُباكَ وصفّقتْ في المُنحنى
الأرزُ يهزأُ بالرِّياحِ بالدُّهورِ وبالفَنا
الليلُ نيسانَ مصلياً الصُّبحُ نيسانَ مؤذِّنا
عاشقَ الجمالِ مشرَّداً في الأرضِ ينشُدُ موطنا
وطنَ النجومِ أنا هنا حدِّقْ اتذكرُ من أنا؟

٤٠٢ **ولقـد ذكرتك** — عنتره

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ منّي وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنّها لمعتْ كبارقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ.

٤٠٣ **يـا جـارةَ الوادي** — أحمد شوقي

يا جارةَ الوادي طربتُ وعادني ما يُشبهُ الأحلامَ من ذِكراكِ
مثّلتُ في الذكرى هواكِ وفي الكرى والذكرياتُ صدى السنينَ الحاكي
ولقد مررتُ على الرياضِ بربوةٍ غنّاءَ كنتُ حِيالَها أُلقاكِ
ضحكتْ إليَّ وجوهُها وعيونُها ووجدتُ في أنفاسِها ريّاكِ
لم أدرِ ما طيبُ العناقِ على الهوى حتّى ترفّقَ ساعدي فطواكِ

٥/..

وتأودت أعطاف بانياً في يدي — واحمرّ من خفريهما خداك
ودخلت في ليلين فرعك والدجى — ولثمت كالصبح المنور فاك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت — عيني في لغة الهوى عيناك
لا أمس من عمر الزمان ولا غد — جمع الزمان فكان يوم رضاك .

٤٠٤ يا شادي الألحان — سيد درويش

يا شادي الألحان — آه أسمعنا — رنة العيدان
واطرب من في الحان — آه واخسبنا — من زمن الندمان
شعرك والجبين — آه والوجنات — كالليل والنهار

. . . .

يا خليلي ساعة لا تريما — وعلى ذي صبابة فأقيما
ما مررنا بدار زينب إلا — فضح الدمع سرنا المكتوما .

٤٠٥ يا شقيق الروح — ابن سناء الملك

يا شقيق الروح من جسدي — أهوى بي منك ام ألم
أيها الظبي الذي شردا — تركتني مقلتاك سدى
زعموا انسي أراك غدا
واظن الموت دون غدي — أين مني اليوم ما زعموا
ان شيئاً أيها القمر — كاد يمحو نورك الخفر
أدلال ذاك أم حذر
يا نسيم الروح من بلدي — خبر الأحباب كيف هم .

٤٠٦ يا عاقد الحاجبين — الأخطل الصغير

يا عاقد الحاجبين — على الجبين اللجين
إن كنت تقصد قتلي — قتلتني مرتين
تمر قفز غزال — بين الرصيف وبيني
وما نصبت شباكي — ولا أذنت لعيني
تبدو كأن لا تراني — وملء عينك عيني
ومثل فعلك فعلي — ويلي من الأحمقين
مولاي لم تبق مني — حياً سوى رمقين
اخاف تدعو القوافي — عليك في المشرقين .

٤٠٧ **يا ليلُ الصب** — ابو الحسن الحصري القيرواني

يـا ليلُ الصـبُّ متـى غـدُه / أقيـامُ السّـاعة موعـدُه
رقـدَ السُّمّـار وأرّقـه / أسـفٌ للبيـن يُـردّده
كَلِفٌ بغزالٍ ذي هَيَـفٍ / خوفُ الواشيـن يشـرّده
نصبـت عينـاي لـه شركـاً / فـي النّوم فعزّ تصيُّـده
يـا من جحـدت عينـاي دَمي / وعلى خديـه تـورّده
خدّاك قد اعترفـا بدمـي / فعلامَ جفونـك تجحـدُه.

٤٠٨ **يا نسيمَ الدجـى** — الأخطل الصغير

أيـنَ مـن مُقلتـي الكرى يا ظلامُ / أنصفَ الليلُ والخليُّون نامُـوا
مسحتْ راحةُ الكرى أعينَ النـاسِ / فنامـتْ ونـام فيهـا الغـرامُ
وأنا تذكُرُ الثريّاءَ عُيونـي / مثلمَا يذكُرُ الغُصونَ الحمَـامُ
يا نسيمَ الدجى اللطيفَ احتمِلني / ليَ عهـدٌ عندَ النّسيمِ لِـزامُ
قُلْنا ناحلٌ فأنتَ بسـراك اللـه / لكـنْ أنـا يرانـي السّقـامُ
احتمِلنـي ولا تخـفْ بـي مـلاماً / ما على حامِلِ الجميـلِ مَـلامُ
احتمِلني تحملْ بقيّـة روحٍ / تركتْهـا لشِقْوتـي الآلامُ
يا نسيمَ الدجى الحريرَ تمـهّلْ / أطيـبُ الماءِ ما سقـاهُ الغمامُ

الأغاني المجهولة المؤلّف
والعاميّـة منها أولاً

٤٠٩ **بـردى**

بـردى بردى لـي بـردى / يمّا عيني بردى يمّا لـي بـردى
وكرمالْ عينـك يا ولفـي / يابا سَبـع وردات بـوردِه
جانـا المطر من قبلـي / يابا والغيـم لـم طرافـو
واني منيّـي وليفـي / ويلـي ، صوتَ اللّه يا مين شافـو
يمّ الثوب الاحمَـر ويلـي / روس شفافـك عالـونـو
قلبـي عليك متل النّـار ويلـي / قلبـك عليّـي شلونـو
يا ربّي ترزق ولفي يابـما / ومن الغنم قطعـانـي
ومـن الأصايل عشره ويلـي / ومن النسـا بس آنـي .

٤١٠ **خايف اقول**

خايف أقول اللّي فقلبي — تسأل وتتقيّد وياي
ولو داريت عنّك حبي — تفضحني عيني في هواي
أنا زارني طيفك في منامي — قبل ما حبّك
طمّني بالوصل وزادني — وأنا مشغول بالي
عايز أعاتبو لكن خايف — يروح يقول اني بحبّك .

٤١١ **دلّلونا**

دلّلونا على دلّلونا — راحو الحبايب ما ودّعونا
حبك يا قلبي من السفر لافي — حيّد عالدرب وقلّو عوافي
نوقف نتحاكى تحت الصفصافي — ونسلّم يا هوى علّي يجبونا
يا طير الطاير قلّو مشتاقه — وبدّي من زهوري ودّيلو باقه
يا طير وقلّو بكرا منتلاقى — وما رح ننساكن يلّي نسيتونا .

٤١٢ **علّى الماني**

علّى الماني عالماني — قتلني وعاود راضاني
بدّل بحبّك يالأسمر — نحشت وربي خلّاني
شفت الماني بظهر الشجر — وقلّي بعدو الورد زغير
والله لاخذها وطير — وتلّي عالارض غناني

٤١٣ **مرمر زماني**

مرمر زماني يا زماني مرمر — مرمرتيني لا بدّ ما تتمرمر
مرّت على ساحره بتكوينا — بينا وحضرا والسحر عاجبينا
قلتيلا يا حلوي شقينا — قالتلي اصبر تا يدوب السكر

٤١٤ **يا حنينه**

يا حنيّنه يا حنينه يا حنينه — أهل الهوى بليل الغزل شهدولنا
بحياة عينك لا بقا تزيد التجني — لا تروح عني للعوازل تشتكي
ما اسألتني بهالعمر مره شو بكي — من كتر ما بدّك يا حلو نلقى الحكي .

٤١٥ يا هويدلك

يا هويدلك يا هويدلي نارك ولا جنة هلي
يا ساكنه بسفح الجبل انت الربا وانت الأمل
غاب القمر حل الظلل من منزلك لمنزلي
تيمنت قلبي بالنوى ما عاد في عندي قوى
لا بد ما فجر الهوى من بعد ليلي ينجلي
يا ولفي غيرك ما لنا يا رفيقنا بليل الهنا
جيت على بستاننا رمانو عا رامو حلي
اذكر هوانا والسهر في ربعنا بنو القمر
واذكر بفي الشجر شو قلتلك وشو قلتلي .

٤١٦ يا وحيد الغيد

يا وحيد الغيد يا فريد عصرك
والنبي يا سيد لا تطل هجرك
ماليت الاهداب تجتني سرك
وانثليت اطياب مذ رأت سحرك .

الاغاني الفصيحة

٤١٧ اذكريني

اذكر الأيام يا حلو الهوى في حنايا الغاب عند الجدول
حين كنا والهوى حلو الغوى نتشاكى في حنين القبل
ضمنا الليل على الدوح انطوى كل ما في قلبنا من غزل
فأنا إن اشتكي مر النوى لا تلمني يا حبيبي أنت لي
اذكريني كلما الفجر بدا واذكر الأيام ليل السمر
واذكريني كلما الطير شدا وحكى للغاب ضوء القمر
اذكريني واذكري عهد الهنا أترى أشدو وإذا لم تذكري
نحن جمعنا من الليل الغنا وحكايات الجمال المبكر
يا حبيبي قرب الليل بنا ومشينا دروب الحلم
فلهونا عند واحات الهنا وجلسنا في ظلال النغم
يا صفا دنيا من الورد لنا وهشيات خفاف النسم
نتهادى تتهادى والسنا طائر في كل روض ينغم .

٤١٨ في ريّانا الآس

في ريانا الآس والرَّيحان فـي رُيـانا — في رُيانا ضَيفُنا الفتّان مسرحُ الإصطياف
وهَوانا في ذُرى لُبنان ينحسُر المُصطاف — وحِمانا مَوئِلُ الخلاّن يا حِمانا في بركانا
ودُاني لُبنـان دُنيا للجمال مهبط الإيحاء — ماؤه الفياض رقراق كالزُّلال يُلهبُ الأجواء
وروَانا دائمٌ كالظِّلال يا رُوانا في رُيانا — وسفوحٌ وهِضاب وغُيومٌ تُجلى الأحـــلام
ورياضٌ وجِنان وكُروم تبعثُ الأنغـــام — وغِنانا بَين أضواء النُّجوم يا غِنانا في رُيانا .

٤١٩ كلمات العاشقين

كلمــاتُ العاشِقيــنْ — همســات القلــوب
لقلــوبٍ وحَنيـــن — من قريـــبٍ لقريـــب
خلجاتٍ فـي صُـدور — تمتمــاتٍ لا تُقـــال
تتَعالى فـي حُبـور — صلواتٍ للجمـــال
قطراتٍ فـي المُقـل — عند تَحريـكِ الجُفـون
رعشاتٍ في شِفــاه — واختلاجٍ فـي حَنيـــن
سرُ أسرار الحيَــاة — كلمــاتُ العَاشِقيـــن .

٤٢٠ لما بَدا يتثنّى

لما بَدا يتثنّـــى — غنّى الصّبا والجَمـــال
حبيبي جَمالُو فتنّــا — أفديه كلٌ من وِصــال
أومى بلحظُو أسرنَـا — في الروض بين الظّـلال
غصنٌ سَبا حينمَــا — غنّى هواهُ ومــال
وعْدي ويا حيرَتــي — مالي رحيـمْ شَكوَتـي
بالحُبّ مِنْ لَوعتــي — إلاّ مليــكُ الجمَـــال .

٤٢١ لو كــان قلبي

لو كان قلبي مَعي ما اخترتُ غيركُـم — ولا رضيتُ سِواكُم في الهَـوى بدلا
لكنّه راغبٌ في مَـنْ يُعذّبـــه — وليسَ يقبلُ لا لوماً ولا عَــذلا .

٤٢٢ يا جنّةً من قبـل

يـا جنةً من قبُـــل — وعالما مـــن غـَـــزلْ
يا نشـوةً من سهـــى — ما كنت لَو لَم أنـــلْ

نامي على أضلعي	نرتادُ عبر الأزلْ
الحبُّ عمر باق	يا عزمنا لا تَسلْ
عمر جميل السُّرى	موشَّحٌ بالغزل
ساعاتُه تنقضي	في لحظةٍ أو أقل
ما ذاقَ طعمَ الهوى	مَنْ باتَ يشكو المَلل
ما أنتِ يا نَعمتي	إلّا نَعيم الأمل
أفدي النعيم الذي	ما لاح حتى أفلْ

٤٢٣ يا خليلي

يا خليليَّ ساعةً لا تريمَا	وعلى ذي صبابةٍ فأقيما
ما مررنا بدارِ زينب إلّا	فضحَ الدمّ سرَّنا المكتوما .

٤٢٤ يا غصنَ نقا

يا غصن نقا مكلَّلاً بالذَّهبِ	أفديك من الردى بأمي وأبي
إن كنتُ أسأتُ في هواكم أدبي	فالعصمةُ لا تكون إلّا لنبي .

٤٢٥ يا من حوى

يا من حوى وردَ الرياض بخدِّه	وحكى قضيبَ الخيزران بقدِّه
١ دعْ عنكَ ذا السيفَ الذي جرّدته	عيناكَ أمضى من مضاربِ حدِّه
كلُّ السيوفِ قواطعٌ إن جُرِّدتْ	وحسام لحظك قاطعٌ في غمدِه
ان شئتَ تقتلني فأنت محكّم	مَنْ ذا يطالبُ سيّداً في عبدِه .

مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً : المقابلات :

- مع الأخوين رحباني ، بيروت ٢٥/٥/١٩٧٢ وفي لقاءات كثيرة .
- مع بولس سلامه ، بيروت ١٧/٢/١٩٧٤ .
- مع حليم الرومي ، بيروت ١٤/١/١٩٧٢
- مع سعيد عقل ، بيروت ٢١/١٠/١٩٧٢ وفي لقاءات متعددة
- مع شفيق بدنايل ، بيروت ٢٦/٢/١٩٧٢
- مع صبري الشريف ، بيروت ١٤/١١/١٩٧٢
- مع نزار قباني ، بيروت في لقاءين بمكتبه
- مع وديع حداد (والد فيروز) ، الطيات ١٧/٢/١٩٧٤ .

ثانياً : من مسرحيات الأخوين رحباني :

- جسر القمر ، ١٩٦٢
- ناطورة المفاتيح ، ١٩٦٢
- الليل والقنديل ، ١٩٦٣
- بياع الخواتم ، ١٩٦٤
- هالة والملك ، ١٩٦٧
- الشخص ، ١٩٦٩
- ناس من ورق ، ١٩٧٢
- قصيدة حب ، ١٩٧٣
- المحطة ، ١٩٧٣
- لولو ، ١٩٧٤ .

ثالثا : الصحف والمجلات :

- صحيفة الأنوار ، الملحق الاسبوعي ، ١/٣/١٩٧٠ .
- صحيفة الجمهورية ، ٢٦/٤/١٩٧٠
- صحيفة النهار ، الملحق الاسبوعي (الاتحاد اللبناني) ١/٣/١٩٧٠ و ٢٨/٥/١٩٧٢ .
- مجلة الإذاعة اللبنانية ، ١٥/١/١٩٥٥
- مجلة الشبكة ، ٢٤/٤/١٩٧٢ و ٦/٣/١٩٧٢
- مجلة الصياد ، ٨/٦/١٩٧٢ و ٢٥/٥/١٩٧٢ .

../.

ثالثا : الكتـــــب :

الأبشيهي ، بهاء الدين . المستطرف في كل فن مستظرف . ج ٢ ، ملتـزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي .

ابن ابي ربيعه ، عمـر . ديوانه . تأليف محمد محي الدين عبـد الحميـد . ط ٣ ، ١٩٦٥ .

ابن الأثيـر . الكامل في التاريخ . ج ٥ ، ط ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة . ط ٣ ، دار احياء التراث العربـي .

ابن منظور . لسان العرب .

ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائـي . ديوان شعره . شرح الخطيـــب التبريزى ، تحقيق محمد عبده ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .

أبو ريـان ، محمد علي . تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام . ج ١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ .

الإختيار ، نسيب . الفولكلور الغنائي عند العرب . السلسلة الفنية ٧ ، الجمهورية العربية السورية ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .

الأســد ، ناصر الدين . القيان والغناء في العصر الجاهلي . ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ .

الأسمـر ، سلمى فضل الله . الغناء الكلاسيكي العربي . ط ١ ، ١٩٦٣ .

الاصفهاني ، ابو الفرج . الاغاني . نسخة مصورة عن طبعـة دار الكتب .

الألوســي ، محمود شكري . بلوغ الأرب . ج ١ ، ط ٣ ، عني بشرحه وتصحيحه وطبعه محمد بهجت الاثرى .

بـدوي ، فؤاد . جارة القمر . الدار القومية للطباعة والنشـر .

بكـــر ، السيد يعقوب . نصوص في فقه اللغة العربية . ج ١ ، دار النهضة العربية ١٩٧٠ .

بكـــر ، السيد يعقوب . دراسات مقارنة في المعجم العربي ١٩٧٠ .

جبران ، خليل جبران . المجموعة الكاملة . قدم لها واشرف على تنسيقهـــا ميخائيل نعيمه ، دار صادر — دار بيروت ١٩٦١ .

../.

جبر ، جميل ، لبنان في روائع أقلامه ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ .

الجندي ، علي ، تاريخ الادب الجاهلي ، ج ٢ ، ط ١ ، دار مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ١٩٦٦ .

حداد ، حسني ، في الموسيقى السورية ، ط ١ ، منشورات الجيل الجديد ، دمشق .

الحفني ، محمود ، زرياب موسيقار الاندلس ، الدار القومية للتأليف والترجمة .

الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان .

الخوري ، فايق ، الاذاعة اللبنانية ، ط ١ ، ١٩٦٦ .

خليل الله ويردي ، ميخائيل ، فلسفة الموسيقى الشرقية في أسرار الفن العربي مطبعة ابن زيدون ، دمشق .

زاكس ، كورت ، تراث الموسيقى العالمية ، ترجمة دكتوره سمحه الخولي ، مراجعة وتقديم حسين فوزي ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٦٤ .

زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف ، دار الهلال .

سلامه ، بولس ، حديث العشية ، ط ٢ ، دار الحضارة ١٩٦٣ .

سلامه ، بولس ، تحت السنديانه ، مكتبة البستان ، بيروت .

سوكولوف ، يوري ، ترجمة حلمي شعراوى ، عبد الحميد حواس ، راجعه وقدم له الدكتور عبد الحميد يونس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ط ٧ ، دار المعارف بمصر .

ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُمَيَّه ، ط ٢ ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ .

عبد العزيز سالم ، السيد ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢ .

../.

عتيـق ، عبد العزيز . علم العروض والقافيـة . ط ٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧ .

عتيـق ، عبد العـزيز . في النقد الادبي . ط ١ ، دار النهضة العربيـة ١٩٧١ ..

علـي ، أسعـد . الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام . ط ١ ، منشورات دار النعمان ، ١٩٧٠ ، دار السؤال بدمشق

علـي ، أسعـد . تهذيب المقدمة اللغوية . ط ١ ، دار النعمـان ١٩٦٨ ، دار السؤال بدمشق.

علـي ، أسعـد . فن المنتجب العاني وعرفانه . ط ١ ، دار النعمـان ١٩٦٨ ، دار السؤال بدمشق

علـي ، اسعـد . صوت فيروز . (مخطوطة) .

العنتيل ، فـوزي . الفولكلور ما هو . دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .

الفارابي ، محمد طرخان . كتاب الموسيقى الكبير . تحقيق غطاس خشبه ، مراجعة دكتور محمود الحفني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

فارمـر ، هنري جورج . تاريخ المـوسيقى العربية . ترجمة حسين نصـاره مراجعة دكتور عبد العزيز الأهواني ، نشـر مكتبة مصر ، دار الطباعة الحديثة .

قـوره ، حسين سلمان . الأصول التربوية . ط ٢ ، دار المعارف بمصـر ١٩٦٨ .

المقدسي ، أنيس . الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديـث ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠ .

الناعوري ، عيسى . أدب المهجر . ط ٢ ، دار المعارف بمصـر ، مكتبة الدراسات الأدبية .

نجـم ، محمود يوسف . المسرحيّة في الأدب العربي . طبعـة بيروت ١٩٥٦ .

نخلـه ، أمين . معنّى رشيد نخله . ط ١ ، المكتبـة العصـرية ١٩٤٥ .

../.

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . نهاية الارب .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

نيتشه ، فريدريك ، هكذا تكلم زرادشت . ترجمة فيلكس فارس .
منشورات المكتبة الأهلية ، بيـروت .

هبّي ، أنطوان (الاشمندريت) . مبادئ الموسيقى الكنسية
حسب المذهب القسطنطيني . ط ٢ ، المطبعة البولسية
١٩٦٤ .

وهيبه ، منير . معجم مصطلحات علم النفس . قدم له كمال
يوسف الحاج ، دار النشر للجامعيين .

وهيبه ، منير . الزجل ، تاريخه ، أدبه اعلامه قديما
وحديثا . المطبعة البوليسية ، ١٩٥٢ .

اليافي ، عبد الكريم . الشموع والقناديل في الشعر العربي .
مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٤ .

محتويـات الـرسـالـة

../.